

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة حسية بن بوعلی الشلف
كلية العلوم الانسانية والاجتماعية
قسم التاريخ



أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه

الشعبة: العلوم الإنسانية - تاريخ
التخصص: تاريخ حديث ومعاصر

العنوان

المصادر المحلية في كتابة تاريخ الجزائر خلال العهد العثماني
القرنين 18م وبداية القرن 19م

من إعداد الطالب
أبوبكر واضح

المناقشة بتاريخ 2026/05/24 من طرف اللجنة المكونة من:

أ.د محمد شبوب	أستاذ التعليم العالي	جامعة الشلف	رئيساً
أ.د حليلى بن شرقي	أستاذ التعليم العالي	جامعة الشلف	مشرفاً ومقرراً
د جمال مخلوفي	أستاذ محاضر أ	جامعة الشلف	ممتحناً
أ.د معمر شعشوع	أستاذ التعليم العالي	جامعة الشلف	ممتحناً
أ.د محمد حواس	أستاذ التعليم العالي	جامعة جيلالي بونعامة خميس مليانة	ممتحناً
أ.د أحمد رنيمة	أستاذ التعليم العالي	جامعة أحمد بن بلة وهـران 1	ممتحناً

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة حسية بن بوعلی الشلف
كلية العلوم الانسانية والاجتماعية
قسم التاريخ



أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه

الشعبة: العلوم الإنسانية - تاريخ
التخصص: تاريخ حديث ومعاصر

العنوان

المصادر المحلية في كتابة تاريخ الجزائر خلال العهد العثماني
القرنين 18م وبداية القرن 19م

تحت إشراف
أ.د حليلى بن شرقي

من إعداد الطالب
أبوبكر واضح

السنة الجامعية

2026 - 2025



يقول الله تعالى:

﴿ وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾

{الإسراء: 85}

الإهداء

إلى كل من علّمني حرفاً في هذه الدنيا الفانية

إلى روح أبي الزكية الطاهرة "واضح عمار"

إلى من ساندتني في صلاتها بدعائها

إلى نبع العطف والحنان أمي الغالية "عثامنة ربيحة"

إلى من دعوني وساندوني طيلة مشوراي الدراسي

إخوتي: "عبد الرحمان، أحمد، عبد السلام، عبد النور محمد"

إلى من لا يمكن للكلمات أن توفي فضلهم أخواتي: "علجية، رزيقة"

إلى من كانت بمثابة أمي التي لم تلدني أختي "زكية"

إلى من شجعتني على إكمال مسيرتي الدراسية زوجتي الغالية

إلى نجوم البيت المتلألئة (رفيف، إيناس، تسنيم، لميس، رامي عبد الإله، يونس، هاشم)

إلى أبناء إخوتي وأخواتي (هالة، إيمان، مهدي، عصام، عبد الرحيم، أصالة، منصف، فراس، أنس،

أروى، أمية، عمار، إيا، أسامة، وسيم، قصي، إلياس، ميلينا)

إلى زملاء الدراسة والدفعة "ناصر فدل"، "إسماعيل خريش"

إلى كل أبناء وبنات أعمامي كل باسمه

إلى أصدقائي "زبير"، "النوي"، "وليد"، "عبد الغاني قطوش"

إلى كل هؤلاء أهدي هذا العمل المتواضع وثمره جهدي

أبو بكر واضح.

شكر وتقدير

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿مَنْ لَا يَشْكُرُ الْخَاسَ لَا يَشْكُرُ اللَّهَ﴾

- حديث شريف -

وعلا محديث النبي عليه ألف صلاة وسلام، واعترافا بالكجيل نحمد الله عز وجل ونشكره على توفيقه لنا في إنجاز هذا

العمل المتواضع، فله الحمد والشكر أولاً وآخرأ

ثم الشكر كل الشكر والتقدير للأستاذ الدكتور حليلي بن شرقي المشرف على هذا العمل المتواضع، أولاً على حسبه التاريخي، وقدرته التوجيهية في حقل التاريخ الشاسع والواسع، وثانياً على سعة باله ونبل أخلاقه، والذي كان سنداً طيلة فترة

إنجاز هذا العمل وداعماً ومساعداً لي في مجال البحث

فكان له الأثر الطيب في إخراجهم على هذه الصورة.

وأتوجه بالشكر الخاص إلى السادة الأساتذة الأفاضل كل باسمه

أعضاء لجنة المناقشة الذين تشرفت بهم بمناقشة هذه الأطروحة.

وكما أتقدم بالشكر والعرفان إلى أساتذتي الكرام: "بن واضح الهاشمي"، "الرزقي خيرى"، "فاتح بلعري"، "هبال صلاح

الدين" على كل ما قدموه لي من توجيهات.

وكما أتقدم بالشكر والعرفان إلى أساتذة قسم التاريخ، ونيابة العادة بكلية العلوم الإنسانية والاجتماعية بجامعة الشلف كل

باسمه ومقامه.

وإلى زملائي بالدفعه "ناصر فدل"، "إسماعيل خيريش"

لا يفوتنا أن نتقدم بخالص العرفان إلى كل من ساعدني على إنجاز هذا العمل ولو بكلمة طيبة والذين لا يتسع المقام لذكرهم

جميعاً، فعفظهم الله وجزاهم عني خير الجزاء.

أبو بكر واضح.

مقدمة

مقدمة

يحتل تاريخ الجزائر خلال العهد العثماني موقعا مهما في الدراسات التاريخية باعتباره أكثر الحقب التي أثارت اهتمام الباحثين والمؤرخين، وهذا لما يمثله من مرحلة طويلة امتدت لأكثر من ثلاثة قرون، والتي تميزت بتنوع الأحداث المتمحورة حول طبيعة النظام السياسي والإداري بالإيالة وكذا التحولات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية التي عرفها المجتمع الجزائري، وأثارت هذه الأحداث اهتمام الكثير من المؤرخين الجزائريين، الذين انبروا للبحث في مستجدات تلك الفترة خاصة في القرنين الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر ميلادي.

وإذا كان الاعتماد في كتابة تاريخ الجزائر خلال الحقبة العثمانية مرتبطا لفترة طويلة بالمصادر الأجنبية الأوروبية منها، فإن المصادر المحلية الجزائرية تظل ذات أهمية بالغة في إعادة بناء صورة أكثر توازنا وموضوعية عن تلك المرحلة، فهي تمثل شهادة حية عن الواقع المعاش داخل المجتمع الجزائري، والتي تعبر عن رؤى أهل وسكان الإيالة، وتكشف عن جوانب دقيقة في الحياة اليومية والعلاقات الاجتماعية، الثقافية، الاقتصادية التي لا نجدها في الكتابات الأجنبية، والتي ركزت في الغالب على الجوانب السياسية والعسكرية، متجاهلة في كثير من الأحيان الأبعاد الاجتماعية والثقافية والاقتصادية بالإيالة، وهو ما أدى إلى تقديم صورة مشوهة عن الفترة العثمانية بالجزائر، وهذا بغرض تحقيق أهداف أيديولوجية استعمارية تساعدها بالدرجة الأولى في تسهيل وتبرير عملية التغلغل والاحتلال.

من هذا المنطلق تبرز الرحلات الجزائرية والمذكرات الشخصية والمصنفات والمدونات التاريخية والفكرية التي دونها علماء وأدباء وإداريون جزائريون محليون خلال القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر ميلادي كمصادر أساسية لفهم واقع المجتمع الجزائري الداخلي وعلاقاتها الخارجية مع بلدان الأقطار العربية الإسلامية، والدول الأجنبية خاصة الأوروبية، فهي لا تكتفي بسرد الأحداث بل تعكس النظرة المعاشية للحياة اليومية للمجتمع الجزائري وقضاياها من تعليم وعلاقات اجتماعية ودينية، ومعاملات تجارية، وأنشطة زراعية وصناعية، كما تتيح هذه النصوص

تقديم صورة الجزائر العثمانية كما رآها أبناء الجزائر بعيدا عن الرؤى الأجنبية، وخاصة الأوروبية التي اتسمت بالتحيز والذاتية، وبذلك تعد هذه المصادر المحلية المادة الخام التي يحتاجها الباحث لنقل الأحداث، وتقصي الحقائق كونها اللسان المعبر عن تلك الفترة.

لذلك ترك علماء ومشايخ الجزائر خلال الحقبة العثمانية تراثا غنيا، وكنزا ثمينيا كان بمثابة نبراسا استضاء به العديد من الباحثين والمفكرين الذين ساهموا في إعادة كتابة تاريخ الجزائر العثمانية، والتي شملت مؤلفاتهم مختلف مجالات الحياة بالإيالة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية أواخر العهد العثماني.

في هذا الإطار يندرج موضوع دراستنا وبحثنا، والمقدم لنيل درجة الدكتوراه تحت عنوان: "المصادر المحلية في كتابة تاريخ الجزائر خلال العهد العثماني، القرنين 18م وبداية القرن 19م".

أهمية الدراسة وأهدافها

تكتسي دراسة المصادر المحلية الجزائرية أهمية بالغة في إعادة بناء وكتابة تاريخ الجزائر خلال العهد العثماني، وتكمن أهمية هذه الدراسة في تحقيق بعض الأهداف منها:

- إعادة الاعتبار للرصيد المحلي، وإبرازه كمرجع علمي يعتمد عليه الباحثون في إعادة كتابة تاريخ الجزائر خلال الحقبة العثمانية بعيدا عن المصادر الأجنبية التي لا طالما اعتمد عليها الباحثون في دراستهم وكتابتهم لتاريخ الجزائر خلال الفترة المدروسة.
- محاولة إبراز الأبعاد الاجتماعية والثقافية والاقتصادية الخاصة بالمجتمع الجزائري خلال الفترة العثمانية من خلال الاعتماد على تلك المصادر والمدونات التاريخية المحلية.
- المساهمة في إثراء حقل البحث التاريخي، والمكتبة الجزائرية بالدراسات الخاصة بالتاريخ الجزائري المحلي، وهذا باعتبارها جزءا هاما من تراث تاريخ أمتنا المجيدة.
- تسليط الضوء على مرحلة مفصلية في تاريخ الجزائر أواخر العهد العثماني القرن 18م وبداية القرن 19م وما شهدته من أحداث ووقائع تاريخية.

دوافع اختيار الموضوع

لم يك اختيارنا لموضوع المصادر المحلية في كتابة تاريخ الجزائر خلال العهد العثماني وليد الصدفة، بل نتيجة تضافر العديد من الدوافع الذاتية والموضوعية بكتابته، ومنها:

الدوافع الذاتية

- الميول الشخصية قصد التعرف على أهم المصادر المحلية الجزائرية في الفترة العثمانية ومؤلفيها.
- إعادة الاعتبار لأهم المصادر المحلية التي دونها علماء ورحالة وأعيان ومؤرخون جزائريون أواخر العهد العثماني باعتبارها مرآة صادقة تعكس نظرة أهل البلاد إلى الأوضاع المعاشية بالإيالة.
- اكتشاف كيفية تشكل الوعي التاريخي لدى النخبة الجزائرية في أواخر العهد العثماني من خلال الرحلات والمذكرات الشخصية والمصنفات التي تركوها، والتي تحمل في طياتها دلالات ثرية حول البنى الاقتصادية والاجتماعية والثقافية للمجتمع الجزائري.
- المساهمة في إثراء الدراسات التاريخية عبر إبراز قيمة الرصيد المعرفي المحلي في كتابة تاريخ الجزائر خلال العهد العثماني.

الدوافع الموضوعية

- تسليط الضوء على الجوانب الاجتماعية والثقافية والاقتصادية بالجزائر العثمانية من خلال الاعتماد على المصادر المحلية الجزائرية في كونها تضي على الموضوع بعدا تاريخيا خاصا في نقل نظرة المؤرخين للحياة المعاشية بإيالة الجزائر في تلك الحقبة.
- إزالة الغموض ورد الاعتبار لعلماء الجزائر أواخر العهد العثماني من خلال التعريف بهم، وبمؤلفاتهم، وإبراز مساهماتهم في مد أواصر التواصل الثقافي بينهم وبين علماء الأقطار العربية والإسلامية.
- الحاجة إلى إعادة الاعتبار للمصادر المحلية في الكتابة التاريخية حول العهد العثماني في الجزائر، والتي ظلت لمدة طويلة رهينة الروايات الأجنبية والكتابات الاستعمارية.

- إبراز خصوصية الرؤية المحلية في وصف الأحداث والوقائع التي شهدتها الإيالة الجزائرية في الفترة العثمانية، وتفاعلات السلطة الحاكمة مع أفراد المجتمع الجزائري، وهو ما يمنح الباحث مادة أصيلة لفهم التاريخ المحلي بعيدا عن الانحيازات الخارجية.
- إحياء التراث الجزائري، وإبراز دور المؤرخين الجزائريين في الكتابة التاريخية.
- مواصلة جهود من سبقني من الباحثين في الاعتناء بمصادر الجزائر المحلية خلال الحقبة العثمانية.

- تعزيز فهم التاريخ العام بإيالة الجزائر أواخر العهد العثماني في بعده الاجتماعي والثقافي والاقتصادي من خلال ما توفره المصادر المحلية من معطيات دقيقة حول أنماط الحياة اليومية والعلاقات الاجتماعية والبنى الاقتصادية للمجتمع الجزائري.

إشكالية البحث

- تتمثل إشكالية الدراسة في التعرف على طبيعة المصادر المحلية الجزائرية خلال الحقبة العثمانية، وأهميتها في كتابة تاريخ الجزائر، وإبراز الجوانب الاجتماعية والثقافية والاقتصادية في القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر ميلادي، انضوت تحتها جملة من التساؤلات كالآتي:

- ما طبيعة المصادر المحلية الجزائرية خلال العهد العثماني؟
- ما هي أهم الرحلات الجزائرية خلال القرنين الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر ميلادي؟

- ما هي أهم المؤلفات التي دونها علماء الجزائر أواخر العهد العثماني؟
- كيف ساهمت الرحلات والمذكرات الشخصية والمصنفات في الكشف عن جوانب الحياة بالإيالة أواخر العهد العثماني خاصة الجوانب الاجتماعية والثقافية والاقتصادية؟

- ما هي أهمية توظيف المصادر المحلية في كتابة تاريخ الجزائر خلال العهد العثماني؟

المنهج المتبع

من أجل الإلمام بحيثيات هذه الدراسة من كل جوانبها، اتبعت منهاجا تاريخيا وصفيا من خلال دراسة فترة من فترات تاريخ الجزائر خلال الحقبة العثمانية، وتاريخ المؤلفين والعلماء ووصف مؤلفاتهم، وهذا عن طريق جمع المعطيات وتشخيصها وتفسيرها، والربط بينها، كما اعتمدت على المنهج التحليلي خاصة في استقراء المادة التاريخية التي تضمنتها الكتابات والمدونات التاريخية الجزائرية، سواء كانت كتب الرحلات، أو كتب التراجم، وهذا بهدف الخروج بنتائج لمعرفة مستوى التطور الحاصل في الكتابة التاريخية عند مؤلفيها.

الدراسات السابقة

رغم قلة الدراسات السابقة التي تناولت هذا النوع من المواضيع عند جل المؤرخين والباحثين الجزائريين، خاصة توظيف المصادر المحلية في كتابة تاريخ الجزائر خلال الحقبة العثمانية والتي كانت تعتمد على المصادر الأجنبية في إثراء الدراسات المتعلقة بها، خاصة الكتابات الفرنسية الا اننا اعتمدنا في دراستنا هاته، على منتج المحققين الجزائريين الذين عملوا على إخراج الكثير من المخطوطات إلى النور، وهذا بهدف إثراء البحث التاريخي لتاريخ الجزائر في الفترة العثمانية، وعلى سبيل المثال نذكر: أبو القاسم سعد الله الذي قام بتحقيق رحلة ابن حمادوش المسماة بـ"لسان المقال..."، ومحمد إبراهيم خليل الذي اعتنى بالرحلة الورثيانية للشيخ الحسين بن محمد الورثياني، ومساهمة محمد بن عبد الكريم في نشر التراث الجزائري من خلال تحقيقه العديد من المخطوطات مثل: "فتح الإله.." لأبي راس الناصر ومذكرات حمدان بن عثمان خوجة "المرآة" وكتاب "التحفة المرضية.." لابن ميمون، بالإضافة إلى مساهمة المؤرخ ناصر الدين سعيدوني في كتابة التاريخ الاقتصادي للجزائر في الفترة العثمانية، وأحمد توفيق المدني وتحقيقه لمذكرات أحمد الشريف الزهار، وغيرهم من المؤرخين والمحققين.

الخطة المتبعة في الدراسة

عن هذه الإشكالية وتساؤلاتها الفرعية، ارتأينا أن نقسم الأطروحة إلى: مقدمة، أربعة فصول وخاتمة، وهي كالآتي:

الفصل الأول: جاء بعنوان " **طبيعة المصادر المحلية الجزائرية خلال العهد العثماني** "، وقد خصص هذا الفصل إلى إبراز أهم المصادر المحلية الجزائرية خلال الحقبة العثمانية، حيث تناولنا فيه: **أولاً:** الرحلة، ماهيتها، الدوافع والأسباب التي أدت إلى القيام بها من طرف علماء الجزائر خلال العهد العثماني وأنواعها.

ثانياً: تناولنا المخطوطات تعريفها، أنواعها ومراكز تواجدها بالجزائر.

ثالثاً: خصصناه لوثائق الأرشيف الوطني الجزائري بذكر المدلول اللغوي والاصطلاحي للأرشيف، أنواعه وتصنيفاته، وأهم الوثائق الأرشيفية بالمركز الوطني للأرشيف الجزائري (الفترة العثمانية أنموذجاً).

رابعاً: تناولنا فيه أيضاً المدلول اللغوي والاصطلاحي للتأليف، دوافع انتشاره خلال الفترة الحديثة ومجالاته بالإضافة إلى تعريفنا للمذكرات الشخصية وأهميتها في كتابة تاريخ الجزائر. **الفصل الثاني:** بعنوان " **الرحلات الجزائرية خلال العهد العثماني (القرنين 18م وبداية القرن 19م)** "، وتم تخصيصه لذكر أهم الرحلات الجزائرية خلال القرن 18م وبداية القرن 19م، وتناولنا فيه ما يلي:

أولاً: رحلة عبد الرزاق ابن حمادوش خلال القرن 18م، التعريف بالرحالة وبكتابه، وأهم المواضيع التي تناولها ابن حمادوش في رحلته، مع ذكر المصادر المعتمدة في كتابة مؤلفه. **ثانياً:** رحلة الحسين بن محمد الورثيلاني خلال القرن 18م، وهو الآخر تناولنا تعريفه وكتابه والمحتوى العام لرحلته، وأهم المصادر التي اعتمد عليها في تأليفه.

ثالثاً: رحلة الشيخ أبي راس الناصر المعسكري خلال القرن التاسع عشر، وفيه تناولنا التعريف به، وبكتابه، ومضمون رحلته، وأهم المصادر التي استند عليها في كتابة مؤلفه.

رابعاً: رحلة عبد الرحمن بن إدريس التنيلاني بداية القرن 19م، وأشرنا إلى التعريف به وبمؤلفه، ومحتوى رحلته، والمصادر التي اعتمد عليها في تأليف رحلته.

فيما يخص الفصل الثالث: الذي جاء بعنوان " الكتابات والمذكرات الشخصية الجزائرية خلال القرن 18م وبداية القرن 19م"، قمنا بتقسيمه إلى:

أولاً: كتاب " التحفة المرضية في الدولة البكداشية..." لمحمد بن ميمون الجزائري، وتناولنا فيه التعريف به، وبكتابه، والمحتوى العام للكتاب ومضمونه، والمصادر والأسلوب المعتمد في كتابة مؤلفه.

ثانياً: كتاب "بهجة الناظر..." لعبد القادر المشرفي الجزائري، وتناولنا فيه أيضاً التعريف به وبكتابه، وبمضمونه ومحتواه، وأهم المصادر والأسلوب المعتمد عليه في كتابته.

ثالثاً: تناولنا فيه مذكرات حمدان بن عثمان خوجة من خلال التعريف به، وبكتابه " المرأة" ومحتوى ومضمون الكتاب، وما اعتمد عليه من مصادر وأساليب في كتابة مذكراته.

رابعاً: جاء بعنوان " مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار"، وتناولنا فيه التعريف بالمؤلف ومذكراته، والمحتوى العام للكتاب، وأهم المصادر والأسلوب المعتمد في كتابته.

في حين أن الفصل الرابع: جاء بعنوان " مساهمة المصادر المحلية في كتابة تاريخ الجزائر أواخر العهد العثماني"، وخصصناه لإبراز أهمية المصادر المحلية في كتابة تاريخ الجزائر خلال القرن 18م وبداية القرن 19م، وتناولنا فيه ما يلي:

أولاً: الجانب الاجتماعي، يتضمن الإشارة إلى تركيبة المجتمع الجزائري خلال العهد العثماني ومظاهر الترابط بين فئاته من خلال المصادر المحلية.

ثانياً: الجانب الثقافي، تطرقنا إلى التعليم ومؤسساته بالجزائر أواخر العهد العثماني، مع إعطائنا نماذج لأهم العلوم السائدة والإنتاج الفكري بها، وكذا أهم مظاهر التواصل الثقافي بين إيالة الجزائر، والأقطار العربية في تلك الحقبة.

ثالثا: الجانب الاقتصادي، يتضمن أهم الأنشطة الاقتصادية بإيالة الجزائر أواخر العهد العثماني من زراعة، صناعة وتبادلات تجارية، بالإضافة إلى السياسة الضريبية، وأهم العملات الجزائرية سواء المحلية أو الأجنبية المتعامل بها في تلك المرحلة، مع ذكر الأبعاد الاقتصادية في المدونات التاريخية الجزائرية.

أما الخاتمة، فهي حوصلة لأهم النتائج المتوصل إليها من خلال هذه الدراسة، وجاءت مركزة حسب كل فصل من الفصول، وتحمل في طياتها إجابات عن التساؤلات التي طرحت في بداية الدراسة.

نقد المصادر والمراجع المعتمد عليها

لتعزيز هذه الدراسة والإلمام بجوانبها المختلفة اعتمدت على جملة من المصادر والمراجع، والدراسات الأكاديمية في إنجاز هذا البحث، وهي:

• **المصادر:** من جملة المصادر المعتمد عليها في هذه الدراسة نذكر:

- كتاب "لسان المقال في النبأ عن النسب والحسب والحال"، والذي يعد من بين المصادر المحلية الهامة في دراسة تاريخ الجزائر خلال العهد العثماني، فهو يقدم لنا شهادة مباشرة عن أوضاع المجتمع الجزائري في النصف الأول من القرن الثامن عشر، وتبرز أهميته في تسجيل وتدوين مجموعة من المواضيع الاجتماعية والثقافية والدينية والاقتصادية والسياسية في إيالة الجزائر وعلاقاتها الخارجية، وكما يمثل أنموذجا فريدا لأدب الرحلات الجزائري، وهذا لما يتضمنه من تصوير حي للحياة اليومية بالإيالة وخارجها.

- كتاب "نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار"، للشيخ الحسين بن محمد الورثيلاني وهو من أهم المصادر المحلية الجزائرية أواخر العهد العثماني، وتكمن أهميته في كونه يجمع بين الطابع الرحلي والتاريخي، فهو عبارة عن موسوعة وصف فيها الدول، والمدن، والمناطق، وأهلها وعلمائها، وهذا خلال رحلته إلى المشرق التي قام بها أواخر القرن الثامن عشر بهدف أداء مناسك الحج والعمرة، وقد اكتسب هذا الكتاب أهمية خاصة من حيث توثيقه لمظاهر الحياة اليومية، ودور

الزوايا والطرق الصوفية، والعلاقات العلمية بين الجزائر وبلدان المشرق العربي، بالإضافة إلى اهتمامه بالأنشطة الاقتصادية والتجارية في تلك المرحلة.

- كتاب "فتح الإله ومنته التحدث بفضل ربي ونعمته" للعالم الحافظ محمد أبوراس الناصر وتكمن أهميته في كونه مصدرا أصيلا يتيح الاطلاع على رؤية أحد علماء الجزائر للأوضاع الدينية والثقافية والاجتماعية في بداية القرن التاسع عشر في كل من إيالة الجزائر، وبلدان المشرق والمغرب الإسلامي، وهو ما يشكل مادة أساسية للباحثين في التاريخ الاجتماعي والثقافي للجزائر في العهد العثماني المتأخر، ومرجع لا غنى عنه لفهم جانب من الهوية الفكرية والدينية للمجتمع الجزائري خلال تلك الفترة المدروسة.

- كتاب "رحلة الشيخ عبد الرحمن التنيلاي إلى ثغر الجزائر عام 1231هـ/1816م" وتكمن أهميته في كونها شهادة محلية مباشرة دونها صاحبها انطلاقا من معاشته للواقع، وقد ساعدنا على معرفة المسالك والمناطق الداخلية لإيالة الجزائر، والحياة اليومية للمجتمع الجزائري في القرن التاسع عشر، وأهم الأحداث التي شهدتها مدينة الجزائر في تلك المرحلة " حملة اللورد إكسموث 1816"، وهو ما يمنحنا رؤية داخلية عن أحوال المجتمع الجزائري في الفترة المدروسة.

- كتاب "التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية" لمحمد ابن ميمون الجزائري، ويعد من أهم المصادر المحلية، ومرجعا لا غنى عنه في دراسة التاريخ السياسي والعسكري لإيالة الجزائر بداية القرن الثامن عشر، استعنا به في توثيق الفتح الأول لمدينة وهران، ودور الداوي محمد بكداش في ذلك، بالإضافة إلى معرفة أحوال المجتمع الجزائري وحياته اليومية وعلاقته بالسلطة الحاكمة.

- كتاب " مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار نقيب أشراف الجزائر" للحاج أحمد الشريف الزهار، تبرز أهميته بأنه يمثل مرجع لا غنى عنه للباحثين في التاريخ السياسي والاجتماعي والثقافي والعلاقات الخارجية للجزائر مطلع القرن التاسع عشر، وكذا أحد الركائز الأساسية لفهم طبيعة المجتمع الجزائري قبيل سقوط العاصمة سنة 1830م.

- كتاب "المرآة" لحمدان بن عثمان خوجة، وتكمن قيمته في كونه شهادة معاصرة لأحد أعلام الجزائر والمعروف بثقافته الواسعة وصلاته الفكرية والدبلوماسية، وقد ساعدنا على توثيق دقيق للأحداث السياسية والعسكرية المرتبطة بسقوط إيالة الجزائر في يد المحتل الفرنسي، بالإضافة إلى أنه يمثل قيمة كبيرة في المجالين الاجتماعي والثقافي، خاصة في وصف أحوال المجتمع الجزائري مع مطلع القرن التاسع عشر، من عادات وتقاليد، وتنظيمات اجتماعية، ومعاملات تجارية وأنشطة اقتصادية كالجباية وغيرها.

بالإضافة إلى الاعتماد على العديد من المصادر مثل "كتاب الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني" لابن سحنون الراشدي، وكتاب "بهجة الناظر في أخبار الداخلين تحت ولاية الإسبانيين بوهران من الأعراب من بني عامر" لعبد القادر المشرفي، كتاب "دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران" للشيخ محمد بن يوسف التلمساني وغيرها من المصادر.

• المراجع

من بين المراجع الكثيرة التي اعتمدت عليها في إنجاز هذه الأطروحة نذكر:

- كتاب "تاريخ الجزائر الثقافي" بأجزائه لأبي القاسم سعد الله، والذي يعد موسوعة ثقافية ومرجعا لا غنى عنه في أي دراسة أكاديمية، ولبنة أساسية في بناء مدرسة وطنية في كتابة التاريخ الوطني، بالإضافة إلى كتبه الأخرى مثل: "أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر"، وكتاب "محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث بداية الاحتلال"، وغيرها من الدراسات والأبحاث التي ساعدتنا على معرفة تراجم بعض المؤرخين وإنتاجهم الفكري خلال الحقبة العثمانية، بالإضافة إلى التعرف على جل المؤسسات الثقافية والدينية التي كانت منتشرة في إيالة الجزائر، ودورها الثقافي، وكما تناول التصوف ورجالاته.

- كتب ناصر الدين سعيدوني، ومن بينها "النظام المالي للجزائر في الفترة العثمانية [1800-1830م]، وكتاب "دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر"، وكتاب "من التراث التاريخي والجغرافي للغرب الإسلامي"، وغيرها من الكتب التي أفادتنا كثيرا في معرفة تراجم المؤرخين

الجزائريين وإنتاجهم الفكري، وكذا الاطلاع على الحياة اليومية بالمجتمع الجزائري، وخاصة الجانب الاقتصادي، وقد ساهمت في تكوين جيل من الباحثين في التاريخ الجزائري، إذ أصبحت مراجع أساسية في الدراسات الأكاديمية التي لا غنى عنها، خاصة في تاريخ الجزائر العثمانية.

- **كتب يحي بوعزيز**، ومن بينها: كتاب "أوضاع المؤسسة الدينية بالجزائر خلال القرنين 19 و20م"، وكتاب "قضايا ومنطلقات"، وأفادتني في التعرف على أهم المؤسسات الدينية بالجزائر العثمانية، وكذا على أهم الأحداث التي شهدتها الإيالة خلال القرن 19م، وكذلك نجد كتاب "معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر"، وقد استعنت به في ترجمة الأعلام التي تناولتها في الموضوع.

- **لزعيم فوزية**، وكتابه "الإجازات العلمية لعلماء الجزائر العثمانية"، وأفادني في تعزيز آليات التواصل الثقافي بين علماء الجزائر، وعلماء الأقطار العربية الإسلامية.

- **أحمد مريوش**، وكتابه "الحياة الثقافية في الجزائر خلال العهد العثماني"، واستعنت به في التحدث عن أهم المؤسسات الثقافية والدينية التي كانت منتشرة بإيالة الجزائر خلال الحقبة العثمانية، ودورها الثقافي.

• الأطروحات الجامعية

من أهم الأطروحات التي اطلعنا عليها، وكان لها علاقة بالموضوع بطريقة مباشرة، أو غير مباشرة، نجد:

- **لبنى مهدي**، وأطروحتها المكملة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر المسلمات بـ "صورة العثمانيين في الجزائر من خلال الكتابات التاريخية الجزائرية من القرن 18م حتى النصف الأول من القرن 19م".

- **رقية شارف**، وأطروحتها المكملة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر والمعنونة بـ "التاريخ والمؤرخون الجزائريون خلال العهد العثماني وإلى غاية 1267هـ / 1850م دراسة وصفية - نقدية - مقارنة مقارنة في المنهج التاريخي".

- لزغم فوزية، وأطروحته المسماة بـ "البيوتات والأسر العلمية بالجزائر خلال العهد العثماني ودورها الثقافي والسياسي".

- عبد القادر بكاري، وأطروحته المقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث، والمعنونة بـ "منهج الكتابة التاريخية عند المؤرخين الجزائريين في العهد العثماني (1519-1830)".

- سالم بوتدارة، وأطروحته المقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في العلوم في التاريخ الحديث والمعاصر، والمسماة بـ "الحركة العلمية بالجنوب الجزائري خلال العهد العثماني على ضوء المصادر المحلية".

• المقالات

اعتمدنا على العديد من المقالات التي وردت في مجلات متخصصة، والتي ساهمت في إثراء الموضوع، مثل: مجلة عصور الجديدة، قضايا تاريخية، مجلة الحوار المتوسطي، المجلة الجزائرية للمخطوطات، العبر للدراسات التاريخية والأثرية، المجلة التاريخية المغاربية، الثقافة وحوليات جامعة الجزائر.

• المعاجم والقواميس

من أهم المعاجم والقواميس المعتمدة في إثراء موضوع البحث نجد: "لسان العرب" لابن منظور، و"محيط المحيط" لبطرس البستاني، و"معجم مقاييس اللغة" لابن فارس، و"المنجد في اللغة والأعلام".

الصعوبات التي واجهتني أثناء إعداد هذا البحث

من أبرز التحديات التي اعترضت في دراستنا هذه هي اتساع موضوع الأطروحة في بدايته وتشعبه، وهذا ما استدعى منا جهدا مضاعفا في ضبط العنوان وتحديد إطاره الزمني في شكله النهائي، والمعنون بـ "المصادر المحلية في كتابة تاريخ الجزائر خلال العهد العثماني، في القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر ميلادي أنموذجا"، بالإضافة إلى هيكلة عناصر الأطروحة ورسم معالمها، وذلك لقلة المصادر المحلية خلال القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر خاصة عنصر المذكرات الشخصية، والمؤلفات الخاصة بالحياة الاقتصادية والاجتماعية خلال

الفترة المدروسة، ولكن بفضل خبرة المشرف ونصائحه السديدة ومنهجه العلمي، فإننا نعتقد أننا توصلنا إلى التغلب على الكثير من الصعاب وتذليلها.

كما لا يفوتني في الأخير أن أتوجه بجزيل الشكر والامتنان إلى المشرف الأستاذ الدكتور حليلى بن شرقي الذي تحمل معي مشقة هذا البحث، فكان بحق سنداً قوياً وموجهاً دقيقاً، أنار لي دربي وأخذ بيدي في ثنايا هذا البحث، فحفظه الله وأدامه خادماً للعلم وطلابه.

أتوجه أيضاً بجزيل الشكر إلى كل من قدم لي يد العون والمساعدة، وشجعني ولو بكلمة طيبة على تحقيق هذا المراد والمبتغى، حتى خرج هذا البحث إلى النور.

لا يفوتني أيضاً أن أتقدم بالشكر الجزيل للسادة الأفاضل أعضاء لجنة المناقشة على حرصهم في تقييم هذا العمل، والله من ورائه القصد إياه نسأل الهدى والتوفيق والسداد.

الفصل الأول: طبيعة المصادر المحلية الجزائرية خلال العهد العثماني

مقدمة الفصل

أولاً: الرحلة الجزائرية

1- ماهية الرحلة

2- الرحلة خلال العهد العثماني دوافعها وأسبابها

3- أنواعها

ثانياً: المخطوطات

1- المدلول اللغوي والاصطلاحي

2- أنواع المخطوطات

3- مراكز تواجد المخطوطات بالجزائر

ثالثاً: وثائق الأرشيف الوطني الجزائري

1- المدلول اللغوي والاصطلاحي للأرشيف

2- أنواع الأرشيف وتصنيفاته

3- الوثائق الأرشيفية بالمركز الوطني للأرشيف الجزائري "الفترة العثمانية أنموذجاً"

رابعاً: الكتابات والمذكرات الشخصية

1- الكتابات (المؤلفات) الجزائرية خلال العهد العثماني

2- المذكرات الشخصية

خاتمة الفصل.

تعتبر المصادر المحلية من الركائز الأساسية في دراسة وكتابة تاريخ الجزائر خلال العهد العثماني، حيث تسهم في تقديم صورة دقيقة، وواقعية عن الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية في المجتمع الجزائري، وتشمل هذه المصادر الرحلات، والوثائق الأرشيفية من مخطوطات وسجلات للمحاكم الشرعية، وسجلات البايك وبيت المال، وجانب من مؤلفات علماء وأدباء الجزائر، والرسائل الإدارية، وبعض المذكرات الشخصية، والتي تعد من أهم الأدوات الأساسية التي نعتمد عليها في فهم الحياة اليومية، والأنظمة الإدارية والعلاقات الاجتماعية داخل المجتمع الجزائري خلال العهد العثماني.

أولاً: الرحلة الجزائرية

1- ماهية الرحلة

1-1- لغة

الرحلة كفعل أساسه الحركة، يمثلها التنقل المرتبط دوماً بنقطة منطلق يمثلها حرف الجر " من"، ونقطة وصول يمثلها حرف الجر " إلى"، وهما الحرفان الدالان على الحركة داخل المكان¹. وهو ما دلت عليه أغلب المعاجم اللغوية، ومن ذلك ما جاء في مقاييس اللغة لابن فارس قوله: "رَحَلَ: الرَاء والحاء واللام أصل واحد يدل على مضى في سفر، يُقال: رَحَلَ يَرَحُلُ رَحْلاً، وَجَمِيلُ رَحِيلٍ ذو رَحْلةٍ إذا كان قويا على الرِّحْلة، والرحْلة: الارتحال. فأما الرُّحْل في قولك: هذا رَحْلُ الرجل لمنزله ومأواه فهو من هذا²، أما في لسان العرب لابن منظور فقد عرفها بقوله: "وَارْتَحَلَ الْبَعِيرُ رَحْلةً أي سار فمضى، ثم جرى ذلك في المنطق حتى قيل ارْتَحَلَ القوم عن المكان ارتحالاً، وَرَحَلَ عن المكان يَرَحُلُ وهو رَاحِلٌ من قوم رُحُلٍ: انتقل؛ قال:

رَحَلْتُ مِنْ أَقْصَى بِلَادِي الرُّحْلَ مِنْ قُلَلِ الشَّخْرِ فَجَنَّبِي مَوْحِلَ
وَرَحَلَ غَيْرُهُ؛ قَالَ الشَّاعِرُ:

لَا يَرَحُلُ الشَّيْبُ عَنْ دَارٍ يَحُلُّ بِهَا حَتَّى يُرَحَلَ عَنْهَا صَاحِبُ الدَّارِ

ويروى: عامر الدار. والتَّرحُل والارتحال: الانتقال، وهو الرِّحْلة والرُّحْلة والرَّحْلة: اسم للارتحال للمسير. يقال دنت رَحْلَتَنَا، وَرَحَلَ فُلَانٌ وَارْتَحَلَ وَتَرَحَّلَ بمعنى (...)، وقال بعضهم: الرِّحْلة والارتحال والرُّحْلة بالصَّم، الوجه الذي تأخذ فيه وتريده³.

1 - الطاهر حسيني، الرحلة الجزائرية في العهد العثماني بناؤها الفني أنواعها وخصائصها، أطروحة مقدمة لنيل درجة دكتوراه علوم في الأدب العربي، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، في الجزائر، 2013-2014، ص 15.

2 - أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، مقاييس اللغة، تح: عبد السلام هارون، اتحاد الكتاب العرب، سوريا، 2002، ج 1، ط 2 ص 785.

3 - أبو الفضل جمال الدين ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، 1994، مج 11، ص ص 278-279.

أما الفيروز آبادي فعرفها في معجمه "القاموس المحيط" بقوله: "الرحل مركب للبعير كالراحول، جمع أرْحَلٌ ورَحَالٌ، ومسكنك وما تَسْتَصْحِبُهُ من الأثاث (...)، وَجَمَلٌ رَحِيلٌ: قوي على السير، وترَحَّلَهُ ركبهُ بِمَكْرُوهٍ، وارتحل البعير: سار ومضى القوم عن المكان انتقلوا كَتَرَحَلُوا، والاسم: الرُّحْلَةُ بالضم والكسر أو بالكسر: الارتحال، وبالضم: الوجه الذي تقصده والسَّفَرَةُ الواحدة، والرحيل كَأَمِيرٍ: اسم ارتحال القوم"¹.

جاء في "محيط المحيط" للبستاني قوله: "رحل عن البلد يَرْحَلُ رَحْلاً وَرَحِيلاً وَتَرَحَّلاً شخص وسار، ورحلته أنا لازم مُتَعَدِّدٌ، ورحل إلى المكان انتقل... وراحله عاونه على رَحَلَتِهِ... وترحل القوم عن المكان انتقلوا... والرَّحْلَةُ النوع من الرحيل، يقال رحل فلان رحلة من لا يعود، والرَّحْلَةُ بالضم والكسر الاسم من الارتحال يُقال: دنت رحلتنا أي ارتحالنا، أو الرحلة بالكسر الارتحال وبالضم الوجه الذي يقصده الراحل، يُقال: غداً رحلتنا أي ارتحالنا، ومكة رُحلتنا أي الجهة التي نقصدها ونريد أن نرتحل إليها"².

"الرَّحْلَةُ" بالكسر الارتحال للمسير، يقال دنت رحلتنا، ومنه قوله تعالى: ((رحلة الشتاء والصيف))³، وبالضم الوجه الذي تقصده وتريده وتأخذ فيه، وعليه فإن الرَّحْلَةَ تعني السفر، والرَّحْلَةُ تعني الوجهة وكذا السفرة الواحدة، عن ابن سيده، والرحيل، كَأَمِيرٍ: اسم ارتحال القوم من رَحَلَ يَرْحَلُ، قال الراعي:

ما بال دَفِكَ بالفراش مديلاً ... أَقْذَى بِعَيْنِكَ أم أردت رَحِيلاً⁴

¹ - مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، القاموس المحيط، تح: أنس محمد الشامي وزكريا جابر أحمد، دار الحديث، القاهرة، مصر، 2008، (د.ط)، ص 626.

² - بطرس البستاني، محيط المحيط، مكتبة لبنان، بيروت، 1977، ص 327-328.

³ - سورة قريش، الآية 2.

⁴ - محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، تح: مصطفى حجازي، راجعه: أحمد مختار عمر وضاحي عبد الباقي، وزارة الإرشاد والأنباء في الكويت، الكويت، 1988، ج 29، ص 58-59.

كما ورد لفظ "الرحلة" في معجم اللغة العربية المعاصرة وجمعه رِحَالَات (لغير المصدر)، ورِحَالَات (لغير المصدر)، ورِحَلُ (لغير المصدر)، ورِحَال [مفرد]، جمع رِحَال ورِحَالَة، ورِحَل ورِحَالُون: في صيغة مبالغة من رَحَل¹...، ورَجُلٌ رَحُولٌ ورِحَالٌ ورِحَالَة: كثير الرحلة². من هنا يتجلى لنا أن المعنى اللغوي للفظ "الرحلة" تعني السفر والانتقال، والوجهة أو المقصد الذي يراد السفر إليه، أو التحول من مكان إلى آخر سواء كان قريباً أو بعيداً، ولذلك اقترن فعل رحل بعملية انتقال الإنسان بهدف الحفاظ على وجوده وضمان استمراريته.

1-2- اصطلاحا

عرف مصطلح "الرحلة" العديد من المفاهيم، فقد عرفت الباحثة جميلة روباش بقولها: "الرحلة كتابة يحكي فيها الرحالة أحداث سفره، وما شاهده وعاشه، مازجا ذلك بانطباعاته الذاتية حول المرحّل إليهم، وكتابة الرحلة يتطلب أن يكون الرحالة ذا مستوى ثقافي معين يؤهله لنقل أحداث سفره وتسجيلها"³.

أما بطرس البستاني فعرفها بقوله: " الرحلة هي انتقال واحد -أو جماعة- أو قبيلة أو أمة من مكان إلى مكان آخر لمقاصد مختلفة وأسباب متعددة، فإن كان انتقال قبيلة أو أمة إلى بلد آخر بسبب إتلاف الحروب لأرزاقهم فتسمى الرحلة بـ "مهاجرة"... وأما ان كان انتقالهم بسبب شن الغارات فتسمى " غزوة"...، وإن كان انتقالهم بهدف الاستكشاف لأموار علمية أو تاريخية أو النزهة فتسمى بـ " الرحلة أو السياحة"، وإن كانت بهدف كسب الرزق ثم العودة للوطن فتسمى بـ " السفر أو التغرب"⁴.

¹ - أحمد مختار وآخرون، معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، القاهرة، 2008، مج1، ط1، ص871.

² - خليفة محمد التليسي، النفيس من كنوز القواميس (صفوة المتن اللغوي من تاج العروس ومراجعته الكبرى)، الدار العربية للكتاب، طرابلس الغرب، ليبيا، 2000، مج2، ص 829.

³ - جميلة روباش، أدب الرحلة في المغرب العربي، وطروحات مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في الأدب الجزائري القديم، جامعة محمد خيضر، بسكرة، 2014/2015، ص8.

⁴ - بطرس البستاني، دائرة المعارف " قاموس عام لكل فن ومطلب"، مطبعة المعارف، بيروت، 1884، مج8، (د.ط)، ص564.

كما عرفها الأديب نيقولا زيادة بقوله: " الرحلة في الاصطلاح هي تدوين الرحالة لأخبار أسفارهم من خلال ذكر المدن التي زاروها، والمسافات التي اجتازوها، والصعوبات التي تغلب عليها، ووصف البلاد وزرعها وصناعاتها وتجاريتها، ووصف حياة السكان من خلال عرض عاداتهم الطيبة، واذم ما فيهم من ضعف"¹.

فالرحلة إذن هي لون أدبي ذو طابع قصصي فيه فائدة للمؤرخ والأديب والجغرافي، وضرب من السيرة الذاتية واكتشاف للمعالم والأقطار والحكم عليها، ووصف لما انطبع في ذهن الرحالة عبر مسار رحلته، يتداخل في ذلك الواقع والخيال بأسلوب القصص والسرود لإبراز الحقائق العلمية التاريخية، الجغرافية، والنفسية وغيرها، وبذلك فهي تشترك في عدة حقول معرفية²، لذلك تعد الرحلة حلقة رائعة ومثيرة من المنظومة الإلهية التي تشمل الكون، وتوجه أنساقه البشرية والطبيعية لتحقيق المزيد من محاولات اكتشاف ذاتيته الإنسانية، واختراق حاجز المسافات الطبيعية لاكتشاف الحياة على الأكوان المختلفة³.

إذن فالرحلة هي سرد مراحل تنقل الرحالة من بقعة إلى بقعة جغرافية أخرى، مع تطرقه إلى ذكر كل ما أحاط بهذا الفعل من مشاهد ورؤى ومجريات، فهي بذلك مجموعة الآثار الأدبية التي تتناول انطباعات المؤلف عن رحلاته في بلاد مختلفة، والتي تعرض فيها إلى وصف ما يراه من عادات وسلوكيات وأخلاق، وتسجيل دقيق للمناظر الطبيعية التي شاهدها، أو سرد لكل مراحل رحلته، أو الجمع بينهما في آن واحد⁴.

لذلك فالرحلة هي بمثابة المصادر الشاملة التي سجلت لنا الجوانب المتعددة من حركة انتقال الرحالة، من مكان إلى مكان آخر بهدف الاطلاع والاستكشاف للأماكن الجديدة، وجمع المعارف

¹ - نيقولا زيادة، الجغرافيا والرحلات عند العرب، الشركة العالمية للكتاب، بيروت، 1987، (د.ط)، ص16.

² - فاطمة مقدم، الخصائص السردية في رحلة ابن حمادوش الجزائري، رسالة ماجستير في اللغة العربية وآدابها، جامعة وهران 2010/2011، ص11.

³ - فؤاد قنديل، أدب الرحلة في التراث العربي، مكتبة الإسكندرية، القاهرة، مصر، 2002، ط2، ص22.

⁴ - كامل المهندس ومجدي وهبة، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب العربي، مكتبة لبنان، بيروت، لبنان، 1984، ط2، ص 17.

على اختلاف أمكنتها وأزمنتها¹، فالرحلة حركة والحركة روح الحياة وأصل الكون وأحد سيماته الأساسية²، وهي بمثابة بوصلة القارئ في متاهات المجهول من البلدان والأجناس ذات طابع قصصي يحمل فائدة للمؤرخ و للباحث الجغرافي، وعالم الاجتماع، ووصف للأقطار، واكتشاف للمعالم، وذكر للأوضاع والظروف التي تمر بها البلدان، وتجربة إنسانية لفهم الواقع المعاش عبر الأزمنة والعصور، لذلك فإن الرحلة على مستوى المضامين تحتوي على معارف متنوعة، تاريخية، دينية وأدبية، وعلى مستوى الأشكال فنجد بها السرد، والوصف، والحكايات، والأخبار، والرسائل والأشعار، لذلك تم استغلالها من طرف المؤرخين والجغرافيين والباحثين.

2- الرحلة خلال العهد العثماني دوافعها وأسبابها

تعددت الدوافع وأسباب قيام الجزائريين بالرحلات خلال العهد العثماني، وهذا باختلاف طبيعة الرحلة وعلاقتها بالواقع وتجليات جميع مظاهر الحياة فيها، من سفر، ومشاهدة، وتواصل مع الآخر، ومن أبرز تلك الدوافع نذكر:

2-1- الدافع الديني

يعد الدافع الديني من أبرز الدوافع التي حفزت الجزائريين على القيام برحلات متعددة لزيارة البقاع المقدسة وهذا بهدف أداء فريضة الحج أو الاعتمار امتثالاً لقوله تعالى: "وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا"³.

وقوله صلى الله عليه وسلم: " لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجدي هذا، والمسجد الأقصى"⁴.

¹ - صلاح الدين الشامي، الرحلة عين الجغرافيا المبصرة، منشأة المعارف للنشر والتوزيع، الإسكندرية، 1999، ط2، ص11.

² - محمد بن سعود بن عبد الله الحمد، موسوعة الرحلات، دار الكتب والوثائق القومية أثناء النشر، القاهرة، 2007، ط1، ص5.

³ - سورة آل عمران، الآية 97.

⁴ - جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، شرح السيوطي لسنن النسائي وحاشية الإمام السندي، حقق هو رقمه ووضع فهرسه: مكتب تحقيق التراث الإسلامي، دار المعرفة، بيروت، 1990، ج2، ص38.

عملا بذلك قصد جمهور وعلماء وأدباء الأندلس والمغاربة البقاع المقدسة، خاصة علماء وأدباء الجزائر الذين برعوا في وصف رحيلهم وإقامتهم حتى أصبحت كتبهم دليلا ومرشدا لمن أراد القيام بذلك¹. وكما شكلت البقاع المقدسة " مكة المكرمة والمدينة المنورة" منذ بزوغ فجر الإسلام مركز استقطاب روحي لكل مسلم، لذلك توجه المسلمون من كل الأقطار لأداء فريضة الحج² والجزائريين الخاصة باعتباره الركن الخامس من أركان الإسلام، ولذلك كانت قلوبهم إلى البقاع المقدسة تسبق أرجلهم، وخيالهم يتجاوز أبصارهم، وأشواقهم إليها تنسيهم آلام الطريق وعناء السفر فبلاد الحجاز في نظرهم ليست مجرد بقعة جغرافية تزار للسياحة وطلب العلم، ولكنها كانت أرض طاهرة تضم تاريخ الوحي والدعوة الإسلامية، ومكانا يتبرك بترابها وهوائها³.

كما يعتبر التصوف في كثير من الأحيان من أهم الدوافع التي حفزت الجزائريين من مريدين وأتباع للارتحال للبقاع المقدسة بنية الالتقاء بمشايخ الطرق الصوفية بهدف التبرك بهم، أو مجالستهم، أو الانتفاع بدعواتهم، فيأخذون بذلك التصوف وأصوله، ومبادئ الطريقة وتعاليمها معتقدين بذلك أنه تطهير للنفس من الهموم والغموم، وزهدا في الدنيا وتلقين للحكمة⁴، لذلك نجد بأن جل الرحلات الجزائرية خلال العهد العثماني كانت تحمل بين طياتها أخبار المتصوفة، وما يتصل بهم من أخبار من ذكر للكرامات، والأولياء الصالحين وأضرحتهم بطريقة مباشرة، وهذا لاعتقادهم بأنها تقربهم من الله، وبفضلها يصيبهم الخير⁵.

كما نجد بأن الدوافع الدينية لم تكن مقتصورة فقط على بلاد الحجاز، فهناك الرحلة إلى الأماكن المقدسة في بلاد الشام نظرا لماضيها السياسي المشرق وريادتها العلمية والثقافية، فالقدس

¹ - مولاي بلحميسي، الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981، ط2، ص12.

² - مصطفى الغاشي، الرحلة المغربية والشرق العثماني، دار الانتشار العربي، لبنان، 2015، ط1، ص143.

³ - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي (1500-1830م)، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2007، ج2، ص387.

⁴ - عاطف جودة نصر، شعر عمر بن الفارض دراسة في فن الشعر الصوفي، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت 1986، ط1، ص10.

⁵ - الطاهر حسيني، المرجع السابق، ص 81.

كانت لها مكانة عظيمة في نفوس الرحالة الجزائريين باعتبارها أولى القبلتين وثالث الحرمين¹ ومسرى الرسول صلى الله عليه وسلم، وبها المسجد الأقصى الذي وردت فيه العديد من الأحاديث النبوية التي تقر بفضلله، والتي كانت عوامل جذب واستقطاب للرحالة الجزائريين في تلك الفترة² بالإضافة إلى الاحتفالات الدينية الموسمية، وما يتخللها من ترديد للأشعار والمدائح النبوية، وأثرها الكبير في إثارة النفوس، وتحريك للمشاعر والانفعالات الروحية، وهو ما يجعل المرتحل يندفع نحو الرحلة إلى البقاع المقدسة وهو مطمئن، باعتباره أنه في الطريق الصحيح بهدف تأدية الواجب الديني الذي تهون في سبيله كل التضحيات³.

من هنا يتجلى لنا بأن الرحلات الجزائرية خلال العهد العثماني نحو بلاد الحجاز كانت تجسيدا للدافع الديني، المتمثل في أداء فريضة الحج وزيارة الأماكن المقدسة، وبذلك فهي تعكس لنا التزام الجزائريين وتمسكهم بالمبادئ الإسلامية، وكذا فرصة للتواصل مع المسلمين من مختلف بقاع العالم، وتبادل المعارف والخبرات وكذلك تعبيراً عن الانتماء الإسلامي، وهذا ما جعلها تجربة غنية بالمشاعر والدروس والعبر التي تبقى أثرها في نفوس الحجاج على مر الزمن، وبذلك ساهمت هذه الرحلات في تعزيز الهوية الإسلامية وتعميق الروابط والصلات بين المجتمعات الإسلامية.

2-2- الدافع العلمي

يعتبر طلب العلم من أهم البواعث والدوافع التي ساهمت في انتقال الرحالة الجزائريين إلى مشارق ومغارب العالم الإسلامي خلال العهد العثماني، باعتبار أن طلب العلم والحكمة مطلبان هامان في حياة الإنسان بصفة عامة والمسلم بصفة خاصة، فالسوي يختار طريق العلم على حساب طريق الجهل الذي ينير بصيرته، ويحقق أهدافه⁴.

¹ - نواف عبد العزيز الحجمة، رحالة الغرب الإسلامي وصورة المشرق العربي (6هـ-8هـ/12م/14م)، دار السويدي للنشر والتوزيع، الإمارات، 2008، ط1، ص29.

² - ليلي الصباغ، الوجود المغربي في المشرق المتوسط في العصر الحديث، المجلة التاريخية المغربية، المغرب، 1977، ع7 و8، ص34.

³ - الحسن الشاهدي، أدب الرحلة بالمغرب في العصر المريني، منشورات عكاظ للنشر والتوزيع، الرباط، 1990، ج1، ص68.

⁴ - الطاهر حسيني، المرجع السابق، ص90.

لذلك كان الدارس أو طالب العلم إذا ما أتم تعلمه في بلاده يسافر بعيدا، أو يغترب طويلا بإحدى الحواضر أو العواصم الإسلامية¹، بهدف الاستفادة والإفادة من خلال الالتقاء بالمشايخ والعلماء ومجالستهم والأخذ عنهم، وكذا تبادل الآراء في شتى أنواع العلوم العقلية والنقلية، وتوسيع دائرة المعارف لديهم²، وهذا ما دفع بالعديد من العلماء وطلبة العلم الجزائريين إلى التنقل بين المراكز العلمية الكبرى لاسيما جامع الزيتونة* بتونس وجامع الأزهر* بمصر، والحواضر العلمية الكبرى بالحجاز في مكة والمدينة المنورة، وبلاد الشام، وخاصة بيت المقدس بفلسطين، والتي تعتبر منبعاً للعلوم الشرعية والنقلية، وملتقى ثقافيا لجميع طلبة العلم للعالم الإسلامي³، متجاوزين كل الصعاب والأخطار، فقطع البراري والصحاري والقفار، وتكبدوا المشاق في سبيل طلب العلم النافع⁴، وذلك لاقتنائهم برسولنا الكريم الذي أكد على ذلك في حديث واضح وجلي وصریح: " طلب العلم فريضة على كل مسلم"⁵.

يعتبر نيل الإجازة والحصول عليها من أهم الدوافع العلمية التي ساهمت في انتقال الرحالة الجزائريين إلى بلدان العالم الإسلامي، وأصبحت مطلب ومقصد كل عالم أو طالب علم جزائري

¹ -مولاي بلحميسي، المرجع السابق، ص10.

² - محمد بوسلامة، هجرة الجزائريين إلى بلاد المشرق الإسلامي في العهد العثماني (1518-1830)، مجلة العبر للدراسات التاريخية والأثرية، جامعة ابن خلدون، تيارت، يناير 2019، مج2، ع1، ص328.

* جامع الزيتونة: يعتبر من أقدم المعاهد العربية، وسمي بذلك نسبة إلى وجود زيتونة منفردة في موقع الجامع، وقد قام ببنائه عبد الله الحبحاب عند قدومه إلى إفريقية في ربيع سنة 116هـ، أنظر: ابن عذارى المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تح: ج س كولان، إ. ليفي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت، لبنان، 1983، ج1، ط3، ص52، وأنظر أيضا: ابن أبي دينار، المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، مطبعة الدولة التونسية، تونس، 1286هـ، ص7.

* جامع الأزهر: هو أول جامع أسس بمدينة القاهرة الفاطمية، بناه القائد الفاطمي جوهر الصقلي، أقيمت فيه أول صلاة جمعة يوم الجمعة 7 من رمضان سنة 361هـ، الموافق ليليو سنة 972م، أنظر: تقي الدين أحمد بن علي المقرئ، المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار المعروف بـ "الخطط المقرئية"، قابله بأصوله: أيمن فؤاد السيد، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، لندن 2013، ج4، ص ص105-107.

³ - مصطفى الغاشي، المرجع السابق، ص144.

⁴ - محمد البشير الإبراهيمي، عيون البصائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، (د.ت. ن)، ص216.

⁵ - بدر الدين أبو عبد الله الزركشي، اللآلئ المنثورة في الأحاديث المشهورة المعروف بـ " التذكرة في الأحاديث المشتهرة"، تح: مصطفى عبد القادر عطاء، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1986، ط1، ص43.

خلال الفترة العثمانية، فارتحلوا وقطعوا المسافات الكبيرة، وعبروا الأوطان والأمصاار من أجل تحصيلها، مع الإلحاح في طلبها¹.

كما ساهمت حالة الركود الثقافي والجمود الفكري الذي عرفته الجزائر خلال القرنين 11 - 12 هـ / 17-18م إلى هجرة العديد من علماء وطلبة العلم الجزائريين إلى مختلف الحواضر العلمية الكبرى بالعالم الإسلامي²، وهذا بهدف طلب العلم، وتوسيع دائرة معارفهم، والانتفاع من جميع العلوم الشائعة في تلك المرحلة، وهو ما فعله العالم الفكيرين* الذي شد الرحال طالبا للعلم في رحلة دامت عشرين سنة قضاها منتقلا بين البلدان المختلفة من أجل تقديمه للغير والإفادة والاستفادة³. من هنا نجد بأن طلب العلم يعتبر من أهم الأسباب التي دفعت علماء الجزائر إلى القيام برحلاتهم في البلدان العربية والإسلامية، بغرض للقاء المشايخ ومجالسة العلماء من أجل التحصيل العلمي، وكذا الاطلاع على مختلف الكتب العلمية والنقلية وجمعها من خلال نسخها، أو القيام بعملية التأليف، وتدوين ذلك بهدف إثراء الخزائن والمكتبات العامة والخاصة سواء بالجزائر أو العالم الإسلامي.

2-3- الدوافع السياسية

من أبرز العوامل والدوافع التي ساهمت في رحلة علماء الجزائر خلال العهد العثماني إلى بلدان العالم الإسلامي هو اضطراب الأوضاع السياسية داخل إيالة الجزائر بسبب حالة عدم

¹ - يوسف الكتاني، مدرسة الإمام البخاري في المغرب، دار لسان العرب، بيروت، (د.ت.ن)، ج4، ص131.

² - عبد الكريم الفكون، منشور الهداية في كشف من ادعى العلم والولاية، تق وتحت: أبو القاسم سعد الله، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1987، ط1، ص32.

* العالم الفكيرين: هو العالم عاشور بن موسى القسنطيني المعروف بالفكيرين، عالم ورحالة من فقهاء المالكية من أهل قسنطينة، التقى به أبو سالم العياشي في رحلته الحبية سنة 1074هـ، من أهم أعماله رسالة "إعمال الفكر في ضبط لفظة القسطلاني وأبي بكر". أنظر: أبو سالم عبد الله بن محمد العياشي، الرحلة العياشية 1661-1663، "ماء الموائد"، تح وتحت: سعيد الفاضلي وسليمان القرشي، دار السويدية للنشر والتوزيع، 2006، ج2، ط1، ص382. وأنظر أيضا: عادل نويهض، معجم إعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، دار الوعي للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2015، ص410.

³ - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي...، المرجع السابق، ج2، ص383.

الاستقرار التي نتجت عن كثرة الاغتيالات وكثرة المؤامرات، والتي شملت السلطة وأجهزتها منها اغتيال ست دايات ومن بينهم "مصطفى باشا وأحمد باشا وعلي الغسال وحاج علي وعمر باشا"¹. إضافة إلى إرهاب السكان بالضرائب أواخر العهد العثماني بعد تراجع غنائم الجهاد البحري²، بالإضافة إلى سياسة الحكام البعيدة عن العدل. وفي هذا يقول العنتري: "... الأتراك في بدأ أمرهم عدلوا بين الناس ولم يظلموا أحد، وحين تمكنوا صاروا يظلمون الناس ويسفكون دمائهم، ويأخذون أموالهم بغير حق..."³، وكذلك تفشي ظاهرة التمييز بين السكان المحليين والأتراك من طرف السلطة الحاكمة خاصة فيما يتعلق بالوظائف السامية وقضية الافتداء وفك الأسرى⁴.

من بين الأسباب التي ساهمت في ارتحال العلماء وطلبة الجزائر إلى البلدان الإسلامية والعربية أيضا عسكرة النظام في إيالة الجزائر وإبعاده لأهل العلم والدين من تولي المناصب العليا في إدارة الإيالة⁵، وكثرة المضايقات والاضطهاد التي تعرض لها بعض العلماء، ومن بينهم أحمد المقري* الذي اضطر للهجرة من الجزائر إلى فاس ثم التوجه نحو بلاد المشرق العربي والإسلامي

¹ - محمد بوشنافي، الداوي مصطفى باشا وعصره (1798-1805)، مجلة عصور الجديدة، جامعة وهران، الجزائر، 2003، ع7-8، ص159.

² - عزيز سامح إلترا، الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية، تر: محمود علي عامر، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، 1989، ط1، ص387.

³ - محمد صالح العنتري، فريدة مؤنسة في حال دون الأتراك بلد قسنطينة، واستيلائهم على أوطانها المعروف بـ "تاريخ قسنطينة"، مر وتق: يحيى بوعزيز، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1991، ص130.

⁴ - محمد بن عثمان المكناسي، الإكسير في فكاك الأسير، تح وتغ: محمد الفاسي، منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي، جامعة محمد الخامس، بطبعة أكذال، الرباط، 1965، ص165.

⁵ - أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، عالم المعرفة، الجزائر، 2009، ج5، ص183.

* أحمد المقري: هو أحمد بن محمد بن يحيى بن عبد الرحمن بن أبي العيش المكنى بأبي العباس، والملقب شهاب الدين من مواليد مدينة تلمسان سنة 986هـ، والمتوفى بمدينة القاهرة من سنة 1041هـ/1634م، من أهم مؤلفاته: "أزهر الرياض في أخبار القاضي عياض"، و"روضة الآس العاطرة"، و"نفح الطيب"، أنظر: محمد البشير ظافر الأزهرى، التواقيت الثمينة في أعيان مذهب المدينة، مطبعة الملاحي العباسية، بغداد، 1324هـ، ص29. وأنظر أيضا: محمد أمين بن فضل الله بن محمد الحموي المحبي خلاصة الأثر في القرن الحادي عشر، تح: مصطفى وهبي، المطبعة الوهبية، مصر، 1284هـ، ج1، ص302.

واستقراره بالقاهرة¹، في حين نجد بعض الرحلات الرسمية التي قام بها بعض الحكام بدوافع مختلفة، تأديبية تارة، وجهادية تارة أخرى على غرار رحلة ابن هطال التلمساني الذي حرص على تسجيل كل الأحداث المتعلقة برحلة الباي محمد الكبير باي الغرب الجزائري نحو الجنوب، وذلك إعجابا بها وتقديرا واعترافا بفضل هذا الحاكم الذي عمل على إخضاع القبائل المتمردة، ونشر العدل والعلم في تلك المناطق².

كما كثرت الرحلات الجزائرية أواخر العهد العثماني، وهذا بسبب قيام السلطة الحاكمة بإرسال الوفود والسفارات، والقناصل، بهدف تبادل وجهات النظر، وتوثيق العلاقات، أو تمهيدا لعقد اتفاقيات، أو تكون لمهمات سياسية يكلف بها كبار العلماء والأدباء، وهذا بهدف معرفة تطورات والأحوال الدولية³.

ساهمت العديد من الظروف الخارجية المتمثلة في الخطر الأجنبي الأوروبي "الحملة الصليبية على السواحل الجزائرية" إلى قيام بعض العلماء الجزائريين في رحلاتهم نحو تونس والبلدان العربية والإسلامية بحثا عن الأمن والأمان، وخاصة الصراع العثماني الإسباني والذي استمر قرابة الثلاث قرون والنصف⁴، إضافة إلى الصراع العثماني مع سلاطين بلاد المغرب الأقصى "الدولة السعدية والعلوية"، و دعمهم للثورات الداخلية والطرق الصوفية بالجزائر على غرار الطريقة الدرقاوية ببابيك الغرب بقيادة الشريف الدرقاوي (1800-1805)، كل ذلك حتم على العلماء وطلبة العلم الجزائريين أواخر العهد العثماني على الهجرة والارتحال⁵.

من خلال ما سبق ذكره فإن تدهور الأوضاع السياسية بإيالة الجزائر، ومعاملة الأتراك العثمانيين للعلماء السيئة، ونشوب الثورات الداخلية والحملة الصليبية، وضغط سلاطين بلاد

¹ - أحمد بن محمد المقري، نفح طيب من غصن الأندلس الرطيب، تح: إحسان عباس، اختار للأبحاث للترجمة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2008، مج1، ط1، ص13.

² - الطاهر حسيني، المرجع السابق، صص 65-66.

³ - عبد الهادي التازي، ابن بطوطة أمير الرحالة، الدار العربية للنشر، الكويت، 2002، ط1، ص95.

⁴ - أحمد توفيق المدني، المرجع السابق، ص22.

⁵ - حنيفي هلايلي، المرجع السابق، ص32.

المغرب على الحدود الغربية وانعدام الأمن والأمان، وانتشار الركود والجمود الفكري، ساهمت كلها في هجرة وارتحال العلماء والطلبة الجزائريين إلى مشارق ومغارب البلاد العربية والإسلامية.

2-4- الدافع الاقتصادي

تعتبر التجارة أحد الركائز الأساسية في بناء الحضارة، وسر من أسرار التواصل بين المجتمعات، لذلك عد هذا الدافع من أهم العوامل المساهمة في ربط العلاقات بين مختلف المجتمعات في شتى المجالات، وهذا ما جعل الإنسان يقوم بالرحلة من أجل التجارة أو البحث عن عمل يسترزق به¹.

وبحكم الموقع الاستراتيجي للبلدان العربية والتي تتوسط قارات العالم القديم "آسيا، أوروبا أفريقيا"، ومركز لالتقاء الطرق التجارية برا وبحرا بين دوله، فقد ساهم ذلك في تنشيط العملية التجارية بين الدول منذ القديم²، وذلك من خلال المبادلات التي كانت تتم عن طريق بيع وشراء السلع، وقد ساهمت التجارة مساهمات فعالة في اتساع مراكز التنقل والترحال، فانتعشت بذلك الحياة العلمية وتعددت مراكز العلم مشرقا ومغربا. كما ارتبطت تجارة بعلم تقويم البلدان والمسالك والممالك لوصف الطرق والمناخ، وذلك لتسهيل العملية التجارية في مختلف البلدان، لذلك عمل الرحالة على تدوين رحلته حتى يعين القارئ على معرفة الطرق التجارية البرية والبحرية³.

كما نجد العديد من الرحالة الجزائريين خلال العهد العثماني قد تنقلوا إلى مختلف البلدان العربية والإسلامية بهدف ممارسة التجارة من خلال بيع المنتجات المحلية، وشراء وجلب سلع البلدان المجاورة، وخاصة أثناء مواسم الحج، والتي أصبحت ضرورة من ضروريات الحاج لتغطية نفقات رحلته الحبية⁴.

¹ - محمد بن سعود بن عبد الله الحمد، المرجع السابق، ص8.

² - نوال عبد الرحمن الشوابكة، أدب الرحلات الأندلسية والمغربية حتى نهاية القرن التاسع الهجري، دار المأمون للنشر والتوزيع، عمان، 2008، ط1، ص46.

³ - حمزة مريقي، الرحلات العلمية في الأندلس خلال القرنين الثالث والرابع الهجري، دورية كان التاريخية: المستقبل الرقمي للدراسات التاريخية، جوان 2016، مج9، ع32، ص74.

⁴ - نوال عبد الرحمن الشوابكة، المرجع السابق، ص46.

3- أنواعها

عرفت الجزائر خلال العهد العثماني حركية ثقافية واجتماعية واقتصادية، تجلت في مختلف أنواع الرحلات التي قام بها العلماء وطلبة العلم، سواء داخل الإيالة الجزائرية أو خارجها، ويمكن تصنيف هذه الرحلات حسب أهدافها ودوافعها وسياقاتها التاريخية إلى عدة أنواع رئيسية هي:

3-1- الرحلة الدينية "الحج والعمرة"

تعد الرحلات الدينية من أبرز أنواع الرحلات خلال العهد العثماني، وتعرف بالرحلة الحبية أو الحجازية كما يحلو للبعض تسميتها. وكان الهدف منها الاتجاه نحو البقاع المقدسة بنية أداء فريضة الحج باعتباره الركن الخامس من أركان الإسلام، وبالتالي فهي رحلة المفروضة على كل إنسان مسلم قادر، فالحج لمن استطاع إليه سبيلاً¹، وهذا مصداقاً لقوله تعالى: ((فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا ۗ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ (97)))²، لذا حرص الجزائريون على القيام بها، وغالبا ما كانت هذه الرحلات تمر عبر تونس أو طرابلس، ثم مصر، ثم بلاد الحجاز أو عبر الطريق البحري انطلاقاً من موانئ الجزائر العاصمة، عنابة، مستغانم، أو وهران، وهي مقسمة إلى قسمين شعرية ونثرية³، ومن أهم الرحلات الشعرية نذكر رحلة "ابن عمار"^{*} "نحلة اللبيب بأخبار الرحلة إلى الحبيب"، ومن

¹ - الطاهر حسيني، المرجع السابق، ص 162.

² - سورة آل عمران، الآية 97.

³ - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي...، المرجع السابق، ج 2، ص 387.

* رحلة ابن عمار: هو أبو العباس أحمد بن عمار بن عبد الرحمن بن عمار، أحد أعلام وأدباء الجزائر من مواليد مدينة الجزائر سنة 1119هـ، وتوفي سنة 1205هـ/1790م، من أهم أعماله ومؤلفاته رحلاته المسماة "نحلة اللبيب بأخبار الرحلة إلى الحبيب" التي قام بنشرها محمد بن أبي شنب بالجزائر سنة 1902م، بالإضافة إلى بعض الشروحات والتقايرظ والرسائل والإجازات مثل "حاشية علي الخفاجي في الأدب"، "رسالة في مسألة وقف"، "ديوان الشعر"،...، أنظر: محمد بسكر، أعلام الفكر الجزائري من خلال آثارهم المخطوطة، دار كردادة، بوسعادة، 2013، ج 1، ص 91-93، وأنظر أيضاً: عادل نويهض، المرجع السابق ص 151. وكذلك أنظر: أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ج 2، ص 247-248.

الرحلات النثرية والتي تعتبر أول رحلة حجازية مذكورة في المصادر هي رحلة البوني* "المسماة الروضة الشهية في الرحلة الحجازية"، وقد قام بها العلماء الجزائريين نظير تعلق قلوبهم بالبقاع المقدسة، فشدوا الرحال نحوها رغم بعد المسافة، وأهوال الطريق¹ ومشقة السفر، فوصف أصحابها وسجلوا انطباعاتهم عما شاهدوه أو سمعوه في مختلف المدن والأقطار التي مروا بها من الجزائر إلى البقاع المقدسة وبلاد الشام².

لم تكن الرحلة الدينية فقط لتأدية المناسك الحجية، بل كانت فرصة للقاء العلماء والمشايخ، وزيارة الحواضر العلمية الكبرى كجامع الزيتونة بتونس، والجامع الأزهر بمصر، والاستفادة من الكتب والمكتبات، وهذا ما أضفى عليها بعدا علميا وثقافيا ودينيا.

3-2- الرحلة العلمية

اهتم المسلمون عامة والجزائريون على وجه خاص بالرحلة العلمية القائمة على الارتحال بغرض طلب العلم ولقاء العلماء والمشايخ، والجلوس والاستماع لدروسهم وحلقاتهم بهدف الإفادة والاستفادة، فعلى قدر كثرة الشيوخ وتعدددهم يكون حصول ملكات التعليم ورسوخها في ذهن طالب العلم³.

* رحلة البوني: هو الإمام والعلامة المحدث أبو العباس أحمد بن قاسم ابن أبي عبد الله محمد ساسي التيمي من بونة "عناية حاليا" ولد ببونة سنة 1063هـ، وتوفي السنة 1109هـ، عن 76 سنة، ترك لنا العديد من المؤلفات التي بلغت 100 مؤلف، شملت الحديث وعلومه "فتح الباري في شرح غريب البخاري"، والنظم "نظم كتاب البخاري"، ورحلته المشهورة بـ "الروضة الشهية في الرحلة الحجازية"،... أنظر: عبد الحي الكتاني، المصدر السابق، ج1، ص236. وأنظر أيضا: خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الزركلي الدمشقي، الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، 2002، ج1، ط15، ص199. وأنظر كذلك: محمد بن محمد بن عمر بن علي بن سالم مخلوف، في شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، تع: عبد المجيد خيالي، دار الكتب العلمية، لبنان، 2003، ج1، ط1، ص451.

¹ - الطاهر حسيني، المرجع السابق، ص162.

² - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي...، المرجع السابق، ج2، ص390.

³ - عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة، تع: عبد السلام الشداوي، خزانة ابن خلدون ببيت الفنون والعلوم والآداب، الدار البيضاء المغرب، 2005، ج3، ط1، ص226.

لذلك كان الغرض الأساسي منها هو الاستفادة من العلم من خلال انتقال طالبي العلم من موطنهم الأصلي إلى الحواضر العلمية بمشارك ومغارب العالم العربي والإسلامي، بهدف تحصيل العلوم كالفقه، والحديث، والطب، والهندسة¹، وهذا باعتباره فريضة وواجب على كل مسلم متبعا في ذلك القاعدة التي أساسها: " من أراد العلم عليه افتراش المدر، واستناد الحجر، ورد الضجر، وركوب الخطر، وإدمان السهر، واصطحاب السفر"²، وتلك حقيقة تؤكد أن العلم مقترن دوما بالسفر، والسفر في كل الأحوال مرادف للخطر³.

من أشهر الرحلات العلمية التي قام بها علماء الجزائر خلال العهد العثماني، رحلة عاشور بن موسى القسنطيني المعروف بالفكيرين (توفي بعد سنة 1074هـ)، وقد كان أديبا جم المعارف ذكيا شديد الفطنة والحفظ، دائمة رحلته نحو العشرين سنة، ورحلة ابن حمادوش خلال القرن 12هـ/18م الذي رحل إلى المغرب الأقصى بهدف الحصول على العلم والإجازة، وممارسة التجارة وقد دون رحلته واصفا فيها جوانب من الحياة العلمية والسياسية والاقتصادية بالمنطقة في تلك المرحلة، وسوف نستعرض هذه الرحلة في الفصل الثاني⁴.

كما كان الهدف من قيام طلبة العلم والعلماء الجزائريين بالرحلة العلمية خلال العهد العثماني نحو البلدان العربية والإسلامية مشرقا ومغربا من الحصول على الكتب والرسائل، واقتنائها، وكذا بهدف تبادل المصنفات والتأليف ونسخها، وقد نتج عن هذه الرحلات أن ساهمت في بلورة الحركة العلمية ومد أواصر التواصل الثقافي بين الشعوب العربية والإسلامية وعواصم أقطارها الشهيرة مثل جامع الزيتونة بتونس والإسكندرية وجامع الأزهر بمصر، ومكة والمدينة ببلاد الحجاز، وحواضر بلاد الشام وغيرها من مراكز الزخم العلمي آنذاك⁵.

¹ - فؤاد قنديل، المرجع السابق، ص19.

² - أبو الفضل بديع الزمان الهمذاني، مقامات، شرح وتعليق: محمد محيي الدين، المكتبة الأزهرية، مصر، 1923، ص301.

³ - الطاهر حسيني، المرجع السابق، ص312.

⁴ - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي...، المرجع السابق، ج2، ص ص 383-385.

⁵ - الأحمر قادة، عطلاوي عبد الرزاق، الرحلة العلمية الجزائرية قراءة في المفهوم والدوافع، مجلة روافد للبحوث والدراسات، جامعة غرداية، الجزائر، ديسمبر 2018، ع5، ص56.

وعليه فطلب العلم يعد من أهم الدوافع التي دفعت بالرحالة الجزائريين للانتقال والارتحال خاصة باتجاه المشرق العربي، بهدف التحصيل العلمي والأخذ عن علمائها، وهذا باعتباره منبع العلوم والمعارف، ومركزا للنشاط العلمي والديني " موسم الحج"، وملتقى ثقافيا إسلاميا تجتمع فيه جميع الفئات المثقفة من علماء وطلبة العلم.

3-3- الرحلة التجارية

تعد التجارة عنصرا أساسيا للقيام بالرحلة والسفر، وهذا من أجل تأمين كسب المال والاسترزاق، وقد كانت منذ القدم دافعا مهما للإنسان للتنقل إلى مختلف البلدان قصد البيع والشراء وإجراء المبادلات التجارية، وقد ارتبطت الرحلة التجارية بعلم تقويم البلدان والمسالك والممالك، وهذا بغرض وصف الطرق التجارية إلى مختلف البقاع والبلدان¹.

من أشهر الرحالة الجزائريين خلال العهد العثماني الذين اهتموا بهذا النوع من الرحلات عبد الرزاق بن حمادوش ورحلته المسماة بـ " لسان المقال..." والتي عمد فيها إلى تسجيل كل المبادلات التجارية التي كان يقوم بها سواء بالمغرب الأقصى أو الجزائر أو بلاد المشرق العربي².

كما دفعت الحاجة الرحالة الجزائريين إلى الارتحال إلى مختلف مناطق العالم وهذا بهدف توفير الموارد المالية والسلع والقيام ب المبادلات التجارية مع مختلف شعوب العالم، لذلك كانوا يقضون العديد من السنين في رحلاتهم التجارية، وبعد العودة إلى الجزائر يأخذون في سرد الحكايات والأحداث التي صادفوها أو شاهدها خلالها بأسلوب شيق، أو بتدوينها في شكل مؤلفات وتصانيف³.

¹ -نوال عبد الرحمن الشوابكة، المرجع السابق، ص47.

² - عبد القادر بكاري، عبد الرزاق بن حمادوش والكتابة التاريخية من خلال رحلته الموسومة بـ " لسان المقال في النبأ عن النسب والحسب والحال"، مجلة عصور الجديدة، جامعة أحمد بن بلة، وهران، الجزائر، أبريل 2017، مج7، ع26، ص253.

³ - لخضر حشلاف، الرحلة المغربية قضايا وظواهر، دار الضحى للنشر والإشهار، الجزائر، 2017، ط1، ص50.

3-4- الرحلة الاستطلاعية

هي لون من ألوان الرحلة، وتعرف أيضا بالرحلات الاستكشافية أو السياحية، والغاية منها الوقوف على الأماكن واستكشافها مع التعرف على عادات الشعوب وتقاليدها بالأقطار العربية والإسلامية كالقاهرة ومكة والمدينة ودمشق والقدس وبلاد الشام، والعواصم الإسلامية كإسطنبول وغيرها¹.

اشتهر بهذا اللون أشخاص كثيرون عرفوا بالرحالة المغامرين المحبين للتجوال والمغامرة، وقد تستغرق رحلتهم هاته شهورا أو سنوات، ومن أبرز الرحالة المغامرين في العصر الحديث، والذي قام بتدوين كل ما شاهده وسمعه الرحالة الحسن بن محمد الوزان الفاسي* المعروف بالأسد الإفريقي، والذي شرع في رحلته للمشرق حوالي 1515-1516م².

يعتبر الدافع السياحي المحرك الأساسي لبعض الرحالة للقيام بهذه الرحلات، والتي يبتغي من ورائها الرحالة استطلاع واكتشاف ما خفي من أحوال الأمم المختلفة، وتسجيل وتدوين كل ما يثير انتباهه من طبائع الناس وأخلاقهم وعاداتهم، وكذلك اكتشاف العجائب والنادر والبلدان

¹ - امحمد قروود، الدور الثقافي لعلماء الجزائر بالمشرق العربي في القرن 11هـ/17م من خلال ثلاث نماذج: أحمد المقرئ، عيسى الثعالبي، يحيى الشاوي، رسالة لنيل شهادة الماجستير، جامعة الجزائر 2، الجزائر، 2010/2009، ص70.

* الحسن بن محمد الوزان الفاسي: هو الحسن بن محمد الوزان "الغرناطي" مولدا "الفاسي" نشأة، "الزناتي" نسبا، و"الوزان" نسبة إلى أحد أجداده الذين عملوا في مصلحة الموازين العامة، ولد في حدود سنة (893هـ/1488م)، درس ونشأ بالمغرب الأقصى على يد مشايخ جامع القرويين للعلوم النقلية والعقلية، توفي بتونس في حدود سنة (927هـ/1550م)، ترك العديد من المصنفات أبرزها: كتاب "وصف إفريقيا"، وقاموس "عربي عبري لاتيني"، وكتاب في التراجم باللاتينية عرف فيه ثلاثين عالما عربيا في الطب والفلسفة، ...، أنظر: الحسن بن محمد الوزان الفاسي، وصف إفريقيا، تر: محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي بيروت، لبنان، 1982، ج1، ط1، ص284. وأنظر أيضا: علي بن عبد الله الدفاع، رواد علم الجغرافية في الحضارة العربية الإسلامية، مكتبة التوبة، المغرب الأقصى، 1993، ص242. وأنظر كذلك: عبد القادر العافية: كتاب وصف إفريقيا، مجلة دعوة الحق، المغرب، 1979، ع5، ص78.

² - مولاي بلحميسي، المرجع السابق، ص11.

والأمصار¹، وزيارة المعالم الأثرية الشهيرة والأماكن التي تتضمن بعدا تاريخيا عريقا يعبر عن ثقافة الحضارات والشعوب القديمة².

3-5- الرحلة السياسية

تعرف هذه الرحلة بـ " السفارة"، وهي التي يتم فيها إرسال السفراء العارفين بشؤون السياسة والحكم من قبل الملوك والحكام إلى نظرائهم في الدول الأخرى، بهدف إقامة أو تحسين العلاقات أو لعقد المعاهدات والاتفاقيات، أو لطرح المشاكل التي بإمكانها التأثير على العلاقات، أو قد تكون بهدف الجوسسة على البلدان ومواقعها الدفاعية³، ونسوق على سبيل المثال رحلة التمقروتي* سنة 1580م إلى إسطنبول، وهذا بتكليف من السلطان المغربي أحمد المنصور، وكذا رحلة محمد بن عثمان المكناسي " الإكسير في فكاك الأسير".

شملت رحلة السفراء كل الأوصاف المثيرة والمتعلقة بالدول وأنظمتها، ومراسم استقبال السفراء والوفود الرسمية الوافدة، من أبهة ووجاهة وتقاليد خاصة تبرز من خلالها الدولة قوتها ومكانتها، فضلا عن وصف المسالك والطرق والبلدان وعادات الشعوب⁴.

¹ - نوال عبد الرحمن الشوابكة، المرجع السابق، ص 50.

² - فؤاد قنديل، المرجع السابق، ص 20.

³ - جميلة روباش، المرجع السابق، ص 29.

* رحلة التمقروتي: وهو علي بن محمد بن علي بن أحمد بن علي بن يحيى الجزولي قبيلة، البكري نسباً، الدرعي التمقروتي داراً ومنشأً، ولد سنة 941هـ/1534م بقرية تمقروت، وبها توفي ودفن بروضة القاضي عياض سنة 1003هـ/1589م من أشهر مؤلفاته الرحلة المعروفة بـ "النفحة المسكية في السفارة التركية"، أنظر: محمد بن الطيب القادري، التقاط الدرر ومستفاد المواعظ والعبر من أخبار وأعيان المائة الحادية والثانية عشر، تح: هاشم العلوي القاسمي، دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1983 ص 23. وأنظر أيضاً: محمد بن أحمد الحضبكي، طبقات الحضبكي، تح: أحمد بومزقو، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء المغرب الأقصى، 2006، ص 488.

⁴ - جميلة روباش، المرجع السابق، ص 29.

إذن فالرحلات السفارية تتعلق بتبادل السفارات بين الدول الإسلامية والأجنبية، وغالبا ما تكون بهدف إقامة السلام والعلاقات الحسنة، وعقد المعاهدات والاتفاقيات في شتى المجالات، وخاصة المبادلات التجارية¹.

ثانيا: المخطوطات

تعتبر المخطوطات من بين أثمن الأرصدة التراثية الثقافية التي خلفتها الأمم، والتي لها دور فعال في نقل العلم والحضارة عبر العصور، وهذا باعتبارها شاهدا من شواهد الماضي، وأدلة الحاضر، وكنوز المستقبل، فهي تعرفنا بماذا تمسك الأمة بأصالتها، لذلك حظي هذا التراث الثقافي بمكانة مرموقة ومنزلة رفيعة في العالم العربي والإسلامي عامة والجزائر خاصة، حيث تزرع مكتبتها العامة والخاصة إلى جانب زواياها المنتشرة عبر مختلف الولايات بآلاف المخطوطات التي ساهمت في الحفاظ على الذاكرة الجماعية والتاريخية لشعبها من جهة، وكذا في ازدهار الحضارة الإسلامية من جهة أخرى، وهذا بفضل انتشار مراكزها الإشعاعية.

1- المدلول اللغوي والاصطلاحي

1-1- المدلول اللغوي

المخطوط لفظ مشتق من الفعل خط يخط بالقلم، أي كتب أو صور اللفظ بحروف هجائية ويعد من الألفاظ العربية المتأخرة، إذ تكاد تخلو معاجم اللغة العربية القديمة من ذكر هذا اللفظ، إلا إذا أُلحق بكلمة كتاب كصفة له، فيقولون الكتاب المخطوط، لأنه ليس كل ما كتب باليد يعتبر بالضرورة مخطوطاً².

كما توجد لمادة (خ ط ط) عدة استعمالات لغوية منها الحقيقية ومنها المجازية، أما الحقيقية فمثالها: خط الكتاب يخطه؛ أي كتبه، واختط لنفسه دارا إذا ضرب لها حدودا ليعلم أنها له، وهذه خطّة بني فلان وخططهم؛ أي حدودهم، وجاء فلان وفي رأسه خطّة، وعلى ظهر الحمار خطتان

¹ - لخضر حشلاف، المرجع السابق، ص 51.

² - بطرس البستاني، المرجع السابق، ص 246.

أي جدتان، والخطة من الخط، كالنقطة من النقطة¹. أما المجازية فمثالها: فلان يبني خطط المكارم وخططت بالسيف وسطه، وخط المرأة: جامعها².

جاء في الفهرست لابن النديم قوله: هي صيغة اسم مفعول من لفظ: خطّ - يخط - خطأ وخطاطة؛ أي كتب بخط يده، أو صور اللفظة بحروف هجائية بخط اليد سواء كان كتاب أو وثيقة، أو نقش على حجر³.

المخطوط هو مفعول من مادة (خ ط ط)، وأفعاله كالأتي، الماضي: خطّ وخططت، المضارع: يخطّ، الأمر: أخطط وخطّ، فاعله: خاط، ومن المعاني اللغوية ما يأتي:

• خطّ الكتاب: كتبه، وخطّ قبراً أي: حفره وشقه، وخط الأرض، أو خط في الأرض: رسم فيها علامة أو خطأ، وفلان يخط في الأمر: يفكر في أمره ويدبره⁴، والخط: الكتابة ونحوها مما يخط، وكتاب مخطوط؛ أي مكتوب⁵.

وعليه فالمخطوطات: جمع مخطوطة أو مخطوط، والمخطوط في اللغة؛ اسم مفعول من خط الكتاب، أي سطره وكتبه، وهو أيضاً: كل ما خط بخط اليد، سواء كان ذلك كتاباً، أو وثيقة إلى غير ذلك⁶، وبالتالي: فهي كتاب كتب بخط اليد قبل عصر الطباعة⁷.

1 - أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تح: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 1407هـ/1987م، ج3، ط4، ص 1123.

2 - الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، تح: مهدي المخزومي، وإبراهيم السامرائي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت لبنان، 1995، ج4، ص137.

3 - عبد الحق معزوز، خطوط الكتابات العربية في الجزائر، المجلة المغاربية للمخطوطات، جامعة الجزائر 2، الجزائر، 2013 ع3، ص109.

4 - أحمد مختار، وآخرون، المرجع السابق، ج1، ص662.

5 - مرتضى الزبيدي، المصدر السابق، ص 254-255.

6 - جان عبد الله توما، تحقيق المخطوطات العربية، المؤسسة الحديثة للكتاب، لبنان، 2010، ط1، ص25.

7 - رشيد مزلاج، الأنظمة الآلية ودورها في تنظيم مخطوطات جامعة الأمير عبد القادر "واقع وآفاق"، رسالة ماجستير في علم المكتبات، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، الجزائر، 2006، ص24.

من هنا نجد بأن المخطوط: هو الكتاب المكتوب بالخطين لا بالمطبعة، وجمعه مخطوطات، وهو لفظ مستحدث ارتبط وجوده بظهور الطباعة وانتشارها، لهذا لا نجد استخداما لهذه الكلمة بمعاجم المتقدمين ولا كتاباتهم، فأصبحت حينئذ الكتب نوعان: كتب مخطوطة وأخرى مطبوعة، فما كان منها مكتوبا بخط اليد يسمى مخطوطا، وما طبع منها بالآلة سمي مطبوعا تمييزا له عن الأول¹.

1-2- المدلول الاصطلاحي

وردت الكثير من التعريفات التي تختلف من حيث اللفظ والبناء المعرفي للمصطلح، ولكنها تتفق من حيث المعنى والمفهوم، ومنها:

المخطوط كما عرفه أرشيد يوسف: "النسخة الأصلية التي كتبها المؤلف بخط يده وباللغة العربية أو سمح بكتابتها، أو أقرها، أو ما نسخه الوراقين بعد ذلك في نسخ أخرى منقولة عن الأصل أو نسخ غير أصلية، وينطبق ذلك على النسخ المصورة عن أصل المخطوط"². ولكن نجد بأن صاحب هذا التعريف أشار إلى المخطوطات العربية دون سواها من المخطوطات العالمية كالفارسية والأجنبية...

بينما عرفه مولاي أحمد بقوله: " المخطوطة هي كل أثر علمي أو فني كتب بخط اليد، سواء كانت رسالة أو كتابا أو صورة على ورق، أو ما شابه من حجارة وألواح طينية، جلود، ورق... إلخ، والتي لم تتسخ في نسخ متعددة قبل عصر الطباعة، مع اختلاف انتشارها حسب الزمان والمكان"³.

¹ - أحمد شوقي بنين، مصطفى طوبي، معجم مصطلحات المخطوط العربي "قاموس كودي كولوجي"، المطبعة والوراقة الوطنية، مراكش، المغرب، 2003، ط1، ص212.

² - يوسف أرشيد، الكتاب الإسلامي المخطوط تدوينا وتحقيقا، مطابع المؤسسة الصحفية الأردنية، عمان (د.ت.ن)، ص82.

³ - امحمد مولاي، المخطوط والبحث العلمي، رسالة ماجستير، قسم علم المكتبات، جامعة وهران، وهران، 2008 / 2009 ص105.

أوردت الموسوعات العالمية العديد من التعريفات، منها تعريف الموسوعة الأمريكية: " المخطوط هو كل ما كتب باليد في أي نوع من أنواع الأدب، سواء على ورق، أو على مادة أخرى ما عدا المواد المطبوعة على جلود الحيوانات أو على الورق"¹. أما موسوعة علم المكتبات والمعلومات فقد عرفتة: " على أن لفظ مخطوط في الولايات المتحدة الأمريكية تطبق على كل المواد المكتوبة باليد، ويتضمن هذا الأمور المكتوبة على الألواح الطينية القديمة والحجارة ومخطوطات العصور الوسطى"².

من بين التعاريف الشاملة والدقيقة لهذا المصطلح نجد تعريف مصطفى يوسف السيد: " هو كل ما كتب بخط اليد سواء كان رسالة، أو وثيقة، أو عهدا، أو كتابا، أو نقشا على حجر، أو رسما على قماش، وسواء كان باللغة العربية أم غير العربية"³، وكذلك هو ذلك النوع من الكتب التي كتبت بخط اليد لعدم وجود الطباعة وقت تأليفها، وتمثل المخطوطات مصادر أولية للمعلومات الموثقة التي تخص دراسة موضوعات متعددة، ويعتمد عدد من الباحثين بشكل كلي أو جزئي على المعلومات الواردة بها في أبحاثهم⁴.

من هنا يتبين لنا بأن كلمة مخطوطة يمكن أن تنطبق على كل كتاب كتبه مؤلف ما بخط يده قبل انتشار آلات الطباعة الحديثة، وهذا ما أشار إليه "محمد الصافي" بقوله: " المخطوط هو كل أثر أدبي أو علمي أو فني أو غيره خط بالقلم، رسالة أو كتابا، وكان هذا الأثر على الورق أو الرق قبل ظهور الطباعة فهو مخطوط، وعكسه مطبوع"⁵.

¹ - عابد سليمان المشوخي، المخطوطات العربية، مكتبة المنار، الأردن، 1989، ص20.

² - فضيل جميل كليب، محمد خليل عبيد، المخطوطات العربية فهرستها علميا وعمليا، دار جريب، عمان، 2006، ط1، ص30.

³ - عبد العزيز بن محمد مسفر، المخطوط العربي وشيء من قضاياه، دار المريخ للنشر، القاهرة، مصر، 1999، ط1، ص69.

⁴ - أحمد عمر همشري، عليان ربحي مصطفى، المرجع في علم المكتبات والمعلومات، دار الشروق، عمان، 1997، ص100.

⁵ - محمد الصافي، واقع المخطوط العربي بين الفهرسة والتحقيق والرقمنة (الغاية والمنهج)، دورية كان التاريخية الالكترونية، مارس 2019، السنة 12، ع43، ص12.

2- أنواع المخطوطات

قسم الباحثون المخطوطات إلى عدة أقسام كل حسب نظرتهم، فمنهم من قسمها حسب الزمن، ومنهم من قسمها حسب الموضوع والتخصص، ومنهم من قسمها حسب قيمة المخطوط ومدى موثوقيتها وأصالتها وتاريخها، ومدى صحة نسبة ما فيها إلى مؤلفها أصالة ونسخا، وهو ما ذهب إليه الدكتور عبد السلام هارون في كتابه "تحقيق النصوص ونشرها"¹، ومن بينها:

2-1- حسب اللغة

2-1-1- المخطوطات العربية: وهي المخطوطات التي كتبت بأي نوع من أنواع الخطوط العربية.

2-1-2- المخطوطات العبرية: وهي صور المعارف اليهودية²، وهي مكتوبة بالخط العبري، وتحمل ملامح مادية مشتركة.

2-1-3- المخطوطات الفارسية: وهي المخطوطات المكتوبة باللغة الفارسية، ولها خصائصها الفنية التي تميزها عن باقي أنواع المخطوطات الأخرى، من حيث التجليد والزخرفة وغيرها³.

2-2- حسب التاريخ

أي حسب فترة وتاريخ تأليفها (العصر الذي كتبت فيه)، وتنقسم إلى:

2-2-1- مخطوطات قديمة في الشرق الأدنى: وتشمل المخطوطات قدماء المصريين واليونان، والرومان من القرن 28 قبل الميلاد إلى غاية القرن 4 قبل الميلاد.

2-2-2- مخطوطات الشرق الأقصى القديم: وتشمل المخطوطات التي كتبت على أوراق الشجر وأوراق النخيل مثل مخطوطات الهند القديم.

¹ - محمد عبد السلام هارون، تحقيق النصوص ونشرها، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، 1998، ط7، ص37.

² - أحمد شحلان، المخطوط العبري صورة من صور المعارف اليهودية الوسيطية في المخطوط العربي وعلم المخطوطات، جامعة محمد الخامس، الرباط، 1994، ص61.

³ - سلمى نوار، فن صناعة المخطوط الفارسي، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، مصر، 2001، ص10.

2-2-3- مخطوطات القرون الوسطى: كانت الجلود والرقوق المادتين الأساسيتين للكتابة إلى غاية اعتماد الورق¹، وتساعد هذه المخطوطات الباحثين على معرفة المعاملات التجارية وأحوال الأسر، والأدب وسياسة الحكومات، وأهم المعتقدات الدينية، وغيرها من الموضوعات.

2-3- حسب الحامل

2-3-1- مخطوطات ورق البردي: وهي المخطوطات التي كتبت على ورق البردي من طرف قدماء مصر، وهو نبات مصري قديم يوجد على حواف نهر النيل²، وظهرت منذ القرن الثامن والعشرين قبل الميلاد إلى غاية القرن الرابع قبل الميلاد، وقد شكلت لفائف البردي الكتاب المخطوط في العالم القديم، ورغم هذا فإن ورق البردي به العديد من المساوئ أهمها: أنه سريع التآكل بسبب كونه نباتا، وكما تصعب قراءته، وكذلك لا يمكن الكتابة فيه على وجهي الورقة³.

2-3-2- مخطوطات الألواح الطينية: يعتبر مخطوط قانون حمورابي المحفوظ في متحف اللوفر بفرنسا من أهم المخطوطات العالمية من هذا النوع.

2-3-3- المخطوط الرقمي: هي المخطوطات المحمولة على أوعية التكنولوجيات الحديثة بأنواعها، كالأقراص وغيرها نتيجة عملية الرقمنة⁴.

2-4- حسب النسخ

2-4-1- المخطوطات الأصلية: أطلق عليها عبد السلام هارون تسمية (النسخة الأم) وهي النسخة التي كتبها المؤلف بنفسه⁵، وقد عرفها بقوله: "أعلى النصوص هي المخطوطات التي

¹ - إبراهيم عامر قنديلجي، ربحي مصطفى عليان، إيمان فاضل السامرائي، مصادر المعلومات من عصر المخطوطات إلى عصر الإنترنت، دار الفكر، عمان، 2000، ص48.

² - أيمن فؤاد سيد، الكتاب العربي المخطوط وعلم المخطوطات، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، 1997، ج1، ص16.

³ - إبراهيم عامر قنديلجي وآخرون، المرجع السابق، ص48.

⁴ - امحمد مولاي، من المخطوطات الورقية بالخرانات الشعبية (الزوايا) إلى المكتبة الرقمية للمخطوطات بالمركز الوطني للمخطوطات، المؤتمر الدولي الثامن عشر للاتحاد العربي للمكتبات والمعلومات "مهنة المكتبات وتحديات الواقع والمستقبل ودورها في الوصول الحر للمعلومات العلمية والتقنية"، جدة، السعودية، 17-20 نوفمبر 2007م، ص09.

⁵ - محمد عبد السلام هارون، المرجع السابق، ص29.

وصلت إلينا حاملة عنوان الكتاب واسم مؤلفه وجميع مادة الكتاب على آخر صورة رسمها المؤلف وكتبها بنفسه، أو يكون قد أشار بكتابتها أو أملاها أو أجازها، ويكون في النسخة مع ذلك ما يفيد اطلاعه عليها أو إقراره لها¹.

2-4-2- المخطوطات المنسوخة من النسخة الأصلية: وتأتي في المستوى الثاني مع شرط أن تكون منسوخة من النسخة الأصلية مباشرة ثم يليها فرعها ثم فرع فرعها، وقد كانت عملية النسخ معروفة ومستعملة على نطاق واسع في دور الكتب بالشرق، كدار الكتب المصرية²، ويعد هذا الفرع من المخطوطات أصولاً ثانوية إنه وجد معها الأصل الأول، وترتقي إلى مرتبته في حالة ضياعه³، لذلك قام الباحثون بنسخ الكثير من المخطوطات الأصلية داخل المكتبات أو دكاكين الوراقين، بهدف توظيفها في أبحاثهم، مثلما كان الحال بدار العلم ببغداد⁴.

2-4-3- المخطوطات المبهمة: ويعرف بالمخطوط المقطوع، أو المعيب، ولا يمكن أن يبلغ أو يرتقي إلى مرتبة النسخة الأصلية، وذلك بسبب وجود الكثير من العيوب كالبتير أو السقط أو الحزم.

2-4-4- المخطوط المرحلي: وهو المخطوط الذي تم تأليفه عبر مراحل مثل كتاب ابن خلكان "الوفيات"، وكتاب عثمان مصطفى الطباع "أنصاف العزة"⁵.

2-4-5- المخطوطات على شكل مجاميع: وتضم هذه المخطوطات العديدة من المؤلفات أو الأجزاء الصغيرة أو الوسائل ضمن مجلد واحد⁶، ويعرف هذا النوع بالنصوص المضمنة مثل كتاب

¹ - صلاح الدين المنجد، قواعد تحقيق المخطوطات، دار الكتب الجديدة، بيروت، لبنان، 1970، ص13.

² - محمد عبد السلام هارون، المرجع السابق، ص30.

³ - محمد بن شريفة، حول ترميم المخطوطات في المغرب، صيانة وحفظ المخطوطات الإسلامية، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، لندن، 1995، ص100.

⁴ - محمد عبد السلام هارون، المرجع السابق، ص30.

⁵ - عابد سليمان المشوخي، نسخ المخطوطات، مجلة عالم الكتب، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، السعودية، يونيو 1994، مج15، ع3، ص323.

⁶ - كرم حلمي محمد فرحات، علم المخطوط العربي، مكتبة العربي للمعارف، القاهرة، مصر، 2019، ص ص26-27.

البغدادي " الخزانة"، الذي ضمنه صغار الكتب النادرة ككتاب "فرحة الأديب" لأبي محمد الأسود الأعرابي، وكتاب "الصوص" لأبي سعيد السكري.

2-4-6- النسخ المطبوعة بدون أصل: وهي المخطوطات التي فقدت أصولها أو تعذر الوصول إليها، وهي محل النزاع من حيث القيمة بين المحققين¹.

بالإضافة إلى وجود العديد من أنواع المخطوطات مثل المخطوط المصور، والمخطوط المؤرخ، والمخطوط المطلق، والمخطوط المنسوب، والمخطوط الهجين، والمخطوط النادر "كتاب كليلية ودمنة"، والمخطوطات القيمة، وهي التي تحتوي مواضيع هامة أو كتبت على مادة راقية². وكما تجدر الإشارة إلى أن كل أنواع المخطوطات السابقة الذكر موجودة ضمن المخطوطات العربية، سواء من ناحية الحامل، أو اللغة، أو النسخ، وكما توجد العديد من المخطوطات مجهولة اسم المؤلف تنسب إلى المجهول³.

3- مراكز تواجد المخطوطات بالجزائر

عرفت الجزائر كغيرها من البلدان العربية الإسلامية اهتماما كبيرا بالمخطوطات كتراث ثقافي شمل مختلف أنواع المعرفة الإنسانية من فقه، وعقيدة، وتفسير، وحديث، وفلسفة، وتصوف وبلاغة وحساب، وطب، وفلك، وزراعة، وكيمياء... وبازدهار حركة التعليم والتأليف خاصة في الفترة الحديثة، ظهرت المراكز التي تعنى بالمخطوط جمعا وتأليفا كالزوايا، والمساجد، والخزانات الشعبية حيث كانت الجزائر خلال العهد العثماني في طليعة البلدان الكثيرة الكتب والمكتبات، وهذا بفضل الإنتاج المحلي القائم عن طريق التأليف والنسخ، أو تجلب من الخارج، ولاسيما من الأندلس ومصر، وإسطنبول، والحجاز⁴، ومن أهم هذه المراكز نذكر:

¹ - محمد عبد السلام هارون، المرجع السابق، ص30.

² - أحمد شوقي بنين، مصطفى طوبى، المرجع السابق، ص ص323-324.

³ - محمد عبد السلام هارون، المرجع السابق، ص30.

⁴ - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي...، المرجع السابق، ج1، ص285.

3-1- المكتبات الرسمية

3-1-1- المكتبة الوطنية الجزائرية: تعد المكتبة الوطنية* المؤسسة المكتبة الأولى بالجزائر التي تعنى بقضايا الكتاب المخطوط والمطبوع. حيث تضم 3853 مخطوط في شتى أنواع المعرفة حسب آخر اقتناء قامت به المكتبة سنة 2006¹. ويعتبر فهرس فانيان** الذي تم إنجازه سنة 1893، وأعيد طبعه سنة 1995، من أهم الفهارس التي تحتفظ به المكتبة الوطنية بالجزائر، وقد ساعد هذا الفهرس الباحثين في الاطلاع على كل المخطوطات والتأليف الموجودة بالمكتبة، بالإضافة إلى وجود فهرس مخطوطات المكتبة الوطنية من إعداد عبد الغني أحمد بيوض، والسجل العام لمخطوطات المكتبة الوطنية من إعداد محمود بوعياض، وهو تكملة لفهرس أحمد بيوض، وكذلك سجل مخطوطات الأمير عبد القادر وحسن بن رجال من إعداده أيضا².

* المكتبة الوطنية الجزائرية: تعود جذور إنشاء المكتبة الوطنية إلى السنوات الأولى للاستعمار الفرنسي، حيث تم إنشاؤها وتجسيدها في 5 نوفمبر 1835، وكان الهدف الأساسي من ذلك جمع مصادر المعلومات المتعلقة بالجزائر. أنظر: نور الدين شريط، المكتبة الوطنية الجزائرية ومجتمع المعلومات الواقع والآفاق في ظل تحديات تكنولوجيا المعلومات، مجلة قيس للدراسات الإنسانية والاجتماعية، جامعة الشهيد حمه لخضر، وادي سوف، الجزائر، جوان 2020، مج4، ع1، ص293.

¹ - امحمد مولاي، المرجع السابق، ص132.

* فهرس فانيان: يضم الفهرس 680 صفحة من الحجم الصغير، وينسب إلى المستشرق الفرنسي إدمون فانيان من مواليد 5 ديسمبر 1846م ببليكا، من أبوين فرنسيين، تم إلحاقه بقسم المخطوطات في المكتبة الوطنية بباريس بعد حصوله على دبلوم في اللغات الشرقية، وقد اشترك في تحقيق مجموعة من الكتب والنصوص العربية، وكما تم تعيينه عضوا في الجمعية التاريخية الجزائرية ما بين 1892 و1904، وكما درّس بجامعة الجزائر إلى غاية تقاعده سنة 1919، توفي بالجزائر في 28 فيفري 1931م، خلفا وراءه إنتاجا علميا حول التراث الإسلامي تحقيقا و ترجمة وتأليفا. أنظر: عبد الكريم عوفي، قراءة في فهرس إدمون فانيان لمخطوطات المكتبة الوطنية وأثره في صناعة الفهرسة في الجزائر، جامعة باتنة، الجزائر، 2004، ص4.

² - عبد الكريم عوفي، التراث الجزائري المخطوط بين الأمس واليوم، مجلة آفاق الثقافة والتراث، مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، الإمارات العربية، أبريل 1998، ع20-21، ص ص108-110.

من أشهر المخطوطات الثمينة المحفوظة بالمكتبة الوطنية بالجزائر العاصمة "التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية" لمؤلفه أبي عبد الله محمد بن ميمون الزواوي الجزائري، تحت رقم الجرد: 1625¹، والذي سيتم تناوله في الفصل الثالث.

3-1-2- مكتبة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية بقسنطينة: بلغ عدد المخطوطات بها 150 مخطوط، قسم منها كان متواجد في مكتبات خاصة على غرار مكتبة خير الدين نائب رئيس جمعية العلماء المسلمين، وتضم 16 مخطوطا، ومكتبة الشيخ صالح بن العابد وتضم 47 مخطوط، ومكتبة الشيخ ابن الموهوب محمد المولود والتي ضمت 06 مخطوطات، ومكتبة الشيخ بن شعيب محمد الهادي وبها 36 مخطوط، وقد قام أصحابها بتقديمها للجامعة كهدية بعد إنشائها².

من أشهر المخطوطات النفيسة المحفوظة بالمكتبة نجد "شرح الحسين الورثيلاني على منظومة الأخضري" تحت رقم الجرد: 05 / 09. 218، ومخطوط "شرح أرجوزة السلم المرونق في المنطق لعبد الرحمن الأخضري" تحت رقم الجرد: 05 / 160³.

3-1-3- مخطوطات نظارة الشؤون الدينية بباتنة

تم إنشاء هذه المكتبة بوسط باتنة سنة 1977، بعد إدماج التعليم الأهلي في التعليم العام وتضم أكثر من 70 مخطوطا، منها 10 مجاميع، وجميعها مهداة من طرف العائلات والزوايا، وقد عالجت هذه المخطوطات مختلف فنون المعرفة من فقه، وتوحيد، وحديث، وعلم كلام، ومنطق

¹ - فيصل نايم، دراسة أثرية فنية لمخطوط التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية لمؤلفه أبي عبد الله محمد بن ميمون الزواوي الجزائري، مجلة العبر للدراسات التاريخية والأثرية، جامعة ابن خلدون، تيارت، الجزائر، يناير 2020 مج3، ع1، ص273.

² - عبد الكريم عوفي، جهود الجزائر في فهرسة المخطوطات العربية منذ منتصف القرن التاسع عشر حتى نهاية القرن العشرين مجلة عالم المخطوطات والنوادر، السعودية، ماي - أكتوبر 1999، مج4، ع1، ص34.

³ - محمد لمين بوروبة، واقع المخطوطات وتحقيقها بجامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية بقسنطينة، الملتقى الدولي الموسوم: المخطوط العربي الواقع والآفاق، جامعة المسيلة، الجزائر، 20 - 21 نوفمبر 2017، ص ص20-21.

وفلك، وعلوم عربية، وتاريخ، وقد قام كل من الأستاذ عبد الكريم عوفي رفقة السعيد بن إبراهيم بإعداد فهرس وصفي لمجموعها، بهدف استقادة الباحثين منها¹.

3-1-4- مكتبة مديرية التراث بوزارة الشؤون الدينية بالجزائر العاصمة

بلغ عدد المخطوطات المحفوظة بها 700 مخطوط، وقد تقدمت لها كهدايا من طرف شيوخ وأئمة المساجد والزوايا والمراكز الثقافية التابعة لها لعدة ولايات منها: المركز الثقافي بقسنطينة الذي منحها 170 مخطوط، وتتناول هذه المخطوطات مواضيع مختلفة في علوم الفقه، التفسير علم الكلام، المنطق، والتاريخ...²

3-1-5- المكتبة المركزية بجامعة قسنطينة: وتضم 48 مخطوط، بعضها عبارة عن مجاميع لعلماء جزائريين، وأخرى لعلماء مغاربة، وهي أيضا تتناول العديد من المواضيع الفقهية، وعلوم الدين، وعلوم اللغة...

3-1-6- مكتبة جامعة الجزائر: بالإضافة إلى مخطوطات جامعة الجزائر، ومخطوطات جمعية الأبحاث والدراسات التاريخية بأردار³.

3-2- المكتبات الخاصة

تتمثل في المراكز غير الرسمية من خزانات شعبية (الأهلية) المنتشرة في كامل التراب الوطني، ولا سيما ولايات الجنوب الجزائري، ومن أهم هذه المراكز نذكر:

3-2-1- المكتبة القاسمية بزاوية الهامل (بوسعادة)

تحتوي المكتبة القاسمية بزاوية الهامل* على حوالي 2000 مخطوط، وقد جمعت عن طريق الإرث، الشراء، الوقف، النسخ. حيث تناولت مختلف فنون المعرفة من علوم القرآن، وعلوم

¹ - عبد الكريم عوفي، التعريف بمراكز المخطوطات في الجزائر، مجلة معهد اللغة العربية وآدابها، جامعة قسنطينة، الجزائر (د.ت.ن)، ص 90.

² - عبد الكريم عوفي، التراث الجزائري المخطوط...، المرجع السابق، ص 114-115.

³ - عبد الكريم عوفي، التعريف بمراكز المخطوطات...، المرجع السابق، ص 89-91.

* المكتبة القاسمية: وتنسب إلى مؤسسها أبو عبد الله محمد بن أبي القاسم بن ربيع بن محمد، من مواليد سنة 1823 بقرية الحامدية قرب حاسي بجيج، استطاع الانتهاء من بناء الزاوية بقرية الهامل في رمضان 1279هـ الموافق لسنة 1863م، فاستقر بها

الحديث، وعلوم اللغة، والتصوف، والسير، والتاريخ، الرحلات، النوازل، إلى جانب بعض الوثائق والمراسلات لزعماء المقاومة الجزائرية ضد المحتل الفرنسي، ورموز الحركة الوطنية والثورة التحريرية الكبرى¹، وهذا ما جعل الأستاذ أحمد توفيق المدني يصفها بقوله: "بأنها معقل العروبة والإسلام"².

تقع مكتبة الزاوية في مقابل المسجد، وهي مبنى مفتوح أمام كل الباحثين على اختلاف جنسياتهم ومشاربهم باستثناء خزانة المخطوطات، فهي خاصة بأشخاص معينين من هيئة التدريس أو طلبة الدكتوراه³.

من أجل الاستفادة أكثر من محتويات المكتبة تم إعداد فهرس وصفي من طرف الأستاذ محمد فؤاد الخليل القاسمي الحسني، ويحتوي 544 صفحة، وتتضمن عناوين المخطوطات ومؤلفيها، وهي مرتبة حسب حروف المعجم⁴، ومن أبرزها مجموعة من الوثائق التي يصل عددها إلى حدود 60 وثيقة، وهي عبارة عن رسائل من آل أبي داود وزاويته بأقبو بمنطقة زاووة بالقبائل وكذا وثائق تخص الزوايا الرحمانية بالجزائر، ورسائل من القيادات والسلطات والشخصيات الفرنسية أغلبها إدارية، ورسائل تقارب المائة من تركيا وتونس والحجاز ذات طابع رسمي، وبعض الإجازات

وباشر التدريس فيها مع مجموعة من الأساتذة إلى غاية وفاته في 20 جوان 1897، وظلت صرحا علميا إلى يومنا هذا، أنظر: محمد بن الحاج محمد، الزاهر الباسم في ترجمة الإمام محمد بن أبي القاسم، المطبعة التونسية، تونس، 1308هـ، ص 11، وأنظر أيضا: أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي 1830-1954، دار البصائر، الجزائر، 2007، (ط.خ)، ج 4، ص ص 158-162.

¹ - لخضر بن بوزيد، زاوية الهامل ودورها في حفظ التراث الجزائري، مجلة الإنسان والمجال، المركز الجامعي البيضا، الجزائر أفريل، 2017، ص ص 214-225.

² - أحمد توفيق المدني، حياة كفاح، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1977، ج 2، ص 93.

³ - عبد المنعم القاسمي الحسني، زاوية الهامل مسيرة قرن من العطاء والجهاد (1862-1962)، دار الخليل، بوسعادة، 2013، ط 2، ص 179.

⁴ - محمد فؤاد الخليل القاسمي الحسني، فهرس مخطوطات المكتبة القاسمية زاوية الهامل بوسعادة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 2006، ص ص 499-500.

والفتاوي¹، بالإضافة إلى بعض المطبوعات القديمة التي تعتبر من كنوز العالم مثل كتاب "القانون" لابن سينا الذي طبع في روما سنة 1593، وبعض المخطوطات في الفقه المتضمنة 294 عنوان مثل "شرح عبد الباقي الزرقاني على المختصر"....، ومخطوطات التفسير وبها 90 عنوان موزعة ما بين مصاحف وتفسير وكتب مخصصة لعلوم القرآن، ومخطوطات الحديث وتضم 70 كتابا ومنها "الجامع الصحيح للإمام البخاري"....، ومخطوطات التاريخ والسير والتراجم والنوازل وتضم 35 عنوان، ومن أبرزها "عجائب الأسفار ولطائف الأخبار" لأبي راس الناصر وكتاب "نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار" للحسين الورثيلاني²، إضافة إلى مجموعة من المخطوطات في علم الفلك مثل كتاب 'علم الإسطرلاب' لمحمد بن يوسف بن عمر السنوسي³.

3-2-2- خزنة مدرسة مازونة *

تضم هذه الخزانات حوالي 240 مخطوط تختلف مواضيعها بين علوم القرآن، وعلم الحديث والفقه خاصة المالكي، والعقيدة، والنحو، وعلم الإعراب "جواهر المعاني"، وكتاب "حياة الحيوان" لكمال الدين الدميري، ومخطوط "الدرر المكنونة في نوازل مازونة" لأبي زكريا يحيى بن موسى المازوني⁴.

¹ - محمد صاحبي، تاريخ الجزائر الثقافي من خلال المخطوطات (زاوية الهامل أنموذجا)، مجلة عصور، جامعة وهران، جوان 2002، مج 1، ع 1، ص ص 45-47.

² - عبد المنعم القاسمي الحسني، المرجع السابق، ص ص 244-246.

³ - لخضر بوزيد، المرجع السابق، ص ص 223-224.

* مدرسة مازونة: أسسها الشيخ والعالم محمد بن شارف المازوني سنة 1029 هـ بمنطقة مازونة، انظر: يحيى بوعزيز، المساجد العتيقة في الغرب الجزائري، منشورات الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2002، ط 1، ص 201.

⁴ - محمد الأمين بوحلوقة، مخطوطات مدرسة مازونة قراءة في التاريخ وجرّد لبعض مخطوطاتها، مجلة دراسات إنسانية واجتماعية، جامعة وهران، الجزائر، جانفي 2017، ع 7، ص ص 231-234.

3-2-3- مكتبة زاوية الشيخ الحسين* بلدية سيدي خليفة بميلة:

تحتوي هذه المكتبة على 500 مخطوطة فيها مختلف فنون المعرفة كعلوم الشريعة، وأصول الفقه والسنة والعقيدة، إلى جانب علوم النحو والصرف واللغة العربية، وكذا علم الفلك والطب التقليدي، ونذكر على سبيل المثال: مخطوط "الأنوار في آيات النبي المختار" لعبد الرحمن الثعالبي الجزائري، ومخطوط "الكواكب الدرية بتراجم السادة الصوفية" لزين الدين عبد الرؤوف المناوي وكتاب "طبقات الخواص" لزين الدين أبو العباس أحمد بن أحمد بن عبد اللطيف بن أبي بكر الشرجي الحنفي، وكتاب "معرفة علوم الحديث" لابن صلاح، بالإضافة إلى مجموعة كبيرة من الكتب النادرة¹.

نظرا لتعرض بعض المخطوطات للسرقة والتلف قرر شيخ الزاوية ترحيلها وإهدائها إلى مكتبة الدكتور أحمد عروة بجامعة الأمير عبد القادر بقسنطينة، وذلك يوم 05 فيفري 2011، تحت إشراف الأستاذ رياض بن الشيخ².

3-2-4- مخطوطات مكتبات أدرار (توات، قورارة، تدكلت)

تعد ولاية أدرار من أغنى المناطق والولايات الجزائرية توفرا وحفظا للمخطوطات، وهذا بسبب النشاط العلمي للكتاتيب وحركة الاستتساخ التي عرفت المنطقة، ونبوغ علمائها وكثرة مؤلفاتهم حيث تضم حاليا أزيد من 70 خزانة موزعة على مختلف قصور الولاية، والتي شملت مختلف فنون المعرفة، حيث قدر عدد المخطوطات بها أكثر من 27 ألف مخطوط³، ومن أشهر المراكز والخزائن نذكر:

* زاوية الشيخ الحسين بميلة: تم تأسيسها من قبل الشيخ الحسين بن محمد صالح القشي الإدريسي بمنطقة سيدي خليفة التابعة لولاية ميلة حاليا في حدود سنة 1818م. أنظر: باديس عتروس، حفظ ومعالجة المخطوطات في المؤسسات غير الرسمية في الجزائر خزانة الزاوية الحسينية بولاية ميلة أنموذجا، مجلة رفوف، جامعة أدرار، الجزائر، مارس 2015، ع6، ص370.

¹ - عبد الكريم عوفي، التعريف بمركز المخطوطات...، المرجع السابق، ص ص92-94.

² - باديس عتروس، المرجع السابق، ص ص387-388.

³ - مبارك جعفري، المكتبات والخزائن الخاصة ودورها في المحافظة على المخطوطات (منطقة تويت بالجنوب الغربي الجزائري انموذجا)، المؤتمر الدولي للمخطوطات والوثائق التاريخية، جامعة العلوم الإسلامية، ماليزيا، 27 إلى 28 أبريل 2016، ص11.

4-1- خزائن منطقة قورارة ومن أهم خزائنها

* خزانة المطارفة

تم تأسيس هذه الخزانة في نهاية القرن 10هـ/16م وبداية القرن 11هـ/17م، على يد الشيخ عبد القادر بن الحاج العزيز بن سالم بن محمد بن يوسف المطارفي، بلدية المطارفة ولاية أدرار وتضم حوالي 800 مخطوط شملت مختلف العلوم منها: مخطوط "الرحلة العياشية" في الرحلة "منظومة ابن سينا" في الطب، "نوازل القبائل في التاريخ" لعبد القادر الفاسي في الفقه، "تفسير القرآن" لابن عطية في التفسير، "نوازل الخطاب على مختصر خليل"، "مطابقة العلماء" لابن علون التونسي في التاريخ، "شرح الحكم" للشيخ زروق في التصوف...¹.

* خزانة سيدي الحاج بالقاسم

تم تأسيسها من طرف الحاج بلقاسم خلال القرن 10هـ/16م²، بتتبعهم. وتضم أكثر من 100 مخطوط، والتي شملت مختلف العلوم النقلية والعلمية من فقه، وقرآن، وحديث، وطب، وفلك، وسير وتراجم للعديد من العلماء والفقهاء ومشايخ المنطقة، ومن أهم المخطوطات المحفوظة بها: مخطوطة "منهاج السالكين" لأبي القاسم بن لحسن الأوسيفي الجوراري في التصوف، بالإضافة إلى العديد من القصائد في التوحيد³.

من الخزانات الموجودة بمنطقة قورارة: خزانة زاوية الدباغ، خزانة زاوية بادريان، خزانة أولاد سعيد، خزانة فاتيس، خزانة تينركوك، وأغلب المخطوطات المحتفظ بها هناك تشمل علوم الدين والتراجم والسير⁴.

¹ - أسماء بوبكري، قراءة وصفية في خزانة المخطوطات بالمطارفة، مجلة الذاكرة، جامعة ورقلة، 2015، ع15، ص ص95-97.

² - التهامي غيتاوي مولاي، سلسلة النواة، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2005، ج2، ص12.

³ - محمد الفاطمي، البيوتات العلمية بقورارة إبان القرن الحادي عشر الهجري، تدقيق الروايات الشفهية بحقائق المصادر المدونة مجلة رفوف، جامعة أدرار، الجزائر، سبتمبر 2018، مج6، ع1، ص67.

⁴ - صالح بوسليم، أضواء على مراكز المخطوطات في الجنوب الجزائري، مجلة حوليات التراث، جامعة مستغانم، الجزائر، 2015، ع15، ص22.

4-2- خزائن منطقة توات الوسطى

* الخزنة البكرية بتمنطيط

وتعد من أقدم وأغنى المكتبات الموجودة بالمنطقة، أسسها الشيخ ميمون بن عمر أواخر القرن التاسع للهجرة، أما مؤسسها الحقيقي فهو البكري بن عبد الكريم الذي جعل ابنه محمد وصيا عليها وكان ذلك سنة 1117هـ/1705م بقصور تيمي بولاية أدرار¹، تضم حاليا حوالي 950 مخطوطا في شتى العلوم كالفقه، والتصوف، واللغة، والأدب، والتراجم والسير، والقرآن، والحديث. وظلت الخزنة لمدة حوالي ثلاثة قرون مجموعة وموحدة ويشرف عليها عالم من أبناء العائلة ممن يشهد له عدول عصره بالتبريز في العلم والتقوى، وفي سنة 1244هـ/1828م اتفق أفراد العائلة على تقسيمها بينهم ومن فروعها اليوم: خزنة نومناس، خزنة تمنطيط، خزنة زاوية سيدي بكري².

* خزنة ملوكة

تقع هذه الخزنة بقصر ملوكة التابع حاليا لبلدية تيمي بولاية أدرار، ويرجع فضل تأسيسها إلى الشيخ سيدي الحاج محمد بن عبد الرحمن البلبالي (ت 1244هـ)، تضم هذه الخزنة حوالي 300 مخطوط، منها على سبيل المثال للحصر: "الدرة الفائقة في ذكر سيد الخالقة" للسيد مسعود بن محمد، و"منهج البادية في الإنسانية العالية" لعبد الله بن محمد بن عبد القادر الفاسي، و"الغنية البلبالية" للحاج عبد الرحمن الملوكي البلبالي، و"تحفة اللبيب في جمع الطرر المعلقة على شرح ابن النجيب" تحقيق الحاج ابن عبد الرحمن البلبالي³.

4-3- خزنة كوسام

توجد الخزنة بقصر كوسام ببلدية تيمي بولاية أدرار⁴، وقد تأسست سنة 1278هـ/1860م على يد الشيخ عبد الله بن أحمد الحبيب بن محمد بن عبد الله بن إبراهيم البلبالي، وتضم أزيد من 300 مخطوط في مختلف أنواع العلوم منها: كتاب "غنية المقتصد السائل فيما حل بتوات من

¹ - عبد الله بابا، وثائق بيع كتب خزائن المخطوطات وأهميتها التاريخية والاجتماعية والاقتصادية دراسة لوثيقة بيع مخطوط الخزنة البكرية بتوات 1003هـ/1883م، مجلة المعارف للدراسات والبحوث التاريخية، جامعة حمة لخضر، الوادي، سبتمبر 2018 ع18، صص 345-346.

² - مبارك جعفري، المرجع السابق، ص11.

³ - صالح بوسليم، المرجع السابق، ص23.

⁴ - حاج أحمد الصديق، التاريخ الثقافي لإقليم توات بأدرار، مديرية الثقافة لولاية أدرار، أدرار، الجزائر، 2006، ص60.

القضايا والمسائل"، وكتاب "السراج في علم الفلك" للشيخ عبد الرحمن بن عمر التتيلالي، وكتاب "رحلة الشيخ أبي العباس سيد أحمد بن عبد العزيز الهاللي إلى الحج"، و"نوازل الشيخ سيدي محمد بن عبد الرحمن بن عمر التتيلالي"، وكتاب "السلم في المنطق" لعبد الرحمن الأخضري...¹ بالإضافة إلى ذلك توجد العديد من الخزانات الشعبية والمكتبات الخاصة المنتشرة عبر ربوع الوطن التي تحتفظ بالعديد من المخطوطات، والتي من بينها: خزانة الزاوية العثمانية، ومكتبة الشيخ المولود بوزيد بسريانة، وخزانة زاوية ابن عبد الصمد بولاية باتنة، ومكتبة الشيخ نعيم النعيمي بقسنطينة²، ومكتبة زاوية الشيخ علي بن عمر بطولقة ولاية بسكرة (1600 مخطوط)، وخزانة الزاوية القندوسية ببشار (300 مخطوط)، ومكتبات وادي ميزاب التي تفوق المائة مكتبة³.

ثالثا: وثائق الأرشيف الوطني الجزائري

تلعب الوثائق الأرشيفية دورا بارزا في كتابة تاريخ الجزائر خلال الفترة الحديثة والمعاصرة من خلال توثيقها لجل المعلومات التي تخص تلك الفترة من مختلف الجوانب، لذلك كانت للمراكز الأرشيفية المحلية أهمية كبيرة في توجيه الباحثين لتوظيف الأرصدة توظيفا سليما بما يخدم الأبحاث العلمية والتاريخية، وهذا باعتبارها مصدرا يحاول من خلالها الباحثين في تاريخ الجزائر سد بعض الثغرات التاريخية بهدف إعادة كتابته بمنطلقات أرشيفية صحيحة.

1- المدلول اللغوي والاصطلاحي للأرشيف

1-1- الأرشيف لغة

جاءت لفظة (أرشيف Archive) بصيغتين فعل واسم، فجاء كفعل بمعنى: يضع الأوراق والملفات في الأرشيف، والفعل ماضي Archived بمعنى أرشف، كما جاء بصيغة اسم جمع Archives.

¹ - مبارك جعفري، المرجع السابق، ص11.

² - عبد الكريم عوفي، مراكز تواجد المخطوطات...، المرجع السابق، ص88.

³ - صاحبي محمد، المرجع السابق، ص39.

كلمة الأرشيف مشتقة من الكلمة الإغريقية أرخيون أو أرشيون Archion والتي تتصل بدائرة من الدوائر، وتطلق على سجلات الحكومة ووثائقها؛ أي الأرشيف العمومي¹.
الأرشيف (Archives) لفظ منحدر من اللاتينية المتأخرة من لفظ أركيوم (Archium) أو أركيفوم (Archivum)، ومعناه خزانة العقود أو التعاملات، ولفظ أركيوم ينحدر من اللفظ اليوناني القديم أرخيون بمعنى: السجلات العامة، مبنى المدينة، إقامة أو مكتب كبير الموظفين العموميين. وقد انتشر استخدام كلمة الأرشيف في اللغات الأوروبية الحديثة، ففي الإنجليزية والفرنسية (Archives)، وفي الألمانية (Archive)، وفي الإيطالية والإسبانية تكتب (Archivo)²، حيث استخدمت لأول مرة سنة 1200م، والتي تعني الموثق أو الشخص الذي يتولى عملا بارزا في الأرشيف³.

كما استعملت كلمة الأرشيف أيضا للدلالة على المكان (Arché) الذي يحوي الوثائق العمومية في القرن الخامس قبل الميلاد⁴.
إضافة إلى ورودها في معجم مصطلحات المكتبات والمعلومات على أنها: الأرشيف الذي يحتوي على أوعية المعلومات المختلفة من أوراق، وكتب، وخرائط، ومخطوطات، وتسجيلات سمعية وبصرية، ورسائل جامعية، تم حفظها خشية ضياعها⁵.
ويسمى العلم الذي يدرس الأرشيف بعلم الأرشفة (Archivology)، ومصدرها كلمة (Archivage)⁶.

¹ - سالم عبود الألوسي، محمد محبوب مالك، الأرشيف (تاريخه، أصنافه، إدارته)، مطبوعات الفرع الإقليمي العربي للوثائق بغداد، 1979، ص5.

² - جمال الخولي، الوثائق الإدارية بين النظرية والتطبيق، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، 1993، ص46.

³ - سالم عبود الألوسي، محمد محبوب مالك، المرجع السابق، ص6.

⁴ - فوزية فاطمة ختير، الأرشيف ومهنة الأرشيف في الجزائر (دراسة ميدانية بالغرب الجزائري)، رسالة دكتوراه علوم في علم المكتبات والعلوم الوثائقية، جامعة أحمد بن بلة 1، وهران، الجزائر، 2014 / 2015، ص43.

⁵ - عبد الغفور عبد الفتاح قاري، معجم مصطلحات المكتبات والمعلومات (إنجليزي - عربي)، مكتبة الملك فهد، الرياض، 2000 صص 29-30.

⁶ - سالم عبود الألوسي وآخرون، المرجع السابق، ص6.

1-2- الأرشفة اصطلاحاً

يعتبر الأرشفة من أهم مصادر المعلومات التي يحتاجها الباحثون في أبحاثهم، لذلك تعددت مفاهيمه الاصطلاحية التي وضعها بعض الخبراء والمختصين والعلماء والهيئات، ومنها: عرفته الموسوعة العربية لمصطلحات علوم المكتبات والمعلومات والحاسبات على أنه: "مجموعة من الوثائق التي تتضمن الأوراق، والكتب، والخرائط، والسجلات السمعية والبصرية، والمواد المليزة الأخرى التي نشأت، أو التي وردت في ما يتعلق بتطبيق القوانين، أو المعاملات التجارية، أو المعاملات العامة، والتي رأى الإبقاء عليها لقيمتها المستمرة، وهذه الوثائق تعتبر تاريخية، وغير جارية، انتهت عملية استخدامها من طرف الإدارات المنتجة لها، لكن تقرر الإبقاء عليها لما لها من أهمية تاريخية، لذلك يجب أن تجمع في مكان واحد وفقاً لنظم معينة، لتسيير عملية البحث التاريخي فيها"¹. ويفهم من هذا المعنى بأن الوثائق الأرشفية المحتفظ بها لأهميتها التاريخية، هي وثائق أساسية، ومصدر للمعلومة، وتوثيقاً للأجيال الحالية والمستقبلية.

عرفه سالم عبود الألوسي على أنه: "الهيئة التي تتولى مهمة حفظ الوثائق والسجلات والقيود والمدونات بصورة منظمة، إن كانت صادرة عن مؤسسة عامة، أو شبه عامة، سواء كانت دائرة أعمال أم هيئة خاصة Privy entity، وكذلك الدوائر والمصالح والشركات الحكومية التي تقوم بتسيير الأعمال المتصلة بشؤونها، وتضطلع بمهمة حفظها والعناية بها، ويتداولها من يتتابون على المسؤولية أو أية جهات مخولة بالاحتفاظ بها، وكذلك الأرشفة هو حفظ ما يخص تاريخ أنساب العائلات والشخصيات البارزة التي تقدم عند حفظها فائدة في توفير المصادر الأولية والأدلة والشواهد على تاريخ البلاد وأصول شعبها"².

¹ - سيد حسب الله، أحمد محمد الشامي، الموسوعة العربية لمصطلحات علوم المكتبات والمعلومات والحاسبات، المكتبة الأكاديمية، القاهرة، 2001، مج1، ص ص189-190.

² - سالم عبود الألوسي وآخرون، المرجع السابق، ص3.

عرفه أيضا شارل سمران على أنه: "كل الأوراق الناتجة عن نشاط جماعي أو فردي بشرط أن تكون قد نظمت ليسهل الرجوع إليها في البحث، ويستحسن أن يكون حفظها داخل منظمة أو هيئة واحدة".

عرفه أحد رواد علم الأرشفة العالمي الإنجليزي شارل هيلاري جينكينسون على أنه: "تلك الوثائق التي نشأت أو استخدمت أثناء مزاوله الأعمال بغض النظر عن طبيعتها، وكانت جزءا جوهريا منها، والتي يحتفظ بها الأشخاص المسؤولين عن هذه الأعمال أو خلفائهم لأغراض المرجعية، وأن الأرشفة ليس بالوثائق المجمعات اصطناعيا مثل المواد في المتحف والتي يستخدمها الباحثون، ولكنه وثائق تتجم عن عملية طبيعية لعمل المكاتب، وأنشئت لاحتياجات خاصة بالإدارة، وهي مرتبطة ارتباطا وثيقا بالوثائق الأخرى داخل وخارج الرصيد المحتفظ به"¹.

كذلك عرفه محمد إبراهيم السيد في كتابه على أنه: "كل أشكال المواد التوثيقية القيمة لمختلف أوجه البحث والمراجعة، والتي أنتجتها، أو تلقتها، أو استعملتها هيئة رسمية، أو شخص مادي أو معنوي لإنجاز أعمالهم بصفة رسمية"².

كما عرفته أيضا منظمة اليونسكو (UNESCO) على أنه: "مجموعة الوثائق مهما كان تاريخها وطبيعتها ناتجة أو مستلمة من طرف كل شخص مادي أو معنوي، وكل مؤسسة عمومية أو خاصة بغرض استمراريتها ومتابعة نشاطها، والتي حفظت أولا من أجل استعمالها كدليل وتلبية حاجياتها الإدارية، وحفظت لقيمتها المعلوماتية".

أما التعريف الرسمي المعتمد من طرف المجلس الدولي للأرشفة (ICA) فهو: "الأرشفة هو كل الوثائق بغض النظر عن التاريخ والشكل والدعامة، أنتجها أو استلمها أي شخص أو كيان من

¹ - سمير محمود سرتقيدة، المدخل إلى دراسة علوم الأرشفة والأرشفة، دار الثقافة العلمية، لبنان، 2015، ص ص152-154.

² - محمد إبراهيم السيد، مقدمة في تاريخ الأرشفة ووحداته، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، 1987، ص ص14-15.

القطاع العام أو الخاص في ممارسة نشاطه، وثائق يحتفظ بها سواء من أنتجها أو ورثها لاحتياجاته الخاصة، أو تلك التي أرسلت إلى مؤسسة الأرشيف المتخصصة لقيمتها التاريخية¹. عرفه القانون الجزائري 88-09 المؤرخ في 26 يناير 1988 في مادته الثالثة على أنه: "مجموعة الوثائق المنتجة أو المستلمة من الحزب، الدولة، الجماعات المحلية، الأشخاص الطبيعيين أو المعنويين، من القانون العام أو الخاص، أثناء ممارسة نشاطها، معروفة بفائدتها وقيمتها، وحفظت سواء من مالكيها، أو من حائزها، أو نقلت إلى مؤسسة الأرشيف المتخصصة"². من خلال التعاريف السابقة يمكن القول بأن استعمال لفظ الأرشيف يختلف من قطر إلى آخر، حيث يتسع مفهوم الأرشيف ليشمل الوثائق المستلمة أو المنتجة من طرف المؤسسات الخاصة أو العامة، إضافة إلى وثائق العائلات والأفراد التي توصف عادة بـ (الوثائق الخاصة أو الأوراق الشخصية)، وأحيانا توصف على نطاق محدود بـ (المخطوطات التاريخية)، وأحيانا أخرى تدل على كل مبنى أو جزء منه أو قسم من أقسامه، الذي تحفظ فيه المواد الأرشيفية، تحت مسؤولية هيئة إدارية تعمل على تحديد تلك الوثائق وقيمتها، وكيفية الوصول إليها وحفظها وتنظيمها، ووصفها، أو بما يعرف بالمصادر والمراجع النافعة.

2- أنواع الأرشيف وتصنيفاته

ينقسم الأرشيف إلى قسمين رئيسيين هما: الأرشيف العام والأرشيف الخاص.

2-1- الأرشيف العام

يضم هذا النوع كل الوثائق التي تنتجها أو تسلمها الهيئات الحربية والدولة والجماعات المحلية، ومختلف المؤسسات والهيئات العمومية، حيث يتم التعامل معها ومعالجتها وفق النصوص القانونية والتنظيمية الصادرة من المديرية العامة للأرشيف الوطني.

¹ - المجلس الدولي للأرشيف، دليل إدارة الوثائق الإلكترونية في منظور علم الأرشيف، باريس، 1997، ص 25.

² - القانون 88-09 المؤرخ في 7 جمادى الآخرة 1408هـ الموافق لـ 26 يناير 1988، يتعلق بالأرشيف الوطني الجزائري، الجريدة الرسمية، الجزائر، 27 يناير 1988، السنة 25، ع 4، ص 139-141.

2-2- الأرشفة الخاص

يضم هذا النوع مختلف الوثائق التي يملكها الأشخاص أو العائلات أو المؤسسات والمنظمات غير العمومية، بحيث يلزم القانون الجزائري رقم 88-09 كل مالك أو حائز لها والتي تتوفر فيها القيمة التاريخية، أو الاقتصادية، أو الاجتماعية، أو الثقافية، أن يصرح بها لمؤسسة الأرشفة، وكما يمكن لمالكها أن يضع تلك الوثائق وبارادته سواء بصفة مؤقتة أو دائمة في هذه المؤسسة، مع أحقيته في أخذ نسخة منها مجانا، وكذا يخول له القانون منح ترخيص للغير في حالة فتح هذا الأرشفة للاطلاع عليه¹.

كما يمكن تقسيم هذه الأنواع إلى تصنيفات رئيسية، وهذا بالاعتماد على عدة معايير منها:

2-3- حسب شكل الوعاء

يضم هذا التصنيف عدة أشكال منها: المخطوطات باعتبارها من أهم المصادر الأولية للمعلومات، والتي يعتمد عليها الباحثون في دراساتهم بشكل كلي أو جزئي²، وكذلك الخرائط، والأرشفة المطبوع الرسمي من معاهدات وفرمانات، وقوانين ومراسيم، وغيرها من الوثائق المتصلة بشؤون الحكم، والأرشفة الخاص المطبوع³، إضافة إلى الأرشفة السمعي البصري، وهو الذي يعتمد على الوسائل السمعية مثل: الأشرطة والتسجيلات الصوتية والأسطوانات السمعية، والوسائل البصرية مثل: التلفاز، والصور، والشرائح الفيلمية، والمجسمات وغيرها...، ومن خلالها يمكن المحافظة على الدوريات العامة والمخطوطات، والتقارير وأعمال المؤتمرات والندوات، والخرائط

¹ - امحمد مولاي، الوثائق الأرشيفية والمخطوطات، مجلة علم المكتبات، جامعة الجزائر 2، الجزائر، ديسمبر 2015، مج 7، ع 1 ص 99.

² - ربحي مصطفى عليان، مصادر المعلومات من عصر المخطوطات إلى عصر الإنترنت، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع عمان، 2000، ص 45.

³ - عبد المالك بن السبتي، زهير حافظي، تطبيقات تكنولوجيا المعلومات في مراكز الأرشفة، دار بهاء الدين للنشر والتوزيع قسنطينة، 2011، ص 36-37.

والرسوم الهندسية، والكتيبات والنشرات...¹، بالإضافة إلى الأرشيف الإلكتروني الذي تستخدم فيه رموز معينة للدلالة على مضمونه كالأحرف والصور، ورموز أخرى، وهذا ما يسمح بقراءة الأرشيف مباشرة دون وسيط، وتكون هذه الرموز الإلكترونية المستخدمة على شكل أرقام ثنائية².

2-4- حسب طبيعة النشاط

يضم هذا التصنيف العديد من الأشكال منها:

* **الأرشيف التاريخي:** ويضم كافة الوثائق المتعلقة بتاريخ القطر، وفي كافة النواحي: السياسية، الاقتصادية، الاجتماعية، الثقافية، الفنية، العسكرية وغير ذلك.

* **الأرشيف القضائي:** ويحتوي على الوثائق الخاصة بوزارة العدل والمحاكم والهيئات التشريعية والقضائية، وكذلك القوانين والأنظمة والمحاكم الخاصة، أو بما يتصل برجال القانون والقضاة وما إلى ذلك...

* **أرشيف الآداب والفنون:** يضم الوثائق المتصلة بالحركة الثقافية لأي بلد، وبكل النشاطات الخاصة بالجمعيات والمؤسسات الأدبية والثقافية، ووثائق الشخصيات البارزة في ميادين الثقافة والآداب والشعر، والصحافة...

* **الأرشيف السياسي:** به وثائق الأحزاب والجمعيات والهيئات السياسية، والوثائق الشخصية لشخصيات سياسية، وكذا المعاهدات والاتفاقيات المبرمة مع الدول الأجنبية...³

* **الأرشيف الإداري:** يحتوي على وثائق المؤسسات الحكومية بكل أنواعها، والمعاهد، والهيئات المختلفة، وكذا وثائق الشركات والمصالح الإدارية.

¹ - محمد عبد الجواد شريف، وسائل الإيضاح بالمكتبات ومراكز مصادر المعلومات، دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع، كفر الشيخ، مصر، 2008، ص 177.

² - عبد الملك بن سبتي، زهير حافظ، المرجع السابق، ص 39.

³ - سالم عيود الألوسي، المرجع السابق، ص 46-47.

***الأرشيف العسكري:** يضم وثائق وزارة الدفاع بأشكالها "البرية-الطيران-البحرية"، وأهم الاختراعات الحربية والأسلحة بكل أنواعها، ووثائق المحاكم العسكرية وغيرها بما يتصل بالقطاع العسكري...

* **أرشيف المؤسسات والهيئات الدينية:** توجد به وثائق وزارة الأوقاف والمساجد والكنائس والجمعيات والمدارس الدينية، وفتاوى العلماء وما إلى ذلك.

***الأرشيف السري:** يحتوي على وثائق رئاسة الجمهورية، ومجلس الوزراء، ووزارة الداخلية، ولا يمكن إطلاع عليها إلا في الحالات الاستثنائية¹.

* **أرشيف الخرائط والأطالس:** يضم هذا الأرشيف خرائط الدولة والأطالس كافة، الخاصة بأراضيها ومقاطعاتها ومدنها، وما له علاقة بالقطر من أمور سياسية واقتصادية وجغرافية وغير ذلك.

2-4-9- أرشيف الأختام والشعارات والنقود: به الأختام القديمة والحديثة التي بطل استعمالها، وكذلك الشعارات والرموز والإعلام والنقود بأنواعها الورقية منها والمعدنية².

2-5- حسب العمر

يقسم هذا التصنيف إلى ثلاثة أعمار هي:

***العمر الأول (العمر الإداري-الجاري):** يضم كل الوثائق الموجودة بالمكاتب الحكومية والإدارات، وتبلغ مدة عمر هذه الوثائق ما بين سنة إلى خمس سنوات، ويتم استخدام هذه الوثائق بشكل يومي³.

¹ - الطاهر بوديرة، تثمين رأس المال البشري في ميدان الأرشيف بين التكوين وممارسة المهنة: دراسة ميدانية بمراكز الأرشيف الولائية بالشرق الجزائري، مذكرة ماجستير: علم المكتبات، جامعة منتوري، قسنطينة، 2009، ص ص53-54.

² - سالم عبود الألوسي، المرجع السابق، ص48.

³ - أشرف محمد الشريف، الأرشيف الوسيط ودوره في تقييم واختيار الأرشيف، مطبوعات مكتبة فهد الوطنية، الرياض، السعودية 2008، ص20.

***العمر الثاني (العمر الوسيط):** يحتوي على كل الوثائق الإدارية التي تجاوز عمرها مدة خمسة وأربعين سنة، ويقسم إلى ثلاثة أقسام: العمر الوسيط الأول: ومدته خمس سنوات، العمر الوسيط الثاني: ومدته عشرون عاما، والعمر الوسيط الثالث: ومدته عشرون عاما.

***العمر الثالث (العمر التاريخي):** به كل الوثائق التي لها قيمة تاريخية، ويمكن للجمهور الاطلاع عليها، وتنتقل الوصاية عليها من الإدارات الخاصة بها في كل ولاية إلى مؤسسة الأرشيف التاريخي وبطرق وأطر قانونية.

يمكن لهذه الإدارات والأفراد الاطلاع عليها للاستفادة منها، وفي حالات نادرة يسمح بإعارتها إليهم إذا ما اقتضت الحاجة إلى ذلك¹.

3- الوثائق الأرشيفية بالمركز الوطني للأرشيف الجزائري "الفترة العثمانية أنموذجا"

يتوفر المركز الوطني للأرشيف الجزائري المتواجد ببئر خادم بالجزائر العاصمة على رصيد زاخر من الوثائق الأرشيفية الرسمية وغير الرسمية التي تعود إلى إيالة الجزائر خلال العهد العثماني، والتي تعد شواهد حقيقية ومصدرا للمعلومات، حيث تساعد هذه الوثائق الأرشيفية الباحثين والمهتمين بتاريخ الجزائر في تسليط الضوء على جل المقاربات الاجتماعية والاقتصادية ومختلف المعاملات للمجتمع الجزائري خلال الفترة العثمانية، ومن أهم تلك الوثائق نذكر:

3-1- وثائق سجلات المحاكم الشرعية

تضم جميع القضايا الواردة للمحكمة تحت إشراف القاضي (الحنفي والمالكي) من قبل سكان الإيالة دون تمييز، وتحتوي على جميع الوثائق المتعلقة بالأحوال الشخصية والجزائية لمعظم فئات المجتمع، وكذلك على معلومات تخص الحياة الاقتصادية بمختلف جوانبها الزراعية والصناعية والحرفية والتجارية، وكذا عن معلومات تخص الحياة العلمية والعمرانية، وغيرها من الجوانب

¹ - أشرف عبد المحسن الشريف، الإدارة الحديثة للوثائق التاريخية: المعايير والإجراءات، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، مصر 2011، ص ص 42-45.

الاجتماعية، بالإضافة إلى وجود السجل الشرعي الخاص الذي يحتوي مجموعة الوثائق الخاصة بقضايا الإدارة والحكم¹.

تعتبر سجلات المحاكم الشرعية من أهم المصادر التاريخية المحلية الأساسية في دراسة تاريخ الجزائر خلال الحقبة العثمانية، وهي محفوظة بمركز الأرشيف الوطني الجزائري ببئر خادم²، حيث تضم ثلاثة وخمسين ومائة علبة، يبدأ تاريخ هذه الوثائق منذ 1525م، وتستمر إلى بداية التسعينات من القرن التاسع عشر، والبعض منها مبتور، والبعض الآخر خطها غامض وتحتوي كل علبة على أزيد من 100 وثيقة، أو الضعف³. وهي وثائق تشتمل على معلومات ثرية ومتنوعة يعتمد عليها الباحث والمؤرخ في سد الثغرات الموجودة في تاريخ الجزائر خلال الحقبة العثمانية في جميع جوانب حياة المجتمع بالإيالة⁴.

تشتمل وثائق سجلات المحاكم الشرعية على مجموعة من العقود العقارية، وعقود التحبّيس أو الوقف، وعقود البيع والشراء، والقروض والهبات، والوصايا والأمانات، وعقود الزواج والطلاق والعنق والمرافعات، والتي تم تسجيلها في المحكمة مع إضفاء الشرعية عليها، ومثلا نجد في مطلع جل الوثائق: " صح ما فيه من البيع والشراء نمقه الفقير إليه سبحانه..."⁵، وهذه الوثائق لا تخضع

¹ - ثائرة رشيد حسني بليبلة، قراءة معمارية في السجلات العثمانية للمحكمة الشرعية في نابلس في الفترة (1655 - 1807) رسالة ماجستير في الهندسة المعمارية، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، 2010، ص17.

² - عائشة غطاس، سجلات المحاكم الشرعية وأهميتها في دراسة التاريخ الاقتصادي والاجتماعي بمدينة الجزائر (العهد العثماني)، مجلة إنسانيات، جامعة وهران، شتاء 1997، ع3، ص70.

³ - رابح كنتور، أهمية الرصيد العثماني في كتابة تاريخ الجزائر الحديث (المحاكم الشرعية أنموذجا)، المجلة التاريخية الجزائرية، جامعة لمسيل، سبتمبر 2018، مج2، ع3، ص96.

⁴ - سلوى علي ميلاد، وثائق أهل الزمة في العصر العثماني وأهميتها التاريخية، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، 1983، ص15.

⁵ - عائشة غطاس، سجلات المحاكم الشرعية...، المرجع السابق، ص71.

لأي ترتيب كرونولوجي، أو تصنيف حسب طبيعتها وفحواها، ولعل هذا راجع إلى ما تعرضت له من إهمال وإتلاف على يد السلطات الاستعمارية¹.

تتميز وثائق المحاكم الشرعية بكتابتها باللغة العربية وبعض الكلمات العثمانية، ويبلغ عددها حوالي 13 ألف موزعة على 153 علبة²، تخص في معظمها مدينة الجزائر والمناطق المجاورة لها وبعض المدن الأخرى كالبليدة والقليلة وشرشال والمدينة وغيرها من مدن بايلكات الجزائر، وهي وثائق مودعة بخزائن أرشيف الحكومة العامة بالجزائر مع القسم الخاص بالسجلات العربية التركية، وهي محفوظة في بطاقات خاصة تدعى الميكروفيش (Microfiche) أو المصغرات الفلمية³.

من أهم وثائق سجلات المحاكم الشرعية الموجودة بأرشيف المركز الوطني الجزائري نذكر:

* عقود التحبيس (الأوقاف)

تحتوي عقود المحاكم الشرعية على كم هائل من وثائق الحبوس، والتي تبرز الجوانب المهمة من حياة أفراد المجتمع، بحيث تسمح لنا بالتعرف على الملكية العقارية، وعلى كيفية توزيعها ضمن الشرائح الاجتماعية المختلفة، سواء داخل المدينة أو خارجها (الفحوص)، وكما تعرفنا على طوبوغرافيا المدن، وعلى معالمها من أسواق ومرافق عامة، وكذا تعرفنا على نمط المعيشة والتقاليد المنتشرة في تلك المرحلة⁴، بالإضافة إلى ذلك فهي تحتوي على معلومات متنوعة منها اسم

¹ - ناصر الدين سعيدي، نظرة حول الوثائق العثمانية بالجزائر ومكانتها في تاريخ الجزائر الحديث، مجلة التاريخ، المركز الوطني للدراسات التاريخية، الجزائر، 1977، ص 140.

² - فضيلة تكور، رصيد الفترة العثمانية ومن وثائق الأوقاف بالأرشيف الوطني الجزائري، دراسات إنسانية، جامعة الجزائر، الجزائر 2001 - 2002، عدد خاص بأعمال ندوة حول الوقف في الجزائر أثناء القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، ص 70.

³ - صالح بوزيد، أهمية وثائق الأوقاف بسجلات المحاكم الشرعية في كتابة تاريخ الجزائر العثماني، مجلة الدراسات التاريخية جامعة الجزائر، الجزائر، جانفي 2015، مج 16، ع 2، ص ص 228-229.

⁴ - عائشة غطاس، المرجع السابق، ص 72.

الواقف، واسم الموقوف عليه سواء كان فردا (وقف أهلي) أو مؤسسة دينية أو تعليمية (وقف عام)، إلى جانب تحديد العقار الموقوف وحدوده الجغرافية¹.

يعود أول عقد تحبيس وارد ضمن عقود المحاكم الشرعية إلى عام 1525م، لدار قرب الجامع الأعظم بمدينة الجزائر²، ويكون شكل عقد التحبيس على النحو التالي:

"الحمد لله هذه نسخة رسم تحبيس... وبعد أن أشهد على ملك الولية عويشة بنت جلول البليدي المذكورة مشهدا لها في الرسم... جميع الجنة الكائنة بفحص بني مسوس خارج باب الجزائر أحد أبواب محروسة الجزائر المذكورة معها... أنها حبست، ووقفت لله تعالى جميع الجنة... على نفسها تشفع بغلة ذلك مرة حياتها مقلدة في ذلك بعض أئمة مذهب الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان رضي الله عنه وأرضاه... وتصرف غلة ذلك لصالح في مصالح الجامع الأعظم داخل الجزائر المحمية... وذلك بتاريخ أواخر ذي القعدة 1181هـ³.

إن الاعتماد على الرصيد الوثائقي لسجلات المحاكم الشرعية سيمكن الباحث من الوقوف على الكثير من الجوانب التي تعكس الطابع الاجتماعي والاقتصادي والتطور التاريخي لإيالة الجزائر خلال الفترة العثمانية، فهي أحد المصادر التي وصفت بدقة جل جوانب حياة المجتمع الجزائري بتلك الحقبة.

* عقود البيع والشراء

تضم جل الوثائق المتعلقة بالنشاط التجاري خلال الفترة الحديثة، وكذا أهم العملات المتداولة والأسعار بأسواق الإيالة، وبفضلها يمكن للباحث معرفة تقلبات الأسعار والعملية، صعودا وهبوطا⁴ وفي ظل انتشار ظاهرة الملكية القائمة عن طريق البيع والشراء للأراضي والجنان والبحاير، فقد ساهمت هذه الوثائق في إعطاء معلومات متعلقة بأهم المعاملات الاقتصادية التي كانت تتم بين

¹ - رابح كنتور، المرجع السابق، ص 98.

² - Berque jaque: L'intérieur de Maghreb XV siècle, Paris, 1976, pp 75-103.

³ - محفوظات المركز الوطني للأرشيف الجزائري، سلسلة المحاكم الشرعية، علة 01، وثيقة 06.

⁴ - عائشة غطاس، المرجع السابق، ص 74.

مختلف شرائح مجتمع مدينة الجزائر وما جاورها من حضر، وأتراك، وكراغلة، وعناصر وافدة، ومغاربة، ويهود أندلسيين، وأوروبيين¹. وعلى سبيل المثال "اشترى الحاج علي المضاري صناعة بن عباشة "كوشة": فرن لطهي الخبز بستمئة دينار كلها خمسينية العدد عام 1617م، وبيعت الكوشة عام 1817م بأربعين ألف ريال"².

* عقود التركات

يقصد بالتركة كل ما خلفه الميت بعد موته من أموال منقولة كالذهب والفضة، وسائر النقود وغير المنقولة كالأراضي والمنازل وغيرها من الأشياء³، ولذلك تساعد وثائق عقود التركات* الباحثين على دراسة مستويات الثروة عند مختلف شرائح وفئات المجتمع الجزائري بالإيالة ومستواهم المعيشي، وكما تبرز لنا شتى مظاهر الحياة المادية التي كان يحياها الفرد والأسرة، خاصة فيما يتعلق بتأثيث المنازل والألبسة⁴، وكما كان يتم بيع التركة بالمزاد العلني بسوق الدلالة⁵.

من خلال رصد وثائق عقود التركات الخاصة بالمورثين أو الهالكين، ثم التسجيل التقسيم المفصل لتركة الهالك أو المتوفى على الورثة، بما في ذلك الموصى عليهم في حياة المورث، ويتجلى ذلك في العبارة المكتوبة في جل العقود "استقر الملك"، ومثال ذلك: "الحمد لله بعد أن استقر على ملك المكرم..."⁶

1 - رابح كنتور، المرجع السابق، ص 99.

2 - عائشة غطاس، المرجع السابق، ص 74.

3 - أحمد محمد المومني، أحكام التركات والموارث، دار الميسرة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2009، ص 18.

* التركات: هي جمع تركة، ومعناها لغة: الشيء خلاه، وبابه نصر، و(تاركه) البيع (متاركة)، و(تركة) الميت تراثه المتروك، أما اصطلاحا: فهي ما يتركه الشخص بعد موته من أموال وحقوق مالية أو غير مالية، فكل ما يتركه الشخص بعد وفاته يقال له في اصطلاح جمهور الفقهاء (تركة). أنظر: محمد بن أبي بكر عبد القادر الرازي، مختار الصحاح، مكتبة لبنان، بيروت، 1989 ص 69، مادة (ترك)، وانظر: أيضا محمد علي الصابوني، الموارث في الشريعة الإسلامية في ضوء الكتاب والسنة، دار الصابوني للنشر والتوزيع، القاهرة، 2002، ص 28.

4 - رابح كنتور، المرجع السابق، ص 99.

5 - عائشة غطاس، المرجع السابق، ص 74.

6 - بلقاسم عياشي، المرجع السابق، ص 303.

كما تساعد هذه الوثائق الباحثين على معرفة البنية الديموغرافية للمجتمع الجزائري، عدد الأولاد والزوجات، ومثال ذلك: "خلف الرايس مصلح الدين المتوفي عن زوجة واحدة، ولد وثلاث بنات"¹.

* عقود الزواج والطلاق

تتضمن هذه العقود جل الوثائق المتعلقة بأنواع المهور، ومكوناتها، والممارسات الاجتماعية السائدة، وكذا صلات المصاهرة القائمة خلال الفترة العثمانية في مجتمع مدينة الجزائر وما جاورها.

كما تعرفنا هذه العقود على طرق عقد الزواج من خطبة وقراءة الفاتحة، وما يشترطه أهل الزوجة من صداق عيني، والألبسة المختلفة من ملحفة وحزام وقفطان، إلى جانب الحلي كالجواهر (المخبل والمقياس والأقراط) ... وغيرها².

أما عقود الطلاق فتطلعنا على الطرف الذي طلب الطلاق، وعن أسبابه وشروطه³.

* عقود الهبات والهدايا

تحتوي هذه العقود على مجموعة من الوثائق التي تخص الهدايا والهبات بمجتمع الجزائر خلال الفترة العثمانية، وهذا بحكم إقدام بعض الأشخاص من الطبقة الحاكمة على توثيق هباتهم لدى أفراد عائلاتهم عند سلطة القاضي (الحنفي أو المالكي)، وهي وثائق مفيدة للباحث التاريخي باعتبار أنها تشتمل على معلومات قيمة حول طبيعة العلاقة بين الواهب والموهوب، والأشياء الموهوبة، وهذا ما يعكس لنا طبيعة العلاقة السائدة داخل الأسرة الواحدة من أسر الفئة الحاكمة⁴.

¹ - عائشة غطاس، المرجع السابق، ص76.

² - سعاد بولجويجة، عقود الزواج والطلاق وثائق لحفظ الهوية والتراث وإسقاط للواقع الاجتماعي المعيشي في قسنطينة (1827-1845)، مجلات البحوث التاريخية، جامعة قالم، الجزائر، ديسمبر، 2024، مج8، ع2، ص618.

³ - عائشة غطاس، المرجع السابق، ص77.

⁴ - المرجع نفسه، ص78.

3-2- سجلات البايلك

سجلات البايلك* هي سجلات رسمية لموظفي إدارة البايلك، تضم وثائق تتعلق في مجملها بالقضايا الإدارية، الاقتصادية والاجتماعية بالبايلك، أغلبها سجلت باللغة العربية والقليل منها كتب باللغة التركية¹، تتكون هذه السجلات المحفوظة بالأرشفة الوطني الجزائري من 386 سجلا موزعة على 36 علبة، تبدأ تاريخيا من سنة 1085هـ/1675م، وتستمر إلى غاية 1279هـ/1862م، وهي في تقاييد للأملاك الموقوفة "الوقفات" وجداول النفقات ومداخل الخزينة وتسجيل للقضايا المتعلقة بالمعاملات وضبط لأعمال المصالح الإدارية والخدمات الاجتماعية والاقتصادية داخل مدينة الجزائر وخارجها كالبلدية والمدينة ومليانة وإقليم سهل متيجة²، بالإضافة إلى بعض السجلات الخاصة بالوكلاء وكراء العقارات الموقوفة، ومن أقدم السجلات الخاصة بأوقاف الحرمين سجل يعود إلى عامي 1648 - 1649م، مثلما جاء في فهرس مركز الأرشفة وورد على النحو التالي: "سجل يتضمن بيان كراء الأملاك الموقوفة على فقراء الحرمين". وكما تشتمل هذه السلسلة أيضا بعض السجلات التي وضعتها الإدارة الفرنسية في إطار القيام بإحصاء شامل للعقارات الموقوفة³، وإلى جانب ذلك يتضمن هذا الرصيد معلومات مهمة خاصة برواتب

* البايلك: وهو المقاطعات بالإيالة، وهو نظام سياسي وإداري واقتصادي واجتماعي وإيديولوجي انتجه العثمانيون في الجزائر بطريقة تتماشى مع الذهنية المحلية، ومع النظم والعرف القبلي الإسلامي، وكان على رأس كل بايلك "مقاطعة" بآيا، أنظر: خليفة حماش، أهمية المصطلحات التركية في دراسة التاريخ والحضارة الإسلامية ضمن كتاب تحية وتقدير للأستاذ خليل الساحلي أوغلو، إشراف: عبد الجليل التميمي، منشورات مؤسسة التميمي، زغوان، 1997، ص141.

¹ - ياسين بودريعة، الثروة والفقر بمدينة الجزائر أواخر العهد العثماني (1786-1800)، دراسة اقتصادية ومقاربة اجتماعية من خلال دفاتر التركات، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في التاريخ الحديث، جامعة الجزائر 2، الجزائر، 2016/2017، ص39.

² - ناصر الدين سعيدوني، رقات جزائرية، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، دار البصائر، الجزائر، 2008 ص86.

³ - عائشة غطاس، الحرف والحرفيون بمدينة الجزائر (1700 - 1830) مقاربة اجتماعية اقتصادية، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه دولة في التاريخ الحديث، جامعة الجزائر، الجزائر، 2000 / 2001، ص: ع.

موظفي المساجد والجوامع وغيرها من المؤسسات الدينية، وبعض التعيينات والعزل للموظفين، وأصولهم الاجتماعية وانتماءاتهم العرقية...¹

لتسهيل عملية الاطلاع على هذه السجلات، يوجد في مركز الأرشيف الوطني الجزائري فهرس مخصص لها، من خلاله يمكن للباحث أن يجد ضالته في اكتشاف الوثائق التي تهم بحثه.²

3-3- سجلات مؤسسة بيت المال

3-3-1 سجلات بيت المال

تعتبر سجلات بيت المال أحد المصادر المحلية الأولية في كتابة التاريخ الاقتصادي والاجتماعي، وهي الصادرة عن مؤسسة بيت المال بإيالة الجزائر، ويشرف عليها أحد الموظفين السامين " بيت المالجي" باعتباره الناظر على شغل الموارث المخزنية من دور وأراضي وأجنة داخل الجزائر وخارجها، ويساعده قاض وموثقان وكاتب ضابط ومسجلون.³

تتضمن هذه السجلات مجموعة من الوثائق التي تحتوي معلومات حول الأملاك الموقوفة، وعوائد المؤسسات الخيرية المشرفة عليها، إضافة لاحتوائها على بعض الأمانات والودائع، وقوائم بالأملاك العقارية، وأحكام خاصة بالتركات وحصص من بيت المال⁴، وتتولى هيئة بيت المال بوجه عام رقابة تركات جميع الأشخاص الذين يتوفون، أو الذين يطول غيابهم فيعدون بذلك في عداد الموتى، فتشرف على توزيع وتصفية الإرث والتركة.⁵

يشتمل هذا الرصيد على 64 سجل موزع على 11 علبة كما هو موضح في الفهرس المتعلق بالأرصدة الأرشيفية الموجود على مستوى الأرشيف الوطني الجزائري الذي أعده أحمد توفيق

¹ - محمد ميلودي، جميلة معاشي، موظفو الجوامع في مدينة الجزائر أواخر الفترة العثمانية من خلال سجلات البايلك، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة المسيلة، 2019، ع51، ص74.

² - ناصر الدين سعيديوني، الفهرس التحليلي للوثائق التاريخية الجزائرية، منشورات مديرية الوثائق الوطنية، الجزائر، 1988، ص5.

³ - عائشة غطاس، الحرف والحرفيون...، المرجع السابق، ص: ط.

⁴ - ناصر الدين سعيديوني، وراقات جزائرية...، المرجع السابق، ص86.

⁵ - عائشة غطاس، المرجع السابق، ص: ط.

المدني¹، والذي يغطي الفترة الممتدة من القرن الثامن عشر إلى غاية منتصف القرن العشرين ويمكن الاطلاع على هذه السجلات عن طريق الميكروفيلم (Micro film)². وكما تشمل هذه السجلات معلومات عن مدينة الجزائر وضواحيها، أو كما يعرف بالفحوص، بالإضافة إلى مدينة البلدية وضواحيها، ويعود أقدم هذه السجلات إلى سنة 1111هـ/1699م³.

كمان نلاحظ السرعة في تسجيل المخلفات، وفي تقسيم الإرث، وهذا ما أشارت له الدكتورة عائشة غطاس في كتابها: الحرف والحرفيون بأن: الداوي عمر الذي ثار عليه الجند واغتالوه وأواخر أوت وأوائل سبتمبر 1817م، صفيت تركته في الشهر نفسه، وكذلك بالنسبة للرايس حميدو الذي استشهد في 16 جوان 1815، صفيت تركته في أوائل جويلية 1815م⁴.

3-3-2- دفاتر التركات

تعتبر دفاتر التركات الصادرة عن مؤسسة بيت المال بإيالة الجزائر خلال العهد العثماني أحد الأرصدة الأرشيفية، ومن أهم المصادر المحلية في كتابة التاريخ الاجتماعي والاقتصادي الجزائري وهذا لما تتضمنه من معلومات حول ممتلكات الشخص المتوفى بأدق التفاصيل؛ أي أنها عبارة عن جرد لمحتويات التركة المخلفة عن المتوفى أو الغائب، والتي تساعدنا على معرفة الممارسات المالية والاجتماعية، وكيفية توظيف الثروة في تلك الحقبة⁵.

أما لغة الدفاتر فقد كتبت باللغة العربية والدارجة إلى جانب وجود بعض الكلمات العثمانية وهو ما كان ساريا في الولايات العثمانية، وتبدأ هذه السجلات أو الدفاتر بذكر المعلومات الشخصية حول المتوفى مثل الاسم ثم المهنة ثم عدد الزوجات والأولاد إن وجدوا، ثم العنوان، ثم التاريخ، وفي بعض الأحيان نجد معلومات أخرى مثل العيوب المتعلقة بالشخص المتوفى، وكذا

¹ - أحمد توفيق المدني، الفهرس التحليلي للوثائق التاريخية الجزائرية للرصيد العثماني (1058 - 1279) (1648 - 1862)، المديرية المركزية للأرشيف الوطني الجزائري، الجزائر، 1980.

² - ياسين بودريعة، المرجع السابق، ص 27.

³ - ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص 86.

⁴ - عائشة غطاس، المرجع السابق، ص: ظ.

⁵ - ياسين بودريعة، المرجع السابق، ص 28.

أسباب الوفاة مثل الغرق أو القتل وغيرها، ومثال ذلك "مخلفات أمين الزياتين الذي قطع رأسه عن زوجة وبنت وأبوين، الأب غائب، بتاريخ قعدة الحرام 1230هـ"¹.

كما تكتب تركة كل شخص متوفى أو غائب على حدى، وتكون مرتبة على شكل مستطيل بشكل أفقي، وتختلف هذه المعلومات من شخص لآخر، أما تاريخ هذه التركات فيكون بذكر الشهر والسنة فقط، مع الإشارة إلى أوائل أواسط أو أواخر الشهر دون ذكر اليوم، وهذا التاريخ يخص قسمة التركة، ولا يتعدى الشهر منذ وفاة الشخص على العموم².

أما بخصوص التركات فأحيانا ترد بقيمتها المالية، وأحيانا ترد بشكل مفصل أين يتم ذكر طبيعتها من مال وملابس، وجميع الأشياء المادية، زيادة على قيمتها المالية، وفي بعض الأحيان ترد ضمنها بعض الوصايا للمتوفى، كذكر الأشخاص المستفيدين من الورث، وتكون كتابة هذه المخلفات بشكل منظم في سجل يعرف بدفتر التركات، غير أنها لم تكن مرتبة ترتيبا زمنيا، فمثلا من السجل 01 إلى غاية السجل 09 نلاحظ تسلسلا زمنيا مرتبا (1700 - 1818م)، ثم نجد السجل 10 يعود بنا إلى تاريخ 1789م، وكمان نجد السجل 64 رغم أنه الأخير من حيث الترتيب التسلسلي إلا أنه يغطي الفترة الممتدة ما بين 1155 - 1159هـ / 1742 - 1746م³.

ومن أهم السجلات المعتمد عليها كمصادر أرشيفية في دراستنا والتي منحتنا كما وفيرا ومتنوعا من المعلومات الدقيقة حول مسألة التركة وقسمتها بمجتمع الجزائر خلال الفترة العثمانية نذكر:

* السجل رقم 02:

يغطي السجل الفترة الزمنية الممتدة من أواخر ذي القعدة 1200هـ / أواخر سبتمبر 1786م إلى غاية أوائل ربيع الآخر 1207هـ / أواخر نوفمبر 1792م، والمتضمن تركات 1895 شخص خلال القرن الثامن عشر، وهو مكتوب باللغة العربية وعدد أوراقه 428 ورقة منها 5 أوراق فارغة

¹ - عائشة غطاس، المرجع السابق، ص: ظ.

² - ياسين بودريعة، المرجع السابق، ص29.

³ - سعدون بخاخ، أهمية سجلات بيت المال في دراسة واقع الجماعات الوافدة على مدينة الجزائر أواخر العهد العثماني جماعة البسكرة أنموذجا، المجلة المغاربية للدراسات التاريخية والاجتماعية، جامعة سيدي بلعباس، الجزائر، جويلية، 2022، مج14، ع1، ص71.

وجاء في مقدمة الورقة الأولى من السجل: "هذا دفتر مبارك ميمون قيد بحول من يقول للشيء كن فيكون لحفظ متروك من مات من الجزائر من غير وارث أو غاب أو أسر أو غير ذلك في مدة المعظم المحترم السيد الحاج علي بن رمضان التركي الناظر على شؤون المواريث المخزنية في أوائل القعدة الحرام من عام 1200هـ..."¹.

* السجل رقم 03:

يغطي هذا السجل الفترة الزمنية لسنة 1214هـ/1799م، ويتضمن 371 ورقة منها 9 ورقات بيضاء، وكتابته مبهمة غير واضحة، ومن خلاله تم رصد 18 تركة في اللعب من 01 إلى 03 على مستوى سلسلة بيت المال بمركز الأرشيف الوطني الجزائري، وأول تركة تم تسجيلها كانت باسم عبد الرحمن، وذلك في أوائل محرم 1214هـ/ 1799م².

3-4- سجلات بيت المال والبايلك

هي عبارة عن خليط بين وثائق بيت المال والبايلك في اللعبة الواحدة؛ أي ضمن الميكرو فيلم الواحد، وهذه الأرصدة مستقلة عن سلسلة بيت المال، وسلسلة البايلك، وهي سجلات مبعثرة وغير منظمة تم جمعها وترقيمها من طرف عمال الأرشيف الوطني الجزائري، بعد استلام الدفعة الثالثة من الأرشيف الجزائري في عهد الرئيس الفرنسي فرنسوا ميتران عند زيارته إلى الجزائر سنة 1982م، في عهد الرئيس الشاذلي بن جديد، والذين عملوا على وضع فهرس خاص بها بهدف تسهيل عملية البحث أمام الباحثين خاصة في تحديد التركات خلال الفترة العثمانية بالجزائر³.

¹ - محفوظات المركز الوطني للأرشيف الجزائري، سلسلة بيت المال، سجل رقم 2، ورقة رقم 1، انظر الملحق رقم 1.

² - محفوظات المركز الوطني للأرشيف الجزائري، سلسلة بيت المال، سجل رقم 3، ورقة رقم 1.

³ - ياسين بودريعة، المرجع السابق، ص 34.

يحتوي هذا الرصيد على 133 سجلا، موزعة على 13 علبة، وتتناول العديد من جوانب الحياة الاقتصادية والاجتماعية بإيالة الجزائر خلال العهد العثماني، منها: الضرائب، المدفوعات والمداخيل، الأملاك الموقوفة لصالح المؤسسات الوقفية، وغيرها من المسائل والمواضيع¹.

3-5- وثائق مهمة دفتر أو دفاتر مهمة ووثائق خط همايون

هي السجلات الديوان الهمايوني* الذي يحتوي على خلاصة الأوامر العلية، أو الأوسمة التي تم إعدادها في الديوان الهمايوني حسب التسلسل التاريخي، ولقد تم تسجيل مثل ذلك في عام 1649م في دفاتر أطلق عليها "دفاتر المهمة"، وخصصت هذه الدفاتر لقضايا الشؤون الإدارية الحكومية، أما القضايا الشخصية فقد سجلت في "دفاتر الشكاوى"، وغير أنه بعد سنة 1742م بدء تسجيل الشكاوى حسب الولايات وبشكل منفصل، أطلق عليها دفاتر أحكام شكايت أو دفاتر الأحكام².

يحتوي هذا السجل على 911 وثيقة، موزعة على ستة عشر علبة، وكل علبة تضم ما بين 32 إلى 77 وثيقة منها 379 وثيقة مترجمة، و532 وثيقة غير مترجمة، وتم ترتيبها داخل دفتر مهم حسب رقم الأحكام الصادرة؛ أي من أصغر حكم إلى أكبر حكم دون الاهتمام بتاريخ صدور هذه الأحكام³.

¹ - فاطمة صاري وآخرون، الفهرس العددي للرصيد العثماني، سلسلة بيت المال والبايالك، الأرشيف الوطني، الجزائر، 1991 ج2، ص1.

* الديوان الهمايوني: ويطلق على المجلس الذي يجتمع لرعاية شؤون الدولة، والمنعقد برئاسة الصدر الأعظم، ويتشكل من أصحاب المقامات الرفيعة لمناقشة أمور الدولة في المركز، وتصدر قراراته باسم السلطان بصورة فرمانات، فهو دائرة حكومية مرموقة في الدولة العثمانية وظيفتها مناقشة جميع المسائل السياسية والإدارية والعسكرية والشرعية...، انظر: نورا بنت عبد الله هلال البقمي الديوان الهمايوني في الدولة العثمانية (824-1340هـ/1421-1922م)، دراسة تاريخية حضارية، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في التاريخ الحديث، جامعة أم القرى، السعودية، 2015، ص23.

² - سهيل صابان، المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية، مر: عبد الرزاق محمد حسن بركات، السلسلة الثالثة، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، المملكة العربية السعودية، 2000، ص132.

³ - ليلي ديب، فهرس خاص بالرصيد العثماني "دفتر مهمة"، مؤسسة الأرشيف الوطني، الجزائر، 2004، ج1، ص1.

هذه المجموعة عبارة عن وثائق مصورة من دور الأرشيفات بإسطنبول (خزانة قصر "توبكابي")، وخزانة الباب العالي الرئيسية، وخزانة وزارة الخارجية التركية، وقام بجمعها وترتيبها الأستاذ أحمد توفيق المدني في فهرس عام، موجودة منه نسخة حالية بمركز الأرشيف الوطني الجزائري¹.

تشتمل أغلب هذه الوثائق على معلومات تتعلق بالعلاقات الدبلوماسية والمراسلات الرسمية بين إيالة الجزائر ومركز الخلافة؛ أي أنها تخص جميع القرارات والفرمانات* الصادرة من طرف الديوان السلطاني بإسطنبول، والموجهة إلى حكام الإيالات التابعة لخلافة، أو لعلماء ومشايخ والزعامات المحلية بها، وتحتوي هذه الفرمانات عادة على طغراء السلطان ونوع الفرمان، السبب الذي أدى إلى إصداره².

كتبت جمل هذه الوثائق باللغة العثمانية، وترجمت إلى العربية من طرف أحمد توفيق المدني، وهذا بعد أن استعان بأحد السوريين العاملين بوزارة التربية الوطنية، وهو السيد فكري طونة في عام 1979م³. ويتم الاطلاع عليها بعد تقديم طلب من أجل الحصول على نسخة مصورة، ويجب أن تكون هذه النسخ المتحصل عليها مرقنة.

بالإضافة إلى وجودي مجموعة من الوثائق الأرشيفية تعرف بوثائق "خط همايون"، وتضم هذه المجموعة 347 وثيقة موزعة على 35 علبة، ولها نفس خصائص ووثائق "دفاتر مهمة"⁴.

¹ - ناصر الدين سعيدوني، مكانة مصادر الأرشيف الجزائري في إعادة كتابة تاريخ الجزائر في العهد العثماني، مجلة الدراسات التاريخية، جامعة الجزائر، الجزائر، جانفي 1988، ص113.

* الفرمانات: هي جمع كلمة فرمان المشتقة من مصدر الأمر بالفارسية، وتعني لغة: الأمر، المرسوم، أما اصطلاحا: فهي العمل أو الوظيفة التي يجب أن تؤدي بموجب الأمر المكتوب أو الصادر عن الحاكم أو السلطان، انظر: سهيل صابان، الفرمانات العثمانية، دار الملك عبد العزيز، أنقرة، 2003، ص14.

² - سهيل صابان، المعجم الموسوعي...، المرجع السابق، ص264.

³ - فكري طونة، نظرة خاطفة حول الوثائق العثمانية الموجودة بالمركز الوطني للدراسات التاريخية، مجلة التاريخ، مركز الدراسات التاريخية، الجزائر، 1995، صص 45-47.

⁴ - ناصر الدين سعيدوني، مكانة مصادر الأرشيف...، المرجع السابق، ص113.

رابعاً: الكتابات والمذكرات الشخصية

شملت الكتابات الجزائرية خلال العهد العثماني مجموعة متنوعة من المؤلفات والمصنفات باعتبارها مصادر تاريخية تناولت جوانب مختلفة من الحياة بإيالة الجزائر، منها الجوانب الثقافية والاجتماعية والاقتصادية، والسياسية والإدارية والعسكرية، وكذا العلاقات الدبلوماسية.

1- الكتابات (المؤلفات) الجزائرية خلال العهد العثماني

1-1- المدلول اللغوي والاصطلاحي للتأليف

1-1-1- التأليف لغة

الهمزة واللام والفاء، أصل واحد يدل على انضمام الشيء إلى الشيء، والأشياء الكثيرة¹ وهي كلمة مزيدة جذرها المعجمي، وأصلها اللغوي؛ الفعل الرباعي "ألف"، والأصل (أ ل ف) يدل على الجمع والوصل، والضم، وفي هذا يقول الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت 175هـ): "وَكُلُّ شَيْءٍ ضَمَمْتُ بَعْضَهُ إِلَى بَعْضٍ فَقَدْ أَلْفَتْهُ تَأْلِيفًا"².

جاء في لسان العرب: ألفت الشيء تأليفاً إذا وصلت بعضه ببعض، ومنه تأليف الكتب³ أشار الفيروز آبادي في قاموسه "المحيط" إلى معنى آخر، حيث يقول: "وتألف فلاناً، داره، وقاربه ووصله حتى يستميله إليه، و(*) القوم أجمعوا كائناتلّفوا"⁴.

تألف القوم بمعنى اجتمعوا وتحابوا، وكل شيء ضمنت بعضه إلى بعض، فقد ألفتة تأليفاً ومنه تأليف الكتاب، فالتأليف إذن مطلق الضم⁵.

1 - أحمد بن فارس بن زكريا أبو الحسن، المصدر السابق، ج1، ص131.

2 - أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي، المصدر السابق، ج8، ص336.

3 - ابن منظور، المصدر السابق، ج15، ص810، (مادة: أ ل ف).

4 - الفيروز آبادي، المصدر السابق، ج3، ص153.

5 - محمد بن عبد الرحمن السخاوي، فتح المغيث بشرح ألفية الحديث، تح: علي حسين علي، مكتبة السنة، القاهرة، مصر 1415هـ، ج3، ط1، ص318.

من أهم مرادفات كلمة التأليف في أدبيات التدوين نجد: التصنيف والإملاء، فيقال مثلاً: هذا الكتاب تصنيف فلان، أو صنفه فلان أو أملاه فلان¹.

1-1-2- التأليف اصطلاحاً

مصطلح التأليف هو مصطلح قديم نشأ مع نشأة الكتابة في الحضارة العربية الإسلامية، وقد تعددت مفاهيمه وتعريفه عند علماء اللغة، ومنها:

- التأليف هو: "كل ما يكتب بالمداد على الورق سواء كان الورق مصنوعاً من قراطيس البردي أو من الكاغد أو الأكتاف، وسواء كان المخطوط على شكل لفائف أو مجموعة من الكراريس"².

- التأليف عند الجرجاني هو: "جعل الأشياء الكثيرة بحيث يطلق عليها اسم الواحد سواء كان لبعض أجزائه نسبة إلى بعض بالتقدم والتأخر أم لا"³.

- أما عرفات نبهان فقد أشار إلى تعريف التأليف في عدة نقاط هي:

• التأليف هو: "وضع أي عمل عقلي علمي أو أدبي، أو فني في صورة قابلة للفهم، أو التدقيق والإحساس".

• التأليف هو: "شكل مسجل يمكن استرجاعه بالقراءة، أو المشاهدة أو السماع، أو اللمس...

الخ".

• التأليف: "عمل تركيبى تتعاون في إتمامه عناصر لا تحصي من الثقافة، والتحصيل

والاتصال، والتأمل، والإحساس، والخيال، والنقد، والرأي، والبرهنة، والتعديل، والتطوير، والتركيب والانتقال من المسائل الجزئية إلى التنظير، أو النظرة الشاملة إلى المسائل الجزئية".

¹ - إياذ خالد الطباع، الوجيز في أصول البحث والتأليف، منشورات وزارة الثقافة، سوريا، 2006، ص5.

² - شوقي مصطفى علي الموسوي، القيم الجمالية للأشكال الهندسية في المخطوطات القرآنية، منشورات جامعة بابل، العراق 2013، ص166.

³ - السيد الشريف الجرجاني، معجم التعريفات، تحقيق ودراسة محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة للنشر والتوزيع والتصدير القاهرة، 2004، ص45.

- التأليف يشمل كل مجالات الفكر والمعرفة والفنون بأنواعها، التشكيلية والتعبيرية.
- التأليف مرتبط بالملكات أو المواهب، والتميز الفردي، والدوافع الإبداعية منذ القدم، مع ظهور الكتابة والكتب، فالشعراء وصناع الأساطير هم مؤلفون، ولو أنهم لم يدركوا الكتابة والتسجيل¹.

- أما الكاساني فقد عرفه على أن: "الغرض الأصلي من التأليف، والمقصود الكلي من التصنيف في كل من فنون العلم، هو تيسير سبيل الوصول إلى المطلوب على الطالبين، وتقريبه إلى أفهام المقتربين"².

وعليه فالتأليف هو التجميع مثل تأليف القرآن³، وتكون أشكاله حسب أشكال أوعية المعلومات، غير أنها تكاد تنحصر في تأليف النصوص سواء كانت على شكل كتاب مخطوط أو مطبوع، أو مخزون بشكل إلكتروني أو نحو ذلك⁴، لذلك تعد كلمة التأليف في اللغة العربية من أكثر الكلمات استخداما للدلالة على تكوين الإنتاج الفكري والفني، والمرتبط بتأليف الكتب⁵.

1-2- دوافع انتشار الكتابات والمؤلفات الجزائرية خلال الفترة الحديثة

شهدت الجزائر خلال العهد العثماني نشاطا ثقافيا وأدبيا متنوعا، بما في ذلك الكتابة والتأليف في مختلف المجالات، وقد ساهمت العديد من الدوافع في ذلك خاصة أواخر الفترة العثمانية، ومنها:

¹ - محمد كمال عرفات نبهان، عبقرية التأليف العربي، علاقة النصوص والاتصال العلمي، مجلة الوعي الإسلامي، الكويت 1436هـ/2015م، ص 35-36.

² - أبو بكر مسعود الكاساني، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، تح وت: الشيخ محمد علي معوض، والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2003، ج1، ط1، ص64.

³ - عبد العزيز بن محمد السويلم، وآخرون، معجم مصطلحات العلوم الشرعية، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، السعودية 2017، ج1، ط2، ص375.

⁴ - إياد خالد الطباع، المرجع السابق، ص5.

⁵ - محمد كمال عرفات نبهان، المرجع السابق، ص 33-34.

1-2-1 - الأسباب والدوافع الداخلية

من أهم الأسباب والدوافع الداخلية التي ساهمت في انتشار الكتابة والمؤلفات الجزائرية خلال الفترة الحديثة نذكر:

* انتشار المؤسسات الدينية والثقافية

لعبت هذه المؤسسات دورا حيويا في نشر التعليم الديني واللغوي، وهذا ما ساهم في تعزيز مهارات القراءة والكتابة لدى شرائح واسعة من المجتمع الجزائري، وأدى إلى ظهور البيوتات العلمية بمختلف جهات الإيالة، والتي ساعدت على نشر الثقافة والمعارف من خلال انتشار مختلف مؤلفات ومصنفات العلماء والفقهاء والأدباء المنتسبين لها¹، ومن أهم تلك المؤسسات الدينية و الثقافية منها الجامع الكبير أو الجامع الأعظم بمدينة الجزائر²، وجامع سيدي الكتاني الذي أشرف على بنائه الباي صالح باي بقسنطينة سنة 1207هـ، وإلى جانبه مدرسته المشهورة "المدرسة الكتانية"³. ومسجد سيدي بومدين بتلمسان⁴، بالإضافة إلى بعض الزوايا مثل زاوية الشيخ عبد الرحمن الثعالبي، وزاوية الجامع الكبير، وزاوية سيدي محمد الشريف أو بما يعرف بـ "زاوية الأندلسيين"⁵.

¹ - فوزية لزغم، البيوتات العلمية بقسنطينة وبجاية في ظل الحفصيين، مجلة عصور الجديدة، الجزائر، 2014، ع13-14، ص197.

² - نصرالدين براهيم، تاريخ مدينة الجزائر في العهد العثماني، نص وتعليق: علي تابليت، منشورات ثالة، الجزائر، 2010، ص110.

³ - إبراهيم الجيلالي، قسنطينة ومساجدها، مجلة الرسالة، الجزائر، 1987، ع6، ص31.

⁴ - نصر الدين براهيم، تلمسان الذاكرة، نص سيدي محمد نقادي، منشورات ثالة، الجزائر، 2007، ص169.

⁵ - عبد القادر نور الدين، صفحات في تاريخ الجزائر (مدينة الجزائر من أقدم عصورها إلى انتهاء العهد التركي)، مطبعة البعث قسنطينة، 1965، ط2، ص ص171-176. وانظر أيضا: أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي...، المرجع السابق، ج1، ص272.

* البيوتات والأسر العلمية

ساهمت البيوتات والأسر العلمية المنتشرة في ربوع الإيالة على حمل مشعل العلم والثقافة حيث أنجبت العديد من العلماء والفقهاء والأدباء الذين تصدروا وظائف التدريس والإفتاء والقضاء¹ ومن أهم الأسر التي اشتهرت في مجال التأليف نجد أسرة "آل الفكون"، وأسرة "ابن باديس"، وأسرة "ابن عبد الجليل" بقسنطينة²، وأسرة "البوني" بعنابة والتي جمعت بين العلم والصلاح، ومن أشهر علمائها "أبو العباس أحمد بن قاسم بن محمد ساسي التميمي البوني"³. وأسرة "المشارفة" بمازونة والتي تعتبر من أشهر الأسر في الغرب الجزائري بنسبها وحسبها وعلمائها، ومن أشهرهم العالم والفقير محمد بن علي أبو طالب المشرفي المازوني الذي شارك مع مائتي طالب من مدرسة مازونة في تحرير وهران الثاني سنة 1792، وكذا نجد العالم موسى بن عيسى وابنه يحيى، أما أشهر الطلبة الذين درسوا بها نذكر: مصطفى الرماصي، ومحمد بن علي السنوسي المجاهري وأبو راس الناصر المعسكري...⁴، وتركوا لنا العديد من المؤلفات.

* ظاهرة التصوف

ساهمت هذه الظاهرة في تنشيط حركة التأليف والكتابة من خلال إثراء العلوم النقلية والعقلية بمختلف الكتب والمؤلفات، والتي تناولت جوانب التصوف مثل العقيدة، والشريعة، والأخلاق والسلوكيات، ومن أهم تلك المؤلفات نجد كتاب "البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان" لأبي

¹ - نعيمة بوكرديمي، البيوتات العلمية بمدينة قسنطينة خلال العهد الحفصي وإسهامها الثقافي، مجلة عصور الجديدة، الجزائر 2015، ع18، ص80.

² - عبد القادر نور الدين، المرجع السابق، ص219.

³ - أحمد بن قاسم البوني، الدرة المصونة في علماء وصلحاء بونة، تق وتحت: سعيد بوفلاقة، منشورات بونة، الجزائر، 2007 ص12. وانظر أيضا: أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي...، المرجع السابق، ج2، ص64.

⁴ - عبد القادر بلغيث، الحياة السياسية والاجتماعية بمدينة وهران خلال العهد العثماني، مذكرة ماجستير تاريخ وحضارة إسلامية جامعة وهران، الجزائر، 2013 - 2014، ص153. وانظر أيضا: أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي...، المرجع السابق ج1، ص44.

عبد الله محمد بن مريم المديوني التلمساني، وكتاب "الدرة المكنونة في علماء بونة" لأحمد بن قاسم البوني، وكتاب ابن عمر "لواء النصر في فضلاء العصر"¹.

ومن هنا يتجلى لنا بأن ظاهرة التصوف كانت أحد الأسباب والدوافع في تنشيط حركة التأليف والكتابة بالجزائر العثمانية، وهذا بفضل احتلال الطرق الصوفية في المجتمع الجزائري مكانة مرموقة، كان لها الدور البارز في لعب دور الوساطة بين الحاكم والمحكومين، وكما كانت عاملا موحدا بين الشعوب والأقطار المغاربية، كالطريقة القادرية، والرحمانية والطيبية، والتجانية²، والذي ساهم في انتشار المؤلفات الجزائرية³.

* تشجيع بعض الحكام العثمانيين للكتابة والتأليف

عمل العديد من البايات بإيالة الجزائر على تشجيع العلماء والفقهاء في الجانب العلمي، من خلال توفير الدعم المادي والمعنوي، وذلك ببناء المساجد، والمدارس، والزوايا، والكتاتيب والمكتبات، والتي تمثل أحد مصادر المعرفة في عملية التأليف، وكذلك تقديم الهبات وتفعيل الأوقاف وإكرام العلماء⁴. ومن أشهر هؤلاء البايات نجد: الباي صالح باي* في بايلك الشرق (1185 - 1207هـ) (1771 - 1792م)، والذي ذاع صيته في مختلف أرجاء الإيالة، وعرف عصره انتعاشا وازدهارا، ومن أهم إنجازاته بناءه للجامع الأخضر، ومدرسته المشهورة "المدرسة

1 - أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ...، المرجع السابق، ج1، ص183.

2 - صورية حصام، العلاقات بين إيالتي الجزائر وتونس خلال القرن الثامن عشر، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر جامعة وهران، الجزائر، 2012 - 2013، ص119.

3 - سليم بوتدارة، التواصل الثقافي بين الإيالات المغاربية العثمانية، مجلة العلوم الإنسانية، الجزائر، 2018، ع9، ص189.

4 - محمد الأمين شرويك، جهود محمد الكبير وصالح باي في تشجيع حركة الثقافة والتعليم في الجزائر العثمانية - على ضوء المصادر المحلية والأجنبية-، مجلة العلوم الإنسانية والحضارة، الجزائر، 2018، ع8، ص566.

* صالح باي: هو صالح بن مصطفى، ولد بمدينة أزميز سنة (1137هـ/1725م)، من أسرة متوسطة الحال، لجأ إلى الجزائر سنة 1755، تولى حكم بايلك قسنطينة ما بين (1185 - 1207هـ/1771 - 1792م) في عهد الداوي محمد عثمان، توفي سنة 1792م، انظر: أبو عمران الشيخ، ناصر الدين سعيدوني، معجم مشاهير المغاربة، المؤسسة الجزائرية للطباعة، الجزائر، 1995، ص331. وانظر أيضا: محمد الصالح بن العنتري، فريدة مؤنسة في حال دخول الترك بلد قسنطينة واستيلائهم على أوطانهم أو تاريخ قسنطينة، مصدر سابق، ص75.

الكتانية"، وكذلك إنشاءه لـ 13 زاوية، وتنشيطه لعملية الأوقاف¹، وتميزه بالإقدام والمثابرة في مشاريعه السياسية، والعمرانية، والثقافية، وانفراده بالتنظيم الإداري للمؤسسات²، وتقريبه للعلماء على غرار الشيخ عبد القادر الراشدي مفتي الحنفية، والشيخ شعبان بن جلول قاضي الحنفية، والشيخ العباسي قاضي المالكية، وغيرهم من العلماء والمشايخ³، كل ذلك ساهم في حركة التأليف والكتابة، وهذا بهدف المحافظة على العلوم الدينية والعقلية من الضياع والنسيان⁴.

* الباي محمد الكبير في بايلك الغرب (1192-1211هـ/1779-1797م)

عرفت حركة التأليف في أواخر العهد العثماني نشاطا وحركة، ويعد الباي محمد الكبير* من أشهر البيات الذين شجعوا هذا العمل الثقافي، حيث أمر باختصار الكتب المطولة، ونسخ المخطوطات النادرة، وبعثي الكتابة والتأليف في شتى العلوم، مع تكريم القائمين على ذلك من طلبة وعلماء ومشايخ، ومن بين هؤلاء تكليفه لمصطفى بن عبد الله (ابن زرفة) بتدوين أحداث الجهاد عن فتح وهران الثاني الذي ألف " الرحلة القمرية في السيرة المحمدية"⁵، ومن أهم المؤلفات التي طبعت في عصره نذكر: " باختصار كتاب الأغاني لأبي فرج الأصفهاني"، " شرح العقيدة الراشدي، وكتاب " الثغر الجمانى في ابتسام الثغر الوهراني" لأحمد بن سحنون الراشدي، وكتاب " رحلة محمد الكبير إلى الجنوب الصحراوي الجزائري" لابن هطال التلمساني، وكتاب " الزهرة النائرة

1 - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي...، المرجع السابق، ج1، ص275.

2 - عبد الجليل التميمي، سجل صالح باي للأوقاف (1185-1207هـ/1771-1792م)، تح: فاطمة الزهراء قشي، دار مداد، الجزائر، 2013، ط2، ص11.

3 - ناصر الدين سعيدي، وراثة جزائرية...، المرجع السابق، ص135.

4 - محمد الأمين شرويك، المرجع السابق، ص577.

* هو الباي محمد بن عثمان الكردي، أو الباي محمد الكبير، ولد بمليانة ما بين 1734-1739م، وتوفي يوم الأربعاء 25 جمادى الأول 1212هـ الموافق لـ 15 نوفمبر 1797م، حكم بايلك الغرب ما بين (1779-1797م)، أنظر: بلبروات بن عتو، الباي محمد الكبير باي وهران (1779-1797م): حياته وسيرته، مجلة عصور، الجزائر، جوان 2003، ع3، صص 151-158.

5 - بلبروات بن عتو، محمد الكبير ومشروعه الحضاري (1779-1797م)، رسالة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة وهران، الجزائر، 2001-2002، صص 356-358.

في ما جرى في الجزائر " لابن رقية التلمساني، وكتاب أبوراس الناصر المعسكري " عجائب الأسفار..."، و"فتح الإله.." وغيرها من المؤلفات¹.

كما كان يقدم الهبات ويجزل العطاء للعلماء والأدباء، مثل منحه مائة دينار لأحمد بن محمد بن علي بن سحنون الراشدي لتلخيصه كتاب " الأغاني" في جزء واحد، ومنحه خمسين ديناراً له لتلخيصه كتب الطب في كتاب واحد²، كذلك جمعه للعديد من النساخ والخطاطين المشهورين بهدف نسخ الكتب، وإثراء مكتبة القصر الخاصة، ومكتبة الجامع الأعظم "مسجد الباي محمد الكبير" بمدينة وهران، وهذا بغرض المطالعة والحفاظ على تلك المؤلفات الدينية والأدبية³.

إضافة إلى وجود بعض الأسباب والدوافع الأخرى منها الدينية والسياسية والشخصية التي ساهمت في تنشيط حركة التأليف، فمثلاً ابن العنابي في مؤلفه "السعي المحمود في نظام الجنود" كان الدافع وراء تأليفه خدمة الأمة الإسلامية ومستقبلها⁴، أما حمدان خوجة فقد ألف كتابه "المرآة" بهدف التعريف بالقضية الجزائرية والدفاع عن حقوق الجزائريين بطرق سلمية، من خلال إبداء رأيه ومواقفه من الاحتلال⁵، وكما نجد التنافس بين العلماء والذي كان من بين أبرز الدوافع في تنشيط حركة التأليف خلال الفترة العثمانية، خاصة في محاربة مظاهر الرشوة، وتدني الأخلاق بالمجتمع الجزائري، وانتشار الجهل، والتساهل في أمور الدين، وهذا ما قام به كل من ابن الفكون عند تأليفه

¹ - عبد القادر بالعربي، الباي محمد الكبير ومنجزاته التعليمية والدينية في بايلك الغرب، مجلة هيرودوت للعلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة سكيكدة، الجزائر، 2023، مج7، ع25، ص48.

² - أحمد بن محمد بن علي ابن سحنون الراشدي، الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، تح: المهدي البوعبدلي، دار المعرفة، الجزائر، 2013، ص72.

³ - أحمد توفيق المدني، محمد بن عثمان باشا داي الجزائر (1766-1791)، المؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع والطباعة الجزائر، 1986، ص142.

⁴ - الطاهر قاسمي، كتابات المؤرخين المغاربة خلال العهد العثماني، مجلة الإنسان والمجال، المركز الجزائري نور البشير بالبيض، الجزائر، أبريل 2017، ص47.

⁵ - رقية شارف، الكتابات التاريخية الجزائرية الحديثة خلال القرن 18 وبداية القرن 19 (دراسة تحليلية نقدية)، دارالملكية، الجزائر، 2007، ص172.

"منشور الهداية في كشف حال من يدعى العلم والولاية"، وكان الدافع من وراء تأليفه محاربة ظاهرة الدجل وأشباه العلماء، وإصلاح المجتمع¹.

1-2-2- الأسباب والدوافع الخارجية:

تحكمت العديد من الأسباب والدوافع الخارجية في تنشيط حركة التأليف في الجزائر خلال العهد العثماني، والتي ساهمت في إثراء المكتبات الوطنية أو مكتبات العالم العربي والإسلامي، وهذا من خلال انتقال العلماء والمعارف والمؤلفات من وإلى الجزائر، ومن أبرز تلك الأسباب والدوافع نذكر:

* التواصل الثقافي مع الشعوب العربية والإسلامية خلال الفترة العثمانية

يعتبر عامل الجوار بين أقطار الإيالات المغاربية الثلاث (الجزائر تونس طرابلس الغرب) والمغرب الأقصى عنصرا هاما في بلورة العلاقات المتعددة، والتي شملت مختلف المجالات، ومن بينها تمتين أواصر التواصل الثقافي بين شعوبها، والذي ساهم في تنشيط حركة التأليف وإرساء معالم الثقافة المغاربية، وهذا من خلال السماح لفئة العلماء والطلبة بالتنقل بين حواضرها وزواياها التعليمية بهدف الإفادة والاستفادة، ونتج عن هذا التواصل بين الجزائر والأقطار العربية والإسلامية إنتاجا وفيرا في جل المجالات العلمية والدينية (النحو، البلاغة، العروض، المنطق، الطب، الفلك، الفقه، التوحيد، القراءات، الحديث...) ².

كما لعبت الرحلات دورا كبيرا في مد أواصر التواصل الثقافي بين الشعوب العربية والإسلامية خلال الفترة العثمانية، والتي ساهمت بشكل مباشر في تنشيط حركة التأليف سواء كانت هذه الرحلات علمية أو دينية، ومن أهم تلك الرحلات نذكر: "رحلة ابن حمادوش"، و"رحلة الورتيلاني"، و"رحلة ابن عمار"، و"رحلة أبي راس الناصر المعسكري"، وغيرها من الرحلات الجزائرية التي

¹ - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي من القرن 10 إلى القرن 14 (16-20م)، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية الجزائر، 1985، ج1، ص414.

² - عمار بن خروف، العلاقات السياسية بين الجزائر والمغرب في القرن العاشر الهجري والسادس عشر ميلادي، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2006، ص139.

ساهمت في إثراء المكتبات الوطنية بنفائس الكتب العلمية وأمّياتها، وهذا من خلال نسخها أو شرائها أو تبادل المصنفات¹.

من هنا يتجلى لنا بأن التواصل الثقافي بين إيالة الجزائر والأقطار العربية والإسلامية سواء كان عن طريق الرحلات العلمية أو الدينية أو لطلب الرزق، كان له الأثر البالغ في إقامة العلاقات المختلفة بين شعوبها، والتعريف بمختلف الحواضر والمسالك المؤدية إليها، وذكر أهم علومها وعلمائها وأعلامها، وهذا ما ساهم في حركة التأليف والكتابة في تلك الفترة.

* قدوم الأندلسيين إلى إيالة الجزائر

يعد قدوم الأندلسيين الفارين من بطش الإسبان إلى إيالة الجزائر من أهم الأسباب والدوافع في تنشيط حركة التأليف والكتابة بالإيالة خلال العهد العثماني، وهذا بحكم احتكارهم لميدان التعليم في الجزائر، خاصة في الحواضر الكبرى بالإيالة².

من أهم العلماء الأندلسيين الذين نشطوا حركة التأليف بإيالة الجزائر نذكر: سيدي محمد بن إبراهيم بن أحمد بن موسى النيقرو (ت 1152هـ/1739م)³، والشاعر والعالم "أحمد بن عمار" (ت 1114هـ/1731م) صاحب التأليف المتعددة منها: "لواء النصر في فضل العصر" في موضوع التراجم، و"ديوان الشعر في المدائح النبوية"، وكتابه المشهور بـ "نحلة اللبيب في الرحلة إلى الحبيب"، وغيرها من كتب الحواشي والشروح⁴، وكذلك نجد الشيخ والفقير "الحاج محمد بن الشاهد" (ت 1206هـ/1792م) الذي ترك العديد من القصائد الشعرية في الجانب السياسي، والتي تناول فيها الاضطرابات السياسية بالإيالة جراء الحملات الصليبية على سواحلها⁵ وغيرهم من العلماء

¹ - سليم بوطدارة، المرجع السابق، ص 185.

² - عبد الرحمن الثعالبي، حياته وأعماله، تح: محمد فؤاد الخليل القاسمي الحسني، عالم المعرفة، الجزائر، 2011، ص 25.

³ - حسين بن رجب شاوش ابن المفتي، تقييدات ابن المفتي في تاريخ باشوات الجزائر وعلمائها، تح: فارس كعوان، بيت الحكمة الجزائر، 2009، ط 1، ص 110.

⁴ - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي...، المرجع السابق، ج 2، ص ص 229-230.

⁵ - سميرة انساع، الأغراض الشعرية في مدينة الجزائر أثناء العهد العثماني، مجلة جيل الدراسات الأدبية والفكرية، الجزائر 2017، ع 35، ص 86.

الذين ساهموا في إثراء المكتبات العامة والخاصة بإيالة الجزائر، وهذا ما تحدث عنه التمرقوتي في رحلته إلى الجزائر أواخر القرن 10هـ/17م، حيث قال: "وطلبة العلم فيها لا بأس بهم...، والكتب فيها أوجد من غيرها في بلاد إفريقية...، وتوجد فيها كتب الأندلس كثير...¹ وكان النسخ يتم بالخط الأندلسي².

وصفوة القول إن احتكاك الأندلسيين وهجرتهم إلى إيالة الجزائر وانتشارهم في الحواضر الكبرى بالجزائر كان عاملا في دفع الحركة الثقافية بها، خاصة في مجال التأليف والكتابة.

* أداء شعيرة الحج

يعتبر الدافع الديني المتمثل في أداء فريضة الحج من أهم الدوافع المساهمة في التأليف والكتابة عند الجزائريين خلال العهد العثماني، حيث كان الحج بمثابة رحلة علمية وثقافية أتاحت للعلماء والأدباء والمشايخ والطلبة الجزائريين فرصة للتزود بالمعارف، ومناسبة للاحتكاك بالعلماء الوافدين والمتواجدين بالبقاع المقدسة، لذلك كان موسم الحج ندوة ثقافية علمية ودينية تنشط فيها حركة التأليف ونسخ الكتب، وهذا ما ساهم في التبادل الفكري والثقافي بين علماء العالم الإسلامي³، بالإضافة إلى توقف الرحالة الجزائريين بالعواصم العربية لأخذ العلم أو تدريسه، مثل الزيتونة بتونس، وطرابلس، والإسكندرية، وجامع الأزهر بالقاهرة، الحرمين الشريفين، ودمشق، والقدس، وبغداد، وصولا إلى إسطنبول، فكان هؤلاء الرحالة يسجلون ملاحظاتهم في مؤلفات عرفت بالرحلات الحجازية⁴.

¹ - مولاي بلحميسي، الجزائر من خلال رحلات المغاربة...، مرجع سابق، ص32.

² - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي...، المرجع السابق، ج2، ص286.

³ - أرزقي شوتيام، المجتمع الجزائري وفعالياته في العهد العثماني (926-1246هـ/1519-1830م)، دار الكتاب العربي للطباعة النشر والترجمة، الجزائر، 2009، ص47.

⁴ - أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ...، المرجع السابق، ج4، ص177.

انسجاما مع المقصد العلمي الموازي للمقصد الديني، فقد حرص الحجاج الجزائريون على الحصول على أكبر قدر من أمهات ونفائس الكتب، وهذا بهدف نسخها أو استخدامها في تأليفهم المتعددة، بغرض إثراء المكتبات العامة أو الخاصة بالإيالة خلال الفترة العثمانية¹.

1-3- مجالات الكتابات التاريخية في الجزائر خلال العهد العثماني

تعتبر المؤسسات العلمية إحدى الدعامات الأساسية التي أسهمت في بروز جيل من العلماء في مختلف الأصناف والفروع العلمية، والذين تميزوا بالتفوق والنبوغ في مسيرتهم العلمية الحافلة بالعطاء، حيث ساهموا مساهمة فعالة في إثراء الحياة الثقافية والفكرية في الجزائر خلال الحقبة العثمانية، وهذا من خلال تنوع مجالات كتاباتهم بين مؤلفات في السير، والتراجم، والمذكرات الشخصية، وكتب الرحلة، والتي عملت على تنشيط حركة التدوين والتأليف في تلك الفترة، ومن أهم مجالات الكتابات التاريخية نذكر:

* السيرة النبوية

ألف الجزائريون العديد من المؤلفات، ونظموا الأشعار والأراجيز في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم، وذلك باعتبار أن التأليف في السيرة النبوية جزء من التاريخ الإسلامي². ومن أهم العلماء الجزائريين الذين خاضوا في هذا المجال نذكر: أحمد بن محمد البجائي التلمساني، المكنى بأبي العباس ومؤلفه "شرح القصيدة الشقراطية"، ومحمد المغول بوعبدل المكنى بأبي عبد الله وقصيدته المشهورة التي ضمت 70 بيتا، وأحمد بن قاسم البوني، وتأليفه لكتاب "تنوير السريرة بذكر أعظم سيرة"³، وغيرها من المؤلفات.

¹ - سليمان دهان، تنظيم ركب الحج الجزائري خلال العهد العثماني بين تلبية المقدس والتواصل الحضاري، مجلة أفكار وآفاق، جامعة الجزائر 2، الجزائر، 2017، ع9، ص64.

² - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي...، المرجع السابق، ج2، ص ص323-325.

³ - عبد الحي الكتاني، فهرس الفهارس والإثبات ومعجم المعاجم والمشيوخات والمسلسلات، اعتناء: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2013، ج1، ط4، وانظر أيضا: أبو القاسم محمد الحفناوي، تعريف الخلف برجال السلف، مطبعة بيبير فونتانا الشرقية، الجزائر، 1906، ص ص523-531.

* علوم القرآن

تشتمل علوم القرآن على العديد من الفروع، وأبرزها علم التفسير الذي يعد موضوع القرآن من ناحية شرحه ومعناه، وعلم القراءات الذي يعتبر موضوع القرآن¹، ومن أهم المؤلفات الجزائرية في علم التفسير كتاب "الدر النظيم في فضل آيات القرآن الكريم" لأحمد بن قاسم البوني، وكتاب "الجواهر الحسان في تفسير القرآن" لعبد الرحمن الثعالبي وغيرها²، أما التأليف في القراءات خلال العهد العثماني فكان أقل من التفسير، ومن أبرز تلك المؤلفات نجد كتاب "الطراز في شرح الخراز" لمحمد بن عبد الله بن عبد الجليل التنسي³.

* علوم الحديث

يعد علم الحديث من أهم العلوم التي ألف فيها الجزائريون العديد من المؤلفات خلال العهد العثماني⁴، وهذا لاهتمامهم به تدريسا وتأليفا وإجازة ورواية، والسبب في ذلك يعود إلى صلته بالدين والتصوف، وكذا الاعتماد على الحفظ، ومن أشهر مؤلفي الحديث في الجزائر أواخر العهد العثماني عبد الرزاق ابن حمادوش الذي تولى سرد صحيح البخاري في الجامع الكبير بالعاصمة وأحمد بن عمار وأبو راس الناصر الذي يعد من أكثر العلماء إنتاجا في عصره⁵، ومن بين مؤلفاته نذكر: "السيل الفسيح الجاري في شرح صحيح البخاري" في أربعة أسفار، و"مختصر المعلم في شرح مسلم" في ثلاثة أسفار، و"مناعم الشفا" في سفرين، و"نزهة الفضائل في شرح الشمائل"..⁶

1 - رحيمة قليل، العلوم الدينية في الجزائر أواخر العهد العثماني (علوم القرآن نموذجا)، مجلة الحوار المتوسطي، جامعة جيلالي اليابس، سيدي بلعباس، الجزائر، 2021، مج12، ع1، ص421.

2 - محمد بن الحسن الحجوي، فهرس المخطوطات العربية، المكتبة الوطنية، الدار البيضاء، 2009، مج8، ط1، ص18.

3 - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي...، المرجع السابق، ج1، ص120.

4 - سامي سوالي، الحياة الثقافية في الجزائر في عهد الداوي محمد بن عثمان (1766-1791م)، مجلة الباحث، جامعة الجزائر 2 الجزائر، 2023، مج15، ع2، ص364.

5 - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي...، المرجع السابق، ج2، صص25-26.

6 - يحيى بوعزيز، موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر والعرب، دار الهدى، الجزائر، 2013،

*التراجم

شمل هذا النوع تراجم الرجال والعلماء والصلحاء، وينقسم إلى تراجم عامة، وتراجم خاصة ومن بين مؤلفات التراجم العامة كتاب "الفلك الكواكبي" لعبد الله بن محمد المغوفل، وهو رجز في تراجم صلحاء وأولياء منطقة الشلف¹، وكتاب "سبيكة العقيان فيمن حل في مستغانم وأحوالها من العلماء والأعيان" وهو عبارة عن أرجوزة شعرية تضم تراجم علماء وصلحاء مدينة مستغانم² وكتاب "منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية" لعبدالكريم بن محمد بن عبد الكريم الفكون وهو ترجمة لأكثر من سبعين من العلماء والمتصوفة الحقيقيين، والعلماء الذين عرفوا بالدروشة والدجل³.

أما التراجم الخاصة فقد عنيت بالترجمة الشخصية لأبرز الشخصيات بإيالة الجزائر خلال العهد العثماني، ومنها ترجمة الصباغ لأحمد بن يوسف الملياني الذي ذكر مناقبه وكراماته في كتاب "بستان الأزهار في مناقب زمزم الأخبار ومعدن الأنوار"⁴، وكتاب "مسك الحبوب في بعض ما نقل من أخبار أبي أيوب" لمحمد بن أحمد الشريف الجزائري، والذي تناول فيه ترجمة لأبي أيوب الأنصاري⁵.

صفوة القول، أن حركة التأليف والكتاب بالجزائر خلال العهد العثماني شملت العديد من المجالات، والتي تضمنت مختلف العلوم سواء النقلية والمتمثلة في العلوم الشرعية كالحديث والتفسير، والفقه، وما له علاقة بالأدب والتاريخ، أو العلوم العقلية من طب، وفلك، ومنطق

1 - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي...، المرجع السابق، ج2، ص116.

2 - أبو القاسم محمد الحفناوي، تعريف الخلف برجال السلف، مطبعة بيبير فونتانا الشرقية، الجزائر، 1906، ج2، ص374.

3 - ابن القاضي المكناشي، درة الحجال في غرة أسماء الرجال، تح وتبع: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2002، ط1، ص360.

4 - أحمد الحمدي، مخطوطة بستان الأزهار في مناقب زمزم الأبرار ومعدن الأنوار -مقاربة منهجية وتاريخية-، المجلة الجزائرية للمخطوطات، جامعة وهران، الجزائر، 2009، ع10، ص10.

5 - إسماعيل باشا البغدادي، هدية العارفين -أسماء المؤلفين وآثار المصنفين مستكشف الظنون-، دار الفكر، بيروت، لبنان، 1982، مج 6، ص319.

وحساب، والتي عرفت رواجاً وازدهاراً كبيراً أواخر العهد العثماني، وهذا بسبب تشجيع بعض الحكام العثمانيين للعلم والعلماء، ومساهمة مهاجري الأندلس في دفع حركة التأليف والحياة الفكرية بالإيالة، والذي ساهم في تنوع المؤلفات وكثرتها، خاصة في مجال العلوم الشرعية.

2- المذكرات الشخصية

2-1- المدلول اللغوي والاصطلاحي

2-1-1- المدلول اللغوي

جاء في مختار الصحاح في مادة (ذ ك ر) أنا الذَّكْرُ و(الذِّكْرَى) و(الذِّكْرَة) تعني (ضد النسيان)، و(الذِّكْرُ) تعني (الصيت والثناء)¹، ومُذَكَّرَة كلمة أصلها في صورة مفردة مذكر وجدرها (نكر) وجذعها (مذكر)، وتحليلها (مذكر+ة).

أما ابن منظور فقال: (الذِّكْرُ والذِّكْرَى) تعني (نقيض النسيان)، و"تذكر ماء نسيته وذكرت الشيء بعد النسيان"، و"الصيت والثناء"².

كما جاء في المعجم الوسيط بأن (مُذَكَّرَة) هي صيغة مؤنث لفاعل ذَكَرَ، وهي دفتر صغير يُلوَّنُ به ما يراد تذكره، والمذكرات هي جمع مذكرة، وهي ما يرويه شخص خطياً من أحداث شهدها بنفسه، أو تتعلق بسيرته وحياته العامة أو اليومية³.

2-1-2- المدلول الاصطلاحي

تعتبر المذكرات الشخصية مصدراً مهماً في الكتابة التاريخية للأفراد والمجتمعات، لذلك تعددت المفاهيم الخاصة بهذا المصطلح، ومنها:

• عرف ناصر الدين سعيدوني المذكرات الشخصية على أنها: "صنف من الأصول الأصلية والتي تعتبر مصدراً أولياً ومرجعاً من الطراز الأول، لأن كاتبها يكون بمثابة شاهد على التاريخ

¹ - محمد بن أبي بكر عبد القادر الرازي، المصدر السابق ص 93.

² - ابن منظور، المصدر السابق، ص 1507-1508.

³ - إبراهيم مصطفى وآخرون، المرجع السابق، ص 313.

ولأنه لا يحتمل الكذب، لكون أوراقه بمثابة وثائق وضعت لذاتها، ولم تكتب بغرض أن تكون شاهدة على التاريخ، وهي ضمن قسم الآثار المكتوبة¹.

• عرفها عبد العظيم رمضان على أنها: "كل ما روي أو دون من وقائع بهذه الصفة، سواء سجل في وقته ويومه أم سجل بعد أن أصبح ذكرى، وبمعنى آخر: "يقصد بها اليوميات والذكريات المدونة أو المروية والسيرة الذاتية"².

• أما مداني واضح فعرفها على أنها: "تلك الكتابات التي كتبها أشخاص لهم صلة بحكم البلاد، أو حكموها سابقا، أو كان لهم إسهام وفعل في حادثة تاريخية معينة، عايشوها من قريب أو بعيد، فهي تكملة لتلك الوثائق في سد الثغرات والفجوات للأحداث التاريخية"³.

• وتعرف المذكرات الشخصية على أنها: "تدوين شخصيات عاشت أحداثا مختلفة لمعطيات ومعلومات عن سيرتهم الذاتية ضمن حدث عايشوه، وعليه فالمذكرات الشخصية لها صلة وثيقة بالسيرة الذاتية، والفرق بينهما أن السيرة الذاتية سرد قصصي يتناول فيه الكاتب قصة حياته ويسجل فيها كل أخباره وإنجازاته، بينما المذكرات الشخصية فهي نوع من العمل الأدبي الذي يكتبه المؤلف عن حياته، متبعا تسلسل الأيام والأحداث والوقائع، وما عايشه من مشاكل في عصره"⁴.

• بينما عرفها فاتح رجب قدارة على أنها: "جنس تاريخي يحكي فيه الكاتب وقائع الحياة العامة التي كان شاهدا عليها، أو كان له دور ما فيها"⁵.

¹ - ناصر الدين سعيدوني، أساسيات منهجية التاريخ، دار القصة (ن. ط. ت)، الجزائر، 2000، ص39.

² - عبد العظيم رمضان، مذكرات الزعماء السياسيين في مصر (1891-1981)، مكتبة مدبولي، القاهرة، مصر، 1989، ط2، ص21.

³ - مداني واضح، أهمية المصادر التاريخية عند المؤرخ، مجلة القرطاس، جامعة الجزائر2، الجزائر، نوفمبر 2018، ع10، ص155.

⁴ - محمد التوحي، المعجم المفصل للأدب، دار الكتب العصرية، بيروت، لبنان، 1993، ج2، ص536-538.

⁵ - فاتح رجب قدارة، التأريخ للأحداث المعاصرة من خلال المذكرات والشهادات الشخصية (الأهمية والمحددات البحثية) (الحالة الليبية أنموذجا)، مجلة أسطورة، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ليبيا، جويلية 2017، ص82.

• أما هنري علاق فعرفها على أنها: "سرد وتأمل الماضي الذي يتقاطع مع الحاضر، والذي يرويهِ أشخاص كانوا منظمين، أو أطراف، أو هم أصحاب القرار في فترة من الفترات، والتي تتطلب الكتابة في ذلك نظرا لأهميتها، وقيمتها لدى الأمة"¹.

من خلال المفاهيم السابقة نستنتج بأن المذكرات الشخصية هي نوع من الكتابة الذاتية التي يدون المؤلف من خلالها أحداث حياته اليومية، وأفكاره، ومشاعره على دفتر خاص، وكذا وسيلة في فهم الأحداث والوقائع التي عاشها في مجتمعه الأصلي، أو في المجتمعات التي ارتحل إليها بسبب ظروف خاصة، وبالتالي فهي إحدى المرجعيات الإنسانية والمصادر الهامة في كتابة التاريخ.

2-2- أهمية المذكرات الشخصية في كتابة التاريخ

تكتسب المذكرات الشخصية أهمية كبيرة في الدراسات التاريخية وكتابة التاريخ سواء الوطني أو التاريخ العام، وتتجلى لنا أهميتها فيما يلي:

• تعد المذكرات الشخصية إحدى منابع التي يعتمد عليها الباحث في دراسته التاريخية وتدوين الحقائق التاريخية، وهذا باعتبارها أنها تغطي فترة زمنية معينة، وتحمل في طياتها وثائق هامة بها معلومات تاريخية مهمة تساعد المؤرخ على سد بعض الفجوات لبعض الوقائع والأحداث التاريخية².

• تعتبر المذكرات مصادر حية ونادرة، وهذا في كونها تقدم للباحث معلومات وشهادات حية لصاحبها الذي تفاعل مع أحداث عصره، وقام بكتابتها بلغة متمتزة بالعواطف والصدق تجاه بعض القضايا، ويظهر لنا ذلك في كتابات حمدان بن عثمان خوجة في ثلاثينيات القرن التاسع عشر

¹ - هنري علاق، مذكرات جزائرية (نكريات الكفاح والأمل)، دار القصة للنشر، الجزائر، 2017، ط1، ص ص5-7.

² - يمينة بن رحال، المرجع السابق، ص222.

وكتابه "المرآة"، وما يتضمنه من معلومات حول أوضاع الجزائر عشية سقوطها في يد المحتل الفرنسي¹.

• تأتي المذكرات الشخصية في الدرجة الثانية بعد الوثائق الأرشيفية، لأنها تقدم لنا معلومات لا يمكن للوثائق التاريخية الأخرى أن تشير لها، ولا سيما مشاعر وأحاسيس أصحابها، بمعنى آخر إظهار الجانب النفسي والإنساني الذي لا يمكن للوثائق البوح به².

• المذكرات الشخصية مصدر من المصادر المحلية التي يعتمد عليها المؤرخ في أبحاثه ودراساته، لأنها تضم معلومات ومعطيات حول أحداث ووقائع تاريخية، كتبها أحد صناع التاريخ، وقام بتحريرها بعض المترجمين والمحللين للأحداث التاريخية³، وبالتالي فهي من الوسائل الحديثة التي تساهم في توثيق المعلومات لحقبة زمنية معينة عاش أصحابها تلك الأحداث والوقائع، وبهذا تساهم المذكرات في حفظ الذاكرة الوطنية للشعوب⁴.

• تكتسي المذكرات الشخصية أهمية بالغة في توثيق الأحداث والوقائع التاريخية، وذلك لاحتوائها على معلومات موثوقة، وهذا بحكم اعتمادها على الوثائق والمستندات الرسمية للدولة حيث نجد بأن جل مؤلفيها وكتابها كانوا من المقربين أو شغلوا مناصب قيادية بالسلطة، وهذا ما سهل عليهم الاطلاع على تلك الوثائق الرسمية، واستخدامها بطريقة أو بأخرى في كتابة وصنع تاريخ بلدانهم وبدرجات متفاوتة⁵.

¹ - دليلة عماري، المذكرات والكتابات الشخصية عند الأوروبيين والمسلمين خلال الفترة الوسيطة والحديثة، مجلة البحوث والدراسات الإنسانية، جامعة 20 أوت 1955، سكيكدة، الجزائر، 2022، مج 16، ع 1، ص 577.

² - أحمد إسماعيل ياغي، مصادر التاريخ الحديث ومناهج البحث فيه، مكتبة العبيكان، (كتاب إلكتروني)، الرياض، السعودية، 1999، ص 38.

³ - مداني واضح، المرجع السابق، ص 156.

⁴ - فاطمة درعي، أهمية المذكرات الشخصية في كتابة تاريخ الثورة التحريرية، مذكرات معسكر - الجزائر (علي كافي أنموذجا) مجلة الثقافي، جامعة مصطفى إسماعيل، معسكر، الجزائر، 2022، مج 11، ع 1، ص 291.

⁵ - أحمد إسماعيل ياغي، المرجع السابق، ص 39.

من هنا نتجلى لنا بأن المذكرات الشخصية هي إحدى المصادر الهامة التي يعتمد عليها المؤرخ في تدوين الأحداث والوقائع التاريخية الخاصة بتاريخ وطنه بصفته خاصة، والتاريخ العام بصفة عامة، وهذا باعتبارها مادة دسمة في كشف الحقائق والأبعاد التي لم يتم التحدث عنها أو تناولها في الدراسات الأخرى.

ختاما يتبين لنا أن المصادر المحلية الجزائرية خلال العهد العثماني تمثل عنصرا محوريا ومادة تاريخية أساسية في فهم طبيعة الحياة بإيالة الجزائر الداخلية وعلاقاتها الخارجية، حيث لعبت هذه المصادر على اختلاف أنواعها دورا في توثيق مختلف جوانب الحياة اليومية من علاقات اجتماعية واقتصادية، وثقافية ودينية، وهذا ما جعلها مفتاحا لفهم تفاعل المجتمع الجزائري مع النظام العثماني وممارساته.

كما أن تنوع هذه المصادر من كتب الرحالة، والوثائق الأرشيفية في سجلات المحاكم الشرعية والمخطوطات، والمراسلات الرسمية، والكتابات والمذكرات الشخصية يعد خطوة ضرورية في البحث التاريخي نحو كتابة تاريخ جزائري أكثر ارتباطا بالواقع المحلي، وأقل اعتمادا على النظرة الاستشراقية والروايات الاستعمارية.

الفصل الثاني: الرحلات الجغرافية أواخر العهد العثماني

(القرنين 18م وبداية القرن 19م أنموذجا)

مقدمة الفصل

أولاً: رحلة ابن حمادوش خلال القرن 18م

ثانياً: رحلة الحسين بن محمد الورثيلاني خلال القرن 18م

ثالثاً: رحلة الشيخ أبي راس الناصر العسكري مع مطلع القرن 19م

رابعاً: رحلة عبد الرحمان بن إدريس التنيلاي بداية القرن 19م

خاتمة الفصل.

— الفصل الثاني: الرحلات الجزائرية أواخر العهد العثماني (القرنين 18م وبداية القرن 19م أنموذجا) —

الرحلات بمجموعها سجل حقيقي لمختلف مظاهر الحياة لكونها تمنح المؤرخ والجغرافي مادة دسمة وتساعد على فهم الأحداث والوقائع المراد ودراستها زمانا ومكانا، وذلك بحكم أنها رصيد حقيقي لشاهد عيان للأحداث، أو مدون وناقل لها عن أناس اشتركوا فيها أو شاهدوها.

وتدوين الرحلة له قيم متعددة ذلك باعتبارها من أهم الفنون الأدبية التي تبرز شخصية الرحالة وما تقدمه من معارف علمية وجغرافية وتاريخية واجتماعية واقتصادية وغيرها، والتي تساهم في عملية الثقافة، وهذا ما جعل العلماء المسلمين على مر العصور يقدمون خدمات جليلة في دراسة أحوال البلاد العربية من مختلف نواحيها، ومن بينهم الرحالة الجزائريين خلال العهد العثماني الذين كتبوا رحلاتهم مبسطة ومختصرة، منشورة ومنظومة خاصة خلال القرن 18م، وبداية القرن 19م وبهذا أصبحت رحلاتهم سواء الحجية أو العلمية سجلا تاريخيا حافلا بالمعطيات، والإشارات التي أعطت سورة دقيقة عن المجتمعات الإسلامية خلال هذه الفترة.

أولاً: رحلة ابن حمادوش خلال القرن 18م

تعتبر رحلة ابن حمادوش من أهم الرحلات الجزائرية التي أُلِّفت في القرن الثامن عشر الميلادي، وهي من المصادر المحلية الجزائرية النادرة التي تسلط الضوء على الواقع الاجتماعي والثقافي والعلمي في الجزائر والبلدان العربية خلال العهد العثماني، وهذا ما يجعلها وثيقة تاريخية ذات قيمة علمية ودينية تساعد الباحثين والمؤرخين على دراسة الحياة الفكرية والعلاقات الحضارية في تلك الفترة.

1- التعريف بصاحب الرحلة

1-1- أصله وميلاده

هو عبد الرزاق بن محمد بن محمد المعروف بابن حمادوش¹، المكنى بأبو الحسن الجزائري الدار، الأشعري العقيدة، المالكي المذهب، الشريف النسب²، مؤرخ ونسابة، وطبيب، ورحالة وصيدلي، وموسوعي³، فهو رجل شريف من آل بيت النبوة، ورجل علم، وقلة ذات اليد، وهذا حسب شهادة شيخه أحمد الورززي للكاتب القائم بمصالح الجباية بمرسى تيطوان⁴. ولد عبد الرزاق ابن حمادوش بمدينة الجزائر سنة 1107هـ/1695م، وفي هذا يقول: "ثم ألَّجه أحمد عام 1107هـ سبعة ومائة وألف، وفي هذه السنة في رجب كانت ولادتي"⁵، وأشار في العديد من المواضع إلى تاريخ ميلاده، ومنها: "افتتحت سنة 51 عجمية من ولادتي..." ومعنى ذلك أنه ولد في سنة 1107هـ/1695م⁶.

1 - عبد الرزاق ابن حمادوش، لسان المقال في النبأ عن النسب والحسب والحال المعروفة بـ "رحلة ابن حمادوش"، تق وتحت وتنع: أبو القاسم سعد الله، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 1983، ج2، ص9.

2 - عبد القادر بكاري، المرجع السابق، ص237.

3 - عادل نويهض، المرجع السابق، ص192.

4 - عبد القادر بكاري، منهج الكتابة التاريخية عند المؤرخين الجزائريين في العهد العثماني (1519-1830م)، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث، جامعة وهران، الجزائر، 2016/2015، ص222.

5 - عبد الرزاق بن حمادوش، المصدر السابق، ص226.

6 - عبد القادر بكاري، منهج الكتابة عند المؤرخين...، المرجع السابق، ص223.

1-2- نشأته وتعلمه

نشأ في مدينة الجزائر ودرس بها العلوم الشرعية من فقه، أدب، تصوف، توحيد، وتقلد العديد من الوظائف الدينية، ثم اشتغل بالتجارة فكان يمتلك دكانا للأقمشة بمدينة الجزائر¹، وكانت أسرته تتمتعن حرفة الدباغة، وعرف أبوه بالحاج محمد الدباغ، بالإضافة إلى ممارسته العديدة من الحرف مثل: تجليد الكتب ونسخها²، وكما كان ميالا للجانب العلمي، فدرس العلوم الطبية والرياضيات والفلك، وغيرها من العلوم³.

عانى في حياته من الضيق والفقر، وهذا ما جعله مضطرا للهجرة إلى طلب العلم والرزق عن طريق التجارة، غير أنه لم يوفق في الجمع بين التجارة والعلم بسبب عدم مفارقتها للكتب حسب ما ذكره⁴.

تزوج مرتين، الأولى من ابنة عمه فاطمة بنت الحاج أحمد الدباغ أوائل شعبان عام 1125هـ/1713م، أما الثانية فكانت من زهرة بنت محمد الصفار أوائل شوال من عام 1153هـ/1740م⁵، والتي أنجبت له ولدان هما الحسن والحسين، حيث توفي أحدهما وهو صغير ولم يكن سعيدا في زواجه ولا مع أسرته (أمه وأخته) بسبب فقره من جهة، ولانشغاله بالكتب وطلب العلم من جهة أخرى⁶.

سافر في العديد من المرات والمناسبات إلى المغرب الأقصى والمشرق من أجل طلب العلم والتجارة، ومن بينها أداء فريضة الحج مرتين، الأولى سنة: (1125هـ/1713م)، والثانية سنة: (1130هـ/1718م)، كما انتقل إلى المغرب الأقصى مرتين على الأقل ما بين سنوات (1145هـ

¹ - عبد الرزاق بن حمادوش، المصدر السابق، ص ص9-11.

² - فريدة مقلاتي، صورة الآخر المغربي في رحلة ابن حمادوش المسماة "لسان المقال في النبأ عن النسب والحسب والحال"، مجلة إشكالات في اللغة والأدب، المركز الجامعي بتمنراست، الجزائر، 2019، مج8، ع4، ص444.

³ - عبد القادر بكاري، عبد الرزاق ابن حمادوش...، المرجع السابق، ص237.

⁴ - حنيفي هلايلي، المرجع السابق، ص257.

⁵ - عبد القادر بكاري، منهج الكتابة...، المرجع السابق، ص224.

⁶ - أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء...، المرجع السابق، ج1، ص223.

— الفصل الثاني: الرحلات الجزائرية أواخر العهد العثماني (القرنين 18م وبداية القرن 19م أنموذجا) —

و1156هـ)¹، وقد أطل فيه الإقامة واصفا نشاطه هناك، وكذا اكتسابه علما غزيرا، لكن تجارته أوشكت على الكساد والهلاك كما قال بذلك².

قام بتسجيل ملاحظاته وإجازاته وأحكامه ومشاهداته في كتابه الرحلة، حيث قال عنه ابن سودة: أنه يقع في مجلدين، أطل فيه وصف المغرب، وبلغني إن منها نسخة بالخرانة الكتانية بفاس³.

بعد عودته من المغرب الأقصى تقلد العديد من الوظائف، ومن أهمها اشتغاله بالجامع الكبير بمدينة الجزائر في مجال تدريس البخاري⁴.

اعتمد في كتابته أسلوبا مغائرا لما عرف به معاصروه من أمثال محمد بن ميمون وأحمد بن عمار، والمفتي بن علي، وهذا ما جعل كارل بركلمان يعتبره عالم حساب وفلك وطبيبا⁵، وما ميزه عن غيره ميله إلى العلوم الرياضية والطبية، وكذا براعته بعلم الفقه والنحو والتصوف والأدب والتاريخ⁶، وما ميزه أيضا عن غيره أنه كان عصاميا في تعلمه.

عاصر ابن حمادوش العديد من الأحداث سواء بإيالة الجزائر أو بالعالم، ومنها استقلال الجزائر عن الدولة العثمانية وفتح وهران الأول، وتسلب اليهود الاقتصادي على مستوى العالم الإسلامي، والصراع الجزائري التونسي، والكثير من الأحداث التي شهدتها العالم...⁷

1 - ناصر الدين سعيديوني، من التراث التاريخي والجغرافي للغرب الإسلامي "تراجم مؤرخين ورحالة جغرافيين"، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1999، ط1، ص432.

2 - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي المراجع السابق، ج2، صص 426-427.

3 - عبد السلام ابن سودة، دليل مؤرخ المغرب الأقصى، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1418هـ/1997م، ط1، ص248.

4 - عبد الرزاق بن حمادوش، المصدر السابق، ص164.

5 - كارل بركلمان، تاريخ الأدب العربي، نقله إلى العربية: يعقوب بكر، ورمضان عبد التواب، دار المعارف، مصر، 1975، صص 86-87.

6 - عبد الرزاق بن حمادوش، المصدر السابق، ص10. وأنظر أيضا: أبو القاسم سعد الله، الطبيب الرحالة (ابن حمادوش الجزائري)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982، ص39.

7 - حنيفي هلايلي، أوراق في تاريخ...، المراجع السابق، صص 258-261.

1-3- شيوخه

تلقى ابن حمادوش تعليمه الأول بمسقط رأسه بمدينة الجزائر، ومن أهم المشايخ الذين تتلمذ على أيديهم بمدينة الجزائر الشيخ محمد بن ميمون¹، والشيخ محمد بن نيكرو، والقاضي مصطفى بن رمضان العنابي²، إضافة إلى معاصرتهم العديد من العلماء والأدباء أمثال أحمد بن عمار، عبد الرحمن الشارف، أحمد الزروق البوني³.

أخذ العلم على العديد من علماء المغرب الأقصى وتونس والمشرق العربي، والذين ذكرهم بمزيد من الإجلال والإكبار والتعظيم، واعتبرهم سنداً له في بناء وصقل شخصيته العلمية، لذلك قام بترتيبهم ترتيباً عددياً، وذكر ما قرأ عليهم، ومن أجزاء منهم، ومدة ملازمتهم له، وكل ذلك تبركا بهم وتعلقاً وتأكيذاً لنسبهم، مستخدماً في ذلك قول الإمام النووي: "شيوخ الإنسان في العلم آباء في الدين، ووصلة بينه وبين رب العالمين... مع أنه مأمور بالدعاء لهم وببرهم وذكر مآثرهم والثناء عليهم"⁴.

من أبرز علماء المغرب الأقصى الذين أخذ عنهم ابن حمادوش وقابلهم وحضر دروسهم وأجازوه، ما ذكره محمد حجي في موسوعته "موسوعة تراجم أعلام المغرب"، وقد بلغ عددهم سبعة عشر شيخاً، ومنهم:

• الشيخ محمد البناني الفاسي (ت: 1116هـ/1705م): وهو أبو عبد الله محمد بن الشيخ، الإمام الشهير بالبركة أبي محمد سيدي عبد القادر محمد البناني الفاسي⁵، وهو رجل تقي ذو ميل واهتمام بجميع العلوم الفقهية والأدبية، التقى به في مدينة تطوان سنة 1156هـ/1743م⁶، ومن

¹ - فريدة مقالاتي، المرجع السابق، ص 445.

² - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي...، المرجع السابق، ج 2، ص 426.

³ - فريدة مقالاتي، المرجع السابق، ص 445.

⁴ - محي الدين النووي، منهاج الطالبين وعمدة المفتين، اعتنى به: محمد محمد طاهر شعبان، دار المنهاج للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1426هـ/2005م، ط 1، ص 231.

⁵ - عبد الرزاق بن حمادوش، المصدر السابق، ص 40.

⁶ - عبد القادر بكاري، عبد الرزاق بن حمادوش...، المرجع السابق، ص 238-239.

— الفصل الثاني: الرحلات الجزائرية أواخر العهد العثماني (القرنين 18م وبداية القرن 19م أنموذجا) —

بين ما قرأ عليه: "تحفة المخلصين" على مختصر ابن الجزري، وجميع الحكم العطائية، وكتاب "دلائل الخيرات"، وكتاب "الاكتفاء للكلاعي"، وبعض سنن أبي داود والترمذي، ومختصر الشيخ خليل، وقد لازمه حتى وافته المنية في رجب 1116هـ¹.

• الشيخ أحمد بن العربي بن الحاج: وهو أبو الفضل أحمد بن العربي بن الحاج السلمي المرداسي الفاسي المتوفي سنة 1119هـ، وثاني شيوخه، وقد أخذ عنه علم الحديث وعلم التفسير² وقرأ عليه المختصر الخليلي أربع مرات، والألفية والتسهيل، وقواعد الإعراب للأزهري، وصحيح البخاري، وصحيح مسلم، والكثير من الشروحات والسرد...³

• الشيخ محمد بن أحمد القسنطيني (الكماذ): وهو أبو عبد الله محمد بن أحمد القسنطيني المعروف بالكماذ، والمتوفى سنة 1115هـ، وقد قرأ عليه المختصر، والكبرى والصغرى، والمقدمات للشيخ السنوسي، تهذيب السعد في علم المنطق للشمسي⁴.

• الشيخ أحمد الورززي: وهو أبو العباس أحمد بن محمد بن محمد بن عبد الله الورززي (ت: 1179هـ/1765م)، وقد أخذ عنه الفقه والحديث، وحضر له العديد من الدروس، وكذا تبادل معه الآراء في العديد من المسائل⁵، ثم أجازته بعد أن قرأ عليه صحيح البخاري ومسلم وموطأ مالك⁶.

كما أخذ الدروس عند كل من أحمد السرائري وأحمد بن المبارك، وحصل منهما على إجازتين، وكذا أخذ دروسا في الطب على يد عبد الوهاب أدراق طبيب السلطان إسماعيل وأولاده⁷.

1 - عبد الرزاق بن حمادوش، المصدر السابق، ص41.

2 - محمد الكتاني، سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس، تح: عبد الله الكتاني وآخرون، دار الثقافة، المغرب الأقصى، 1425هـ/2004م، ط1، ص153.

3 - عبد الرزاق بن حمادوش، المصدر السابق، ص42.

4 - المصدر نفسه، ص43.

5 - محمد الكتاني، فهرس الفهارس...، المصدر السابق، ج2، صص1110-1112.

6 - عبد الرزاق بن حمادوش، المصدر السابق، صص35-36.

7 - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي...، المرجع السابق، ج2، ص426.

— الفصل الثاني: الرحلات الجزائرية أواخر العهد العثماني (القرنين 18م وبداية القرن 19م أنموذجا) —

التقى العديد من العلماء والمشايخ أثناء رحلته بالمغرب الأقصى وأخذ عنهم وأجازوه، ومن بينهم: أحمد بن محمد بن ناصر الدرعي، محمد بن قاسم بن زاكور، الشيخ عبد الملك التجمعوتي والكثير من المشايخ¹.

ومن بين علماء المشرق الذين أخذ عنهم العلوم وأجازوه، نذكر منهم:

• الشيخ محمد الزرقاني المصري المالكي: وهو محمد بن عبد الباقي بن يوسف بن أحمد بن محمد بن علوان الزرقاني، المتوفى في رمضان سنة تسع وتسعين وألف (1099هـ)، ومن مؤلفاته: "شرح مختصر الخليل"².

• الشيخ أبو الأسرار حسين العجمي: وهو أبو الأسرار حسين بن علي بن يحيى أبو البقاء العجمي اليمني المكي الحنفي، المتوفى بالطائف سنة (1113هـ/1702م)، الامام الشهير بشيخ الشيوخ، حيث كتب له بالإجازة من مكة، وهو يروي عن أبي مهدي عيسى الثعالبي والصفى القشاشي والميموني وغيرهم³.

أما في تونس، فقد أخذ العلوم على يد الشيخ محمد زيتونة والشيخ محمد الشافعي⁴.

من خلال ذكر ابن حمادوش لأهم العلماء والمشايخ الذين أخذ عنهم العلوم والدروس والإجازات، يظهر بأنه كان شغوفاً بطلب العلم، لذلك كان كثير الترحال بين الحواضر الإسلامية سواء بالمغرب الأقصى أو بتونس، مصر وأرض الحجاز أين التقى بعلمائها واستفاد من علمهم وهذا ما ميز رحلته التي كانت مليئة بأخبار عصره⁵.

¹ - عبد الرزاق بن حمادوش، المصدر السابق، ص 53-58.

² - الجبروتي عبد الرحمان، تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار، تح: عبد الرحيم عبد الرحمان عبد الرحيم، تق: عبد العظيم رمضان، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، مصر، 1997، ج1، ص123.

³ - عبد الرزاق بن حمادوش، المصدر السابق، ص60. وأنظر أيضاً: مراد أبو الخير، المختصر من كتاب نشر النور والزهرة في تراجم أفاضل مكة من القرن العاشر إلى القرن الرابع عشر، تح: محمد سعيد العامودي، وأحمد علي، عالم المعرفة للنشر والتوزيع جدة، 1406هـ/1986م، ص194.

⁴ - أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء...، المرجع السابق، ص138.

⁵ - فريدة مقلاتي، المرجع السابق، ص445.

1-4- آثـاره

خلف ابن حمادوش العديد من الكتب والمؤلفات، وهذا بسبب اهتمامه بالعديد من العلوم العقلية والنقلية، وكذا اهتمامه بقراءة ما يسميه بكتب النصارى، والتي أعجب بها كثيرا لكنه كان حذرا في التعامل معها، خاصة فيما يتعلق بأمور الدين والعقائد¹، وقد غلب الطابع العلمي على جل مؤلفاته خاصة في مجال الطب، والصيدلة، والأعشاب، والحساب، بالإضافة إلى كتبه في الأدب والنحو، ومن أبرز مؤلفاته نذكر:

• لسان المقال في النبأ عن النسب والحسب والحال المعروفة بـ " الرحلة": تضمنت العديد من الموضوعات في السياسة والاقتصاد والاجتماع والحياة العلمية²، وهي بذلك تحمل في ثناياها معارف متنوعة ومتعددة، كما سجل فيها ما شاهده شخصا من أحداث وقاع لفترات متعددة من حياته 1156-1161هـ/1743-1748م، والتي وضعها في شكل مذكرات شخصية³، وتجدر الإشارة إلى أن الرحلة لم تكن نحو المشرق العربي بل نحو المغرب الأقصى بحيث ترك وصفا دقيقا لبعض المدن المغربية كتطوان ومكناس وأحوالهما الاجتماعية والاقتصادية خلال القرن 12هـ/18م⁴.

• الجوهر المكنون في بحر القانون⁵: وهو تأليف في الطب به أربعة أقسام: الكتاب الأول في " السموم وذوات السموم وعلاجاتها"، والكتاب الثاني في " الترقيات وما يجري من مجراها إن وجد من الباذ زهرات وبعض المعاجين الذي يظهر إليه المرء"، والكتاب الثالث في " الأمراض"، مرتبا

¹ - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي...، المرجع السابق، ج1، ص450.

² - عمر بن قينة، اتجاهات الرحالة الجزائريين في الرحلة العربية الحديثة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1996، ص59.

³ - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي...، المرجع السابق، ج2، ص431.

⁴ - محمد بوشنافي، هجرة العلماء الجزائريين إلى المغرب الأقصى وبلدان المشرق العربي خلال العثماني (1520-1830)، مجلة المواقف للدراسات والبحوث في المجتمع والتاريخ، جامعة معسكر، ديسمبر 2009، ع4، ص108.

⁵ - كارل بركلمان، المرجع السابق، ص87.

— الفصل الثاني: الرحلات الجزائرية أواخر العهد العثماني (القرنين 18م وبداية القرن 19م أنموذجا) —

ذلك على جدول حنين بن إسحاق الطبيب والمؤرخ والمترجم البغدادي، والكتاب الرابع " الألفاظ وتعريبها¹.

• كشف الرموز في بيان الأعشاب²: تم تأليفه بالجزائر بعنوان " كشف الرموز في شرح العقاقير والأعشاب"، وطبع لأول مرة بباريس سنة 1874، ويضم 397 صفحة، ثم طُبع بالمطبعة الثعالبية بالجزائر على القاعدة المغربية وعلى ذمة السيد رودوسي قدور بن مراد التركي، ثم طبع بمطبعة ديلورد براهيم ومرينال باعتناء المستشرق جبريت كولن سنة 1905³.

• تعديل المزاج بسبب قوانين العلاج⁴: وهو عبارة عن رسالة أول فيها المزاج البشرية وأصوله وأسباب علاجه، وقد ألفه ابن حمادوش بمدينة الرشيد بمصر سنة 1161هـ/1748م، وموضوعها الرئيسي وظائف الأعضاء التناسلية والاضطرابات التي تصيبها، وعلاجها وكيفية المحافظة عليها مع الاعتماد على الطب النبوي.

• بغية الأديب في علم التكعيب: وتم تأليفه سنة 1143هـ/1731م⁵، وهو عبارة عن شرح لمنظومة ابن غرنوط.

• تأليف في الروزنامة⁶: وتم الانتهاء من تأليفه يوم الجمعة الثامن من محرم سنة 1157هـ/1744م⁷.

• تأليف في القنبلة: وتم الانتهاء من تأليفه سنة 1159هـ/1746م، حيث يعتبر نفسه من علماء صنع القنابل ورميها، وقد قام بتقديمه إلى عبد الرحمن الفاسي.

¹ - عبد الرزاق بن حمادوش، المصدر السابق، ص161.

² - نور الدين عبد القادر، المرجع السابق، ص223.

³ - عبد القادر بكار، منهج الكتابة...، المرجع السابق، ص235.

⁴ - حنيفي هلايلي، أوراق في تاريخ...، المرجع السابق، ص259.

⁵ - عبد القادر بكار، منهج الكتابة...، المرجع السابق، ص236.

⁶ - أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء...، المرجع السابق، ج1، ص226.

⁷ - عبد الرزاق بن حمادوش، المصدر السابق، ص110.

— الفصل الثاني: الرحلات الجزائرية أواخر العهد العثماني (القرنين 18م وبداية القرن 19م أنموذجا) —

- مؤلف في علم البلوط: ويقصد به العارف بالطرق في البحر، وتم تأليفه يوم الجمعة 15 ربيع الأول 1159هـ/أبريل 1746م¹.
- في تأليف في الإسطرلاب والربع المقنطر²: وتم الانتهاء من تأليفه يوم الأحد 28 جمادى الثانية 1159هـ/الموافقة لـ 6 جويلية 1746م، بعد أن تعلم صيغة عمل الاسطرلاب والربع المقنطر³.
- الدرر على المختصر: وهو في المنطق، وقد قام بتصحيحه بعد أن عرضه على الشيخ أحمد الورززي، ونال شهادته، وكان ذلك في 22 رمضان 1159هـ/1746م⁴.
- تأليف الدرر الفائق في المواعظ والرقائق: ويحتوي على السرد من بعض الحكايات وبدأ تأليفه في 2 ذي القعدة من سنة 1156هـ⁵.
- كما ألف العديد من الكتب والتي شملت جملة من المواضيع منها:
- تأليف في قوس الشمس: وقد تم الانتهاء منه يوم الإثنين 22 ذي القعدة 1956هـ.
- تأليف في الفلك: وهو يخص علم الفلك، وتم الانتهاء منه في أواخر سنة 1159هـ.
- فتح المجيب في علم التكعيب: وهو تأليف يخص مجال الهندسة، وتم الانتهاء منه سنة 1160هـ.
- صورة الأرض لرضوان أفندي: وتم الانتهاء منه سنة 1168هـ، ويخص الكواكب وحركتها.
- الرخامة الظلية بالحساب: وهو كتاب مستوحى من كتب النصارى الخاصة بالحساب⁶.
- تأليف في الطاعون: الذي أصاب الجزائر في وقته، لكنه لا يعرف له عنوان⁷.

1 - عبد الرزاق بن حمادوش، المصدر نفسه، ص254.

2 - عمار عمورة، الجزائر بوابة التاريخ من قبل التاريخ إلى غاية 1969، دار المعرفة، الجزائر، 2009، ص149.

3 - عبد الرزاق بن حمادوش، المصدر السابق، ص257.

4 - المصدر نفسه، صص258-259.

5 - المصدر نفسه، ص100.

6 - عبد الرزاق بن حمادوش، المصدر السابق، صص264-266.

7 - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي...، المرجع السابق، ج2، صص430-431.

— الفصل الثاني: الرحلات الجزائرية أواخر العهد العثماني (القرنين 18م وبداية القرن 19م أنموذجا) —

بالإضافة إلى مجموعة كبيرة من المؤلفات وبعض الأوراد الصوفية التي ذكرها في رحلته في جزئها الثاني، ولكنها غير معروفة وفي حكم المفقود، ومن دون شك ستظهر لنا في يوم ما، وهذا ما يحتاج إلى بحث وتنقيب.

1-5- وفاته

يذكر أبو القاسم سعد الله وهو محقق الرحلة أنه عاش 90 سنة، وتوفي في مكان وتاريخ مجهولين¹، بينما قال كارل بركلمان أنه توفي حوالي 1170هـ/1756م²، وفي حين يرجح عبد القادر بكاري أنه توفي بالمشرق ما بين سنوات (1197هـ/1783م، و1200هـ/1786م)³، ومن هنا يظهر لنا بأن تاريخ وفاته غير مضبوط وغير محدد، وكذا بالنسبة لمكان دفنه.

2- التعريف بكتاب رحلة ابن حمادوش

سميت هذه الرحلة بـ"لسان المقال في النبأ عن النسب والحسب والحال"، و عرفت باسم "رحلة ابن حمادوش الجزائري"⁴، قام بتحقيقها الأستاذ المرحوم أبو القاسم سعد الله معتمدا على نسخة وحيدة محفوظة بالخرانة العامة بالرباط تحت رقم (463)، وهي في شكل مسودة متكونة من 278 صفحة مرقمة بقلم الرصاص، وهي مقسمة لجزئين، الجزء الأول منها مفقود، وكما قال ابن سودة أن لابن حمادوش رحلة في المغرب الأقصى خلال سنة 1156هـ/1743م، أطل فيها وصف المغرب ومدنه، وتقع في مجلدين، وبلغه أن منها نسخة بالخرانة الكتانية بفاس⁵، وقد أشار أبو القاسم سعد الله بأن الجزء المتبقي من الرحلة يتكون من ثلاثة أقسام، فالقسم الأول مخصص لوصف بلاد المغرب الأقصى وأوضاعها، والقسم الثاني يتعلق بنشاطه الشخصي بالجزائر من

1 - عبد الرزاق بن حمادوش، المصدر السابق، ص13.

2 - كارل بركلمان، المرجع السابق، صص86-87.

3 - عبد القادر بكاري، منهج الكتابة...، المرجع السابق، ص236.

4 - عبد الرزاق بن حمادوش، المصدر السابق، صص13-14.

5 - عبد السلام بن سودة، المصدر السابق، ص248.

— الفصل الثاني: الرحلات الجزائرية أواخر العهد العثماني (القرنين 18م وبداية القرن 19م أنموذجا) —

تأليف وقراءات وتدرّيس، والقسم الثالث فهو مخصص لجل الوثائق والنصوص والنقولات المطولة لبعض الكتب والخاصة بإيالة الجزائر في تلك المرحلة¹.

بدأ ابن حمادوش رحلته سنة 1156/1743م، وانتهت في الثالث من جمادى الأولى سنة 1160هـ الموافق لأواخر شهر أفريل وبداية شهر ماي من سنة 1747م²، أي أنها دامت أربع سنوات، وقد اعتمد في كتابتها على دقة ملاحظاته واهتمامه بطبائع الناس وغرائب الأشياء، معتمداً على الأسلوب البسيط البعيد عن التسيق اللفظي والسجع المكثف المنتشر في تلك الحقبة، مع قيامه بذكر أزمنة وتواريخ الأحداث، وجل تحركاته وأسفاره³، وكأنها سيرة حياته في جزء منها.

لذا فقد انتقلت جل المصادر على نسبة الكتاب إلى تسمية واحدة عرف بها ألا وهي "رحلة ابن حمادوش"، وهذه التسمية نفسها الثابتة على طرة نسخ المخطوطة، وممن يؤكد صحة نسبة الكتابي لابن حمادوش ما نقله بعض المؤرخين عنه أمثال: عبد الحي الكتاني، صاحب كتاب "دليل الحج والسياحة"، الذي قام بنقل وذكر بعض الإجازات والأسانيد عنه، وكما نجد أيضاً اهتمام محمد داود صاحب كتاب "تاريخ تيطوان" بالرحلة، وذلك بسبب احتوائها العديد من الإشارات والمواضيع الخاصة بمدينة تطوان مثل تاريخ دخول ابن حمادوش مدينة تطوان بالمغرب الأقصى الموافق لتاريخ 1156هـ/1743م، وهو الفترة الزمنية لبداية رحلة ابن حمادوش إلى المغرب الأقصى⁴.

كما أشار أيضاً أبو القاسم سعد الله أثناء تحقيق الرحلة إلى مسألة وجود نسخ أخرى غير النسخة التي بين أيدينا، ما يبرر ذلك هو ذكر السيد جواخيم خوانزليز الإسباني لبعض الأخبار والأحداث غير الموجودة في مخطوطة الرحلة التي قام بتحقيقها، وكذا ذكره للأستاذ حافظ ذياب

¹ - ناصر الدين سعيدوني، من التراث التاريخي...، المرجع السابق، ص 433-434.

² - عبد الرزاق بن حمادوش، المصدر السابق، ص 22.

³ - حنيفي هلايلي، الجزائريون والرحلة إلى الحجاز على ضوء رحلتي الورثيلاني وأبي راس الناصري، مجلة الشهاب الجديدة جامعة سيدي بلعباس، الجزائر، 2008، مج 7، ع 7، السنة 7، ص 26.

⁴ - عبد القادر بكاري، مناهج الكتابة التاريخية...، المرجع السابق، ص 237.

— الفصل الثاني: الرحلات الجزائرية أواخر العهد العثماني (القرنين 18م وبداية القرن 19م أنموذجا) —

المصري الذي أخبره بأنه شاهد نسخة لرحلة ابن حمادوش بمكتبة بلدية الرشيد بمصر، هذا باعتبار أن ابن حمادوش قد عاش هناك¹.

من هنا تبرز قيمة هذه الرحلة في كونها جزء من تراث الجزائر العربي الإسلامي وذلك من خلال تعدد المواضيع التي تناولها ابن حمادوش، فهي مصدر هام لحياة المؤلف نفسه، ومرآة عاكسة لحياته ونشاطاته الفكرية والعلمية في تلك الحقبة، لا يمكن الاستغناء عنها في مجال الرحلة خلال القرن 18م في الجزائر.

3- المواضيع التي تناولها ابن حمادوش في رحلته

تناول ابن حمادوش في رحلته المسماة لسان المقال في النبأ عن الحسب والنسب والحال وصف العديد من الجوانب السياسية العمرانية والاجتماعية وكذا الاقتصادية والعلمية وقد قام بتقسيم الرحلة إلى ثلاثة أقسام في القسم الأول خصصه لوصف المغرب الأقصى والقسم الثاني تناول فيه نشاطه الشخصي بالجزائر من تأليف قراءات وتدریس وأما القسم الثالث فهو مخصص لذكر أهم المصادر المعتمدة في الرحلة وكذا فهارس الأعلام والكتب والأماكن بها أيضا ويبرز لنا ذلك من خلال:

3-1- الجانب الجغرافي

يعتبر ابن حمادوش مسجلا بارعا وملاحظا دقيقا، حيث حدد لنا جل المواقع والمسافات بين المدن والأمصار التي زارها وكذلك ذكره المسالك والممرات التي عبرها، وهذا ما ساهم في رسم خرائط تلك الحقبة²، حيث ذكر لنا في بداية مؤلفه الرحلة التي ابتدأها يوم الإثنين 1 محرم

¹ - عبد الرزاق بن حمادوش، المصدر السابق، ص ص 20-21.

² - المصدر نفسه، ص 72.

— الفصل الثاني: الرحلات الجزائرية أواخر العهد العثماني (القرنين 18م وبداية القرن 19م أنموذجا) —

1156هـ الموافق لـ 14 فيفري 1743م، عبوره جبل طارق* ووصله إلى تيطوان* يوم الأحد 20 فيفري 1743م¹ ثم انتقله إلى مكناس*، والتي دخلها يوم الأحد 26 صفر 1156هـ الموافق لـ 10 أفريل 1743م²، ثم واصل رحلته بالاتجاه إلى مدينة فاس*** التي دخلها يوم الجمعة 9 ربيع الأول 1156هـ الموافق لـ 20 أفريل 1743م³.

وصف لنا ابن حمادوش أثناء رحلته بالمغرب الأقصى غرائب ما شاهده من بعض الحيوانات والطيور مثل أسماك البوري، وطيور الغر، والحجل، والبط والغريق، والبقر، إضافة إلى ذكره لبعض أسماء أوديتها كوادي سب، بوصحيفة، الخروب، المخازن، الكيتان، وكما وصف لنا جداول الماء الموجودة في بفاس وجمال بساتينها⁴.

من هنا يظهر لنا اعتماد ابن حمادوش على ثلاث أمكنة محورية في رحلته إلى المغرب الأقصى هي (تطوان، مكناس، فاس) بهدف التجارة، وطلب العلم، وشراء ونسخ الكتب⁵، وأهم

* جبل طارق: يقع مضيق جبل طارق بين جزيرة إيبيريا شمالا وشمال إفريقيا جنوبا، ويحمل هذا المضيق اسم القائد العربي " طارق بن زياد" الذي تمكن من عبوره وفتح الأندلس في عهد الخلافة الأموية، أنظر: أبو القاسم المصري عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم (ت 257هـ/ثمان و170م)، فتوح مصر والمغرب، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، 1415هـ، ص232. أنظر أيضا: أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري (ت 279هـ/892م)، فتوح البلدان، دار ومكتبة الهلال، بيروت، 1988، ص228.

* تطوان: هي مدينة مغربية، وتقع في الشمال الغربي من بلاد المغرب أو المغرب الأقصى والبحر الأبيض المتوسط، أنظر: محمد داود، مختصر تاريخ تطوان، المطبعة المهدية، المغرب، 1955، ص3.

¹ - عبد الرزاق بن حمادوش، المصدر السابق، ص ص30-31.

* مكناس: بكسر أوله وسكون ثانيه... مدينة بالمغرب في بلاد البربر، وتعرف بمكناسة الزيتون بلدة تقع في الطريق المار إلى فاس وسلا على شاطئ البحر، أنظر: شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت الحموي، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، 1977، مج5، ص181.

² - عبد الرزاق بن حمادوش، المصدر السابق، ص77.

* فاس: تم تأسيس مدينة فاس على يد الأدارسة وازدهر شأنها في عهد بني مرين الذين اتخذوها كعاصمة لهم، وتتميز بوفرة الحبوب والثمار والمواشي، وكذا كمرکز ثقافي وعلمي ومقصد للسلطين والعلماء والطلبة، أنظر: الحسن بن محمد الوزان، المصدر السابق، ج2، ص193.

³ - عبد الرزاق بن حمادوش، المصدر السابق، ص80.

⁴ - المصدر نفسه، ص ص72-73.

⁵ - عيسى بخيتي، أدب الرحلة الجزائري الحديث (سياق النص وخطاب الأنساق)، أطروحة الدكتوراه، جامعة أبو بكر بلقايد تلمسان، الجزائر، 2015، ص39.

— الفصل الثاني: الرحلات الجزائرية أواخر العهد العثماني (القرنين 18م وبداية القرن 19م أنموذجا) —

القرى التي مر بها أثناء رحلته وتنقلاته، ومنها منطقة القصر، دار العباس، دوار عرب بوشابل ودوار بني ورياكل، وهذا بدون التفصيل في ذكرها أو إعطاء معلومات حولها¹.

بهذا يتجلى للقارئ اعتماد ابن حمادوش على عنصر المشاهدة المباشرة في وصف جغرافية المدن والمباني والجبال والصحاري وأماكن تواجد جداول المياه والبساتين والحدائق المليئة بالنخيل والأشجار بكل أنواعها وألوان ثمارها، وكذا وصفه لكل أنواع الطيور والحيوانات أثناء الرحلة².

3-2- الجانب السياسي

تعتبر رحلة ابن حمادوش من أهم الرحلات التي أطلعنا على الأوضاع السياسية بمنطقة بلاد المغرب سواء بالمغرب الأقصى، أو بإيالت التي الجزائر وتونس، حيث وصف لنا من خلالها جل الأحداث السياسية في تلك الحقبة بحكم أنه كان شاهد عيان لتلك الأحداث أو قربه منها، ومن بينها وصفه للعديد من الثورات كثورة حاكم تطوان* على السلطان عبد الله* بالمغرب الأقصى التي جرت أحداثها سنة 1156هـ/1743م، حيث تطرق إلى ذكر أسباب قيامها، بحكم أنه كان شاهد عيان على أحداثها، والتي أرجعها إلى طغيان وتجبر حاكم تطوان على سكان المنطقة وإقراره المكوس لسنة، وانتسابه للشرفاء من أولاد مولاي عبد السلام بهدف كسب المشروعية الروحية في إعلان نفسه حاكما على المنطقة³، وكما تطرق إلى صراع أبناء المولى إسماعيل* بعد وفاته على

¹ - عبد الرزاق بن حمادوش، المصدر السابق، ص95.

² - عواطف محمد يوسف نواب، كتب الرحلات المغربية والأندلسية (دراسة تحليلية مقارنة)، مكتبة الملك فهد، الرياض، 1996، ص ص77-78.

*ثورة حاكم تطوان: هو القائد أحمد بن علي الريفى، الذي تولى الحكم بعد وفاة والده سنة 1125هـ للمنطقة، واستمر بذلك إلى غاية مقتله على يد السلطان عبد الله سنة 1156هـ/1743م، أنظر: أبو العباس أحمد بن خالد الناصري، الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى، الدولة العلوية، تح وتع: جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1997، ج7، ص156. السلطان عبد الله: هو السلطان مولاي عبد الله بن إسماعيل ولد أبي مكناس الزيتون في عام 1721 بوع أربع مرات فكان أكثر سلطان يبايع في فترات متفرقة من تاريخ المغرب. أنظر: إبراهيم حركات، المغرب عبر التاريخ، دار الرشيد الحديثة، الدار البيضاء 1994، ج3، ط2، ص ص67-68.

³ - عبد الرزاق بن حمادوش، المصدر السابق، ص75.

*المولى إسماعيل: هو السلطان أبو النصر إسماعيل بن السلطان الشريف، وهو ثالث سلاطين الدولة العلوية وأعظمهم شهرة، ولد بسوس سنة 1056هـ/1646م، وتوفي سنة 1139هـ/1727م بسبب مرضه، أنظر: محمد بن الطيب القادري، نشر المثاني لأهل

— الفصل الثاني: الرحلات الجزائرية أواخر العهد العثماني (القرنين 18م وبداية القرن 19م أنموذجا) —

السلطة، وهما المولى عبد الله، والمولى المستضيء بنور الله¹، وهذا ما أدى إلى حدوث اضطرابات وفتن وأزمات بالبلاد²، وقد انتهى هذا الصراع لصالح المولى عبد الله على حساب أخيه المولى المستضيء بنور الله وحليفه أحمد بن علي الريفى بعد واقعة ناحية القصر بموضع دار العباس، التي جرت أحداثها في 14 جمادى الثانية 1156هـ الموافق لـ 6 أوت 1743م، وفيها قتل أحمد الريفى على يد الجندي بوعزة الذي حمل رأسه إلى السلطان مولاي عبد الله، وتم تعليقه بباب الشريعة بمدينة فاس³.

من هنا نجد بأن ابن حمادوش قدم لنا صورة سلبية عن الأوضاع الأمنية السيئة ببلاد المغرب الأقصى خلال تلك الفترة، والتي كاد أن يفقد حياته بسبب هذه الفتنة، والتي وصفها بقوله: "كان أشد يوم علي وأصحابي بفاس والتي دخلناها لما كثر الهرج فسلمنا، والحمد لله"⁴.

كما تطرق ابن حمادوش في رحلته ثورة بلاد زواوة* بإيالة الجزائر، والتي جرت أحداثها ووقائعها بين قبائل زواوة ضد القائد محمد "الذباح" قائد سباو سنة 1158هـ/1745م⁵.

إضافة إلى ذلك، فقد تناول في رحلته العديد من الوقائع والأحداث السياسية التي عرفت إيالة الجزائر في تلك المرحلة، ومن بينها ذكره لمراحل حكم الباشاوات بها، والمرتبة ترتيبا زمنيا حسب

القرن الحادي عشر والثاني عشر، تح: محمد حجي وأحمد توفيق، دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، الرباط، 1978، ج3 ص258. وأنظر أيضا: عبد الرحمن بن زيدان، إتحاف أعلام الناس بجمال حاضرة مكناس، تح: علي عامر، مكتبة الثقافة الدينية شارع بورسعيد، القاهرة، 2008، ج2، ط1، ص63.

¹ - عبد الرزاق بن حمادوش، المصدر السابق، ص ص75-76.

² - أبو القاسم الزياني، تحفة الحادي المطرب في رفع نسب الشرفاء بالمغرب، تح وتر: رشيد الزاوية، منشورات وزارة الأوقاف ووزارة الشؤون الإسلامية بالمملكة المغربية، مطبعة الأمنية، الرباط، 2008، ص92.

³ - محمد الضعيف الرباطي، تاريخ الضعيف، تاريخ الدولة السعيدة، تح: أحمد العماري، دار المآثورات، الرباط، 1986 ص145.

⁴ - عبد الرزاق بن حمادوش، المصدر السابق، ص97.

* بلاد زواوة: هي مجموعة من القبائل والأعراش التي تسكن أعالي جبال جرجرة (آث عيسى، آث صدقة، آث بطون، آث ايثاون آث منقلات، آث يسورغ)، أنظر: محمد ارزقي فراد، المجتمع الزواوي في ظل العرف والثقافة الإسلامية (1749-1949)، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر، 2011، ص21.

⁵ - عبد الرزاق بن حمادوش، المصدر السابق، ص163.

— الفصل الثاني: الرحلات الجزائرية أواخر العهد العثماني (القرنين 18م وبداية القرن 19م أنموذجا) —

المدة التي قضاها كل حاكم أو باشا في حكمه، ومن جاء بعده من الحكام، وقد تم إحصاء حوالي سبعين (70) باشا دون تقديم ترجمة أو معلومات حولهم¹، وقد بدأ بذكر فترة حكم إسحاق باشا والتي وافقت سنة 915هـ، واستمر بذلك إلى غاية ذكر فترة حكم الباشا إبراهيم الخرناجي سنة 1158هـ/1745م، والتي وافقت فترة معاصرة المؤلف لحكمه².

من الملاحظ أن هذه الفترة والتي قام بذكرها ابن حمادوش في رحلته قد غطت أواخر عهد الباشوات وفترة الأغوات، وجزء كبير من مرحلة حكم الدايات بإيالة الجزائر، والتي تمثل لنا جل مراحل تطور الحكم العثماني بالإيالة.

ومن بين المسائل السياسية التي تناولها ابن حمادوش في رحلته أيضا أزمة الأسرة الحسينية بتونس سنة 1153هـ/1740م، والمتمثلة في فرار كل من محمد باي وأخوه محمود باي إلى الجزائر بهدف الثأر لمقتل أبيهما حسين باي من طرف ابن عمهم علي باي³، واجتماعهما مع حاكم تطوان عبد الواحد ابن الباشا علي بن عبد الله الريفى، الذي أتى أيضا فارا من المولى عبد الله بعد مقتل والده أحمد بن علي الريفى⁴.

كما تناول في رحلته أيضا، قضية رفض النصارى قبول افتداء المسلمين لأسراهم، لا سيما المشاهير من رياس البحر أمثال الرايس ابن الحاج موسى، هذا ما أدى إلى غضب الباشا، والذي قرر حربه إغلاق كنيستهم، وهدد بهدمها في حالة عدم إطاعة أوامره وقبول الصلح والفدية⁵.

إضافة إلى ذلك فقد عرج في رحلته إلى ذكر سلاطين الدولة العثمانية وفترات حكمهم بداية من مؤسسها "عثمان خان" والذي تولى الخلافة سنة 643هـ/1244م، إلى الخامس والعشرين من

¹ - عبد القادر بكاري، عبد الرزاق بن حمادوش...، المرجع السابق، ص242.

² - عبد الرزاق بن حمادوش، المصدر السابق، ص228.

³ - فوزية لزغم، بايات الأسرة الحسينية بتونس تكوينهم العلمي وأثرهم في الحركة العلمية (1117-1129هـ/1705-1814م مجلة العبر للدراسات التاريخية والأثرية في شمال إفريقيا، جامعة ابن خلدون، تيارت، سبتمبر 2020، مج3، ع2، ص210.

⁴ - عبد الرزاق بن حمادوش، المصدر السابق، ص134.

⁵ - نصيرة بحري، استقراء التاريخ من خلال رحلة ابن حمادوش الجزائري، مجلة مدارات تاريخية، مركز المدار المعرفي للأبحاث والدراسات، الجزائر، سبتمبر 2019، مج1، ع3، ص400.

— الفصل الثاني: الرحلات الجزائرية أواخر العهد العثماني (القرنين 18م وبداية القرن 19م أنموذجا) —

ملوكها وهو "محمود خان" الذي تولى الخلافة سنة 1143هـ/1730م، وهي السنة التي أنهى فيها ابن حمادوش كتابة مؤلفه "الرحلة"¹، وقد أشار في رحلته بأن ملوك آل عثمان هم من نسل عثمان خان التركي وليسوا من ذرية سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه².

بالإضافة إلى تناوله جزء من تاريخ الدولتين الأموية والعباسية ذكرا بعضا من خلفاء بني العباس على طريقة التراجم، وقد بدأ بذكر مؤسس الخلافة العباسية "أبي جعفر المنصور"، ومنتها بالخليفة "الراشد"، وقد اعتمد في ذكرهم على نسخة ابن الكردبوس المبتورة الآخر، وعليه فقد ذكر سوى ثلاثين خليفة دون أن يذكر التسعة الباقين³، ومن أهم الخلفاء العباسيين الذين ذكرهم في رحلته: أبو جعفر المنصور، المهدي، هارون الرشيد، الأمين، المأمون، المعتصم، الواثق، المتوكل المنتصر، المستعين، المعتز، المهتدي، المعتمد، المعتضد، المكتفي، المقتدر، القاهر، الراضي، المكتفي، المستكفي، المطيع، الطائع، القادر، القائم، المقتدر، المستظهر، المسترشد، الراشد⁴ ويبدو أن الهدف من ذكر ابن حمادوش لخلفاء الدولة العباسية في رحلته هو إبراز الامتداد التاريخي للخلافة العباسية بالخلافة العثمانية، وبالتالي محاولته ربط حاضر الأمة الإسلامية بماضيها من خلال التذكير بدور الخلافة العباسية كرمز لوحدة المسلمين، ومركز للعلم والحضارة، هذا ما أعطى للرحلة بعدا تاريخيا وحضاريا ودينيا.

كما تناول ابن حمادوش في رحلته العلاقات الجزائرية الدولية، خاصة علاقتها مع الخلافة العثمانية، والتي شهدت استقلالية الجزائر استقلالاً تاماً عن الخلافة العثمانية في مرحلة حكم الدايات "الجمهورية الجزائرية"⁵، وهي المرحلة التي عاشها ابن حمادوش، ومن مظاهر التوتر التي شهدتها العلاقات الجزائرية العثمانية هي رفض استقبال السفير العثماني في الجزائر الذي يسمى

¹ - عبد القادر بكاري، عبد الرزاق ابن حمادوش والكتابة التاريخية...، المرجع السابق، ص243.

² - عبد الرزاق بن حمادوش، المصدر السابق، ص235.

³ - عبد القادر بكاري، المرجع السابق، ص243.

⁴ - عبد الرزاق بن حمادوش، المصدر السابق، ص357-358.

⁵ - مولود قاسم نايت بالقاسم، شخصية الجزائر الدولية وهيبتها العالمية قبل سنة 1830م، دار البعث للطباعة والنشر، قسنطينة الجزائر، 1985، ج1، ص81.

— الفصل الثاني: الرحلات الجزائرية أواخر العهد العثماني (القرنين 18م وبداية القرن 19م أنموذجا) —

"قبحي" من طرف كبار وأعيان البلاد¹. وإلى جانب ذلك، فقد تطرق بشكل مقتضب إلى الصلح الذي تم بين الجزائر والدانيمارك يوم الجمعة 18 رجب 1159هـ، بدون ذكر أي تفاصيل في هذا الشأن²، وقد تم هذا الصلح في شكل معاهدة سلم وتجارة بين الداوي بابا إبراهيم الصغير والملك كريستيان السادس ملك الدانمارك والنرويج³.

3-3- الجانب الاجتماعي

تحدث الرحالة ابن حمادوش في رحلته عن الحالة الاجتماعية السائدة آنذاك في منطقة بلاد المغرب بأقطارها خاصة إيالة الجزائر، وبلاد المغرب الأقصى، أي عمل على تتبع ورصد معظم العادات والظواهر الاجتماعية بالمنطقة، ومن أهم الملاحظات التي قام بتسجيلها نذكر ما يلي:

• العادات

تناول ابن حمادوش في رحلته مختلف العادات والطقوس التي كان يمارسها السكان، إلى جانب بعض الممارسات الدينية كالصلاة المعهودة عند ختم صحيح البخاري، والمتمثلة في الصلاة على النبي محمد صلى الله عليه وسلم، ثم القيام برش ماء الورد على المصلين من طرف الخدم بالجامع الكبير، إضافة إلى عادة أهل الجزائر الاحتفال بليلة القدر ومقارنتها بعادات أهل المغرب⁴.

• الاحتفال بالمولد النبوي في كل من فاس ومدينة الجزائر

وصف لنا ابن حمادوش طريقة الاحتفال به من خلال إشعال الشموع بألوان مختلفة⁵ واستخدام آلات الطرب من طرف الطبالين بالأسواق، بالإضافة إلى الذبائح وغيرها⁶، وبهذا سجل لنا وصفا دقيقا ومقارنا حول كيفية الاحتفال به في كل من الجزائر وبلاد المغرب الأقصى في تلك الحقبة.

¹ - محمد غربي، وقفة تاريخية...، المرجع السابق، ص333.

² - عبد الرزاق بن حمادوش، المصدر السابق، ص120.

³ - مولود قاسم نايت بلقاسم، المرجع السابق، ص100.

⁴ - عبد الرزاق ابن حمادوش، المصدر السابق، ص125.

⁵ - محمد المنوني، وراثة عن حضارة المرينيين، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 2000، ط3، ص525.

⁶ - عبد الرزاق ابن حمادوش، المصدر السابق، ص84.

• الزواج

سجل ابن حمادوش في رحلته العديد من الأمور المتعلقة بعقود الزواج في تلك المرحلة كالحديث عن الصداق وقيمتة، والقاعدة المشككة له "بعض القفاطين، وقناطير من الصوف والنقود"¹، بالإضافة إلى ذكره الصيغة المتبعة عند عقد الزواج والمتمثلة في قوله: "الحمد لله، تزوج على بركة الله وتوفيقه الشاب عبد الرزاق ابن الحاج محمد ابن حماد وش مخطوبته فاطمة بنت عمه الحاج أحمد الدباغ البكر في حجره وتحت ولاية نظره على صداق مبارك قدر بستمائة دينار..."²، وبهذا فقد نقل لنا في رحلته تصورا واضحا لكيفية عقد الزواج وشروطه في تلك الحقبة باعتباره رابطة مقدسة وميثاق غليظ في نظره³، وهو عصمة للدين، وشريعة من شرائع سيد المرسلين، والجامع للأنساب، وسبب للتناسل والتصاهر والتقارب بين الفئات الاجتماعية⁴، وكما تناول العديد من خطب الزواج، وعقود النكاح لبعض الأندلسيين، وكنموذج على ذلك ذكر عقد نكاح أبو العباس أحمد بن الشيخ أبو ناصر فتح بن خليل⁵، وكان يقوم بمهمة الخطبة الخاطبة التي تمهد الاتفاق بين العائلتين، وبعد انتهاء فترة الخطوبة يتم عقد القران على سنة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم⁶.

1 - عيساوي فتيحة، برداع زوبيدة، أدب الرحلة في الجزائر، رحلة ابن حمادوش أنموذجا، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في الأدب الجزائري، جامعة الجيلالي بونعامة، خميس مليانة، 2016/2015، ص 85.

2 - عبد الرزاق ابن حمادوش، المصدر السابق، ص 241.

3 - عيساوي فتيحة، برداع زوبيدة، المرجع السابق، ص 85.

4 - عبد الرزاق ابن حمادوش، المصدر السابق، ص ص 266-267.

5 - المصدر نفسه، ص 246.

6 - محمد طالبي، الهجرة الأندلسية إلى إفريقية أيام الحفصيين، مجلة الأصالة، منشورات التعليم الأصلي والشؤون الدينية، الجزائر 1975، ص 81.

• الجنائز وزيارة الأضرحة

تطرق ابن حمادوش في رحلته إلى الطرق المتبعة في دفن الأموات بالمغرب، وذلك عند حديثه عن وفاة شيخه ابن المبارك*، حيث ذكر أنه غسل ثم تم تكفينه ووضعه في نعش عليه قبة ثم حمل إلى جامع القرويين فصلى عليه أحد تلامذته، وهذا بعد صلاة الجمعة، ثم حمل إلى المقبرة ودفن إلى جانب شيخه عبد العزيز الدباغ، وقد حضر جنازته خلف كثير الصغير والكبير¹. كما تحدث عن ظاهرة زيارة الأضرحة والقبور سواء بالجزائر والمغرب الأقصى، دون وصف لطقوس الزيارة أو مدحه للأولياء، كما كان يفعل الورثيلاني، وقد ذكر في رحلته زيارته لضريح الولي علي الريفي دفين تيطوان².

• عادة الاحتفال بعيد الأضحى

وصف ابن حمادوش في رحلته بمدينة تطوان الأجواء السائدة صبيحة يوم عيد الأضحى وكيفية الذهاب إلى المسجد من طرف المصلين لأداء صلاة العيد، والاستماع إلى خطبتها³، وفي هذا يقول: "وذهبنا إلى المصلى فخرج قائدهم في جماعته وبين يديه حربة عالية طويلة... والمطر نازل علينا، فصلينا، خارج البلد"⁴، ويتم الإعلان بقدم العيد عن طريق إطلاق نار المدافع، وتقديم التهاني وإلقاء السلام مع ارتداء الثياب المطرزة بالذهب والفضة والسراويل المصنوعة من الصوف

* ابن المبارك: هو الشيخ أبو العباس أحمد بن المبارك ابن محمد بن علي السلجماسي اللمطي نسبة لقرية لمط بمدينة سلجماسة البكري الصديقي ولد في حدود 1088هـ بسلجماسة، وتوفي سنة 1156هـ، ودفن بجوار شيخه عبد العزيز الدباغ، أنظر: أحمد بن مبارك السلجماسي، رسالة في تعلقات صفات الله عز وجل، تح: نزار حمادي، دار الإمام ابن عرفة، تونس، (د.ت. ن)، ص8.

¹ - عبد الرزاق ابن حمادوش، المصدر السابق، ص87.

² - فاطمة مقدم، قراءة في مضامين الخطاب الشعري المغربي القديم، عبد الرزاق بن حمادوش الجزائري أنموذجا، مجلة الكلم جامعة وهران، الجزائر، 2020، مج5، ع1، ص167.

³ - يوسف بكوش، الواقع والمخيل في رحلة ابن حمادوش الجزائري "لسان المقال في النبأ عن النسب والحسب والحال"، الملتقى الوطني حول الرحلة في الأدب الجزائري، صورة الواقع وجمالية النص، جامعة الشهيد حمة لخضر، وادي سوف، الجزائر، نوفمبر 2017، ص11.

⁴ - عبد الرزاق ابن حمادوش، المصدر السابق، ص107.

— الفصل الثاني: الرحلات الجزائرية أواخر العهد العثماني (القرنين 18م وبداية القرن 19م أنموذجا) —

والقطن¹، وبهذا كان الاحتفال بالمناسبات الدينية عند فئات المجتمع الجزائري خاصة له مكانة مميزة، وفرصة للتضامن والتآزر بين أفراد المجتمع.

• الأكل والملبس

تطرق ابن حمادوش في رحلته إلى ذكر أنواع الأطعمة التي كان يتناولها سكان إيالة الجزائر وبلاد المغرب، ومنها الكسكسي، والذي يعد من أهم الأطعمة الرائجة في موائد الجزائريين وسكان بلاد المغرب خلال العهد العثماني²، إضافة إلى اللحوم بأنواعها، وهذا لتوفر الثروة الحيوانية الكبيرة من أغنام وماعز وأبقار وجمال، والتي اختصت بتربيتها القبائل العربية البدوية³، وهذا عند إشارته إلى أكل أهل المغرب يوم العنصرة، وأيام الاحتفال بالمناسبات الدينية (عيدي الفطر والأضحى والمولد النبوي الشريف).

كما وصف أيضا لباس أهل فاس والجزائر أثناء احتفالهم بالمناسبات الدينية والوطنية، منها القفاطين والمحارم المصنوعة من الحرير، إضافة إلى العمائم التي كان يلبسها الرجال والنساء⁴.

• بعض العادات السيئة التي شاهدها في رحلته إلى بلاد المغرب

ذكر ابن حمادوش في رحلته إلى بلاد المغرب بعض الظواهر والعادات السيئة المنتشرة في المجتمع المغربي، خاصة منها ظاهرة كشف العورات في حماماتهم، والتي وصفها بالظواهر القبيحة⁵، من خلال قوله: "من أقبح ما في المغرب كله حماماتهم، ويبدون عوراتهم فيها"⁶، وقد أشار إلى هذه الظاهرة من قبل ابن غازي المكناسي في كتابه "الروض الهتون في أخبار مكناسة

¹ - أبو العيد دودو، الجزائر في مؤلفات الرحالين الألمان (1830-1855)، وزارة الثقافة، الجزائر، 1989، ص70.

² - ويليام شالر، مذكرات قنصل أمريكا في الجزائر (1816-1824)، تق وتغ: اسماعيل العربي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر، 1982، ص88.

³ - أحمد بن هطال التلمساني، رحلة محمد الكبير باي الغرب الجزائري إلى الجنوب الصحراوي الجزائري 1785م، تق: محمد بن عبد الكريم، دار السويدي للنشر والتوزيع، الإمارات العربية المتحدة، 2004، ص30.

⁴ - عبد الرزاق ابن حمادوش، المصدر السابق، ص94.

⁵ - فريدة مقلاتي، المرجع السابق، ص455.

⁶ - عبد الرزاق ابن حمادوش، المصدر السابق، ص94.

— الفصل الثاني: الرحلات الجزائرية أواخر العهد العثماني (القرنين 18م وبداية القرن 19م أنموذجا) —

الزيتون"، وهو يصف في حمام أحد سكان فاس، ويطلق عليه حمام "الفُنش"¹، وتعتبر هذه الصورة إحدى الصور الأكثر رسوخا في ذاكرة الرحالة ابن حمادوش.

كما أشار في رحلته إلى مظهر آخر من مظاهر الفساد الاجتماعي والأخلاقي المنتشر حينذاك بمدينة مكناس، وذلك عند وصفه لأحد الخانات التي نزل فيها، وما كان يجري بها، حيث شبهها بالنيران أو كنائس الرهبان، وذلك لانتشار العادات والممارسات السيئة بها من شرب للخمور...²

إضافة إلى ذلك فقد ذكر عادة سيئة أخرى منتشرة ببلاد المغرب والمتمثلة في أكل القطط من قبل بعض الحمايين، وهي جماعة قليلة قاموا باصطياد القطط وذبحها ثم طبخها وأكلها³، وهي في نظره صورة مقززة تقشعر منها الأبدان.

3-4- الجانب الاقتصادي

تطرق ابن حمادوش في رحلته أيضا إلى الجانب الاقتصادي، حيث ذكر قيمة الرسوم الجمركية المفروضة على السلع المستوردة، وطريقة تحصيلها، ومكان إيداعها، كعادة المكس بتطوان والتي يتولاها مفتش البضائع في دار العشر "الجمارك أو ديوانه" وكاتبه، بحيث يأخذون الخمس على كل السلع المحجوزة⁴، وقد تنوعت الرسوم الجمركية ومقاديرها حسب أسواق المدن والبوادي، كما كان ينصب على كل سوق قائد لاستخلاصها، وتنظيم جبايتها، وكذا مراقبة كل السلع بها⁵.

¹ - محمد بن غازي المكناسي، الروض الهتون في أخبار مكناسة الزيتون، تح: عبد الوهاب بن منصور، المطبعة الملكية، الرباط المغرب، 1988، ط2، ص29.

² - عبد الرزاق ابن حمادوش، المصدر السابق، ص79.

³ - المصدر نفسه، ص99.

⁴ - المصدر نفسه، ص31.

⁵ - ناصر الدين سعيدي، النظام المالي للجزائر في الفترة العثمانية (1800-1830)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1979، ص108.

— الفصل الثاني: الرحلات الجزائرية أواخر العهد العثماني (القرنين 18م وبداية القرن 19م أنموذجا) —

كما تتناول المبادلات التجارية بين البلدين، ومن بين الأشياء التي ذكرها هو امتلاكه لصندوق يحتوي على ثلاث وأربعون تزيئة شاشية تونسية، وسبعة عشر حزام حرير، وقصاب زبد، بالإضافة إلى القطن¹.

من بين الأشياء التي ذكرها أيضا، أسعار كراء الغرف في الفنادق والخانات بالمدن التي زارها، والتي من خلالها أشار إلى العملات المتداولة في تلك المرحلة²، فقد ذكر بأن سعر كراء الغرفة بتطوان ستة عشر موزونة* عن كل شهر³، ومن بين النقود التي كان لها رواج في المبادلات الجزائرية المغربية خاصة بالغرب الجزائري بنواحي تلمسان وندرومة نجد: (البندقي أو العشراوي، ونصف البندقي، والمثقال، والموزونة، والفلس، والريال والدرهم...) ⁴.

3-5- الجانب العلمي

تعتبر رحلة ابن حمادوش في ظاهرها رحلة تجارية، إلا أن جل اهتمامه كان منصبا على لقاء العلماء في المدن التي زارها، سواء بالمغرب الأقصى أو تونس، وحضور الدروس في مختلف العلوم، وكذا قراءة الكتب ونسخها وتلخيصها، بالإضافة إلى الاطلاع على الحواشي، واقتناء التأليف النادرة، وكذا الاهتمام بالتأليف، والحصول على الإجازات من طرف مشايخ وعلماء زمانه حيث كان أول من التقى في رحلته بمدينة تطوان* الشيخ البناني الفاسي عند إقامته في فندق السرايري سنة 1156هـ/1743م⁵، وقد حضر له في العديد من المرات مجالس الدرس، كدرس في

¹ - عبد الرزاق ابن حمادوش، المصدر السابق، ص33.

² - Haedo fray (Diego), topographie et histoire générale d'Alger (la vie à Alger au seizième siècle), traduction de l'espagnol et notes de A. Berbrugger et Dr. Momerrau, présentation de Abderrahmane Rebahi, 3rd Grand -Alger-livre, Alger, 2007, P120.

* الموزونة: وهي عملة نحاسية لها شكل إهليجي ليس به نقوش أو علامات، أنظر: ناصر الدين سعيديوني، النظام المالي...، المرجع السابق، ص204.

³ - عبد الرزاق ابن حمادوش، المصدر السابق، ص32.

⁴ - ناصر الدين سعيديوني، المرجع السابق، ص200.

* مدينة تطوان: مدينة صغيرة تبعد حوالي ثمانية عشر ميلا عن المضيق، وستة أميال من البحر، أنظر: حسن الوزان، المصدر السابق، ج1، ص318.

⁵ - عبد القادر بكاري، عبد الرزاق بن حمادوش...، المرجع السابق، ص255.

— الفصل الثاني: الرحلات الجزائرية أواخر العهد العثماني (القرنين 18م وبداية القرن 19م أنموذجا) —

الضحى والذي تناول فيه "مختصر خليل" في الفقه، وقد أجازته الشيخ البناني في قراءة "مختصر خليل"، و"صحيح البخاري"، و"صغرى السنوسي" في التوحيد لمحمد بن يوسف السنوسي التلمساني¹.

كما حضر لدروس الشيخ الورززي في جامع لكاش بمدينة تطوان سنة 1156هـ/1743م حيث تناول فيها "صحيح البخاري" و"صحيح مسلم" و"موطأ مالك"، وبعد السماح له بتدريس كتاب "المقنع" وختمه أجازته الشيخ الورززي ومنحه كناشه الذي كان يعتمد عليه في سرد صحيح البخاري ومسلم، وموطأ مالك².

من بين علماء تطوان أيضا الذين أجازوا ابن حمادوش الشيخ أحمد السرائري*، وهو من علماء تطوان وكان دائم الحضور لدروسه في جامعته القريب من زاوية سيدي الجعيدي، وهذا بتوصية من الشيخ البناني³، وقد أخذ عنه الإجازة بعد أن قرأ عليه "ألفية العراقي"، والتي قام بنسخ نسخة عنها في السيرة المحمدية سنة 1156هـ⁴.

من علماء فاس الذين أجازوه خلال رحلته وأخذ عنهم مختلف العلوم النقلية نجد الشيخ ابن المبارك السلجماسي*، والذي وصفه بقوله: "لقيت رجلا عظيما عند كافة أهل البلد، خفيف النفس

¹ - عبد الرزاق بن حمادوش، المصدر السابق، ص35.

² - محمد شارف، الإجازة في رحلة ابن حمادوش، مجلة مقاليد، جامعة أدرار، جانفي 2021، مج7، ع2، ص87.

* الشيخ السرائري: هو عالم تطوان الشيخ الفاضل أحمد السرائري، توفي سنة 1157هـ، انظر: عبد الرزاق ابن حمادوش، المصدر السابق، ص68.

³ - شاهيناز قاسمي، المشهديات وتمظهراتها في رحلة ابن حمادوش الجزائري أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه المركز الجامعي عبد الحفيظ بوالصوف، ميلة، الجزائر، 2023-2024، ص187.

⁴ - عبد الرزاق ابن حمادوش، المصدر السابق، ص69.

* الشيخ ابن المبارك السلجماسي: هو أبو العباس أحمد بن المبارك اللمطي السلجماسي بن محمد بن عمر، ولد سنة 1090هـ ببلدة سلجماسة، أخذ علومه بمسقط رأسه، رحل إلى فاس قاصدا استكمال التحصيل العلمي بها، من أهم شيوخه أبي عبد الله محمد بن عبد القادر الفاسي (ت 1110هـ)، والكماد (ت 1116هـ)، والجرندي الأندلسي الفاسي، توفي رحمة الله عليه بفاس سنة 1156هـ، انظر: محمد بن الطيب الحسني القادري، المصدر السابق، ج4، ص40، وأنظر أيضا: خير الدين الزركلي، المصدر السابق، ج1، ص202.

— الفصل الثاني: الرحلات الجزائرية أواخر العهد العثماني (القرنين 18م وبداية القرن 19م أنموذجا) —

حلو المنطق، نحيف الجسم، حسن الملاحظات...¹، وقد قرأ ابن حمادوش عليه "مختصر السنوسي" و"الخبيصي"^{*} في المنطق²، كما قرأ عليه "مختصر خليل" صبيحة كل يوم، وقد ذكر ابن حمادوش بأنه ناول شيخه الإجازة ليضع يده فيها لكن المنية وافتحه قبل ذلك، وهذا ما دفعه لطلب شهادة القاضي بالحصول على الإجازة، وقد لبي القاضي بوخريص^{*} رغبته وحصل على إجازة ابن المبارك له³.

كما ذكر لنا في رحلته العديد من المشايخ الذين أخذ عنهم وتأثر بهم وقرأ عليهم طلبا للإجازة والإفادة والاستفادة، ومن هؤلاء نذكر: "أحمد بن العربي بن الحاج"، والذي قرأ عليه "المختصر الخليلي"، و"الألفية"، و"قواعد الإعراب بشرحها للأزهري"، و"صحيح البخاري"، و"صحيح مسلم" وكلها قراءة تحقيق وبحث وتحرير حسب قوله، وكذا قراءته على "الشيخ محمد بن أحمد القسمطيني" "المختصر"، و"الكبرى والصغرى"، و"المقامات" للشيخ السنوسي، و"تهذيب السعد" للشمسي في علم المنطق، بالإضافة إلى ذكره الشيخ "العربي بن أحمد بردلة" المحدث والمفسر النحوي، المدقق والقاضي الأعدل⁴.

كما تضمنت رحلته العديد من الفنون النثرية منها التقارير^{*}، والتي أسهمت في إثراء رصيده المعرفي، وكذا تمثل جزء هاماً في تراث الجزائر والمغرب خلال الفترة العثمانية، ومن بين التقارير

¹ - عبد الرزاق بن حمادوش المصدر السابق، ص 83.

^{*} الخبيصي: هو عبيد الله بن فضل الله فخر الدين، متكلم، منطقي، له العديد من المؤلفات: "التهذيب في شرح التهذيب"، "التجريد الشافي... توفي سنة 1050هـ/1664م، انظر: خير الدين الزركلي، المصدر السابق، ج 4، ص 196.

² - محمد شارف، المرجع السابق، ص 122.

^{*} القاضي بوخريص: هو ابي محمد سيدي عبد القادر بن العربي بوخريص الفيلاي الكامي، تولى القضاء بالحضرتين الادريسية والمرينية نحو أربعة وثلاثين سنة... توفي سنة 1080هـ، انظر: ابي الربيع سليمان الحوات الشفشاوني، ثمرة انسي في التعريف بنفسه (1160-1231هـ/1747-1816م)، تح وتغ: عبد الحق الحمير، قرأه وأسهم في ضبطه: محمد مفتاح، مطبعة الحداد يوسف اخوان (الهداية)، المملكة المغربية، 1996، ص 82.

³ - عبد الرزاق بن حمادوش، المصدر السابق، ص 89-90.

⁴ - المصدر نفسه، ص 42-44.

^{*} التقارير: والتقريظ مدح الإنسان وهو حي بحق أو باطل، وهما يتقارضان المدح أي يمدح كل صاحبه. أنظر: الفيروز أبادي المصدر السابق، ص 545.

— الفصل الثاني: الرحلات الجزائرية أواخر العهد العثماني (القرنين 18م وبداية القرن 19م أنموذجا) —

التي دونها ابن حمادوش في رحلته تقريظة الشيخ أحمد الورززي، وأحمد بن عمار للمؤلف بفضل تأليفه كتاب "الدرر على المختصر"¹، بالإضافة إلى فن المقامة*، والذي يعتبر ابن حمادوش سباقا في تضمين هذا الفن خلال رحلته، وقد ساهم هذا الفن في التعبير عن واقع المجتمع المغربي والذي تأثر به الرحالة، فسجل مشاهداته وانطباعاته بالدقة والجمال مع قدرته على استخدام التنميق اللفظي والأساليب المسجوعة، وهذا من خلال مقاماته الثلاث التي دونها في رحلته، ويظهر ذلك من خلال قوله: "...لما جرى القضاء المحتوم، والأمر الملزوم، بأن خف الريش، وأكل الجوش ومضض العيش، فخلفني الجيش، وكثر الصرف، وقصر الطرف، وجفت الإخوان، وقلة الأخدان وغلب الزمان..."².

كما كانت رحلته أيضا وافرة بالشعر والقصائد، وهو دليل على انتشار هذا الفن في تلك الحقبة خاصة في مدح العلماء والمشايخ والسلطين، ومن بين القصائد التي قام بتدوينها لامية من اثنا عشرة بيتا في مدح شيخه البناني وكان مطلعها:

سموت فلم يكن بقربك نازل فكنت في أوج العز تمطر بالسؤل³

كما ذكر في رحلته جل مؤلفاته، والكتب التي قام بنسخها، والتي شملت جميع العلوم من فقه وأدب، وفلك، ورياضيات، وطب، وهندسة، وقد طغى على مؤلفاته الجانب العلمي أكثر منها الديني، ومن أهم تأليفه: "تأليف في الرزنامة"، "الدرر على المختصر"، كتاب "الجواهر المكنون" في الطب، و"مباحث الذكرى"، بالإضافة إلى تأليف في "القنبلة"، وتأليف في "علم البلوط"، وتأليف في "قوس الشمس"، وتأليف في "الفلك"، و"حاشية على ألفية مالك" وغيرها من التأليف، كما قام بنسخ

¹ - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي...، المرجع السابق، ج2، ص182.

* المقامة: هي القصة القصيرة التي تدور أحداثها حول بطل وهمي، يروي اخبار وهمية، انظر: محمد عزام، المصطلح النقدي في التراث الادبي العربي، دار الشرق العربي، حلب، سوريا، (د.ت.ن)، ص351.

² - عبد الرزاق ابن حمادوش، المصدر السابق، ص164.

³ - هند تمار، تداخل الأجناس الأدبية في أدب الرحلة مدونة ابن حمادوش الجزائري أنموذجا، رسالة ماجستير تخصص الأدب العربي قديما وحديثا، جامعة غرداية، 2014/2015، ص29.

— الفصل الثاني: الرحلات الجزائرية أواخر العهد العثماني (القرنين 18م وبداية القرن 19م أنموذجا) —

العديد من الكتب، منها نسخ مقالات إقليدس، وكتب ابن سينا في الطب، وكتب السير والمنطق والأدب¹.

4- مصادر رحلة ابن حمادوش

اعتمد بن حمادوش في كتابة رحلته على دقة ملاحظاته واهتماماته بطبائع الناس وغرائب الأشياء، بالإضافة إلى اعتماده على عدة مصادر من كتب الرحالة مثل "الرحلة الناصرية" لصاحبها أحمد بن ناصر بن محمد بن ناصر الدرعي، و"الرحلة العياشية" لصاحبها أبو سالم عبد الله بن محمد العياشي، وكما أخذ عن ابن سينا في المنطق من خلال نسخه لكتاب "الجدل" وكتاب "النجاح"، وكتاب "السمرقندي" في الجدل والمنطق، بالإضافة لقراءته كتب إقليدس في المنطق وكتاب "الأحكام والطلاسم" لابن البناء²، كما اعتمد على نقل عدة مؤرخين مثل كتاب "الاكتفاء في أخبار الخلفاء" لأبي مروان عبد الملك بن أبي القاسم التوزري التونسي المعروف بابن الكريديوس (ت 610هـ / 1214م)، وكتاب تاريخ "أنس الجليل بتاريخ القدس والخليل" لعبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن العليمي الحنبلي المقدسي (ت 928هـ / 1521م)، وكتاب "المتحف ونهاية المتلفظ" لأبي إسحاق إبراهيم بن إسماعيل بن أحمد بن عبد الله اللواتي الطرابلسي المشهور بابن الأجدابي (ت 470هـ / 1078م)، وكتاب "مقامات الحرير" لأبي محمد بن القاسم بن علي بن محمد عثمان الحريري الحرامي البصري (ت 516هـ / 1112م)³، وكتاب "تاريخ مختصر الدول" لغريغوريوس ابن أهرن ابن توما اللطفي أبو الفرج المعروف بابن العبري (ت 685هـ)⁴، بالإضافة إلى اعتماده على المقدمات في التوحيد مثل مقدمة "صغرى الصغرى" للإمام أبي عبد الله محمد السنوسي في أصول الفقه والدين⁵، وفي هذا يقول: "وقد أخذت العقيدة المعروفة بالسُنوسية، وأم البراهين، والمقدمة المعروفة بالمقدمات، والمقدمة المعروفة بصغرى الصغرى"⁶.

¹ - عبد الرزاق بن حمادوش، المصدر السابق، ص 351-360.

² - المصدر نفسه، ص 120.

³ - عبد القادر بكاري، مناهج الكتابة عند مؤرخي...، المرجع السابق، ص 242-244.

⁴ - ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، تح: أنطوان صالجانى اليسوعي، دار الشرق، بيروت، لبنان، 1992، ط3، ص 57.

⁵ - ابن القاضي المكناسي، المصدر السابق، ص 142.

⁶ - عبد الرزاق بن حمادوش، المصدر السابق، ص 273.

— الفصل الثاني: الرحلات الجزائرية أواخر العهد العثماني (القرنين 18م وبداية القرن 19م أنموذجا) —

من هنا تتجلى لنا القيمة العلمية والأدبية والدينية التي اكتسبتها رحلة ابن حمادوش، والتي عكست لنا شخصيته الموسوعية، والتي جمع فيها ما بين دقة الملاحظة والتحليل، وبين النزعة الدينية والعلمية، وقد ساعدتنا على التعرف على أشهر العلماء، والمؤلفات في تلك الحقبة، وكذا عن كيفية الحصول على الإجازات، وطريقة اقتناء الكتب ونسخها، بالإضافة إلى أهميتها الاجتماعية من خلال التعرف على أهم عادات الشعوب، وتقاليدها، وأنشطتها الاقتصادية، ومعاملاتها التجارية، وكذا بعدها التاريخي المتمثل في إعطاء معلومات ومعطيات عن الحياة السياسية السائدة في الفترة المتأخرة بالجزائر والعالم العربي والإسلامي من الحكم العثماني، وبذلك فهي تمثل مصدرا محليا أساسيا في كتابة تاريخ الجزائر خلال الحقبة المتأخرة من الحكم العثماني بالإيالة.

ثانيا: رحلة الحسين بن محمد الورثيلاني خلال القرن 18م

تعد رحلة الحسين الورثيلاني من أبرز الرحلات الجزائرية في القرن الثامن عشر الميلادي وتمثل مصدرا محليا مهما في دراسة الحياة الفكرية والاجتماعية بالجزائر خلال الحقبة العثمانية المتأخرة، وقد دونها الشيخ الحسين الورثيلاني أثناء رحلته التي قام بها إلى المشرق بهدف أداء فريضة الحج، فجاءت رحلته سجلا زاهرا بالملاحظات والإشارات إلى الحياة اليومية بالمجتمعات العربية التي زارها ووصفا للبلدان والعادات والمؤسسات العلمية، والعلاقات بين المشرق والمغرب في تلك الفترة.

1- التعريف بالرحالة

1-1- نسبه ومولده

هو الحسين بن محمد بن السعيد بن الحسين بن محمد بن عبد القادر بن يحيى بن أحمد الشريف ابن علي البكاي البجائي الحسني من شرفاء تافيلالت¹.

¹ - الحسين ابن محمد الورثيلاني، نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار المشهورة بالرحلة الورثيلانية، اعتنى بها: محمد خليل إبراهيم، تصحيح: محمد بن أبي شنب، مطبعة بيبير فونتانا الشرقية، الجزائر، 1908، ص7.

— الفصل الثاني: الرحلات الجزائرية أواخر العهد العثماني (القرنين 18م وبداية القرن 19م أنموذجا) —

ولد في بلدة بني ورثيلان* -لذلك عرف بالورثيلاني- سنة 1125هـ/1713م¹، وينحدر من عائلة شريفة ذات أصل عربي وهو ما يؤكد في شجرة أنسابه²، كما أشارت المصادر إلى أن نسبه يعود إلى شرفاء تافيلالت*، وقد انتقلت أسرته إلى مدينة بجاية في عهد جده علي البكاي البجائي³ وهو مالكي المذهب، أشعري الاعتقاد، شاذلي الطريقة⁴، وعدت عائلته من الأسر المرابطية (أهل الطرق) التي تدعي الشرف، وهذا ما جعل الناس ينظرون إليهم نظرة احترام وإجلال⁵.

1-2- نشأته وطلبه العلم

ينتمي الحسين بن محمد الورثيلاني إلى أسرة عربية شريفة، وكان جده قد جاء إلى ميله وصاهر أسرة محمد أمقران حاكم منطقة قنزات، وأصبح شيخا معترفا به في المنطقة، وهذا ما ساعده على بسط نفوذه الروحي والديني بالمنطقة، وهكذا فقد اجتمع في أصول الرحالة الدين والدنيا معا⁶.
نشأ الورثيلاني في وسط أسرة فقيرة دعامتها النقشف والزهد، وأساسها الصلاح والشرف العلمي أين تلقى تعليمه الأول بمسقط رأسه بقرية "أنو" بجوار قرية بني ورثيلان⁷، فقد حفظ القرآن

* بني ورثيلان: هي قبيلة أمازيغية بالمغرب الأوسط، قرب بجاية التابعة للجزائر، وهي حاليا من بلديات ولاية سطيف، أنظر: الحسين بن محمد الورثيلاني، المصدر السابق، ص5.

¹ - عادل نويهض، المرجع السابق، ص527.

² - Mohammed hadj Sadok, Atravers la berbèrie oriental du 18 siecle avec la voyageur ALwarthilani in R.A, vol95, Alger, 1951, p317.

*تافيلالت: أو بما يعرف بسلجماسة القديمة، وتقع جنوب المغرب الأقصى، ويعود نسبها إلى الحسين بن علي بن أبي طالب، أنظر: مبارك بوعصب، مساهمة في دراسة قصور تافيلالت من سقوط سلجماسة إلى نهاية القرن الـ20 "التاريخ والمعمار والإنقاذ" أطروحة دكتوراه، جامعة محمد بن عبد الله، فاس، المغرب الأقصى، 2010/2011، ص18.

³ - عبد القادر صحراوي، الرحلات الجزائرية إلى بلاد الحرمين من خلال رحلتي البجائي والورثيلاني، مجلة الحوار المتوسطي، بجاية، الجزائر، مارس 2018، مج9، ع7، ص6.

⁴ - الحسين بن محمد الورثيلاني، المصدر السابق، ص16.

⁵ - أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ...، المرجع السابق، ج1، ص188.

⁶ - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي...، المرجع السابق، ج2، ص394.

⁷ - يحي بوعزيز، أعلام الفكر والثقافة، في الجزائر المحروسة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1995، ج1، ط1، ص ص44-

— الفصل الثاني: الرحلات الجزائرية أواخر العهد العثماني (القرنين 18م وبداية القرن 19م أنموذجا) —

الكريم في زاوية جده ودرس مبادئ الفقه واللغة على يد أبيه وعلماء قريته¹، وكما كان لتكوينه في مسقط رأسه الأثر البارز على مسيرته العلمية خاصة من خلال مبادئ التصوف التي تلقاها من عائلته ومن علماء منطقته، والتي بقي مرتبطا بها بقية حياته²، ثم واصل مسيرته في طلب العلم بحيث انتقل إلى بعض الزوايا والمعاهد العلمية المتواجدة بمنطقة القرقور وجرجرة ودلس والجزائر العاصمة، تلمسان، مليانة، البليدة، المسيلة، وبسكرة³، وهذا بهدف الاستزادة من العلوم الفقهية واللغوية⁴.

ذكر الورثيلاني في رحلته بأنه تزوج أربع مرات، إحداهن من أسرة بني عيدل من أولاد سيدي امحمد أمقران، وهي من أسرة المسعود بن عبد الرحمان⁵، والثانية من أسرة بني يعلى "أسرة سيد بركات"⁶، والثالثة من أولاد دراج وهي "عويشة بنت عبد الله بنت رحاب من أولاد سيدي الشيخ سيدي رحاب"⁷، وأما زواجه الرابع فكان من عائشة بنت السعيد بن عبد الرحمان من بني عيدل بحوض الصومام⁸.

كما تحدث عن تنقله إلى مدينة قسنطينة والتقاءه بعلمائها، ومنهم العالم الصالح يحي العيلاوي، والفقيه سيدي أحمد الزين، والشيخ عبد الله التومي، وآخرون، وقد أخذ عنهم علوم الفقه والتفسير والنحو والبيان...⁹.

1 - عبد المنعم القاسمي الحسني، أعلام التصوف في الجزائر...، المرجع السابق، ص144.

2 - عائشة دباح، الرحلة العلمية وتأثيرها على الوضع الثقافي في الجزائر في عهد الدايات "رحلة الحسين الورثيلاني أنموذجا"، مجلة قضايا تاريخية، الجزائر، 2017، ع8، ص52.

3 - هلايلي حنفي، أوراق في...، المرجع السابق، ص215.

4 - ناصر الدين سعيدي، من التراث التاريخي...، المرجع السابق، ص418.

5 - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي...، المرجع السابق، ج2، ص394.

6 - الحسين بن محمد الورثيلاني، المصدر السابق، ص18.

7 - المصدر نفسه، ص80.

8 - المصدر نفسه، ص603.

9 - محمد المهدي بن علي شغيب، أم الحواضر في الماضي والحاضر (تاريخ مدينة قسنطينة)، مطبعة البعث، قسنطينة، الجزائر، 1980، ص268.

— الفصل الثاني: الرحلات الجزائرية أواخر العهد العثماني (القرنين 18م وبداية القرن 19م أنموذجا) —

انتقل إلى تونس ودرس بجامع الزيتونة، ثم واصل مسيرته في طلب العلم، فانتقل إلى مصر وأخذ عن علمائها مختلف العلوم النقلية والعقلية، ومن بينهم الصعيدي والحفناوي والفيومي...¹. وظل مرتبطا بالطريقة الشاذلية ملتزما بحياة الزهد والتقشف، ومتصفا بالجد والعمل والاستزادة من العلوم الفقهية واللغوية، بالإضافة إلى أنه أدى فريضة الحج ثلاث مرات، الأولى صحبة والده وهو ابن 18 سنة (1153هـ/1740م)، والثانية عندما بلغ سن الـ 31 عاما (1166هـ/1752م)، والثالثة استغرقت ثلاث سنوات (1179هـ/1181هـ)، وحرص خلالها على الالتقاء بعلماء مصر والحجاز والأخذ عنهم، وكذا الاستفادة والإفادة من علومهم²، وهذا ما ساعده على توسيع ثقافته ومداركه وزاده الثقافي.

أصبح من علماء المنطقة مثل جده ووالده، ومن الذين يدين لهم الناس بالطاعة والاحترام ويرجع إليه في الفتوى وغيرها من المسائل الشرعية، وكذا مدرسا بالزاوية، ثم شيخا لزاوية الأسرة³ وقد وصفه أبو القاسم محمد الحفناوي بقوله: "هو الإمام العالم شيخ مشايخ الإسلام الورع الزاهد الصالح العابد المتبع لأثر الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام، الجامع بين المعقول والمنقول..."⁴، وبعد أن تبوأ هذه المكانة العلمية الرفيعة تفرغ للدرس والتدريس، وكما كانت له زيارات إلى بجاية، وغيرها لإفادة طلاب العلم، وقد تتلمذ على يده العديد من الطلاب الذين تولوا فيما بعد مناصب دينية سامية.

1-3- شيوخه

عمل الرحالة والعالم الحسين الورثيلاني منذ أن شب على توسيع معارفه وثقافته سواء كان ذلك في قريته أو خارجها، وذلك من خلال الاحتكاك بالعلماء والمشايخ، ومن بين المشايخ الذين درس على أيديهم وأخذ عنهم العلم والده محمد السعيد، الذي أخذ عنه العلوم اللغوية والتصوف

1 - الحسين بن محمد الورثيلاني، المصدر السابق، ص8.

2 - عبد المنعم القاسمي الحسني، المرجع السابق، ص144.

3 - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي...، المرجع السابق، ج2، ص394.

4 - أبو القاسم محمد الحفناوي، المصدر السابق، ج2، صص 139 - 141.

— الفصل الثاني: الرحلات الجزائرية أواخر العهد العثماني (القرنين 18م وبداية القرن 19م أنموذجا) —

وكذلك الشيخ يوسف بن بشران مدرس القرآن الكريم بزاوية والده¹، ومن علماء مدينة الجزائر الذين التقى بهم وأخذ عنهم العلوم العقلية والنقلية نجد: العالم والشيخ علي بن أحمد بن عبد الله صاحب المنظومة المشهورة في علم التوحيد "كفاية المريد في علم التوحيد"²، ومن الشيوخ الذين أخذ عنهم الفقه والنحو والبيان بمدينة قسنطينة نذكر منهم: الشيخ يحي العيلاوي، والفقيه أحمد الزين، والشيخ السعدي السدراتي، والمفتي علي الشريف، وقاضي الجماعة والنحوي والمفسر عبد القادر الراشدي وكذا أمير الركب الحجازي بدر الدين بن عبد الكريم الفقون، والعلامة ابن وادفل، والشيخ محمد العنتري وآخرون...³.

من علماء منطقة بلاد زواوة الذين أخذ عنهم: الشيخ علي بن موسى، ومن علماء تدلس نجد الشيخ أحمد بن عمر التدلسي⁴، ومن علماء طولقة نجد الشيخ علي بن المبارك ولد الشيخ علي الطيار⁵.

وإثناء رحلته إلى بلاد الحرمين الشريفين استغل الرحالة الحسين الورثياني الفرصة، وبالرغم من غلبة الروح الصوفية لديه على الروح الفقهية إلا أنه كان حريضا على توسيع معارفه وثقافته⁶ لذلك عمل على حضور الدروس وأخذ العلم عن خيرة العلماء، سواء بالحرمين الشريفين أو بمصر ومن الشيوخ والعلماء الذين أخذ عنهم وحضر دروسهم بمكة: "الشيخ المدرس أحمد الإشبيلي"، أما بمصر فقد أجازة العديد من العلماء وعلى رأسهم الشيخ الفيومي، والشيخ عبد الوهاب العفيفي والشيخ محمد الحفناوي، وغيرهم من العلماء والمشايخ⁷.

¹ - الحسين بن محمد الورثياني، المصدر السابق، ص 623.

² - مؤيد صلاح العقبي، الطرق الصوفية والزوايا بالجزائر تاريخها ونشاطها، دار البراق، بيروت، 2015، ص 352.

³ - محمد المهدي بن علي شغيب، المرجع السابق، ص 268.

⁴ - الحسين بن محمد الورثياني، المصدر السابق، ص 714.

⁵ - المصدر نفسه، ص 6.

⁶ - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي...، المرجع السابق، ج 2، ص 394.

⁷ - الحسين بن محمد الورثياني، المصدر السابق، ص 286-287.

— الفصل الثاني: الرحلات الجزائرية أواخر العهد العثماني (القرنين 18م وبداية القرن 19م أنموذجا) —

كما أجازته العديد من العلماء سواء بالجزائر أو بالمشرق، ومنهم الشيخ أبي القاسم الربيعي القسنطيني، علي الصعيدي، عمر الطحلاوي، الزياني، الصباغ الاسكندري، الهاشمي المغربي وإبراهيم بن علي شعيب التونسي¹، وقد ساهم احتكاكه بالعلماء في تكوين شخصيته العلمية والثقافية وصقلها، سواء كان ذلك بإيالة الجزائر، أو خارجها بتونس وبلاد المشرق العربي.

1-4- مؤلفاته

ترك الورثيلاوي عدة مؤلفات شملت مختلف العلوم، كالفقه والحديث والتصوف والنحو والتفسير، كتابة القصائد، التراجم والتاريخ، وإن كان معظمها في عداد المفقود، أو عناوين ذكرت خلال الرحلة وليست في متناول الباحثين، ومن أشهر مؤلفاته نذكر:

- نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار "الرحلة الورثيلاوية": انتهى من تأليفه سنة 1182هـ/1768م، وأول ما طبع كان سنة 1321هـ/1903م بتونس²، وهو موضوع الدراسة.
- شرح المنظومة القدسية للشيخ عبد الرحمن الأخضر في التصوف: وهي عبارة عن منظومة في آداب السلوك في طريق السنة، معظمها عام 944هـ/1538م، وقد تأثر بها الورثيلاوي، واستشهد بها في العديد من المواضع بالرحلة، وقد سماها بـ " الكواكب العرفانية والشوارق الأنسية في شرح الألفاظ القدسية"، وهو محفوظ متواجد بمكتبة تطوان بالمغرب الأقصى تحت رقم 115³.

- كتاب شوارق الأنوار في تحرير معاني الأذكار: وتضمن الأوراد والأذكار، وهو موجود أيضا بالمكتبة العامة والمحفوظات بتطوان المغربية تحت رقم 155⁴.

¹ - عبد القادر صحراوي، الورثيلاوي (مقدمة عن رحلته وملاحظات عن فضل علم التاريخ والأخبار)، مجلة الحوار المتوسطي جامعة الجيلالي النابيس، سيدي بلعباس، 2009، ع9-10، ص99.

² - ناصر الدين سعيدي، من التراث... المرجع السابق، ص419.

³ - عبد القادر بكاري، حسين الورثيلاوي والكتابة التاريخية من خلال رحلته الموسومة بـ "نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار"، مجلة الناصرية للدراسات الاجتماعية والتاريخية، جامعة ابن خلدون، تيارت، جوان 2017، مج8، ع1، ص45.

⁴ - المهدي الدليرو، محمد بوخيزة، فهرس مخطوطات مكتبة تطوان، مطابع الشويخ، تطوان، المغرب الأقصى، 1981، ص15.

— الفصل الثاني: الرحلات الجزائرية أواخر العهد العثماني (القرنين 18م وبداية القرن 19م أنموذجا) —

• شرح محصل المقاصد الإمام أبي العباس أحمد بن زكري التلمساني: وموضوعه الأخلاق والتصوف، وهو مخطوط بمؤسسة الملك عبد العزيز آل سعود بالدار البيضاء رقم 1475/3.¹

كما له تعليق على حاشية الكتاني، كتاب المرادي، وقصيدة من خمسمائة بيت في مدح النبي صلى الله عليه وسلم²، بالإضافة إلى عدة رسائل منها: "رسالة في شرح قول أحد الأولياء"، وذلك ردا على أسئلة طلبة وعلماء تدلس، و"رسالة في شرح لغز صوفي لشيخ أحمد بن يوسف الملياني" و"رسالة حول اختلاف العلماء والفقهاء في الأزهر في تفسير أو شرح الخرشي لخطبة الشيخ خليل"³.

وكما ألف العديد من الكتب منها: "شرح كتاب الصلاة"، و"شرح بردة البوصيري"، و"شرح الخطبة الصغرى للسنوسي"، و"حاشية على حاشية الكتاني على شرح السنوسي"⁴، وكتاب "الرحلة السنوية" التي وصفها الحفناوي بقوله: "الرحلة السنوية التي سارت بها الركبان، وقد دعا لناسخها ومالكها وناظرها، فهي حصن حصين ودرع متين..."⁵.

1-5- وفاته

توفي الشيخ والعالم الحسين الورثيلاني في عام 1193هـ/1779م بمسقط رأسه في قرية بني ورثيلان، ودفن بمقبرتها قرب زاويته، ولا يزال قبره قائما إلى يومنا هذا⁶.

¹ - محمد القادري وآخرون، فهرس المخطوطات العربية والأمازيغية، مؤسسة الملك عبد العزيز آل سعود للدراسات الإسلامية والعلوم الإنسانية، الدار البيضاء، المغرب، 1985، ص 548.

² - الحسين بن محمد الورثيلاني، المصدر السابق، ص ذ.

³ - يحيى بوعزيز، أعلام الفكر والثقافة...، المرجع السابق، ج 1، ص 45.

⁴ - عبد القادر بكاري، حسين الورثيلاني...، المرجع السابق، ص 45.

⁵ - أبو القاسم محمد الحفناوي، المصدر السابق، ج 2، ص 137-138.

⁶ - عبد الهادي التازي، رحلة الرحلات مكة في مائة رحلة مغربية ورحلة، مراجعة: عباس صالح طاشكندي، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، مكة، 2005، ج 1، ص 375، وأنظر أيضا: أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي...، المرجع السابق، ج 2 ص 395، وأنظر كذلك: العمري بلاعة، الرحلات الجزائرية الحجازية "الرحلة الورثيلانية أنموذجا" دفاثر مخبر الشعرية الجزائرية جامعة محمد بوضياف، المسيلة، الجزائر، 2016، مج 1، ع 2، ص 126-127.

2- التعريف بكتاب الرحلة الورثيلانية

سميت هذه الرحلة بـ "نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار"، وهي مصدر من مصادر التاريخ الإسلامي خلال العهد العثماني، وقد انتهى من تأليفها يوم الإثنين الفاتح من شهر شعبان 1182هـ/1769م¹، واشتهرت باسم "الرحلة الورثيلانية"، وتم نشرها سنة 1908 بمطبعة ببيير فونتانا الشرقية بمدينة الجزائر، واعتنى بها: محمد خليل إبراهيم، وقام بتصحيحها: محمد بن أبي شنب، توجد منها حاليا بالمكتبة الوطنية في الجزائر العاصمة عدة نسخ؛ منها ثلاثة نسخ تحت رقم 2171-2743-2968، وقد صدرت أول طبعة حجرية لها في تونس سنة 1903، وتتضمن 713 صفحة، بالإضافة إلى خمس صفحات تشمل مقدمة الناشر والمصحح، وهناك 105 صفحات تضمنت الفهارس الخاصة بالأعلام وأسماء الأماكن والقبائل و الأعراش، وأخيرا أسماء المصادر².

ذكر لنا أبو القاسم سعد الله نقلا عن الورثيلاني الدافع وراء القيام بهذه الرحلة في مقدمتها وجاءت كما يلي: "... وبعد؛ فإنني لما تعلق قلبي بتلك الرسوم والآثار والرباع والفقار والديار والمطاعم والمياه والبساتين والأرياف والقرى والمزارع والأمصار والعلماء والفضلاء والنحباء والأدباء، وكل مكان..."³.

تعتبر هذه الرحلة الوحيدة تقريبا التي نشرت كاملة في هذه الفترة، ولا شك أن ذلك يعود إلى الرحالة نفسه، الذي أملاه على العديد من تلامذته فحفظها من الضياع⁴، وقد نشرت هذه الرحلة بطلب من الحاكم العام الفرنسي "جونار"⁵، واهتم بها "مارسي" الذي طالب بترجمتها إلى اللغة

¹ - عبد الهادي التازي، المرجع السابق، ج1، ص375.

² - عادل نويهض، المرجع السابق، ص527.

³ - رقية شارف، الكتابات التاريخية ...، المرجع السابق، ص280.

⁴ - أسماء القايم، الرحلات الجزائرية خلال العهد العثماني (الحج أنموذجا)، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة سيدي بلعباس 2009/2008، ص116.

⁵ - عبد القادر صحراوي، المرجع السابق، ص48.

— الفصل الثاني: الرحلات الجزائرية أواخر العهد العثماني (القرنين 18م وبداية القرن 19م أنموذجا) —

الفرنسية سنة 1931م، ونشرت في المجلة الإفريقية سنة 1951، وأعدت مطبعة دار الكتاب العربي ببيروت طبعها للمرة الثانية سنة 1394هـ/1974م¹.

3- المحتوى العام للرحلة الورثيلانية

تعتبر الرحلة الورثيلانية الموسومة — "نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار" أهم الرحلات الحجازية البارزة في القرن 12هـ/18م، فهي سجل لما عاشه الرحالة وشاهده، سواء بما يتعلق بالحج أو بالحياة العلمية والاجتماعية والاقتصادية للبلدان التي زارها ومر بها²، ولذلك عدت من أهم المصادر الأساسية المعتمدة من طرف الباحثين والمؤرخين في كتابة الجزائر خلال العهد العثماني، ومن أهم المواضيع التي شملتها الرحلة نذكر ما يلي:

3-1- مسار الرحلة

تحدث الورثيلاني في رحلته عن المراحل التي قطعها في طريقه ذهابا وإيابا إلى الحرمين الشريفين لأداء فريضة الحج الثالثة، والتي استغرقت ثلاث سنوات ما بين (1179هـ إلى 1181هـ)، قام من خلالها بتأليف هذه الموسوعة، والتي ضمت أخبار جزء كبير من العالم الإسلامي في تلك الحقبة³، وأبرز فيها مسار رحلته حسب خط سيره ذهابا، حيث انطلق في رحلته يوم الخميس من قريته بعد أن ودع أهله وأصدقائه، وكان مبيتة الأول في بني حافظ، ليتجه إلى بني يعلي⁴، ثم زمورة، قصر الطير، أولاد موسى من وطن ريغة، أولاد دراج، بريكة، بسكرة، سيدي عقبة، الخنفة، أولاد سيدي ناجي، نفطة، الحامة، توزر، قابس، طرابلس، تاجراء، بلدة زليتن و

1 - عبد القادر بكاري، الحسين الورثيلاني...، المرجع السابق، ص45.

2 - كريم منقوش، منهج الكتابة عند الحسين الورثيلاني من خلال رحلاته، رحلة "نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار" أنموذجا، مجلة رؤى تاريخية للأبحاث والدراسات المتوسطة، جامعة فارس يحيى، المدينة، أكتوبر 2020، مج1، ع2، ص8.

3 - عبد المنعم القاسمي الحسني، المرجع السابق، ص144.

4 - الحسين بن محمد الورثيلاني، المصدر السابق، ص80.

— الفصل الثاني: الرحلات الجزائرية أواخر العهد العثماني (القرنين 18م وبداية القرن 19م أنموذجا) —

مسرّاتة، برقة، درنة، الرملة، الإسكندرية، القاهرة، المدينة المنورة، مكة¹، والتي دخلها من باب علي².

أما طريق العودة فبعد قيام الورثيلاني بأداء مناسك الحج وأدائه لطواف الوداع، انطلق عصرا من موضع يسمى بـ "كُدى" بضم الكاف³، متجها نحو مصر ثم الإسكندرية، فطرابلس، وصولا إلى تونس، ثم مروره بالكاف، إلى أن وصل إلى قسنطينة، فزموره، ثم قريته بني ورثيلان⁴، والتي وصلها مع أهله ليلة الجمعة من يوم عرفة سنة 1181هـ⁵، وقد استغرقت هذه الرحلة كما ذكرنا سابقا ثلاث سنوات حرص فيها الرحالة الحسين الورثيلاني على مقابلة العلماء والأخذ منهم سواء بالحجاز أو مصر⁶، ومع تدوينه كل ما رآه وشاهده ووقف عليه في رحلته.

3-2- الوصف الجغرافي

اهتم الرحالة الورثيلاني في رحلته بوصف المدن والأمصار، وتحديد مواقعها والمسافات التي تفصل بينها مع ذكر خصائصها ومناخها، وكذا تناوله أهم المسالك والطرق والممرات⁷، وقد برع في عملية الوصف الجغرافي للأقطار التي مر بها، وذكره للأوصاف الطبيعية والبشرية لسكانها وهذا كله منحصر بمدة إقامته، والتي تختلف باختلاف درجة حضارتها وازدهارها، وتقدمها ورفقها ومن بين تلك المناطق، وصفه لبجاية حيث يقول: "وبالجملة ففضل بجاية مشهور وعلم أهلها مذكور... فوجدت العلم ينبع من صدور رجالها كالماء الذي ينبع من حيطانها..."⁸، هذا بالإضافة إلى وصفه منطقة بسكرة وما يوجد فيها من قبور للأولياء الصالحين، ومنها قبر عبد الرحمن

1 - ناصر الدين سعيدوني، من التراث التاريخي...، المرجع السابق، ص 419-420.

2 - الحسين بن محمد الورثيلاني، المصدر السابق، ص 384.

3 - المصدر نفسه، ص 445.

4 - عبد القادر صحراوي، المرجع السابق، ص 109.

5 - الحسين بن محمد الورثيلاني، المصدر السابق، ص 704.

6 - عبد المنعم القاسمي الحسني، المرجع السابق، ص 144.

7 - حنيفي هلايلي، أوراق في تاريخ...، المرجع السابق، ص 223.

8 - الحسين بن محمد الورثيلاني، المصدر السابق، ص 104.

— الفصل الثاني: الرحلات الجزائرية أواخر العهد العثماني (القرنين 18م وبداية القرن 19م أنموذجا) —

الأخضري مؤلف قصيدة القدسية، وقبر الصحابي عقبة بن نافع بمنطقة سيدي عقبة¹، إضافة إلى وصفه بعض المدن التونسية (قابس)، وكذا وصفه مدينة طرابلس بليبيا، ولقائه بعلمائها ومشايخها أمثال أبي الحسن علي بن محمد بن النمر الطرابلسي، وأبي إسحاق إبراهيم ابن إسماعيل الأذابي².

من بين الأقطار والأماكن التي استهوتته، وأقام فيها مدة معتبرة من الزمن، وكتب ملاحظات دقيقة حولها؛ مصر³، وفي هذا يقول: "وبالجملة في مصر أم البلاد مشرقا ومغربا، لا تستغرب شيئا مما يحكى عنها من خير أو شر..."⁴، وقد قدم فيها وصفا دقيقا لشعبها وعاداته وتقاليده ووصف المدن والعمران وأزقة الشوارع الضيقة منها والواسعة، والمحلات، والأكلات الشعبية ووصفه لمدينة الإسكندرية، ومكتبتها العملاقة، ومنارتها العظيمة المطلة على البحر الأبيض المتوسط وكما قدم وصفا رائعا لمدينة القاهرة وجامعها الأزهر⁵، بالإضافة إلى وصفه ساحل البحر الأحمر والقرى والمدن التي تطل عليه وعادات أهلها⁶، ليصف لنا مكة والمدينة وما يوجد بهما من عيون وآبار وأودية، ومنها وادي العفيف، و وادي بطحان، ووادي فناة، ورائوناء، وغيرها من أنواع وأشكال التضاريس المنتشرة في تلك المناطق التي زارها⁷.

3-3- الوصف العمراني

اهتم الرحالة الحسين الورثياني بوصف العمراني أو بما يعرف بالآثار المادية بالمناطق التي زارها مثل المساجد، والمباني، وكذا المدن والقرى، فذكر مناطق كثيرة ومتعددة منها⁸:

1 - أبو القاسم سعد الله، على خطى المسلمين "حراك في التناقض"، عالم للمعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009، ص40.

2 - الحسين بن محمد الورثياني، المصدر السابق، ص24.

3 - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي...، المرجع السابق، ج2، ص396.

4 - الحسين بن محمد الورثياني، المصدر السابق، ص3.

5 - نبيل حويلي، نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار للشيخ الحسين الورثياني بين السرد العجائبي وخطى التاريخ والذاكرة، مجلة الحكمة للدراسات الأدبية واللغوية، جامعة الجزائر2، الجزائر، 2023، مج11، ع4، ص122.

6 - الحسين بن محمد الورثياني، المصدر السابق، ص46.

7 - المصدر نفسه، ص728.

8 - حنفي هلايلي، أوراق في تاريخ...، المرجع السابق، ص224.

— الفصل الثاني: الرحلات الجزائرية أواخر العهد العثماني (القرنين 18م وبداية القرن 19م أنموذجا) —

• **مدينة بسكرة:** تعتبر مدينة بسكرة من أهم المحطات التي توقف عندها الرحالة، حيث قام بوصفها ووصف مساجدها العظيمة، ومنها مسجد الزاب، وفي هذا يقول: "... وهذه البلدة أعني بسكرة كثيرة المياه... وكل باب عنده ساقية تجري من ماء حلو كالعسل، ونخلها عظيم وغلتها كثيرة... والجامع لا نظير له وصومعته وما أحسنها وما أوسعها"¹.

• **مدينة قسنطينة:** من بين أهم المدن التي قام بوصفها، وإبراز ما تزخر به من بساتين ومياه وأودية، وأبوابها الثلاثة " باب الوادي، وباب الجاية، وباب القنطرة"، وسورها الكبير، ومساجدها الكثيرة وأسواقها المتعددة.

• **مدينة تونس:** وصف الرحالة مدينة تونس وآثارها الكثيرة المتعددة من أسوار ومساجد ودور للصناعة، وإطلالها على البحر، وموقعها الممتاز، وبهذا الوصف فقد ساهم في ذكر العديد من الأمور المتعلقة بتاريخ هذه المدينة وأصالتها².

• **مدينة طرابلس:** اعتمد الرحالة في وصفه لمدينة طرابلس على عدة مصادر تاريخية، ومن بينها ما ورد عن الشيخ محمد بن علي السنوسي شارح الشقراطية، ونقلًا عن البكري من أن طرابلس بالعجمية ثلاث مدن، ويوجد بها سور ضخم جليل البناء، وهو على شاطئ البحر، وبها أسواق حافلة وحمامات كثيرة فاضلة، وفيها رباطات كثيرة يأوي إليها الصالحون، ومرساها مأمون من أكثر الرياح، وبها البساتين وسبخة كبيرة يرفعوا منها الملح، وغيرها من الأوصاف الجميلة³.

• **مصر:** وصف مصر وإعجابه بآثارها المادية والعمرانية، ومدنها الكثيرة منها الإسكندرية ومكتبتها العملاقة، ومنارتها العظيمة، والقاهرة ببنيانها ومساجدها، والتي يتقدمها الجميع الأزهر ومسجد الحسين، ومقامات الأولياء أمثال مقام السيدة زينب والسيدة نفيسة رضي الله عنهما، وفي

¹ - الحسين بن محمد الورثياني، المصدر السابق، ص 86-87.

² - عدلان رويدي، بلاغة وصف الفضاء الجغرافي في رحلة الورثياني الموسومة بـ "نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار"، مجلة الخطاب والتواصل، جامعة جيجل، جويلية 2018، ص 63.

³ - صليحة بن سباع، التفاعل الحضاري والتواصل القيمي في رحلة الورثياني الموسومة بـ "نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار"، مجلة مقامات، جامعة سطيف2، الجزائر، جويلية 2020، مج 6، ع 1، ص 246.

— الفصل الثاني: الرحلات الجزائرية أواخر العهد العثماني (القرنين 18م وبداية القرن 19م أنموذجا) —

هذا يقول: " وبالجملّة فمصر أم البلاد شرقا وغربا..."¹، ومن بين المساجد التي توسع الرحالة في وصفها مسجد السلطان حسن حيث يقول: " وهو مسجد مميز وفريد لا مثيل له في البلاد، ذو فخامة وإتقان في البناء، وإذا ارتفاع...، وبه أعمدة رخامية شاهقة، وأبواب كبيرة تشبه الجبال في كبر حجمها..."².

• **بلاد الحجاز:** اهتم الرحالة بوصف الآثار المادية في كل من المدينة ومكة، خاصة المساجد، ومن بينها المسجد النبوي ومسجد العشيرة ومسجد قباء بالمدينة المنورة، والمسجد الأعظم ببلاد الطائف³، وكما تحدث عن دخوله مكة المشرفة وتجوله في شوارعها وبقاعها المقدسة، وأدائه لمناسك الحج، والراحة التي وجدها برؤيته لها، وزوالي تعبته ونصبه⁴.

3-4- الجانب الاقتصادي

تناول الرحالة الحسين الورثيلاني الحياة الاقتصادية في تلك الحقبة بشكل سطحي، أين وصف لنا أسواق وخيرات الأماكن والمناطق التي زارها بداية بالمدن الجزائرية، ومرورا بمدن وقرى تونس عبورا على طرابلس الغرب، ووصولاً إلى مصر والقاهرة، وكما تحدث عن أسواق وخيرات المدينة المنورة⁵، ومن بينها سوق ينبع النخل⁶، الذي استبشر فيه الرحالة خيرا، وذلك لما يقضى فيها جميع الحاجيات، وفيها الحبوب والثمرات، ومزارع النخل والعيون الجارية.

3-5- الجانب الاجتماعي

ذكر الحسين الورثيلاني في رحلته أبرز مميزات الحياة الاجتماعية من عادات وتقاليد، وأنواع الاحتفالات والملابس والأطعمة المنتشرة بين سكان وقبائل المناطق التي زارها، والتي تتسم بالطابع

¹ - الحسين بن محمد الورثيلاني، المصدر السابق، ص ص24-25.

² - المصدر نفسه، ص117.

³ - المصدر نفسه، ص543.

⁴ - صليحة بن سباع، المرجع السابق، ص 246.

⁵ - مصمودي فوزي، العلامة الموسوعي عبد الرحمن الأخضرى شخصيته ومواقفه، دار مقوم للنشر، الجزائر، 2005، ص17.

⁶ - الحسين بن محمد الورثيلاني، المصدر السابق، ص374.

— الفصل الثاني: الرحلات الجزائرية أواخر العهد العثماني (القرنين 18م وبداية القرن 19م أنموذجا) —

العربي الإسلامي¹، ومن العادات التي ذكرها الورثيلاني في رحلته اجتماع أهل المدينة المنورة يوم الجمعة بعد صلاة العشاء في آخر أروقة المسجد النبوي وقيام بعض المنشدين بإنشاد قصائد في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم²، وكما أخبرنا أيضا بأن إجازة أهل المدينة في المكاتب والمدارس تكون يوم الثلاثاء والجمعة³، بالإضافة إلى ذكره عادة عقد القران بالمسجد النبوي، أين يأتي كبار القوم إلى المسجد ثم يشرع في الخطبة، وبعد الفراغ منها توزع أطباق من اللوز والسكر على الحاضرين⁴، وكذلك تحدثه عن عادة صلاة الجنازة، عادة الكراء والشرء، عادة استقبال المسافرين⁵.

كما تطرق إلى ذكر بعض مظاهر الفساد الدينية في المجتمع الإسلامي خلال تلك الفترة ومن بينها انتشار الفتن الخروج عن الأحكام الشرعية، وظهور البدع كأكل الميراث وأموال الناس بالباطل، واختلاط الرجال بالنساء مثل ما حدث له في مدينة قابس بتونس، وكشف العورات⁶ إضافة إلى انتشار ظاهرة اللصوصية عند بعض القبائل على مسالك طرقات الحج واستعمالها لأسلوب النهب، وكذا انتشار بعض الصفات القبيحة من مكر وخداع واحتيال من طرف فئة الحمالين "الشياطين" خلال موسم الحج⁷.

لذلك نجد بأن الرحلة الورثيلانية قد غطت جانبا واسعا من الحياة الاجتماعية خلال تلك الحقبة، فهي سجل حافل بأخبار الناس وعاداتهم وتقاليدهم خاصة بمنطقة الحجاز، من ملابس ومشرب، وكيفية الاحتفال بالأعياد الدينية، وكل ما تعلق بالواقع الاجتماعي، وبهذا ساهمت في

1 - محمد بن حسين بن عقيل موسى الشريف، المختار من الرحلات الحجازية إلى مكة والمدينة المنورة، دار الأندلس الخضراء جدة، المملكة العربية السعودية، 2000، مج1، ط1، صص 362-363.

2 - عبد القادر بكاري، الحسين الورثيلاني...، المرجع السابق، ص220.

3 - الحسين بن محمد الورثيلاني، المصدر السابق، ص586.

4 - كريم منقوش، المرجع السابق، ص308.

5 - الحسين بن محمد الورثيلاني، المصدر السابق، صص 588-590.

6 - المصدر نفسه، ص127.

7 - حنيفي هلايلي، أوراق في تاريخ...، المرجع السابق، صص 225-226.

— الفصل الثاني: الرحلات الجزائرية أواخر العهد العثماني (القرنين 18م وبداية القرن 19م أنموذجا) —

رسم صورة حقيقية عن الحياة الاجتماعية بالعالم الإسلامي عامة، والجزائر خاصة خلال العهد العثماني.

3-5- الجانب السياسي

تطرق في رحلته إلى الأوضاع السياسية السائدة بإيالات الخلافة العثمانية ومن بينها وصفه للنظام السياسي في الجزيرة العربية بالسيء، وهذا بسبب انتشار الظلم وانعدام الأمن، وكثرة الاعتداءات من طرف سكان القبائل المجاورة لطريق الحج، أو من الولاة أنفسهم¹.

كما تناول أيضا الفساد السياسي والذي أدى إلى بروز انشقاقات ومعارضات للسلطة الحاكمة، وقد ذكر حادثة فرار الشيخ إبراهيم بن بوعزيز الحناشي من باي قسنطينة وجنوده لأسباب دينية²، بالإضافة إلى استنكاره طريقة الحكم العثماني، وعدم اهتمام السلطة الحاكمة بالعلم في ذلك العهد، وهذا ما ساهم في انتشار ظاهرة الرشوة والاستيلاء على الأوقاف وانتشار الظلم³ وهو ما أدى إلى توتر العلاقة بين السلطة والرعية، وهذا بسبب التهميش والطبقية وكثرة الضرائب المفروضة عليهم، ومثال ذلك ما حصل بمدينة بسكرة⁴.

كما تحدث عن الصراعات السياسية والحدودية بين إيالات الخلافة العثمانية خلال فترة الدايات، والتي أدت إلى نشوب حروب حدودية بينها، بسبب توسيع الرقعة الجغرافية، ومن بين تلك الأحداث التاريخية ما حصل بين قبائل النوازل الطرابلسية وقبائل رعمة التونسية، والتي انجرت عنها خسائر بشرية كبيرة⁵.

¹ - كريم منقوش، المرجع السابق، ص307.

² - الحسين بن محمد الورثياني، المصدر السابق، ص126.

³ - خديجة الغازي، عبد المجيد بوجلة، رحلة الحسين الورثياني في الجزائر والحجاز من خلال كتابه الرحلة الورثيانية، مجلة دراسات تاريخية، جامعة أبوبكر بلقايد، تلمسان، الجزائر، 2022، مج10، ع1، ص375.

⁴ - الحسين بن محمد الورثياني، المصدر السابق، ص89.

⁵ - المصدر نفسه، ص651.

— الفصل الثاني: الرحلات الجزائرية أواخر العهد العثماني (القرنين 18م وبداية القرن 19م أنموذجا) —

وفي بعض الأحيان يثني الورثياني على السلطة الحاكمة في بعض المناطق والمدن مثل طرابلس، والتي يرى بأنها عبارة عن سد منيع أمام حملات الغزو الصليبي المتكررة على المنطقة¹. بالإضافة إلى ذكره خلفاء الدولة الإسلامية منذ نشأتها، وفترات حكمهم، وأهم أعمالهم، بداية بذكر خلفاء الخلافة الراشدة زمن عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب رضوان الله عليهم، مواصل ذكر خلافة الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما، كما عرج على ذكر خلفاء الدولة الأموية ومنهم خلافة عمر بن عبد العزيز، ثم تناول ذكر خلفاء الدولة العباسية بداية بالخليفة أبو العباس السفاح إلى آخر خليفة بها قبل سقوطها، وهو الخليفة المستكفي بالله². كما نجد بأن الرحالة قد عاصر العديد من الأحداث بإيالات الخلافة العثمانية، ومنها الصراع الحدودي الجزائري التونسي الطرابلسي، وكذا استقلال دايات الجزائر عن الخلافة العثمانية مع بقائها تابعة اسمياً فقط للخلافة، وكذا فتح وهران الأول، هذا بالإضافة إلى الكثير من الأحداث التي شهدتها العالم³.

3-6- الجانب العلمي

تعتبر الرحلة الورثيانية من بين أهم الرحلات الجزائرية العلمية والأدبية في تلك الحقبة، وهذا بفضل ما اشتملت عليه من معلومات مهمة لها علاقة بالحياة الثقافية والعلمية بالمدن والبلدان التي زارها خلال رحلته الحجية انطلاقاً من زمورة، ووصولاً إلى مكة المكرمة، وكذا بسبب اهتمامه المنصب على لقاء العلماء، وحضور الدروس في مختلف العلوم، وقراءة الكتب ونسخها، واقتنائها، وكذلك الحصول على الإجازات من طرف المشايخ والعلماء في كل من مصر والحجاز، ومن بين الدروس التي حضرها بالحرمين الشريفين درس الشيخ أحمد الإشبيلي "مختصر السعد"، وقرأ بالأزهر على يد الشيخ عمر الطحاوي "الرسالة الوضعية"، و"تفسير ذي الجلالين"، وكما درس على

¹ - خديجة الغازي، عبد المجيد بوجلة، المرجع السابق، ص 375.

² - الحسين بن محمد الورثياني، المصدر السابق، ص 728-730.

³ - حنفي هلاي، أوراق في تاريخ الجزائر..، المرجع السابق، ص 259.

— الفصل الثاني: الرحلات الجزائرية أواخر العهد العثماني (القرنين 18م وبداية القرن 19م أنموذجا) —

يد الشيخ الزياتي الشافعي بعض المسائل في النحو، وعلى يد الشيخ سالم النفزاوي "مختصر السعد"¹.

تحصل على العديد من الإجازات سواء العلمية أو الصوفية، ومن بينها إجازة الشيخ "علي الصعيدي" له في جميع العلوم، خاصة بعد اطلاعه على شرحه للخطبة المسماة "مقدمة شرح السنوسي الصغرى"، وهي إجازة في التأليف، وإجازة الشيخ "المنور التلمساني" له برواق المغاربة وهذا بعد مناقشته للعديد من المسائل في علم الكلام²، وكذلك حصوله على إجازة الشيخ "محمد البليدي"^{*} في جميع العلوم، وقد كتب له بذلك بخط يده، وكذا حصوله على إجازة الشيخ "خليل المغربي" في مسجد الحسين، وهذا بعد أن قرأ عليه "القطب على الشمسية"، وإجازة الشيخ "أحمد بن عبد الفتاح الملوي"، وإجازة الشيخ "الإمام العمروسي" في سائر العلوم³.

من هنا يتبين لنا بأن جل الإجازات التي تحصل عليها الرحالة، والتي شملت جميع العلوم دليل على اهتمامه في تحصيل العلوم، وحرصه على حضور الدروس أثناء حجته وإقامته بالحجاز ومصر، وهذا بهدف صقل شخصيته الثقافية، وتوسيع دائرة معارفه العلمية وتنميتها⁴.

كما اشتغل الورثيلاني بالعديد من الوظائف العلمية، ومن بينها التدريس في زاوية أبيه ببني ورثيلان، وكذا ببجاية، وقد شملت جميع العلوم والفنون، واشتغل أيضا بالفتوى والإصلاح بين القبائل المتخاصمة، وتتلذذ على يده الكثير من طلبة العلم، ومنهم: تلميذه "عبد القادر بن أحمد" من أولاد الشيخ، والتلميذ "محمد الفقيه"، و"محمد الجوادي" الذي أجلسه الشيخ الهاشمي المغربي صاحب التأليف الكثيرة، وهو من علماء مصر⁵.

¹ - الحسين بن محمد الورثيلاني، المصدر السابق، ص ص294-297.

² - فوزية لزغم، المرجع السابق، ص338.

^{*} محمد البليدي: هو أبو عبد الله محمد بن محمد الأندلسي المالكي الشهير بالبليدي، توفي في 29 رمضان 1176هـ/1762م، له العديد من المؤلفات منها: حاشية على شرح عبد الباقي الزرقاني، أنظر: عبد الرحمن الجبرتي، المصدر السابق، ج1، ص227.

³ - الحسين بن محمد الورثيلاني، المصدر السابق، ص299.

⁴ - حنيفي هلال، الجزائريون والرحلة إلى الحجاز...، المرجع السابق، ص23.

⁵ - الحسين بن محمد الورثيلاني، المصدر السابق، ص300.

3-7- التصوف

ارتبط الحسين الورثياني منذ نشأته بالتصوف، ويظهر ذلك من خلال اهتمامه بكتب التصوف قراءة وتأليفا وتدريسا، وكذا ذكره للأذكار والأوراد والردود والمناقب، والمواعظ والشرح الخاصة بالقصائد الصوفية، المدائح النبوية الناضرة إلى سيرة سيد البشرية نظرة صوفية وروحانية في رحلته¹، بالإضافة إلى حبه للأولياء والتعلق بزيارتهم والتبرك بهم في كل المناطق التي زارها والإعلاء من مكانتهم والبحث في سيرهم وتاريخهم، وكل ما تعلق بكراماتهم، والتي تعد أمرا خارقا للعادة تظهر على يد الصالحين من أتباع الرسل الملتزمين بأحكام الشريعة الربانية²، مع تصديقه بتلك القصص الأسطورية القريبة من الخيال، لذلك نجده قد خصص قسما كبيرا من رحلته في ذكرهم وذكر كراماتهم، ومن بينها ذكره لبعض كرامات الولي عبد القادر الجيلي، وكرامة أبي يزيد البسطامي، وكرامات يحيى العيدلي، وكما كتب بعض مذكراته عند زيارته لقبورهم أمثال: قبر عبد الرحمن الأخضري وقبر عقبة بن نافع بمدينة بسكرة³.

كما افتخر بزيارته لعدد كبير من الأولياء والصلحاء داخل وخارج الإيالة، وتخصيصه قسما كبيرا في رحلته للحديث عن المرابطين والصلحاء والشرفاء، ومن بينهم التحدث عن حياة الولي الصالح أبي مدين شعيب في بجاية وتلمسان، والشيخ الصالح عبد الوهاب العفيفي بمصر الذي أجازته وأخذ عنه العلوم، وجدد معه "العهد" القائم على سير المريد مع شيخه في طريق التخلي عن العيوب والتحلي بالصفات الحسنة والتحقيق بركن الإحسان والترقي في مقاماته⁴، لذلك يعد الرحالة

1 - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي...، المرجع السابق، ج2، ص ص111-112.

2 - الحسين بن محمد الورثياني، المصدر السابق، ص289.

3 - عائشة دباح، المرجع السابق، ص55.

4 - قويدر قيداري، أولاد نهار الولي الصالح والشيخ الناصر سيدي يحيى بن صفية، دار الآفاق للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر 2019، ص137.

— الفصل الثاني: الرحلات الجزائرية أواخر العهد العثماني (القرنين 18م وبداية القرن 19م أنموذجا) —

من أتباع الطريقة الشاذلية وأبرز مريديها ومدرسيها في تلك الحقبة¹. وقد أسهب كثيرا في حديثه عنها، وذكر هي للأولياء الصالحين ومآثرهم وكراماتهم، وهذا ما يدل على انتشار هذه الظاهرة في زمنه وشدة اعتقاد وتمسك العلماء بها².

4- مصادر الرحلة

تعددت المصادر التي اعتمد عليها الرحالة الحسنيين الورثياني في كتابة رحلته، ومنها المصادر الشفوية والتي تعتمد على المشاهدة والسمع والمخاطبة والإخبار، وقد تجلّى ذلك في تسجيله لكل ما رآه وسمعه خلال رحلته من العلماء الأفاضل والمشايخ الأجلاء، وفي المدن والأنصار، أو عن الشعوب وعاداتهم وتقاليدهم مثل قوله: " وقد شاهدنا الجميع مرارا، والشكر لمن له المنة والفضل..."، وكذا قوله: " وقد سمعت من العارف بالله الصدر الأعظم، والعالم الأفخم، والورع الفهم، الجامع بين الشريعة والحقيقة سيدي محمد المغربي الطرابلسي عام أربعة وخمسين ومائة وألف..."، وكذلك قوله: " وقد أخبرني شيخنا وسيدي أبو مهدي عيسى الثعالبي أيام كنت أتردد معه إلى مجلس شهاب الدين الخفاجي"³.

كما اعتمد على المصادر المعرفية السابقة، والمتمثلة في الرحلات ومنها "الرحلة الناصرية"^{*} للشيخ أحمد ابن محمد ناصر الدرعي المتوفى سنة 1717م، و"الرحلة العياشية"^{*} "ماء الموائد"

¹ - زروق جيجيك، الرحلات وأثرها في انتشار التصوف في الجزائر العثمانية (10-13هـ/16-19م) رحلة الورثياني أنموذجا أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة جيلالي اليابس، سيدي بلعباس، الجزائر، 2019-2020 ص35.

² - عبد القادر خليف، الرحلات بين المغرب والمشرق وقيمتها التاريخية، مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ، معسكر، الجزائر، ديسمبر 2009، ع4، ص122.

³ - عبد القادر بكاري، منهج الكتابة عند المؤرخين...، المرجع السابق، ص212.

^{*} الرحلة الناصرية (1709-1710م): طبعت هذه الرحلة على الحجر سنة 1320هـ/1902م في جزئين اثنين، ترجم قسم منها إلى الفرنسية من طرف المستشرق باربروجير، ونشرت بالمجلة الإفريقية بالجزائر. أنظر: عبد الهادي بن التازي، رحلة الرحلات (مكة في مائة رحلة مغربية ورحلة)، مراجعة: عباس صالح طاشكندي، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، مكة، 2005، ص200-201.

^{*} الرحلة العياشية (1661-1663م): وتعرف بـ "ماء الموائد"، ولا زالت مكتبة زاوية سيدي حمزة بالريش بالجنوب الشرقي المغربي تحتفظ بالنسخة الأصلية لصاحبها الشيخ أبي سالم العياشي نفسه، وقد نشرت بالمطبعة بفاس سنة 1316هـ/1898-1899ن، ثم

— الفصل الثاني: الرحلات الجزائرية أواخر العهد العثماني (القرنين 18م وبداية القرن 19م أنموذجا) —

لأبي سالم محمد العياشي، و"الرحلة التجانية"^{1*}، بالإضافة إلى كتب التاريخ والجغرافيا، ومنها كتاب "حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة" لعبد الرحمن بن الكمال ابن أبي بكر بن محمد سابق الدين الخضير الأسيوطي المشهور بجلال الدين السيوطي (ت: 487هـ/1094م)، وكتاب "مباهج الفكر ومناهج العبر" لأبي إسحاق برهان الدين محمد بن إبراهيم بن يحيى بن علي المعروف بالوطواط (ت: 718هـ/1318م)، وكتاب "عقود الجمان في مختصر أخبار أهل الزمان" لمحمد بن علي الحاج الشاطبي الأندلسي (ت: 963هـ/1555م)، وكتاب "شرح الشقراطية" لمحمد بن يحيى بن علي بن عمر بن الشقراطي المعروف بابن الشباط التوزري (ت: 466هـ/1074م)، وكتاب "ديوان العبر" لابن خلدون (ت: 808هـ/1406م)²، وكتاب "المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار المعروف بـ "الخطط" لتقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر أبو العباس الحسيني العبيدي المقرئ (ت: 845هـ/1442م)³.

من هنا نتجلى لنا القيمة العلمية للرحلة الورثيانية باعتبارها مصدرا أساسيا في دراسة ومعرفة مسالك ومواقع البلدان الواقعة في طريق الحج (الجزائر وتونس وليبيا ومصر وبلاد الحجاز)، وهذا بفضل المصادر التي اعتمد عليها في تأليف رحلته، والتي ساهمت في تنشيط الحركة العلمية والثقافية بين بلدان المغرب العربي والمشرق الإسلامي في تلك الحقبة.

ثالثا: رحلة الشيخ أبي راس الناصر المعسكري مطلع القرن 19م

من أبرز الرحلات الجزائرية التي قام بها علماء الجزائر مع مطلع القرن التاسع عشر الميلادي، والتي تمثل أنموذجا متميزا من الكتابات المحلية الجزائرية، وتجمع بين السرد الذاتي

أعيد نشرها من طرف دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر سنة 1397هـ/1977م. أنظر: أحمد شوقي بنين، المؤسسات الثقافية بالمغرب (خزائن الكتب العلمية)، مجلة التاريخ المغربي، المغرب الأقصى، 2005، ع35، ص57.

¹ - عبد القادر بلعربي، الرحلة الورثيانية محطاتها ومصادرها المعرفية (1115هـ-1193هـ/1713م-1779م)، مجلة آفاق فكرية، جامعة سيدي بلعباس، الجزائر، 2017، ع6، ص88.

² - عبد القادر بكاري، حسين الورثياني والكتابة التاريخية...، المرجع السابق، ص55-57.

³ - الحسين بن محمد الورثياني، المصدر السابق، ص177.

— الفصل الثاني: الرحلات الجزائرية أواخر العهد العثماني (القرنين 18م وبداية القرن 19م أنموذجا) —

والتوثيق التاريخي، رحلة العالم الجزائري محمد أبوراس الناصر المعسكري أثناء تأديته لفريضة الحج.

1- التعريف بالرحالة

1-1- نسبه ومولده

هو الشيخ محمد بن أحمد بن عبد القادر بن محمد بن أحمد بن ناصر بن علي بن عبد العظيم بن معروف بن عبد الله بن عبد الجليل ابن الراشدي المعسكري¹، وهذا النسب متصل إلى عمر بن إدريس بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب وفاطمة بنت الرسول صلى الله عليه وسلم²، لذلك نجد أن بعض المؤرخين والمؤلفين ذكروه بـ "الناصري" بالنسبة، رغم أن سلسلة نسبه التي كان حريصا على ذكرها تذكره بـ "الناصر" فقط بدون نسبة (ي)³.

ولد الشيخ محمد أبوراس الناصر* بقلعة بني راشد* سنة 1150هـ/1737م⁴، بالغرب الجزائري، وبالقرب من مدينة معسكر (أم عسكر)، وبالضبط بجبل كرسوط، وأشار إلى ذلك بقوله: "...إني ولدت بين جبل كرسوط وهونت كما أخبرتني الحرة التقية الصالحة الولية أمة الله أختي

¹ - أحمد بحري، حاضرة مازونة دراسة تاريخية وحضارية في العصر الحديث (1500-1900م)، أطروحة الدكتوراه في التاريخ والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، الجزائر، 2012-2013، ص302. وانظر أيضا: أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي...، المرجع السابق، ج2، ص377. وكذا: عادل نويهض، المرجع السابق، ص478.

² - محمد أبوراس الناصر، فتح الإله ومنته التحدث بفضل ربي ونعمته، حققه وضبطه وعلق عليه: محمد بن عبد الكريم، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1982، ص25. وانظر أيضا: عبد الله حشلاف بن علي، سلسلة الأصول في شجرة أبناء الرسول، المطبعة التونسية، تونس، 1929، ص24.

³ - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي...، المرجع السابق، ج2، ص377.

*الناصر: نسبة إلى جدهم الرابع "الناصر"، والذي يعود في نسبه إلى سيدنا الحسين بن علي بن أبي طالب وفاطمة بنت الرسول صلى الله عليه وسلم. انظر: عبد الله حشلاف بن علي، المرجع السابق، ص24.

*قلعة بني راشد: وهي قلعة هواره تشمل على أربعين دار للصناع والتجار، وهي مبنية على شكل قلعة في منحدر جبل بين الشعاب، انظر: الحسن بن محمد الوزان الفاسي، المصدر السابق، ج2، ص26.

⁴ - عادل نويهض، المرجع السابق، ص478. وقد اختلف المؤرخين حول تاريخ ميلاده، فهناك من يقول 1150هـ، وهناك من يقول 1165هـ، انظر: أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي...، المرجع السابق، ج2، ص377.

— الفصل الثاني: الرحلات الجزائرية أواخر العهد العثماني (القرنين 18م وبداية القرن 19م أنموذجا) —

حليمة برد الله ضريحها...¹، لقب بـ "الحافظ"، وذلك لقوة حفظه واستيعابه للعلوم، وقد قيل فيه: "وكان العلوم كتبت بين عينيه"².

1-2- نشأته

نشأ محمد أبوراس الناصر في بيئة قاسية عرف من خلالها الفقر واليتم منذ صغره، حيث فقد والدته "زولة" بسهل متيجة، والتي كان يقول عليها إنها كانت كرابعة العدوية علما وورعا³، ودفنت هناك بسهل متيجة*.

رحل مع والده إلى منطقة مجاجة بالشلف، أين مارس وظيفة تعليم القرآن الكريم، وقد مات هو الآخر -والده- هناك، ودفن بمقبرة الشيخ أحمد بن عبد الله بأم الدروع بمنطقة الشلف، وعلى إثر ذلك تكفل به أخيه الأكبر ابن عمر مع أخيه عبد القادر، ورحل بهما إلى الجهة الغربية من الجزائر، ثم اصطحبهما معه إلى المغرب الأقصى، وقد حفظ القرآن الكريم واتقن أحكامه فهما واستيعابا رغم صغر سنه⁴.

رغم عودته من المغرب الأقصى إلى منطقته (أم عسكر) معسكر، بفقر وبشيء مما تعلم⁵ إلا أنه استمر في طلب العلم وأخذ الفقه عن شيوخها، ثم اتجه إلى مازونة، ودرس "مختصر خليل"

¹ - محمد أبوراس الناصر، فتح اله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته "حياة أبي راس الذاتية والعلمية"، حققه و ضبطه وعلق عليه: محمد ابن عبد الكريم الجزائري، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1982، ص18.

² - أبو القاسم الحفناوي، المصدر السابق، ج2، ص333. وانظر أيضا: الشيخ أبو عمران، معجم مشاهير المغاربة، المؤسسة الجزائرية للطباعة والنشر، الجزائر، 1995، ص531.

³ - محمد أبوراس الناصر، المصدر السابق، ص18. وانظر أيضا: أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي...، المرجع السابق ج2، ص377.

* سهل متيجة: قال عنه ياقوت الحموي: "متيجة بفتح أوله وكسر ثانيه، وتشديده، ثم تاء مثناة من تحت جيم، بلد في أواخر إفريقية من أعمال بني حماد، وقال عنها البكري: "الطريق من أشير إلى جزائر بني مزغنة، ومن أشير إلى المدية، وهي بلد جليل قديم، ولها مزارع ومسارح...". انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، دار صادر، بيروت، لبنان، 1977، مج5، ص53.

⁴ - محمد أبوراس الناصر، المصدر السابق، ص19.

⁵ - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي...، المرجع السابق، ج2، ص378.

— الفصل الثاني: الرحلات الجزائرية أواخر العهد العثماني (القرنين 18م وبداية القرن 19م أنموذجا) —

في مجمله، وأدرك بيانه حتى أهله ذلك إلى مصاف التدريس¹، بعدها تنقل إلى منطقة الريف بغريس فتزوج هناك، كما تقلد منصب القضاء بالمنطقة لمدة سنتين².

سلك بعدها طريق الرحلة الحجية والعلمية مغربا ومشرقاً، فحج مرتين، الأولى سنة 1204هـ/ 1790م، والثانية 1226هـ/ 1812م، فجال وزار جل البلدان العربية بمنطقة الحجاز في طريقه إلى الحج، ومنها زيارته إلى تونس أين أخذ العلم عن علمائها، فتناظر معهم واستفادوا منه بعلمه³. كما كان منفتح العقل مهتما بأحداث عصره السياسية كحرب درقاوة، وفتح وهران الثاني⁴ فكثرت تأليفه وكتاباتهِ وشروحاته، وقد نسب له مائة وسبعة وثلاثين مؤلفاً (137 مؤلف)⁵.

1-3- طلبه العلم

تلقى تعليمه الأولي بمنطقة القيطنة* بمعسكر بعد عودته من المغرب الأقصى، وكانت تعد مركز إشعاع حضاري وعلمي خاصة دراسة العلوم الشرعية واللغوية والأدبية، ثم توجه إلى مازونة والتي استقر بها لمدة ثلاث سنوات، أين تلقى بها العلوم الأدبية واللغوية⁶.

رغم قساوة الحياة التي عرفها الشيخ أبوراس الناصر الجزائري إلا أنها لم تمنعه من مواصلة في طلب العلم والارتحال من أجل أخذ العلوم عن علماء عصره، وهذا بهدف توسيع معارفه وثقافته، وساعده في ذلك قوة حفظه فقد عرف بلقب "الحافظ"⁷، وكثرة المشيخة قديماً دليل على

1 - محمد أبوراس الناصر، المصدر السابق، ص20.

2 - ناصر الدين سعيدوني، من التراث...، المرجع السابق، ص461.

3 - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي...، المرجع السابق، ج2، ص379.

4 - محمد أبوراس الناصر، عجائب الأسفار ولطائف الأخبار، تق وتتح: محمد غانم، المركز الوطني للبحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية، وهران، الجزائر، 2005، ص04.

5 - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي...، المرجع السابق، ج2، ص380.

* القيطنة: هي منطقة واقعة في وسط جبل شقران على الطريق بين وهران ومعسكر، أنظر: ابن داهية، معسكر عبر التاريخ، دار الخلدونية، الجزائر، 2005، ص153.

6 - عبد الرحمان الجيلالي، المرجع سابق، ج2، ص17.

7 - ناصر الدين سعيدوني، وراقات جزائرية...، المرجع السابق، ص50.

— الفصل الثاني: الرحلات الجزائرية أواخر العهد العثماني (القرنين 18م وبداية القرن 19م أنموذجا) —

تمكن العالم وثقافته ونبوغه، وهذا ما جعله يفرد بابا في مؤلفه "فتح الإله..." سماه "في عدة أشياخي"¹، وقد تميزت حياته العلمية بكثرة مشايخه.

1-4- شيوخه

من أبرز الشيوخ والعلماء الذين تتلمذ على يدهم الشيخ أبوراس الناصر، وساهموا في تعلمه وتكوين شخصيته، وكانوا بمثابة الحصن الحصين في تكوين ملكته المعرفية والعلمية، حيث بلغ تعدادهم حوالي 41 عالما، من أهمهم نذكر:

• والده الشيخ أحمد بن أحمد الناصر: وهذا ما ذكره لنا في رحلته حيث يقول: "أول شيوخه والدي الشيخ أحمد... وأول بدئي من سورة 'إذا السماء انفطرت'"².

• الشيخ عبد القادر المشرفي: هو العلامة المحدث المسند لزاوية زين العابدين عبد القادر وعرف بـ "بن عبد الله"³، وقد تتلمذ على يديه أبوراس الناصر، وتأثر به كثيرا، ولأزمه مدة طويلة وكان أبوراس هو الذي يغسل ثياب الشيخ ويكويها كما قال عن نفسه في رحلته، وقد رشحه عبد القادر المشرفي ليكون خليفته بالتدريس⁴.

• الشيخ أحمد بن عمار: هو أبو العباس أحمد بن عمار بن عبد الرحمان بن عمار⁵، ولد بمدينة الجزائر، اشتغل بالحديث والتاريخ، وتولى الإفتاء والقضاء، تتلمذ على يده الشيخ أبو راس الناصر حيث يقول عنه: "السيد أحمد بن عمار عالم الجزائر كان غاية في الحديث والأدب..."⁶.

¹ - أسماء القايم، المرجع السابق، ص138.

² - محمد أبوراس الناصر، عجائب الاسفار...، المصدر السابق، ج2، ص42.

³ - عبد الحي الكتاني، المصدر السابق، ج2، ص577.

⁴ - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي...، المرجع السابق، ج2، ص378.

⁵ - محمد بسكر، مرجع سابق، ص91. وأنظر أيضا: عادل نويهض، المرجع السابق، ص151.

⁶ - محمد أبوراس الناصر، المصدر السابق، ص48.

— الفصل الثاني: الرحلات الجزائرية أواخر العهد العثماني (القرنين 18م وبداية القرن 19م أنموذجا) —

- الشيخ القاضي عبد الرحمان التلمساني: من علماء وفقهاء تلمسان، من أهم مؤلفاته "حاشية على صغرى السنوسي"، توفي سنة 1232هـ/1817م¹، تتلمذ على يده الشيخ أبوراس الناصر حيث يقول عنه: "جمع متفرقات العلوم ومجهولها..."².
- الشيخ محمد الصادق أفغول: هو صاحب مدرسة مازونة كان من المشايخ الأجلاء، خبير بعلم الشريعة، جامع بين العلم والدين، أخذ عنه الشيخ أبي راس الناصر أحكام الشريعة والقضاء³. كما ربطته علاقات بعلماء قسنطينة في عصره أمثال: محمد بن الفكون، والحاج علي اللونيسي⁴.

أما علماء وشيوخ الشيخ أبي راس الناصر بالعالم العربي فنذكر منهم:

- علماء وشيوخه بتونس: من أشهر العلماء الذين أخذ عنهم العلم بتونس نجد الشيخ "محمد بن قاسم المحجوب" عالم افريقية بتونس⁵، والشيخ "محمد بيرم الحنفي"⁶، وكما التقى بالشيخ "إبراهيم الرياحي"⁷، وأيضا الشيخ "صالح الكواش"⁸.

1 - محمد بسكر، مرجع سابق، ص164.

2 - محمد أبوراس الناصر، فتح إله...، مصدر سابق، ص49.

3 - أحمد بحري، الجزائر في عهد الدايات "دراسة للحياة الاجتماعية إبان الحقبة العثمانية"، دار الكفاية، باب الزوار، الجزائر 2002، ص302.

4 - ناصر الدين سعيدي، من التراث التاريخي...، مرجع سابق، ص461.

5 - محمد بن قاسم المحجوب: هو أبو عبد الله محمد بن الشيخ قاسم المحجوب التونسي، توفي سنة 1243هـ/1827م. انظر: محمد أبوراس الناصر، المصدر السابق، ص81.

6 - محمد بيرم: هو محمد بن حسين بن أحمد بن محمد بن حسين بن بيرم الحنفي التونسي، تولى الإفتاء لمدة خمسة وأربعين سنة، من مؤلفاته "رسالة في السياسة الشرعية"، "اختصار انفع الوسائل في تحرير أنفع المسائل"، توفي سنة 1214هـ/1800م انظر: محمد محفوظ، تراجم المؤلفين التونسيين، دار المغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1994، مج1، ص130.

7 - إبراهيم الرياحي: من علماء تونس، يعتبر أول من أدخل الطريقة التيجانية إلى تونس ونشرها، تولى الإفتاء والإمامة بجامع الزيتونة، انظر: أحمد بن أبي الضياف، المصدر السابق، مج7، ص73.

8 - صالح الكواش: هو أبو الفلاح صالح بن الحسين الكواش التونسي أحد فقهاء زمانه، من مؤلفاته "شرح المشيشية"، توفي سنة 1212هـ/1804م، انظر: محمد أبوراس الناصر، المصدر السابق، ص128 (الهامش 222).

— الفصل الثاني: الرحلات الجزائرية أواخر العهد العثماني (القرنين 18م وبداية القرن 19م أنموذجا) —

• **علمائه وشيوخه بمصر:** من أهم العلماء الذين أخذ عنهم العلم وأجازوه بمصر نذكر "مرتضى الزبيدي"¹، وقد أجاز الشيخ أبو راس الناصر ووصفه بـ "الحافظ"، وهذا ما جعل من الشيخ مؤلف كتاب اسمه "السيف المنتضي فيما رويته بأسانيد الشيخ مرتضى"²، وكما نجد "عبد الله الشرقاوي"³، والشيخ "محمد الأمير" شيخ المالكية الذي دان له بمصر كل رئيس ووزير وبرع في الحديث وجميع فنون العلم⁴.

• **علمائه وشيوخه بمكة والشام:** ومن أبرزهم الشيخ "عصمان الشامي"، والشيخ "عبد الغني" مفتي الشافعية بمكة، والشيخ "عبد المالك الشامي"، ومفتي مكة "السيد الحسين المغربي"⁵.

1-5- تلاميذه

يعد الشيخ أبوراس الناصر من أهم علماء عصره، وقد اشتهر بلقب "الحافظ" داخل وخارج الوطن، وهذا بسبب قوة ذاكرته وغزارة علمه، لذلك كان مجلسه مزدحما بطلبة العلم، وتتلذذ على يده الكثير من المؤرخين، ومن جملة هؤلاء نذكر على سبيل المثال لا الحصر طائفة منهم:

• **الشيخ أبو حامد العربي المشرفي:** هو العربي بن علي بن عبد القادر المشرفي الحسني الغريسي، وليد بنواحي معسكر، وهو من أهل قرية "الكرط"، عاش قرابة تسعين سنة، وتوفي سنة 1313هـ/1895م، ومن هنا يظهر جليا بأن تاريخ ميلاده كان حوالي 1804 أو 1805م، أخذ

¹ - مرتضى الزبيدي: هو محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني الزبيدي أبو الفيض الملقب بمرتضى، عالم باللغة والحديث والرجال والأنساب، ولد بالهند وتوفي بمصر (1205هـ/1790م)، من مؤلفاته: "تاج العروس في شرح القاموس"، "الأمالي"، انظر: عبد الحي الكتاني، فهرس الفهارس، المصدر السابق، ص397.

² - أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر...، مرجع سابق، ص88.

³ - عبد الله الشرقاوي: هو عبد الله بن حجازي بن إبراهيم الشرقاوي الأزهرى الشافعي، أحد كبار علماء وفقهاء مصر، من مؤلفاته "التحفة البهية في طبقات الشافعية"، "تحفة الناظرين فيمن ولي من مصر من السلاطين"، توفي سنة 1227هـ/1812م. انظر: محمد أبوراس الناصر، المصدر السابق، ص84 (الهامش 247)، وكذا: ربيعة قريزة: علماء جزائريون بمصر في الفترة العثمانية مرجع سابق، ص125.

⁴ - محمد أبوراس الناصر، المصدر السابق، ص60.

⁵ - المصدر نفسه، ص ص 63-64-65.

— الفصل الثاني: الرحلات الجزائرية أواخر العهد العثماني (القرنين 18م وبداية القرن 19م أنموذجا) —

العلوم على علماء عصره، ومن بينهم الشيخ أبي راس الناصر، ومن أهم مؤلفاته "ياقوتة النسب الوهاجة..."، و"رحلة القبائل الجبلية"، و"ديوان شعر"¹.

• الشيخ محمد السنوسي: هو محمد بن علي السنوسي الخطابي الحسني الإدريسي، ولد بمستغانم سنة 1202هـ/1787م، وتوفي سنة 1276هـ/1859م²، وهو مؤسس الطريقة السنوسية تتلمذ على يد الشيخ أبي راس الناصر، وهو من أدباء وفحول الشعر بالجزائر، ألف العديد من الكتب منها: "المسائل العشر"، "بغية المقاصد"، "الدرر السنية في أخبار السلالة السنوسية" و"تحف المحاضرة في أدب التفهم والتفهيم والمناظرة"³.

• الشيخ محمد المصطفى بن زرفة الدحاوي: هو الشيخ محمد المصطفى بن عبد الله ابن عبد الرحمن بن زرفة الدحاوي، من شرفاء غريس، تتلمذ على يد الشيخ أبي راس الناصر، وقد مدحه بقوله: " هو الشيخ النبراس ذو النور فوق النور محمد أبوراس"⁴.

إضافة إلى مجموعة من التلاميذ منهم: العربي بن السنوسي، والشيخ ابن عبد الله سقاط المشرفي، والشيخ ابن التكوك، والشيخ محمد بن الخضير، كما نجد الأمير عبد القادر بن محيي الدين الجزائري⁵.

1-6- آثاره العلمية

يعتبر أبوراس الناصر أحد أعلام إيالة الجزائر في عصره حيث ذاع صيته بالعالم الإسلامي مشرقا ومغربا، وذلك لاكتسابه ثقافة واسعة من خلال كتابه على المطالعة واتصاله بعلماء العصر

¹ - عادل نويهض، مرجع سابق، ص473. وانظر أيضا: أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر...، المرجع السابق ج5، ص176.

² - محمود براهيم، العلامة محمد بن علي السنوسي الجزائري مجتهدا ومجاهدا (1788-1859)، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، 2009، ص27. وانظر أيضا: عادل نويهض، المرجع السابق، ص280.

³ - عمار هلال، العلماء الجزائريون في البلدان العربية الإسلامية فيما بين القرنين التاسع عشر والعشرين الميلاديين (14/3هـ) ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995، ص463 - 464. وانظر أيضا: عادل نويهض، مرجع سابق، ص281.

⁴ - محمد أبوراس الناصر، المصدر السابق، ص72.

⁵ - عبد الرحمن الجيلالي، المرجع السابق، ج3، ص57.

— الفصل الثاني: الرحلات الجزائرية أواخر العهد العثماني (القرنين 18م وبداية القرن 19م أنموذجا) —

خاصة بعد انتقاله إلى العديد من الأقطار الإسلامية في كل من تونس ومصر والحرمين الشريفين وبلاد الشام، وأخذ العلم عن علمائها ومشايخها أمثال عبد القادر السنوسي بن دحو الملقب بالحافظ، وصالح الكواش، ومرتضى الزبيدي، وعبد الله الشرقاوي، ومحمد الأمير...¹، كل ذلك ساهم في تنوع وكثرة التأليف، حيث ذكر أبو القاسم سعد الله بأنها تكاد تزيد عن عدد أيامه²، وهذا ما ذكره عن نفسه بأنه لا يوجد أحد يفوقه في كثرة التأليف سوى جلال الدين السيوطي³.

وقد تنوع تأليف الشيخ أبوراس الناصر حيث شملت كل فروع العلوم المعروفة في زمانه من كتب في التاريخ والأنساب والأخبار واللغة والفقه، وقد ذكر في رحلته "فتح الإله..." ثلاثة وستين (63) كتابا بين صغير وكبير، وقسمها إلى ثلاثة عشر (13) بس ما مبتدئا بالقرآن ومنتهيا بالشعر⁴.

يذكر لنا يحيى بوعزيز بأنه ترك ما يقارب 90 مخطوطة، وقد وقيل 136 أو 137 بين كتب طويلة وقصيرة⁵.

من هنا يظهر لنا أن أبوراس الناصر قد ولج ثمانية عشرة علما ومادة مختلفة، وهذا دليل على غزارة إنتاجه، ومساهمته في إثراء مكتبات العالم الإسلامي عامة، وإيالة الجزائر خاصة، ومن أهم مؤلفاته ما ذكره في الباب الخامس من رحلته والمسمى "العسجد والإبريز" ومنها:

¹ - سعاد آل سيد الشيخ، رحلة المجاجي دراسة وتحقيق (1063هـ/1652م)، رسالة ماجستير في التاريخ والحضارة الإسلامية جامعة وهران، 2007-2008، ص41.

² - أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر...، المرجع السابق، ص91.

* جليل الدين السيوطي: هو جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر كمال الدين أبي المناقب بن محمد بن سابق الدين أبي بكر الخضير السيوطي، توفي سنة 911هـ، له العديد من المؤلفات والشروحات منها: "تاريخ الخلفاء"، و"شرح كتاب الجمل للزجاجي"، وغيرها من المؤلفات، انظر: عبد الإله نبهان، الإمام جلال الدين السيوطي "سيرة مختصرة"، مجلة مجمع اللغة العربية، وشبكة الألوكة، دمشق، سوريا، (د.ت.ن)، ص ص585-590.

³ - عبد القادر بكار، الإسهامات الثقافية والكتابة التاريخية لعلماء الجزائر العثمانية "أبوراس الناصر أنموذجا"، المجلة الخلدونية للعلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة ابن خلدون، تيارت، 2013، ع6، ص124.

⁴ - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي... المرجع السابق، ج2، ص380.

⁵ - يحيى بوعزيز، أعلام الفكر...، المرجع السابق، ج2، ص146. انظر أيضا: أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي... المرجع السابق، ج2، ص380.

— الفصل الثاني: الرحلات الجزائرية أواخر العهد العثماني (القرنين 18م وبداية القرن 19م أنموذجا) —

• القرآن: من أهم مؤلفاته

- "مجمع البحرين ومطلع البدرين بفتح الجليل للعبد في الليل في التيسير إلى علم التفسير"، في ثلاثة أسفار وفي كل سفر عشرون (20) حزبا.
- "تقييد الخراز" * وهو الجمع بين الإطناب والإيجاز في شرح الخراز.
- "إغاثة اللهفان في شرح مورد الظمان والتكلم مع صاحب عمدة البيان".
- "السيوف القوامع في شرح الدرر اللوامع" *.
- "إزالة الألغاز على كلام الطراز على الخراز".
- "فتح المنان في ترتيب القرآن".
- "تذليل الإتيان في أحكام القرآن"¹.
- "سر الرحمن في جمع القرآن وسبب جمعه على هذا المنوال"².

• الحديث

- "الآيات البينات في شرح دلائل الخيرات".
- "مفاتيح الجنة وأسناها في الأحاديث التي اختلف العلماء في معناها".
- "السيف المنتضي فيما رويت بأسانيد الشيخ مرتضي الزبيدي"³.
- "نزهة الفضائل في شرح الشمائل".
- "السبل الفسيح الجاري في شرح صحيح البخاري".
- "مناعم الشفا"⁴.

* الخراز: هو أبو عبد الله محمد بن محمد الشريشي توفي سنة 718هـ/1318م، له منظومة مسماة بـ "مورد الظمان في رسم أحرف القرآن"، ومن مؤلفاته: "شرح على الحضرمية"، و"شرح على البرية"، و"عمدة البيان"...

* الدرر اللوامع في قراءة نافع: هي منظومة ألفها أبي الحسن علي بن محمد بن علي الرباطي الشهير بابن بري توفي سنة 709هـ. أنظر: أبوراس الناصر، المصدر السابق، ص183.

1 - محمد أبوراس الناصر، المصدر نفسه، ص179.

2 - يحيى بوعزيز، أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة...، المرجع السابق، ص237.

3 - محمد أبوراس الناصر، المصدر السابق، ص179.

4 - يحيى بوعزيز، أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة...، المرجع السابق، ص237.

• الفقه

— "درة عقد الحواشي على جيد شرحي الزرقاني والخراشي في ستة أسفار".

• التوحيد والتصوف

- "الزهر الأكمل في شرح الحكم أو فتح الإله في التوصل إلى شرح حكم بن عطاء الله*".
- "الحاوي لنبذ من التوحيد والتصوف والأولياء والفتاوي".
- "كفاية المعتقد ونكاية المنتقد" على شرح الكبرى للشيخ السنوسي.
- "شرح العقد النفيس في ذكر الأعيان من أولياء غريس"¹.
- "الفتح القدوسي في شرح كبرى السنوسي".
- "القول الأنفع في مناقب الأئمة الأربع".
- "شرح الجمان للشيخ عبد الرحمن".
- "التشوق إلى مذهب التصوف"².

• التاريخ

- "زهرة الشماريخ في علم التاريخ".
- "المنى والسول من أول خليفة إلى بعثة الرسول".
- "در السحابة فيمن دخل المغرب من الصحابة".
- "در الشقاوة في حروب الترك مع درقاوة"³.
- "الحلل السندسية في شأن وهران والجزيرة الأندلسية"⁴.
- "القصص المعرب عن الخبر المغرب عما وقع بالأندلس وثغور المغرب".
- "عزيب الأخبار عما كان بوهران والأندلس مع الكفار".

* الحكم العطائية: مؤلفها أحمد بن عطاء الله الإسكندري، انظر: محمد أبوراس الناصر، المصدر السابق، ص183.

1 — محمد أبوراس الناصر، المصدر نفسه، ص183.

2 — يحيى بوعزيز، المرجع السابق، ص238.

3 — محمد أبوراس الناصر، المصدر السابق، ص180.

4 — محمد أبوراس الناصر، الحلل السندسية في شأن وهران والجزيرة الأندلسية، تر: الجنرال فوربيقي، مطبعة فونتانا، الجزائر

1903، ص01.

— الفصل الثاني: الرحلات الجزائرية أواخر العهد العثماني (القرنين 18م وبداية القرن 19م أنموذجا) —

- "روضة السلوان المؤلفة بمرسى تيطوان"¹.
 - "ذيل القرطاس في ملوك بني وطاس".
 - "الزهرة الوردية في الملوك السعدية".
 - "الخبر المعلوم في كل من اخترع نوعا من أنواع العلوم"².
- الأدب

ترك العديد من المؤلفات في علوم اللغة " النزهة الأميرية في شرح المقامات الحريية"، وفي البيان " نيل الأمان على مختصر سعد الدين التفتزاني"، وفي المعاني " الجواهر اليماني في توضيح ما صعب من علم المعاني"، وفي الأصول " القول الجامع في شرح جمع الجوامع"³، وفي المنطق "القول المسلم في شرح السلم"⁴.

من هنا يظهر لنا تنوع وتعدد التأليف الخاصة بالإنتاج الفكري للشيخ أبوراس الناصر، والتي شملت مختلف العلوم النقلية والعقلية، رغم ضياع معظم مؤلفاته خاصة كتب الأنساب، كما نلاحظ أن أبا راس الناصر كانت معظم أعماله تميل إلى التاريخ والأدب، وقد صنفها يحيى بوعزيز على الشكل التالي⁵:

نوع العلوم	عدد التأليف	نوع العلوم	عدد التأليف
علم التاريخ	34 مخطوط	علم الفلك	03
فن الشعر وشروحه	33	الأدب	02
علم القرآن	12	الأصول	02
الفقه	11	الجغرافيا	01
التوحيد والتصوف	10	المنطق	01
الحديث	08	البيان والمعاني	02
اللغة	05	البديع والعروض	02

¹ - محمد الصالح الصديق، أعلام المغرب العربي، موفم للنشر، الجزائر، 2008، ج1، ص28.

² - محمد أبوراس الناصر، فتح الإله...، المصدر السابق، ص181.

³ - يحيى بوعزيز، المرجع السابق، ص240.

⁴ - عبد الحق زربوخ، المرجع السابق، ص235.

⁵ - مختار بونقاب، من علماء الجزائر "الشيخ أبوراس الناصر المعسكري 1737-1823م"، مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ، جامعة مصطفى إسطنبولي، معسكر، جوان 2023، مج19، ع1، ص728.

1-7- وفاته

توفي الشيخ أبوراس الناصر الملقب بـ "الحافظ" يوم الأربعاء الخامس عشر من شهر شعبان ثمانى وثلاثين ومائتين وألف هجرية (1238هـ/1823م)¹، ويذكر مسلم بن عبد القادر أن سبب وفاته وباء الطاعون الذي انتشر سنة 1238هـ/1823م، حيث يقول: "ومات به خلق كثير من العلماء من بينهم الحافظ لعصره العلامة الكبير أبوراس الناصر"²، وقد تجاوز التسعين (90) سنة وصلى عليه ألف وخمسمائة نفس وكان أغلبهم علماء وحفظة القرآن³، ودفن بمقبرة عقبة بابا علي بمعسكر والتي سميت باسمه، وعلى ضريحه قبة نفعمهم الله بها وأورثهم منه محبة وقربة⁴.

2- التعريف بكتاب رحلة أبي راس الناصر

يعتبر كتاب "فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته" من أهم الكتب التي ألفها الشيخ أبوراس الناصر، والذي قام بتحقيقه وضبطه والتعليق عليه الدكتور محمد بن عبد الكريم الخبير الماهر في مجال تحقيق المخطوطات⁵، معتمدا في ذلك على ثلاثة نسخ هي:

1- مخطوطة المرحوم الشيخ عبد الحي الكتاني المغربي بـ "الخزانة العامة في الرباط"، ورمز لها بحرف "أ"⁶.

2- مخطوطة الفقيه المؤرخ الشيخ عبد الرحمن الجيلالي الذي ذكر بأنه كتاب حافل ممتع ترجم فيه أبو راس حياته التي دونها بقلمه⁷، ورمز لها بحرف "ب".

¹ - بن عودة المزاري، المصدر السابق، ج1، ص349. وانظر أيضا: أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي...، ج2 ص377.

² - عبد القادر مسلم، أنيس الغريب والمسافر، تح وتق: رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974، ص30.

³ - أبو القاسم الحفناوي، المصدر السابق، ج2، ص333.

⁴ - بن عودة المزاري، المصدر السابق، ص349.

⁵ - أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر...، مرجع سابق، ج2، ص338.

⁶ - محمد أبوراس الناصر، فتح الإله...، المصدر السابق، ص12.

⁷ - عبد الرحمن الجيلالي، المرجع السابق، ج3، ص576.

— الفصل الثاني: الرحلات الجزائرية أواخر العهد العثماني (القرنين 18م وبداية القرن 19م أنموذجا) —

3- مخطوطة الشاعر الأديب أحمد جلول البدوي الجزائري، والذي قام بالمقارنة بين النسخ الثلاثة، وقدم تعريفا للعديد من الأعلام والبلدان، وشرح الكثير من المعاني والألفاظ، ورمز لها بحرف "ج" ¹.

يعد هذا المخطوط والذي عرف باسم الرحلة لأبي راس الناصر من أهم كتب السير والتراجم الشخصية في تاريخ الجزائر خلال العهد العثماني أوائل القرن 19م، وهو من بين المصادر المحلية التي اكتست أهمية بالغة في تسليط الضوء على حياة أبي راس الذاتية والعلمية ²، وتم نشره من طرف المؤسسة الوطنية للكتاب تحت رقم: 2193/86، وذلك في 29 ماي 1982م، ويحتوي على مائة وخمسة وثمانين (185) صفحة، مقسمة إلى خمسة أبواب ³.

3- المحتوى العام لرحلة أبي راس الناصر

تعتبر رحلة أبي راس الناصر المسماة بـ "فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته" من أهم الرحلات الحجازية خلال العهد العثماني، حيث ألفها الشيخ أبي راس بعد عودته من أداء فريضة الحج سنة 1233هـ ⁴، وقد ضمنها خمسة أبواب هي:

1- الباب الأول: عنونه بـ "ابتداء أمري"، وذكر فيه مولده ونسبه الشريف الذي يعتز به كثيرا من خلال ذكر والديه وأجداده وأفراد عائلته بالوقار والتقدير والاحترام حيث يقول: "كان والدي من القراء الماهرين والأساتذة المشهورين من أهل الحزم في القرآن والجد... وأمي مثله في الصلاح وأكثر" ⁵، وكما تحدث عن أولى خطواته وتنقلاته للحصول العلمي والتعليم في نفس الوقت ⁶.

¹ - سميرة أنساعد، صورة المشرق العربي خلال رحلات الجزائريين في العهد العثماني، مجلة التراث العربي، دمشق، سوريا 2005، ع97، ص33.

² - أبو عمران الشيخ، قضايا في الثقافة والتاريخ، منشورات ثالة، الأبيار، الجزائر، 2007، ط3، ص69.

³ - محمد أبوراس الناصر، المصدر السابق، ص185.

⁴ - أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر...، المرجع السابق، ج2، ص399.

⁵ - محمد أبوراس الناصر، المصدر السابق، ص25.

⁶ - الطاهر حسني، المرجع السابق، ص315.

— الفصل الثاني: الرحلات الجزائرية أواخر العهد العثماني (القرنين 18م وبداية القرن 19م أنموذجا) —

2- الباب الثاني: سماه " في ذكر أشياخي النافضين عني خشب أوساخي شريعة وحقيقة

وقرآنا وطريقة"، وهو عبارة عن تراجم لأهم شيوخه الذين ساهموا في تكوين شخصيته العلمية والأدبية والدينية وصقلها¹، وكما خصصه في ذكر شيوخه وعلماء عصره الذين التقى بهم في رحلته حيث تناظر معهم في فروع المعرفة، وأجاب عن مسائلهم التي طرحوها عليه، فأجيز وأجاز وهذا ما جعله يقول: " و أبوراس واحدا من الذين يفتخرون بكثرة مشايخه"²، وقد بدأ بذكر والده الشيخ أحمد بن أحمد الناصر وانتهى بذكرى الشيخ السنوسي بن السنوسي، وقد قارب عدد شيوخه الخمسين شيئا أخذ عنهم مختلف العلوم النقلية والعقلية كاللغة والتصوف والفقه والنحو والمنطق...³، وكما نجده يصفهم بالعلم والصلاح لدرجة تتجاوز الموضوعية و، وهذا كعرفان لفضل شيوخه عليه في صقل شخصيته العلمية والأدبية والدينية⁴.

3- الباب الثالث: وهو باب مخصص لذكر رحلته إلى المشرق والمغرب ولقائه بعلماء

عصره، وسماه " في رحلتي إلى المشرق والمغرب وغيرهما، ولقاء العلماء الأعلام وما جرى لي معهم من المراجعة والكلام"⁵، وقد أطلق عليه اسم " حلتي ونحلي في تعداد رحلتي"⁶، ويعتبر الشيخ أبوراس الناصر من المؤرخين الذين أكثر الترحال داخل وخارج الوطن⁷، وقد غلب عليها الطابع العلمي من خلال ذكره لشيوخه ولقائه لعلماء عصره ومناظراتهم، وكذا تركيزه بالحديث عن نفسه وأطوار حياته، لذلك امتزجت رحلته بسيرته الذاتية⁸.

1 - سميرة أنساعد، المرجع السابق، ص34.

2 - محمد حاتمي، خطاب رحلة المغرب ومكوناته البنيوية، مجلة علامات في النقد الأدبي، منشورات النادي الأدبي، المملكة العربية السعودية، 1993، مج3، ج9، ص ص165-171.

3 - الطاهر الحسني، المرجع السابق، ص316.

4 - عابدين ابن حنيفة، أبوراس الناصر المعسكري حياته تصوفه من كتابه الحاوي، مكتبة الرشاد للطباعة والنشر والتوزيع الجزائر، 2005، ص34.

5 - محمد أبوراس الناصر، المصدر السابق، ص91.

6 - أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر...، المرجع السابق، ج2، ص186.

7 - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي...، المرجع السابق، ج2، ص379.

8 - الطاهر الحسني، المرجع السابق، ص314.

— الفصل الثاني: الرحلات الجزائرية أواخر العهد العثماني (القرنين 18م وبداية القرن 19م أنموذجا) —

تعد رحلة أبوراس الناصر من أشهر الرحلات العلمية الجزائرية خلال الحقبة العثمانية ويمكن أن نميز نوعين من رحلاته، "رحلة داخلية، ورحلة خارجية".

أ- رحلته الداخلية

زار الشيخ أبوراس الناصر العديد من المناطق داخل القطر الجزائري، حيث زار مدينة مازونة، وحديثه عن مدرسته المشهورة في تلك الفترة، وقد لقبت بـ "قبة الفقهاء"، ومدينة العلماء¹ كما تنقل إلى مدينة الجزائر، والتقى بعلمائها أمثال الشيخ القاضي المفتي السيد محمد بن جدعون والقاضي الشيخ محمد بن مالك، وعالمها وخطيبها المفتي الشيخ محمد بن الحفاف، وقد تعددت رحلاته إلى مدينة الجزائر، منها رحلته سنة 1226هـ حيث يقول: "أول رحلتي للجزائر"²، ثم عاد إلى معسكر ومكث بها 36 سنة، وأخذ العلوم الدينية واللغوية على كبار مشايخها وأبرزهم الشيخ محمد بن مولاي بن علي سحنون قاضي معسكر³، وبعدها انتقل إلى مدينة وهران أين التقى بباي وهران محمد بن عثمان المعروف بـ "الباي محمد الكبير"⁴، أين وصفه بأفضل الأوصاف كـ: "رفيع الشأن، قاهر الأعداء، حافظ الأمان والأموال...، كما التقى بعالمها الذي علمه الأدب السيد محمد بن حسن⁵.

¹ - مولاي بلحميسي، مازونة مقصد الدارسين وقلعة الخليليين، منشورات المجلس العلمي، الجزائر، 2005، ص24.

² - محمد أبوراس الناصر، المصدر السابق، ص95.

³ - أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر...، المرجع السابق، ج1، ص86.

⁴ - الباي محمد الكبير: ولد بمدينة مليانة خلال الفترة الممتدة ما بين 1734 و1739م، وتوفي سنة 1796م حسب ما ذكره مسلم بن عبد القادر، تولى منصب باي بايلك الغرب منذ سنة 1779 إلى غاية وفاته، ويعتبر من أهم البايات الداعمين للحياة العلمية والدينية بالمنطقة، ومن أهم إنجازاته: تشجيع العلم والعلماء وحركة النسخ والتأليف، وبناء المساجد والجوامع كالجامع الأعظم بمعسكر، وكذا بناء المدارس والمكتبات كالمدرسة المحمدية ومكتبتها بجانب الجامع الأعظم... انظر: محمد بن احمد بن علي ابن سحنون الراشدي، المصدر السابق، ص128. وكذا أنظر: مسلم بن عبد القادر، المصدر السابق، ص26. وكذا: بليروات بن عتو، الباي محمد الكبير ومشروعه الحضاري، دار كوكب العلوم للنشر والطباعة، الجزائر، (د.ت.ن)، ص94.

⁵ - محمد أبوراس الناصر، المصدر السابق، ص100.

— الفصل الثاني: الرحلات الجزائرية أواخر العهد العثماني (القرنين 18م وبداية القرن 19م أنموذجا) —

انتقل إلى قسنطينة والتقى بالشيخ عبد الكريم الفكون، والشيخ الحاج علي بن اللونيسي¹، وفي هذا يقول: "نزلت على محط رجال الأفاضل، ومنبع الفضائل، عالم تلك الدرة وعامله وصالحها وناصحها ورأئدها وذروة شرفها وبركة سلفها، الشيخ عبد الكريم الفكون²."

ب- رحلاته الخارجية

اشتهر الشيخ أبوراس الناصر برحلته العلمية إلى مختلف الأقطار العربية والإسلامية، لذلك نميز نوعين من رحلاته "الرحلات المغربية والرحلات الشرقية".

ب-1- رحلاته المغربية

ب-1-1- رحلته إلى المغرب الأقصى

يذكر أبو القاسم سعد الله بأن تاريخ رحلته إلى المغرب الأقصى كانت ما بين (1775م-1780م)³، وتعتبر مدينة فاس أولى محطاته حيث التقى بمشايعها وعلمائها ودرس على يدهم ومن أبرزهم نذكر: الشيخ المفتي والخطيب الطيب بن كيران، والشيخ عبد القادر بن شقرون⁴، والعالم والأديب الشيخ حمدون، والشيخ محمد بن ينيس، وكما ذكر لنا الشيخ ابن منصور والذي قال عنه "فكانه في نحو ابن هشام"⁵.

كما التقى خلال رحلته بالمغرب الأقصى بسلطانها العلوي سليمان، وكانت له معه مجالسة علمية⁶، وأثناء رحلته بفاس لقي ترحابا كبيرا من طرف فقهاءها وعلمائها، وقد ذكره في تأليفه⁷ إلى

1 - ناصر الدين سعيدوني، من التراث التاريخي والجغرافي...، المرجع السابق، ص461.

2 - محمد أبوراس الناصر، المصدر السابق، ص98.

3 - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي...، المرجع السابق، ج2، ص393.

4 - عبد القادر بكار، منهج الكتابة...، المرجع السابق، ص253.

5 - محمد أبوراس الناصر، الحلل السندسية في شأن وهران والجزيرة الأندلسية، تح: سليمة بنعمر، دار حنين للطباعة والنشر، ليبيا 2002، ص42.

6 - عبد الرحمن الجيلالي، المرجع السابق، ج3، ص237.

7 - محمد أبوراس الناصر، فتح الإله...، المصدر السابق، ص102.

— الفصل الثاني: الرحلات الجزائرية أواخر العهد العثماني (القرنين 18م وبداية القرن 19م أنموذجا) —

جانب ذلك فقد ألف كتابا سماه " روضة السلوان المألوفة بمرسى تيطوان"، عند زيارته لمدينة تيطوان¹.

من أهم المسائل التي تناقش فيها مع علماء المغرب الأقصى وسلاطينها خلال رحلته "مسألة الحدود المغربية الجزائرية" حيث يقول: "سألني يوما نصر الله عن حد المغرب الأقصى فقلت: قال ابن خلدون حده وجدة، فقال: إن حده تافنة فسكت"².

ب-1-2- رحلته إلى تونس

سافر الشيخ أبوراس الناصر إلى تونس وهو في طريقه إلى الحرمين الشريفين لأداء فريضة الحج مرتين، الأولى في عام 1205هـ/1790م، والثانية في عام 1226هـ/1812م³، كان يستغل ذلك في الاتصال بالعلماء ومناظرتهم في مختلف المسائل الفقهية واللغوية، وكذا أخذ الإجازات عن مشايخها وعلمائها، وفي هذا يقول: " ففي تونس بعلمائها و أجلة فقهاءها، فتذاكرنا وتناظرنا وترافعنا وتشاجرنا وتقابضنا في جميع الفنون الدقيقة"⁴، من أبرز العلماء والمشايخ الذين التقى بهم نذكر عالم إفريقية والشيخ مدينة تونس ومفتيها الشيخ السيد محمد بن الشيخ قاسم المحجوي ذو العلم الغزير، وكذا شيخ الإسلام مفتي الحنفية بتونس الشيخ محمد بن حسين المعروف بالشيخ بيرم الأول، والذي قرأ عليه كتاب " مختصر الكنز" في الفقه الحنفي⁵، وكذا التقى أيضا الشيخ إبراهيم الرياحي وهو أحد كبار علماء تونس في عصره⁶، بالإضافة إلى ذلك فقد زار العديد من المدن التونسية والحواضر العلمية الكبرى، وعلى سبيل المثال جامع الزيتونة، ومدينة القيروان أين قام بتدوين كل ما شاهده بالمدينة من معالم تاريخية وعمرانية، واهتمامه بتاريخ جوامع المدينة كجامع

1 - محمد أبوراس الناصر، الحلل السندسية...، المصدر السابق، ص33.

2 - المصدر نفسه، ص43.

3 - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي...، المرجع السابق، ج2، ص803.

4 - محمد أبوراس الناصر، عجائب الأسفار...، المصدر السابق، ج1، ص17.

5 - محمد أبوراس الناصر، فتح الإله...، المصدر السابق، ص51.

6 - أحمد بن أبي الضياف، المصدر السابق، ص73.

— الفصل الثاني: الرحلات الجزائرية أواخر العهد العثماني (القرنين 18م وبداية القرن 19م أنموذجا) —

العقبة والجامع الأعظم، وكذا التحدث عن الأحداث التاريخية الماضية بالمنطقة، وقد ألف في هذا مؤلف أسماه "نبأ الإيوان"¹.

كما ذكر الشيخ أبوراس أنه اجتمع مع علماء تونس بجامع الزيتونة وسألوه عن مسائل صعبة فأجابهم عنها بدون تردد، فأخبروا بذلك حمودة باشا باي تونس (1782-1814م) فدعاه إليه وأكرمه².

ب-2- رحلاته إلى المشرق العربي

تعتبر رحلة أبي راس الناصر المسماة بـ "فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته" من أهم الرحلات الحجازية التي قام بها علماء الجزائر خلال الحقبة العثمانية، وذلك لتعدد أهدافها ومنها: أداء فريضة الحج، كذا لطلب العلم والحصول على الإجازات ولقاء العلماء والمشايخ، وزيارة الحواضر العلمية الكبرى، والتي تمثل مركز إشعاع علمي في تلك الحقبة.

ب-2-1- رحلته إلى مصر

تعتبر مصر أول محطاته في رحلاته المشرقية، وذلك لوقوعها في طريق الحج، فكان الحجاج بصفة عامة والعلماء بصفة خاصة يتوقفون بها لأخذ قسط من الراحة بعد رحلة شاقة وطويلة³، وكما كانت محطة للاستراحة من جهة، فهي أضحت مركزا حضاريا وعلميا سنيا، وحلت مدينة القاهرة محل مدينة بغداد عاصمة العالم الإسلامي خلال العهد العثماني⁴، لذلك كان الحجاج الجزائريون والعلماء خاصة يتوجهون إلى مدينة القاهرة للإقامة فيها، وبالخصوص عند الجامع

¹ - محمد أبوراس الناصر، نبأ الإيوان بجمع الديوان في ذكر صلحاء مدينة القيروان، تق وتغ: محمد الحبيب العلاني، وسهيل الحبيب، منشورات مركز الدراسات الإسلامية بالقيروان، تونس، 2012، ص17.

² - محمد أبوراس الناصر، فتح الإله... المصدر السابق، ص115.

³ - حسام محمد عبد المعطي، المغاربة في مصر خلال القرن الثامن عشر، تق: إسماعيل سراج الدين، مكتبة الإسكندرية، مصر 2015، ص19.

⁴ - محمد خير فارس، تاريخ الجزائر الحديث من الفتح العثماني إلى الاحتلال الفرنسي، مكتبة دار الشرق، دمشق، سوريا، 1969 ص25.

— الفصل الثاني: الرحلات الجزائرية أواخر العهد العثماني (القرنين 18م وبداية القرن 19م أنموذجا) —

الأزهر، وهذا بهدف لقاء مشايخه وعلمائه من أجل تحصيل كل أنواع العلوم وأخذ الإجازات، وإقامة المناظرات¹.

وقد تحدث الشيخ أبوراس الناصر في رحلته "فتح الإله" عن مصر بصفة عامة ومدينة القاهرة بصفة خاصة بقوله: "بأنها ذات العمارة الهامية، كأموج البحر الطامية، ذا العلوم الزاهرة بـ 'الأزهر' والعساكر القاهرة بـ 'القلعة' و'المزهر' و'الفسطاط'، ومشهد 'الإمام' و'جامع ابن طولون'، و'الأهرام'..."².

تحدث عن لقائه بعلماء مصر الذين أخذ عنهم العلم وأجازوه، ومنهم الشيخ مرتضى الزبيدي العالم بالحديث واللغة والأنساب، والذي أجازوه ووصفه بـ "الحافظ"، وقد ألف الشيخ أبوراس الناصر كتابا أسماه "السيف المنتضي فيما رويته بأسانيد الشيخ مرتضى"³، ولقاؤه بالعالم والفقير الشيخ عبد الله الشرقاوي الأزهري الشافعي، والشيخ محمد الأمير شيخ المالكية الذي دان له بمصر كل رئيس ووزير وبرع في الحديث وجميع فنون العلوم، وقد أجازوه ولقبوه بعدة ألقاب كـ "شيخ الإسلام" و"الحافظ"⁴.

كما ذكر أيضا بأن علماء مصر اجتمعوا معه وامتحنوه في علمه محاولين إسقاط لقبه "الحافظ" عليه⁵، حيث يقول: "فشرعوا في امتحاني، وتزييف مكانتي ومكاني، فأخرج أحدهم كتاب "الألفية"...، وبعد مطالعة النسخ المتعددة والصحيحة للكتاب اعترفوا بحفظه، وأطلق عليه لقب "الحافظ"⁶.

من هنا يظهر لنا بأن الشيخ أبوراس الناصر ذهب إلى مصر مثله مثل طلبة العلم وعلماء الجزائر وبلاد المغرب العربي للاستفادة من علمائها وعلومها، خاصة لوجود الجامع الأزهر والذي

¹ - عبد الرحمن بن محمد المجاجي، المصدر السابق، ص183.

² - محمد أبوراس الناصر، المصدر السابق، ص115.

³ - عبد الحي الكتاني، فهرس الفهارس...، المصدر السابق، ص397.

⁴ - محمد أبوراس الناصر، المصدر السابق، ص116.

⁵ - هلايلي حنفي، أوراق في تاريخ...، المرجع السابق، ص255.

⁶ - محمد أبوراس الناصر، المصدر السابق، ص117.

— الفصل الثاني: الرحلات الجزائرية أواخر العهد العثماني (القرنين 18م وبداية القرن 19م أنموذجا) —

يمثل مركز إشعاع علمي، وحاضرة من الحواضر الكبرى بالبلاد العربية والعالم الإسلامي بصفة عامة.

ب-2-2- رحلته إلى الحجاز

تعد الرحلات الحجازية من أهم المصادر المحلية والرحلات التي قام بها علماء الجزائر خلال الحقبة العثمانية، ويعتبر الدافع الديني من أبرز الدوافع التي حفزت الجزائريين على القيام بها بهدف أداء فريضة الحج والعمرة وزيارة الأماكن المقدسة بالمنطقة، إضافة إلى الدافع العلمي والمتمثل في طلب العلم ولقاء العلماء والمشايخ المتوافدين أو المتواجدين بالحرمين الشريفين " مكة والمدينة المنورة، وذلك من أجل الإجازة والاستجازة، وكذا الإفادة والاستفادة من العلوم المتنوعة إضافة إلى تبادل الكتب والمصنفات، وإجراء المناظرات وبي ومن بين تلك الرحلات الحجازية التي قام بها علماء الجزائر أوائل القرن 19م نجد رحلة الشيخ أبي راس الناصر.

إن رحلة الشيخ أبي راس الناصر المسماة بـ "فتح الإله" هي عبارة عن تسجيل رحلتين قام بهما الشيخ بهدف أداء فريضة الحج، حيث تفصل بينهما عشرين سنة¹، الأولى كانت ما بين (1204هـ-1205هـ/1791-1792م*)، ورحلته الثانية سنة (1227هـ/1812م) والتي كتبها أواخر حياته (1233هـ/1818م) في شكل مذكرات تحدث فيها بإسهاب عن شيوخه والعلماء الذين اتصل بهم وناظرهم واستجازهم وأجازوه².

من أهم العلماء الذين التقى بهم الشيخ أبوراس الناصر العلامة عبد المالك المفتي الحنفي الشامي القلعي، الذي أخذ عنه بعضا من الحديث ونبذة من "الكنز"، وشيئا من التفسير، وكذا

¹ - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي...، المرجع السابق، ج2، ص379.

* 1792م: وهي السنة التي تم فيها فتح وهران، وكان الشيخ أبوراس آنذاك متواجدا بتونس بعد عودته من أداء فريضة الحج عندما سمع بالحرب ضد الإسبان، فعاد مسرعا لمساندة إخوانه في الجهاد، وخلالها شرع في تأليف كتابه "عجائب الأسفار ولطائف الأخبار"، انظر: محمد أبوراس الناصر، الشقائق النعمانية في شرح الروضة السلوانية في علم الصيد، دراسة وتحقيق: حمدان بن عمر، دار الكتب العلمية، بيروت، 1971، ص67.

² - عبد القادر بكاري، الرحلة ودورها، المرجع السابق، ص261.

— الفصل الثاني: الرحلات الجزائرية أواخر العهد العثماني (القرنين 18م وبداية القرن 19م أنموذجا) —

اجتماعه بالشيخ العارف بالله ابن عياد على "الحكم"¹، وكما التقى أيضا بالعالم والإمام الكبير الشيخ عمارة العلاف الذي أجاز به بعد أن روى عليه بعضا من "صحيح البخاري"²، واجتماعه مع الشيخ الحسين المغربي الذي كان لكل غريب ناصحا، واستفاد الشيخ من علومه خاصة العلوم الفقهية³، كما التقى بالعديد من العلماء المغاربة المجاورين لمكة، ومنهم الشيخ عبد القادر السنوسي الذي أخذ عنه الفقه والنحو، وقرأ عليه "الألفية" قراءة بينة وأجازه⁴.

بالإضافة إلى التقائه بالعلماء الوهابيين التسعة الذين تناظر معهم في العديد من المسائل⁵ وفي هذا يقول: "ولما ذهبت إلى الحج سنة ست وعشرين لقيت علماء الوهابية على تاسعهم فتناظرنا في صلاة القصر وقراءة دلائل الخيرات والتسبيح والسبحة، وهدم مشاهير وأضرحة الأولياء، وظني أنهم حنابلة المذهب"⁶.

وكما تحدث عن زيارته لأم القرى ولقاءه بعلمائها، وكذا زيارته للمدينة المنورة حيث ذكر بأنه زار قبر الرسول صلى الله عليه وسلم، وقبري صاحبيه أبو بكر وعمر، ثم زار قبور الصحابة في البقيع دون أن يصف لنا الجانب العمراني أو المادي للحرمين الشريفين "مكة والمدينة المنورة"⁷.

ب-2-3- رحلته إلى الشام وفلسطين

من أهم المناطق التي زارها الشيخ أبوراس الناصر وذكرها في رحلته "فتح الإله"، وهذا خلال رحلته المشرقية، والتي تعتبر من أهم محطاته العلمية "بلاد الشام"، حيث يقول في هذا الصدد: "

¹ - عبد القادر مرجاني، المؤرخون الجزائريون خلال العهد العثماني (أبوراس الناصر العسكري أنموذجا)، دورية كان التاريخية الإلكترونية، 2019، ع43، ص48.

² - محمد أبوراس الناصر، المصدر السابق، ص118.

³ - الطالب أحمد المصطفى بن طوير الجنة، رحلة المنى والمنة، تح: الدكتور حماد الله ولد السالم، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، 2013، ط1، ص112.

⁴ - محمد أبوراس الناصر، المصدر السابق، ص65.

⁵ - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي...، المرجع السابق، ج3، ص187.

⁶ - محمد أبوراس الناصر، الحلل السندسية...، المصدر السابق، ص64.

⁷ - محمد أبوراس الناصر، فتح الإله...، المصدر السابق، ص118-119.

— الفصل الثاني: الرحلات الجزائرية أواخر العهد العثماني (القرنين 18م وبداية القرن 19م أنموذجا) —

ثم رحلت إلى الشام...¹، وبها اجتمع مع العديد من العلماء الذين تحاور وتناقش وتناظر معهم في مسألة " الحبس"، والتي نص عليها الشيخ أبو زكرياء ابن الخطاب، لكن الشيخ أبوراس كان دائما ما يكون صاحب الرأي الصحيح²، وهذا حسب ما ذكره في قوله: " فوافقوني، وأنصفوني بعد الدلائل القاطعة والأجوبة الرائقة والمباحث الفائقة، وذلك شأن العلماء"³.

وتحدث أيضا عن كرم أهل الشام خاصة عند مغادرته للمنطقة، بحيث قاموا بجمع الأموال له، وكذا توديعهم له بأحسن وداع⁴.

كما ذكر ترحاله إلى فلسطين، وهذا بعد انتهاء رحلته بالشام، وأول مدينة قام بزيارتها هي مدينة " الرملة"، ثم رحل إلى مدينة " غزة"، والتي تعرف باسم "غزة هاشم"، وذلك لوجود قبر جد الرسول صلى الله عليه وسلم "هاشم"، والذي قام بزيارته، ثم التقى بالعديد من العلماء، وتناظر معهم في العديد من المسائل مثل: " الدخان"، " القهوة"، وكذلك ذكر في رحلته عن كرم الضيافة وحسن الاستقبال له من طرف أهل فلسطين⁵.

4- الباب الرابع

تطرق فيه إلى ذكر أهم المسائل التي عرضت عليه وناقش أمرها، وأجاب عنها في مختلف الأقطار والبلدان العربية التي زارها أو مر عليها أثناء رحلته، بالإضافة إلى ذكره لفن من الفنون الأدبية، والمتمثل في فن المناظرة التي جرت بينه وبين علماء العالم العربي الإسلامي⁶، وقد عنوانه بـ " في الأسئلة (وما يتعلق بها)"⁷، ومن أهم المسائل التي عرضت عليه وأجاب عليها نذكر:

¹ - محمد أبوراس الناصر، المصدر نفسه، ص119.

² - محمد بشير بوحيرة، التسامي والعبقرية عند أبي راس الناصر قراءة في فتح الإله وفق المنهج النفسي، مجلة قراءات، منشورات المركز الجامعي، معسكر، 2008، ع1، ص111.

³ - محمد أبوراس الناصر، المصدر السابق، ص ص119-120.

⁴ - ذهبية بوشيسة، الحياة الثقافية في الجزائر خلال العهد العثماني أبي راس أنموذجا، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجيلاي، سيدي بلعباس، 2008-2009، ص252.

⁵ - محمد أبوراس الناصر، المصدر السابق، ص120.

⁶ - الطاهر حسني، المرجع السابق، ص316.

⁷ - محمد أبوراس الناصر، المصدر السابق، ص131.

— الفصل الثاني: الرحلات الجزائرية أواخر العهد العثماني (القرنين 18م وبداية القرن 19م أنموذجا) —

"مسألة التكوين" من طرف علماء مصر"، و"مسألة التعليل المسلم في كراهية الماء المستعمل في الحدث"، و"مسألة الطهارة بنابلس بالقدس الشريف"، و"مسألتي القهوة والدخان" بمجلس علماء الجزائر بالجامع الأعظم¹، وغيرها من الأسئلة الفقهية والمذهبية، والتي كان يكيف أجوبته عليها حسب مقتضى الحال من حيث المكان، أو من حيث المقصود بالجواب، وقد بلغ عدد العلماء الذين درسوا عنهم وجالسهم وناظرهم حوالي واحدا وأربعين عالما²، وقد ساعدته ذاكرته القوية على الحفظ في اعتلاء مكانة مرموقة بين علماء عصره، فأفاد واستفاد، وهو ما ذكره بن سحنون الراشدي في كتابه " الثغر الجمانى... " بقوله: " ومنهم شيخنا، وشيخ مشايخنا الهمام الحافظ، الإمام سيدي محمد أبي راس الناصر المعسكري، رحمه الله، كنت أتردد عليه كثيرا وأستفيد منه استفادة عظيمة..."³، وهو دليل على المكانة الاجتماعية الكبيرة التي حظي بها في مجتمعه العربي الإسلامي خلال الفترة العثمانية.

5- الباب الخامس

وعنونه — "العسجد والإبريز في عدة ما ألفت بين بسيط ووسيط ووجيز"⁴، حيث ذكر في مضمونه قائمة مؤلفاته التي ألفها حسب العلوم، بداية بعلم القرآن والحديث والفقه والتوحيد والتصوف واللغة والأصول والتاريخ والقصائد والشروحات، وقد عدد نحو الثلاث مائة مؤلف مقتديا في ذلك بالإمام السيوطي الذي ذكر مؤلفاته في كتابه: " حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة"، منوها في نهاية مؤلفه بأنه لا يعلم بوجود أحد من العلماء في عصره أكثر منه تأليفا⁵.

4- مصادر رحلة أبي راس الناصر

أشار العالم والحافظ وشيخ الإسلام الشيخ محمد أبي راس الناصر في رحلته، بأنه اقتدى في كتابة تأليفه على السابقين له من الرحالة المغاربة، وغيرهم من الرحالة العرب، وهو ما ذكره بقوله:

1 - محمد أبوراس الناصر، المصدر السابق، ص 158-159.

2 - ناصر الدين سعيدي، من التراث...، المرجع السابق، ص 494.

3 - أحمد بن محمد بن علي بن سحنون الراشدي، المصدر السابق، ص 68.

4 - محمد أبوراس الناصر، المصدر السابق، ص 179.

5 - المصدر نفسه، ص 186.

— الفصل الثاني: الرحلات الجزائرية أواخر العهد العثماني (القرنين 18م وبداية القرن 19م أنموذجا) —

" وأسوتي في ذلك رحلة الجهابذة النحارير، والأسانيد الجماهير"¹، ومن بين الرحلات التي اعتمد عليها نذكر:

- رحلة الإمام ابن رشيد السبتي*
- رحلة الخطيب ابن مرزوق*
- رحلة الشيخ أبي سالم عبد الله بن محمد العياشي*
- رحلة الشيخ أحمد بن ناصر الدرعي².

من هنا تتجلى أهمية رحلة أبي راس الناصر، إذ تمثل مصدرا محليا أساسيا في فهم ملامح الحياة في الجزائر أواخر العهد العثماني، من خلال توثيقه للأوضاع السياسية والاجتماعية والعمرانية والثقافية والاقتصادية للبلاد العربية، بالإضافة إلى تقديمه وصفا دقيقا للمدن والقرى والمسالك، وهذا ما ساهم في إعادة رسم صورة جغرافية تاريخية للمنطقة خلال تلك الفترة، إضافة إلى تسجيله لجل العادات والتقاليد وأنماط المعيشة، فضلا عن اهتمامه بالعلم والتعليم والعلماء، والعلاقة بين فئات المجتمع الجزائري داخل الإيالة الجزائرية، وكذلك في تبيان له لأواصر التواصل الثقافي بين علماء الأقطار الإسلامية من إجازات، ومناظرات، وتبادل للكتب والمصنفات، وهذا ما يجعلها مرجعا مهما للباحثين في إعادة كتابة التاريخ الوطني من منظور محلي بعيدا عن الرؤى الأجنبية.

¹ - محمد أبوراس الناصر، المصدر السابق، ص 91.

* رحلة الإمام ابن رشيد السبتي: وهو محب الدين أبو عبد الله بن عمر بن محمد الفهري السبتي المعروف بابن رشيد، من مواليد سبتة المغربية سنة 657هـ/1259م، صاحب ومؤلف الرحلة الشهيرة التي أسماها بـ "ملء العيبة بما جمع بطول الغيبة في الوجهة الوجهية إلى الحرمين مكة وطيبة"، والتي ألفها بعد عودته من الحجاز ومصر سنة 686هـ/1287م، وهي رحلة حجية مكونة من ستة أجزاء، انظر: محمد بن رشيد السبتي، ملء العيبة بما جمع بطول الغيبة في الوجهة الوجهية إلى الحرمين مكة وطيبة، تقييد: أبي عبد الله محمد بن عمر بن رشيد الفهري السبتي، تق وتخ: محمد الحبيب بن الخوجة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان 1988، ج 5، ص 1.

* رحلة الشيخ أبي سالم عبد الله بن محمد العياشي: والمسماة بـ "الرحلة العياشية" 1661-1663م. انظر: عبد الله بن محمد العياشي، المصدر السابق، ص 12.

² - محمد أبوراس الناصر، المصدر السابق، ص 91.

رابعاً: رحلة عبد الرحمن بن إدريس التتيلاني بداية القرن 19م

تمثل رحلة عبد الرحمن التتيلاني بداية القرن التاسع عشر إحدى الرحلات الجزائرية الداخلية في الفترة العثمانية المتأخرة، فهي من بين المصادر المحلية الأساسية التي سجلت لنا الأحداث والوقائع التي شهدتها مدينة الجزائر سنة 1816م، وهو ما يجعلها إحدى اللبانات الأساسية في فهم الواقع الحضاري والاجتماعي لإيالة الجزائر في تلك الفترة.

1- التعريف بصاحب الرحلة

1-1- اسمه ونسبه

هو الشيخ عبد الرحمن بن إدريس بن عمر بن عبد القادر بن أحمد بن يوسف بن محمد بن علي بن الحسين بن الحسن بن يوسف بن أحمد بن داود بن محمد بن سلطان بن تميم بن عمر بن ملوك بن موسى بن مدان بن دان بن سكناس بن مغرور بن قيس بن محمد بن محمد بن محمد بن آبان بن عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف¹، ويلتقي مع النبي صلى الله عليه وسلم في جده عبد مناف، وقد نسب إلى منطقة تتيلان* التي أسسها الشيخ أحمد بن يوسف، وهذا حسب الشجرة العائلية المنقولة من مكتبة خاصة بأحفاد الشيخ أحمد بن يوسف².

1-2- مولده

ولد الشيخ عبد الرحمن التتيلاني سنة 1181هـ/1767م³، بقرية تتيلان الواقع حالياً شمال مدينة أدرار، أي سنة قبل وفاة والده، وهذا باتفاق جل المصادر المخطوطة منها أو المطبوعة⁴.

¹ - عبد الرحمن بن إدريس التتيلاني، رحلة الشيخ عبد الرحمن بن إدريس بن عمر بن عبد القادر التتيلاني إلى ثغر الجزائر عام 1231هـ/1816م، دراسة وتحقيق: خير الدين شترة، دار كردادة للنشر والتوزيع، بوسعادة، الجزائر، 2015، (ط.خ)، ص273.

* تتيلان: تعد مدينة تتيلان إحدى قصور تيمي في الشمال الشرقي لمدينة أدرار، والتي أسسها الشيخ أحمد بن يوسف خلال القرن 11هـ، وكما توجد تتيلان القديمة والتي سكنها الشيخ مولاي سليمان بن علي. انظر: محمد باي بلعالم، الغصن الداني في ترجمة حياة الشيخ عبد الرحمن بن عمر التتيلاني، مطبعة دار هومة، الجزائر، (د.ت.ن)، ص3.

² - عبد الرحمن بن إدريس التتيلاني، المصدر السابق، ص273.

³ - محمد باي بلعالم، الرحلة العلية إلى منطقة توات لذكر بعض الأعلام والآثار والمخطوطات والعادات وما يربط توات من الجهات، مطبعة دار هومة، الجزائر، 2005، ج2، ص185.

⁴ - عبد الرحمن بن إدريس التتيلاني، المصدر السابق، ص280.

1-3- نشأته وتعلمه

نشأ الرحالة عبد الرحمن بن إدريس يتيم الأب، وهذا بعد أن فقد والده بعد سنة من ولادته، في أسرة عرفت بالعلم والمعرفة، فقد تلقى تعليمه الأول بالزاوية التتيلانية¹، حيث بدأ يحفظ القرآن الكريم على يد شيخه عبد الرحمن بن عمر التتيلاني ثم انتقل إلى دراسة "صحيح البخاري"، و"شمائل الترمذي"، وكتاب "الشفاء" للقاضي عياض، و"مختصر خليل"، و"متن المرشد المعين"، لابن عاشر، وكما درس أيضا "ألفية ابن مالك"، و"لامية الأفعال"، و"الأجرومية"، و"تلخيص المفتاح" في علوم اللغة، بالإضافة إلى دراسته "السلم المرونق" في المنطق، وغيرها من المصنفات²، وهذا وفق ما تقتضيه المناهج التعليمية بإقليم توات*، وهذا ما أشار إليه عبد الله بن أحمد الفلاني في رحلته، بأنه لما بلغ سبع سنين ختم القرآن الكريم، ثم بدأ في قراءة "الأجرومية" و"الألفية"، وقراءة "مختصر خليل"، و"رسالة أبي زيد"، وعند بلوغه سن الرابعة عشر حفظ "الخليل والرسالة"، والعاصمية، وقواعد المذهب، وجمع الجوامع"³...

من هنا يظهر لنا بأن الرحالة عبد الرحمن بن إدريس قد مر بمرحلتين أساسيتين في مساره الدراسي والتعليمي، وذلك من خلال تنقلاته ورحلاته في طلب العلم، وحضوره لدروس المشايخ والعلماء بهدف الاستفادة والإفادة، وكذا صقل شخصيته العلمية، وتوسيع دائرة معارفه وعلومه.

¹ - الصديق حاج أحمد، التاريخ الثقافي لإقليم توات، منشورات مديرية الثقافة، أدرار، 2005، ص86.

² - عبد الرحمن بن عمر التتيلاني، فهرست عبد الرحمن بن عمر التتيلاني (ت 1189هـ/1775م)، دراسة وتحقيق: عبد الرحمن بن محمد بعثمان، مذكرة التخرج لنيل شهادة الماجستير، بشار، 2000، ص27.

* إقليم توات: هو جزء من الصحراء الإفريقية الكبرى التي تمتد من سواحل البحر الأحمر شرقا إلى المحيط الأطلسي غربا، ويضم أربعة قصور، وبعض قبور الأولياء منهم قبر الولي الصالح سيدي محمد بن الصالح المعروف بعريان الراس تلميذ الولي الصالح أبي الروائن، انظر: الحسن الوزان، المصدر السابق، ج2، ص30، وانظر أيضا: أبو سالم العياشي، رحلة العياشي "ماء الموائد"، المصدر السابق، ج1، ص19، وكذلك أنظر، فرج محمود فرج، إقليم توات خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1984، ص1.

³ - عبد الرحمن بن إدريس التتيلاني، المصدر السابق، ص283.

1-4- شيوخه

تتلمذ الرحالة عبد الرحمن بن إدريس على يد العديد من الشيوخ والعلماء سواء في منطقته، أو من خلال تنقله إلى بعض المدن الجزائرية، وممن أخذ عنهم العلم نذكر:

• الشيخ محمد بن عبد الرحمن بن عمر: ويكنى بأبي عبد الله الأموي التنيلاني (1151هـ- 1233هـ/1748-1817م)، والمعروف عند علماء إقليم توات بـ "الأب"، كان عالما في علوم الحديث والفقه والمنطق والعروض، واشتهر بالعلامة النوازلي¹، كما كان من أعيان المنطقة وفقهائها ومشاهيرها الفضلاء²، تتلمذ على يده الرحالة وأخذ عنه قسما من العلوم المختلفة والمتنوعة.

• الشيخ محمد بن أحمد الزجلوي (ت 1212هـ/1797م): يعتبر أحد علماء المنطقة في الفقه والنحو والصرف، ومؤسس المدرسة الزجلوية بإقليم توات، وقد انبهر الرحالة في علمه وحفظه وذكائه، ومن أهم مؤلفاته: "مخطوط النوازل في الفقه"، و"ألفية في غريب القرآن وشرحه عليها"، و"شرح مختصر خليل"، و"كتاب المباشر على ابن عاشر"³.

• الشيخ عبد القادر بن شقرون (ت 1219هـ/1804م): هو الشيخ الإمام الفقيه عبد القادر بن أحمد بن العربي ابن شقرون الفاسي المكنى بـ "أبي محمد"، كان فقيها نحويا لغويا وأديبا، عرف بالضبط والإتقان والصدق والأمان، ومن آثاره "الأرجوزة" المعروفة بالشقرونية في الطب، وديوان في الشعر، بالإضافة إلى بعض الشروحات في الفقه⁴، وقد تتلمذ على يده الرحالة، والعديد من الشخصيات والسلطين "السلطان مولاي سليمان بن محمد العلوي"، وأخذوا عنه الحديث والفقه واللغة والبيان والمنطق، وغير ذلك من العلوم.

¹ - مولاي التهامي غيتاوي، المرجع السابق ج2، ص86.

² - عبد القادر بن عمر المهداوي، الدرة الفاخرة في ذكر المشايخ التواتية، مخطوط بخزانة عبد الله، أدرار، ص9.

³ - عبد الرحمن بن إدريس التنيلاني، المصدر السابق، ص292.

⁴ - محمد امين المحبي، خلاصة الأثر...، المصدر السابق، ج2، ص469.

— الفصل الثاني: الرحلات الجزائرية أواخر العهد العثماني (القرنين 18م وبداية القرن 19م أنموذجا) —

• بالإضافة إلى أخذ العلم على يد العديد من علماء فاس* وسلجماسة*، ومن بينهم الشيخ ابن عبد الله محمد السالم ابن الشيخ محمد البرباقي بمدرسة المصباحية بفاس، والشيخ أبي عبد الله مهدي بن عبد السلام الحلو الفاسي، والشيخ أبي عبد الله محمد بن عبد الله السلجماسي والأستاذ النحوي أحمد السقاط، والعالم النحوي عبد السلام الهروشي¹، والشيخ العباس الهلالي والعلامة الأستاذ عبد الرحمن المنجرة، والعالم الفقيه أبي عبد الله محمد بن الحسين البناني² بجامع القرويين.

كما أخذ العلم على يد مجموعة من علماء المشرق خلال أدائه مناسك الحج، وممن أخذ عنه بالمدينة المنورة الشيخ والعالم حسين بن عبد الشكور البكري الصديقي، ومن علماء مصر الشيخ مرتضى الزبيدي³.

1-5- تلاميذه

حظي الرحالة عبد الرحمن بن إدريس بمكانة علمية مرموقة بين معاصريه من العلماء والفقهاء، خاصة بعد إنهاء مشواره الدراسي، واختياره لمسقط رأسه كمحطة علمية وتعليمية خاصة بعد أن تولى مهام التدريس بالمنطقة، أين أصبحت حلقاته تعج بالطلبة والرواد والمستمعين، وكما تخرج على يديه العديد من التلاميذ والطلبة، ومن بينهم:

* فاس: هي مدينة مغربية لها موقع استراتيجي هام، تقع على مفترق الطرق، وتعتبر الطريق السهل بين المغرب والجزائر، ولها 13 باب، انظر: عبد الرحمن بوزيان، محطات من التاريخ السياسي والحضاري لمدينة فاس منذ النشأة إلى بداية عهد الحماية، مجلة قرطاس للدراسات الفكرية والحضارية، المغرب، 2021، مج8، ع1، ص129.

¹ - محمد باي بلعالم، الغصن الداني، مرجع سابق، ص10.

² - فاطمة بلهاري، وصف الجنوب الجزائري في ظل الحكم العثماني من خلال مخطوط رحلة أبي العباس الهلالي السلجماسي المجلة الجزائرية للمخطوطات، الجزائر، جوان 2010، مج6، ع7، ص38.

³ - عبد الجليل شقرون، الرحالة عبد الرحمن بن إدريس (1233هـ/1818م)، مجلة الحكمة للدراسات الإسلامية، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، الجزائر، 2017، مج4، ع1، ص129.

— الفصل الثاني: الرحلات الجزائرية أواخر العهد العثماني (القرنين 18م وبداية القرن 19م أنموذجا) —

• الشيخ عبد القادر بن التقي التتيلاني (ت 1253هـ/1837م): هو الفقيه عبد القادر بن التقي بن عبد الرحمن بن بلقاسم بن عبد الكريم بن أحمد بن يوسف التتيلاني¹، كان إماما بمسجد الزاوية التتيلانية².

• الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن التتيلاني (ت 1260هـ/1844م): وهو الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن بن البركة بن عبد الرحمن بن بلقاسم بن عبد الكريم بن أحمد بن يوسف التتيلاني، أحد فقهاء وأدباء منطقة توات³.

1-6- ألقابه

يعتبر الرحالة عبد الرحمن بن إدريس أحد أعلام منطقة توات، وقد عرف عنه أنه كان عالما ماهرا في أصول الفقه والتفسير، وحافظا للمسائل، حيث يصفه صاحب الدرة الفاخرة بالمهارة و"الحافظ" في العلم وأصول الفقه والتفسير بقوله: "كان من غرائب الدهر في الحفظ"⁴، ومن أهم أشهر الألقاب التي أرفع بها أيضا "أبو زيد"، و "التواتي"، وغالب الظن أنه كان يحب هذا اللقب كثيرا، بحيث نجده يذكره في كذا موضع من مرثياته الشهيرة، ومن ألقابه أيضا " التتيلاني " وقد عرف به عند المترجمين للشيخ أو الذين نسخوا كتبه من بعده، فینس ییونه إلى مسقط رأسه تتيلان⁵، وكما أنه لا يوجد ما يؤكد بأن الرحالة كان يختم اسمه بهذا اللقب في رسائله وديوانياته خاصة تلك التي نسخها بيده⁶.

¹ - محمد باي بلعالم، الرحلة العلية إلى منطقة توات...، المرجع السابق، ج1، ص36.

² - عبد الرحمن بن إدريس التتيلاني، المصدر السابق، ص296.

³ - المصدر نفسه، ص297.

⁴ - عبد القادر بن عمر المهداوي، المصدر السابق، ص9.

⁵ - عبد الرحمن بن إدريس التتيلاني، المصدر السابق، ص281.

⁶ - محمد بلعالم، الغصن الداني...، المرجع السابق، ص3.

1-7- مؤلفاته

ترك الرحالة عبد الرحمن بن إدريس عدة تأليف، شملت عدة مجالات، ومن بينها:

- في مجال الشعر: عرف الرحالة بقوته وقدرته الفائقة على قرض الشعر، ومن أهم قصائده رثائه للعالمين الجليلين الشيخ عمر بن عبد الرحمن بن عبد القادر بن أحمد بن يوسف المتوفى سنة 1221هـ، والشيخ عبد الله ابن عبد الرحمن ابن عمر التتيلاني المتوفى أيضا سنة 1221هـ اللذين ماتا بصحراء توات أثناء سفرهما، وقد تمت هذه المراثية اثنتين وثلاثين (32) بيتا،¹ جاء فيها ما يلي:

ألا في سبيل الله فيما أصابنا	من الهم والأحزان والضيق والنكر
لقد غمرتنا الحادثات ببأسها	وحلت بنا الرزايا من حيث لا ندري
فيا لتتيلان أصيب وحيدها	وسيدها المرجو للنفع والضر
أبو حفص حليمها وفقهها	وعالمها المرتدي برد الفخر
ولما أتانا نعيه ذهبنا منا	العقول وصرنا طافحين بلا خمر

وقال أيضا:

وشاركه في الفقد أوحيد وقته	شقيق المعالي ذو الفضائل والذخر
إمام العلا والمجد والوجود والندى	سليل ذوي الأحساب سيد ذا العصر
أخونا عبيد الله من سار ذكره	ومفخرة كالمسك في العرف والنشر ²

- في مجال الرحلة: ألف الرحالة هذه الرحلة، والتي ذكر فيها العديد من الأحداث التي شاهدها وعاصرها في طريقه إلى مدينة الجزائر المحروسة سنة 1231هـ/1815م، إنطلاقا من زاوية جده بتتيلان³.

¹ - عبد الجليل شقرون، المرجع السابق، ص129.

² - عبد الرحمن بن إدريس، المصدر السابق، ص309.

³ - مبارك بن الصافي جعفري، العلاقات الثقافية بين التوات والسودان الغربي خلال القرن 12هـ، دار السبيل للطباعة، الجزائر 2009، ص266.

1-8- وفاته

توفي في شهر جمادى الثانية بمدينة "سيوة" *، ودفن بها سنة 1233هـ/1817م أثناء عودته من الحرمين الشريفين بعد أدائه فريضة الحج¹.

2- التعريف بكتاب رحلة عبد الرحمن بن إدريس التتيلاني

تعتبر رحلة الشيخ عبد الرحمن بن إدريس التتيلاني إلى ثغر الجزائر عام 1231هـ/1816م من أهم الكتب التي ألفها الشيخ عبد الرحمن بن إدريس التتيلاني، والذي قام بتحقيقه ودراسته الدكتور خير الدين شترة، معتمدا في ذلك على ثلاثة نسخ هي:

1- النسخة الأم (بخط يد صاحب الرحلة): وهي منقولة غير منسوخة من خط المؤلف بتاريخ 15 ذي القعدة 1244هـ، الموافق لـ 20 ماي 1828م، وهي موجودة بخزانة الشيخ الحاج محمد باي بلعالم الركينة، بأولف (أدرار)، وقيل بأنها سورة عن الأصل المخطوط بخزانة تمنطيط (أدرار)، وبخزانة شاري الطيب بن عبد الله بكوسام (أدرار)، وتم الرمز لها من طرف المحقق بالرمز (ن1)، وهي متكونة من 12 صفحة، أما متوسط أعداد الكلمات في كل سطر ما يزيد أو ينقص عن عشر 10 كلمات، وقد كتبت بخط مغربي واضح ذو حجم صغير على ورق أصفر وخط بني من لون الصمغ الذي يستخدم في المدواة، وهو لون مادة ذلك العصر².

2- النسخة الثانية: موجودة بخزانة أبا عبد الله بأدرار، وهي بخط الناسخ الشيخ سيدي محمد بن أحمد البدوي بن سيد الحفصي سنة 1261هـ-1845م، وتوجد عدة نسخ مطابقة لها بخزانة مولاي سليمان بن علي بأدغاغ (أدرار)، وعدد أوراقها خمس صفحات ونصف (5.5) من الحجم الكبير العادي، وهي مكتوبة على الورق الأبيض المستعمل اليوم، بني يميل إلى السواد من لون

* مدينة سيوة: وهي واحة في غرب الفيوم، وهي آخر جنوب مصر، انظر: إسماعيل العربي الصحراء الكبرى وشواطئها، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983، ص ص 128-130.

¹ - عبد القادر بن عمر المهداوي، المصدر السابق، ص 6، وانظر أيضا: محمد باي بلعالم، الرحلة العلية...، المرجع السابق، ج 1 ص 36، وانظر كذلك: عبد الرحمن بن إدريس التتيلاني، المصدر السابق، ص 311.

² - عبد الرحمن بن إدريس التتيلاني، المصدر السابق، ص ص 317-318.

— الفصل الثاني: الرحلات الجزائرية أواخر العهد العثماني (القرنين 18م وبداية القرن 19م أنموذجا) —

الصمغ، وهو خط عادي يشبه خطوط المدرسين في الكتاتيب يميل إلى الخط المغربي المقروء مفتتحا إياها بالبسملة والصلاة والسلام على الرسول صلى الله عليه وسلم، وبعدها كتب: " رحلة السيد عبد الرحمن بن إدريس سليم عומר بن السيد عبد القادر التتيلاني أصلا التواتي إلى الجزائر..."، وتم الرمز لها ب (ن2)¹.

3- أما النسخة الثالثة: فقد تم الرمز لها ب (ن3)، وهي موجودة بخزانة شاري الطيب بن عبد الله بن سالم بن عبد الله بن أحمد الحبيب البلبالي، في قصر كوسام التابع لبلدية تيمي بولاية أدرار، وقد قام بنسخها الشيخ شاري الطيب بن عبد الله سنة 1417هـ الموافق لـ 28 سبتمبر 1996م، وبلغ عدد أوراقها 14 ورقة من الحجم الكبير العادي ذو المربعات الصغيرة والمستعمل اليوم، وتمت كتابتها بقلم جاف، أما خطها فيشبه خطوط المدرسين في الكتاتيب الذي يميل إلى الخط المغربي المقروء².

يعد هذا المخطوط والذي عرف باسم رحلة الشيخ عبد الرحمن بن إدريس التتيلاني إلى ثغر الجزائر عام 1231هـ الموافق لـ 1816م، من أهم الكتب التاريخية والحضارية في تاريخ الجزائر خلال الفترة العثمانية أوائل القرن 19م، ومن بين المصادر المحلية التي اكتسبت أهمية بالغة عند المحققين والمؤرخين الأوائل والمعاصرين³، بهدف تسليط الرحلة الضوء على الواقع السياسي والاجتماعي والديني والثقافي للجزائر في تلك الحقبة، وقد تم نشرها في إطار احتفالية قسنطينة عاصمة الثقافة العربية سنة 2015، من طرف دار كردادة تحت رقم: 144-2015، وبدعم من طرف وزارة الثقافة⁴.

¹ - شوقي بركة، ملامح من التوثيق في وثائق الرحلات " مخطوط رحلة الشيخ التتيلاني أنموذجا"، المجلة الجزائرية للدراسات التاريخية والقانونية، المركز الجامعي بتندوف، تندوف، الجزائر، جوان 2016، ع1-ع2، ص54.

² - عبد الرحمن بن إدريس التتيلاني، المصدر السابق، ص 322-324.

³ - الصادق بن عبد الرحمن الغرياني، تحقيق نصوص التراث في القديم والحديث، دار ابن حزم، لبنان، 2006، ص28.

⁴ - شوقي بركة، المرجع السابق، ص53.

3- المحتوى العام للرحلة ومضمونها

تضمنت رحلة الشيخ عبد الرحمن بن إدريس التتيلاني إلى ثغر الجزائر عام 1231هـ الموافق لـ 1816م العديد من المواضيع، والتي شملت عدة جوانب، ومن بينها:

3-1- تاريخ الرحلة

ذكر الرحالة في تاريخ رحلته التي قادته فيها المسيرة إلى الجزائر المحروسة، والتي جاء في مطلعها بأنه انطلق في أوائل شهر شعبان المنير أحد شهور سنة إحدى وثلاثين ومائتين وألف (1231هـ)، وهو ما يوافق أواخر شهر جوان من سنة 1816م¹.

3-2- مسار الرحلة

أشار الرحالة عبد الرحمن بن إدريس في رحلته إلى أبرز المسالك التي اجتازها في طريقه إلى الجزائر المحروسة، حيث انطلق في رحلته يوم السبت 3 شعبان 1231هـ الموافق لـ 30 جوان 1816م من بلدته "زاوية تتيلان"، باتجاه بلدة "تيميمون" قاعدة قرى "قرارة"، ثم اتجه إلى مدينة "الزاب" وشعابنة، متليي وبرازقة مع رفقة²، وإقامته في قصر القرارة "بريان" التابعة لولاية غرداية ثم مروره بجبال إقليم بني نائل، ووصله إلى إقليم التيطري "مدينة نظر"، وهي أول عمالة صاحب الجزائر، وكان حاكمها يسمى بـ"الباي إبراهيم"، ثم انتقل إلى مدينة البليدة، ثم واصل مسيرته باتجاه مدينة الجزائر مروراً بأرض متيجة، والتي وصلها في يوم 5 شوال 1231هـ الموافق لـ 30 أوت 1816م³.

3-3- الوصف الجغرافي

اهتم الرحالة عبد الرحمن بن إدريس التتيلاني في رحلته بوصف المناطق والمدن، وأهم المسالك والممرات التي اجتازها في طريقه إلى مدينة الجزائر المحروسة، ومن بينها وصفه لجبال إقليم بني نائل، ومنها "جبل الصحاري"، والذي توجد به منازل "بني نائل"، وتكثر به الأشجار

¹ - عبد الرحمن بن إدريس التتيلاني، المصدر السابق، ص339.

² - شوقي بركة، المرجع السابق، ص55.

³ - عبد الرحمن بن إدريس التتيلاني، المصدر السابق، ص344-346.

— الفصل الثاني: الرحلات الجزائرية أواخر العهد العثماني (القرنين 18م وبداية القرن 19م أنموذجا) —

الطويلة، وفيه الأنهار المطردة، والطيور المغردة¹، وكذا وصفه لمدينة البليدة* بـ "عروسة الإقليم"، وهذا لحسن جمالها وجمال مناظرها الطبيعية، وكذلك وصفه لأرض متيجة وموقعها الإستراتيجي المطل على البحر، وسماعه لهديره وتلاطم أمواجه².

3-4- الحياة الاقتصادية

تناول الرحالة التتيلاني في رحلته وصف الحياة الاقتصادية في المناطق التي مر بها، حيث تحدث عن منطقة توات، والتي اعتبرها إحدى المناطق التجارية المشهورة، فهي نقطة التنقل والعبور للقوافل الحبية والعلمية والتجارية القادمة من مختلف الأقطار المغربية والإفريقية، وخاصة بلاد السودان، مراكش، فاس... وقد وصفها العياشي في رحلته بأنها كثيرة المراعي الخصبة، والحدائق المثمرة، والأسواق، ومنها أسواق قرى تسابيت وزرنا³، فقد كانت القوافل التجارية تقصدها من كل حذب وصوب محملة بالبضائع والسلع كالصوف، والسمن، والأغنام، والزرع التي تفوق حاجاتهم، وهي تابعة لصاحب الجزائر، وأهلها من أغنى أهل الصحراء، وهذا لكثرة أموالهم⁴، وكما أشار إلى النشاط الاقتصادي في منطقة غرداية، وهذا بفضل انتشار واحات النخيل والأشجار المثمرة⁵.

3-5- الحياة الاجتماعية

تطرق الرحالة في رحلته إلى مدينة الجزائر المحروسة إلى وصف المجتمعات بالمدن والقرى التي مر بها وزارها، ووصفه لعاداتهم وتقاليدهم وصفا دقيقا، حيث أشار إلى بعض عادات المجتمع التواتي، والتي كانت مرتبطة أساسا بالدين الإسلامي، وكيفية الاحتفال بالأعياد الدينية كعيد الفطر

¹ - شوقي بركة، المرجع السابق، ص57.

* مدينة البليدة: هي واحدة من أجمل المدن الجزائرية، تبعد عن مدينة الجزائر بـ 6 فراسخ على الطريق المؤدي إلى معسكر، جميع منازلها لها عيون وحدائق، انظر: فونتير دوباردي، الجزائر خلال القرن 18، تر: بوطبة لخضر، دار كوكب العلوم للنشر والطباعة والتوزيع، الجزائر، 2023، ص25.

² - عبد الرحمن بن إدريس التتيلاني، المصدر السابق، ص345.

³ - أبو سالم العياشي، الرحلة العياشية "ماء الموائد"، المصدر السابق، ج1، ص79.

⁴ - عبد الرحمن بن إدريس التتيلاني، المصدر السابق، ص17.

⁵ - المصدر نفسه، ص239.

— الفصل الثاني: الرحلات الجزائرية أواخر العهد العثماني (القرنين 18م وبداية القرن 19م أنموذجا) —

وعيد الأضحى، ويوم عاشوراء¹، وكما انتشرت أيضا عادة التسمي بأسماء الأجداد والفضلاء والأولياء، والانتساب إلى مواطنهم الأصلية مثل التتيلاني، الزجلوي...

كما ذكرت أيضا الصفات والخصال الحميدة التي امتاز بها سكان المناطق التي زارها كصفة إكرام الضيف²، خاصة في منطقة متليلي، بالإضافة إلى ذكره صفات من كانوا برفقته من أهل شعابنة "البرازقة" من جود وجرأة وشجاعة وطاعة³.

إضافة إلى ذلك وصفه للفئات الاجتماعية بالمناطق التي زارها، وحيث ذكر فئة عرب النوازل وهم أكثر القبائل العربية رجالا وماشية وخيلا، ومساكنهم تمتد من مدينة أقسمطين والجزائر وبُسْعَادَة وواد الجريز أمزاب ووَزْقَل ولقرار وأحسنهم أخلاقا، وأغلبهم حملة للقرآن، ومن أهم صفاتهم البر والرحمة والرأفة والحنان، ومن بين الفئات الاجتماعية التي ذكرها في رحلته أيضا فئة "بني ميزاب" وصراعهم مع أهل شعابنة بمتليلي، وهذا ما أدى إلى انتشار الفوضى وانعدام الأمن والسلام بالمنطقة⁴.

3-6- الحياة العلمية

أشار الرحالة عبد الرحمن بن إدريس التتيلاني في رحلته إلى ظاهرة الاختلاف المذهبي بمنطقة غرداية من خلال انتشار المذهب الإباضي* والعقائد الإباضية عند سكان بني ميزاب والمذهب المالكي في منطقة متليلي وما جاورها، واجتماعه بفقهاء المذهب الإباضي الذين وصفهم بأنهم على ضلالة واعتزال، وكذا عدم معرفتهم بأصول المذاهب الأربعة ولا فروعهم، ومن أهم المسائل التي تناقشها مع عالمهم الحاج إبراهيم بن حمان الغرواء في مسألة إسقاط الجمعة وسبب

¹ - عبد الحميد بكري، النبذة في تاريخ توات وأعلامها، مطبعة الطباعة العصرية، الجزائر، 2010، ص ص23-24.

² - فرج محمود فرج، إقليم توات خلال القرنين 18 و19م، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1984، ص42.

³ - شوقي بركة، المرجع السابق، ص55.

⁴ - عبد الرحمن بن إدريس التتيلاني، المصدر السابق، ص ص339-342.

* المذهب الإباضي: وينسب إلى عبد الله ابن إباح التميمي، وقد انتشر هذا المذهب في المغرب العربي مع مؤسس المملكة الإباضية سنة 141هـ، عبد الرحمن بن رستم. انظر: عبد الله بن مسلم بن قتيبة، المعارف دار الكتب العلمية، بيروت، 1407هـ ط1، ص81.

— الفصل الثاني: الرحلات الجزائرية أواخر العهد العثماني (القرنين 18م وبداية القرن 19م أنموذجا) —

عدم إقامتها فكان رده: بأنها " لا تقام إلا خلف إمام معصوم، ولا نجد من نعتقد عصمته"، وكذا مسألة قدرة العبد على خلق جميع أفعاله¹.

بالإضافة إلى التقائه بالعديد من العلماء في رحلته، ومن بينهم العالم والفقيه الحسن ابن مصطفى الجزائري قاضي المالكية بمدينة الجزائر، والذي أخذ عنه بعض العلوم والمعارف، وكما نشأت بينهما محبة كبيرة حسب قوله².

3-7- وصف حملة اللورد إكسموث على مدينة الجزائر

تعتبر رحلة التتيلاني إلى ثغر الجزائر سنة 1231هـ/1816م، إحدى المصادر المحلية الجزائرية التي وثقت أحداث تلك الحملة، ووصفها بأدق تفاصيلها وتحليلها، فذكر أسبابها قبل وبعد انطلاق المواجهة، والظروف المحيطة بها³، ومن جملتها اتهام إنجلترا بعض البحارة الجزائريين في عنابة على استيلائهم على سفينة تحمل العلم الإنجليزي، وتعرض قنصلها بالجزائر إلى الإهانة من طرف الداوي عمر الذي قام بسجنه⁴.

كما تناول وقائعها، حيث ذكر الرحالة بأنها وصلت إلى مشارف مدينة الجزائر عصر يوم الأحد 8 شوال 1231هـ الموافق لـ 2 سبتمبر 1816م، ولكن المعلوم بأن الحملة وصلت يوم الأحد 1 شوال 1231هـ الموافق لـ 26 أوت 1816م، حيث تراوح عدد سفنها ما بين 36 و 40 سفينة حربية، وكل سفينة بها 100 مدفع كبير⁵.

وفي صبيحة يوم الثلاثاء وجه اللورد إكسموث إنذارا إلى الداوي عمر، يطلب فيه إطلاق صراح القنصل الإنجليزي، ويضع حد لاسترقاق المسيحيين الأوروبيين، وقد تضمنت هذه الرسالة

¹ - عبد الرحمن بن إدريس التتيلاني، المصدر السابق، ص341.

² - المصدر نفسه، ص346.

³ - ملاح عبد الجليل، الحملة الإنجليزية على مدينة الجزائر من خلال رحلة الشيخ عبد الرحمن بن إدريس التتيلاني، الملتقى الوطني الرابع، إسهامات علماء النوات في الحركة الفكرية والثقافية إبان العصر الحديث (1500-2000)، جامعة أدرار 20/19 أبريل 2010، ص ص154-155.

⁴ - يحيى بوعزيز، علاقات الجزائر...، مرجع سابق، ص122.

⁵ - عبد الرحمن بن إدريس التتيلاني، مصدر سابق، ص349.

— الفصل الثاني: الرحلات الجزائرية أواخر العهد العثماني (القرنين 18م وبداية القرن 19م أنموذجا) —

مجموعة من الشروط المفروضة من طرف المملكة المتحدة البريطانية على حاكم إيالة الجزائر وفي حالة قبولها، سيتم إطلاق ثلاث طلقات بالمدافع الجزائرية، وأما في حالة رفضها فصمتكم دليل على ذلك لكن الداي عمر تأخر في الرد على اللورد إكسموث، ويعود السبب في ذلك لعدم تواجد كبار المسؤولين بالمدينة في تلك الفترة حسب قول الرحالة¹، كما نجد بأن الرحالة قد وصف هذه الرسالة بخديعة إكسموث لداي عمر².

بعد المماطلة من طرف الداي عمر اقترب الأسطول الإنجليزي من سواحل المدينة مستغلا هبوب الرياح الشمالية الخفيفة، وبدأ في إصدار تحذيراته، وأمام هذا الموقف العدائي بدأت الطلقات المدفعية وتم إغراق الزوارق البحرية المتواجدة في الميناء، وكان عددها 33 زورقا³، وقد ذكر الرحالة بأن أول ما بدأ به الأسطول الإنجليزي هو تحطيم مخازن المياه والسواقي بالمدينة، وذلك بعد صلاة الظهر، وقبل صلاة العصر، واستمر القصف لمدة 11 ساعة غير سدد، أما عدد القذائف المرمية فقد بلغ تعدادها إحدى وأربعين ألف قذيفة.

كما تطرق الرحالة إلى ذكر الخيانة التي وقعت داخل صفوف الجيش الجزائري، وساهمت في انتصار الإنجليز ووصولهم إلى داخل مرسى الجزائر، والتي كان صاحبها قائد مدفعية المرسى " علي قايد"⁴.

أمام هذا الدمار الكبير الذي لحق بالمدينة والخراب، وتحطم الحصون، والمدافع، ونفاذ البارود، ووقوع جل المدافعين ما بين قتلى وجرحى، اضطر الداي عمر للاستسلام وقبول شروط اللورد إكسموث⁵، ومن بينها إطلاق سراح الأسرى المسيحيين البالغ تعدادهم 1332 أسير، مع

¹ - عبد الرحمن بن إدريس التتيلاني، المصدر السابق، ص410.

² - المصدر نفسه، ص348.

³ - هنري دوغرامون، تاريخ الجزائر تحت الحكم التركي، تر: بوطبة لخضر، دار كوكب العلوم للنشر والطباعة والتوزيع، الجزائر 2024، ص ص 461-462.

⁴ - عبد الرحمن بن إدريس التتيلاني، المصدر السابق، ص ص 352-353.

⁵ - هنري دوغرامون، المصدر السابق، ص463.

— الفصل الثاني: الرحلات الجزائرية أواخر العهد العثماني (القرنين 18م وبداية القرن 19م أنموذجا) —

تعويض مالي بقيمة 1000 ريال عن كل أسير، وكذا الاستفادة من الزروع في كل من وهران وعنابة¹.

تم إبرام هذا الصلح ما بين القائد " علي ريس " من طرف إيالة الجزائر، والقنصل السويدي الذي رافقه، والكابتن بريسبان والمسير تشارلز بينروسو، وذلك يوم 29 أوت 1816². بالإضافة إلى ذلك فقد تطرق الرحالة إلى ذكر الخراب الكبير الذي أصاب مدينة الجزائر وخاصة برج لفنار وقيمته لدى البحرية الجزائرية، وكذلك تهديم الجامع الأعظم الخاص بالمالكية والخسائر البشرية والمادية للعدو، فحسب ويليام شالر، فقد بلغت خسائرهم البشرية 833 قتيل³ هذا إلى جانب ذكره لعمليات الإصلاح والترميم التي قام بها الداوي عمر بمدينة الجزائر، وكذلك افتخاره بالعقاب الذي ناله الخائن "علي قائد المرسى" من طرف الداوي⁴.

3-8- خاتمة المؤلف وذكر النساخ

ذكر الرحالة في نهاية هذا المؤلف قوله: " وكتبه عبد الرحمن بن إدريس التتيلاني - تولاہ اللہ -"، وكما تطرق إلى ذكر نساخ هذه الرحلة:

• **الناسخ الأول للرحلة:** وكتب ناقله من خط "سيدي عبد الرحمن" المذكور، بأواسط ذي القعدة سنة أربعة وأربعين ومائتين وألف (1244هـ)، عبد ربه تعالى " محمد عبد الرحمن بن محمد بن علي بن محمد التتيلاني " -أمنه الله له ووالديه [في الدارين] آمين-، [ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم].

• **الناسخ الثاني للرحلة:** ويقول: " ونقلها بعده الطيب بن عبد الله بن سالم بن عبد الله بن

أحمد الحبيب البلبالي لطف الله به يوم 1996/09/28م - 1417هـ⁵.

¹ - عبد الرحمن بن إدريس التتيلاني، المصدر السابق، ص 355-356.

² - هنري دوغرامون، المصدر السابق، ص 463. وانظر أيضا: عبد الرحمن بن إدريس التتيلاني، المصدر السابق، ص 356.

³ - وليام شالر، المصدر السابق، ص 378.

⁴ - عبد الرحمن بن إدريس التتيلاني، المصدر السابق، ص 361-362.

⁵ - المصدر نفسه، ص 370.

4- مصادر الرحلة

امتازت هذه الرحلة في كونها لم تعتمد على الرحلات التي سبقتها في التدوين، وإنما اعتمد كاتبها على عنصر الملاحظة والمشاهدة في عملية رصد الأحداث والوقائع التي شهدتها الإيالة الجزائرية سنة 1816م، وكذا في وصف المناطق والمسالك والمدن التي مر بها طولا وقصرا وحسب المدة التي أقام فيها، وحسب الانطباع الذي خلفته في نفسه، وهذا عكس ما نجده في الرحلات السابقة التي تعتمد على كتب القدامى، والرحلات التي سبقتها.

من هنا تتجلى لنا قيمة رحلة الشيخ عبد الرحمن ابن إدريس التتيلاني إلى ثغر الجزائر باعتبارها جزء من التراث العربي الإسلامي في الجزائر خلال الفترة المتأخرة من العهد العثماني وهذا من خلال ما سجلته من مشاهد تفصيلية للأحداث والوقائع خاصة في سرد وقائع حملة اللورد إكسموث على مدينة الجزائر، وكذا في وصف مظاهر التضامن والتآزر بين فئات المجتمع الجزائري في تلك الفترة، بعيدا عن المنظور الأجنبي، ولذلك فهي تعد وثيقة أساسية للباحثين والمؤرخين لفهم الوقائع والأحداث السياسية والعسكرية، وكذا في رصد عادات وتقاليد المجتمع الجزائري أواخر العهد العثماني.

ختاما لهذا الفصل فقط توصلنا إلى مجموعة من النتائج هي:

• تعتبر كتب الرحالة الجزائريين خلال القرن 18م وبداية القرن 19م مصدر الهام للباحثين والمؤرخين في كتابة تاريخ الجزائر خلال الحقبة العثمانية، وهذا بفضل ما تحتويه من معارف ومعلومات، والتي شملت جميع مناحي الحياة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والسياسية، فهي منابع ثرية لمختلف العلوم، وسجل حقيقي لمختلف مظاهر الحياة، وبذلك فهي تساعدنا على رسم صورة حول حياة المجتمعات المعاصرة في تلك الفترة.

كما أنها ذات مدلول تاريخي كبير، وذلك لما تكتنفه من جزئيات هامة من ذكر لمسار الرحلة، ووصف للبلدان والمواقع الجغرافية، ومختلف جوانب الحياة، لذلك يهتم الرحالة الجزائريون بعملية

— الفصل الثاني: الرحلات الجزائرية أواخر العهد العثماني (القرنين 18م وبداية القرن 19م أنموذجا) —

التدوين، وتقييد رحلاتهم سواء كانت علمية أو حجية، وهذا ما ساهم في تأليف العديد من الكتب والمصنفات التي شملت تلك الفترة.

• ساهمت رحلة العلماء الجزائريين إلى بلدان المغرب والمشرق العربي في مد أواصر الترابط والتواصل الثقافي بين المجتمعات العربية خلال العهد العثماني، وهذا من خلال تبادل المعارف والكتب والمصنفات، وأخذ الإجازات، وإقامة الحلقات والدروس والمناظرات بكبريات الحواضر العلمية على غرار جامع الزيتونة والجامع الأزهر، والحرمين الشريفين، وكذا التعريف والتعرف بحواضر بلاد الشام، وهذا بهدف الإفادة والاستفادة.

كذلك نجد أن كتب الرحالة الجزائريين خلال القرن 18م وبداية القرن 19م، تعتبر مصدر إلهام للباحثين والمؤرخين في كتابة تاريخ الجزائر خلال الحقبة العثمانية، وهذا بفضل ما تحتويه من معارف ومعلومات، والتي شملت جميع مناحي الحياة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والسياسية، فهي منابع ثرية لمختلف العلوم، وسجل حقيقي لمختلف مظاهر الحياة، وبذلك فهي تساعدنا على رسم صورة حول حياة المجتمعات المعاصرة في تلك الفترة، وكما أنها ذات مدلول تاريخي كبير، وذلك لما تكتنفه من جزئيات هامة من ذكر لمسار الرحلة، و وصف للبلدان والمواقع الجغرافية، ولمختلف جوانب الحياة، لذلك اهتم الرحالة الجزائريون بعملية التدوين وتقييد رحلاتهم سواء كانت علمية أو حجية، وهذا ما ساهم في تأليف العديد من الكتب والمصنفات التي شملت تلك الفترة.

ساهمت رحلة العلماء الجزائريين إلى بلدان المغرب والمشرق العربي في مد أواصر الترابط والتواصل الثقافي بين المجتمعات العربية خلال العهد العثماني، وهذا من خلال تبادل المعارف والكتب والمصنفات، وأخذ الإجازات، وإقامة الحلقات والدروس والمناظرات بكبريات الحواضر العلمية على غرار جامع الزيتونة والجامع الأزهر، والحرمين الشريفين، وكذا التعريف بحواضر بلاد الشام، وهذا بهدف الإفادة والاستفادة.

الفصل الثالث: الكتابات والمذكرات الشخصية الجزائرية خلال القرن

18م وبداية القرن 19م.

أولاً: كتاب "التحفة المرضية" في الدولة البكداشية ... لمحمد بن ميمون الجزائري

ثانياً: كتاب "بهجة الناظر" لعبد القادر المشرفي

ثالثاً: مذكرات أحمد بن عثمان خوجة

رابعاً: مذكرات أحمد الشريف الزهار

— الفصل الثالث: الكتابات والمذكرات الشخصية الجزائرية خلال القرن 18م وبداية القرن 19م —

مرت الجزائر خلال القرنين الثامن عشر، وبداية التاسع عشر الميلادي بمرحلة تاريخية حافلة بالأحداث والوقائع التاريخية، والمتمثلة في تلك التحولات التي شهدتها الساحة السياسية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية، والتي تزامنت مع تراجع النفوذ العثماني بالمنطقة، وتزايد التهديدات الأوربية، مما جعل هذه الفترة محورا مهما في كتابة تاريخ الوطن، وفي هذا السياق برزت الكتابات والمذكرات الشخصية كإحدى المصادر المحلية التي ساهمت في توثيق معالم الحياة الجزائرية أواخر العهد العثماني، ومادة أولية ذات قيمة علمية لتدوين الواقع الجزائري بعيدا عن النظرة الأجنبية التي طغت على كثير من الأبحاث والدراسات الخاصة بتلك الفترة.

أولاً: كتاب " التحفة المرضية في الدولة البكداشية " لمحمد بن ميمون الجزائري

يُعد كتاب "التحفة المرضية ... " لمحمد ابن ميمون الجزائري من أبرز المؤلفات المحلية الجزائرية خلال القرن 18م، فهو يمثل أنموذجاً مهماً للكتابة التاريخية الجزائرية أواخر العهد العثماني ومرجعاً أساسياً لدراسة التاريخ السياسي والفكري للجزائر إبان الحقبة العثمانية، وهذا بكونه شهادة معاصرة للعديد من الأحداث والوقائع التاريخية، وأبرزها فتح وهران الأول على يد الداي محمد بكداش.

1- ترجمة المؤلف

1-1- اسمه ونسبه

هو أبو عبد الله محمد بن ميمون، الزواوي النجار، الجزائري الدار¹، ويذكر أبو زيد عبد الرحمان* الجامعي، بأنه حفيد أبي العباس أحمد بن عبد الله الزواوي الجزائري²، صاحب منظومة التوحيد المسماة بـ "الجزائرية" حيث نجد بأن كل أبياتها، والتي تزيد عن أربعمئة بيت في العقائد³.

1-2- مولده ووفاته

أشار محقق المخطوطة الدكتور محمد بن عبد الكريم بأن جميع المصادر والمطان قد أهملت التعريف بهذه الشخصية، ولم تقم بتحديد ضبط مكان وتاريخ الولادة والوفاة.⁴

¹ - محمد بن ميمون الجزائري، التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية، تح وتق: محمد بن عبد الكريم، دار الوعي، الجزائر، 2018، ص 11.

* عبد الرحمان الجامعي: هو أبو زيد عبد الرحمان بن عبد الله الجامعي نسباً، ينتمي لقبيلة "فرقة أولا جامع" وهي قبيلة عربية متواجدة بشمال فاس، ولد سنة 1087هـ، صاحب "أرجوزة الحلفاوي في فتح مدينة وهران"، أنظر: رقية شارف، المصادر الجزائرية المعاصرة لفتح وهران الأول 1118هـ/1708م، والثاني 1206هـ/1792م، دار كواكب العلوم للنشر والطباعة والتوزيع الجزائر، 2023، ص ص 41-43

² - عبد الرحمان الجامعي، شرح أرجوزة الحلفاوي، مخطوط بالمكتبة الوطنية الجزائرية، تحت رقم 2521، ورقة رقم: 16.

³ - أبو القاسم الحفناوي، المصدر السابق، ج1، ص33.

⁴ - محمد بن ميمون الجزائري، المصدر السابق، ص 11.

— الفصل الثالث: الكتابات والمذكرات الشخصية الجزائرية خلال القرن 18م وبداية القرن 19م —

وباعتباره أنه كان معاصرا لفترة حكم الداوي محمد بكداش، والداوي إبراهيم باشا، فيقدر أنه عاش ما بين القرن السابع عشر¹، ومنتصف القرن الثامن عشر، وهو ما يثبته بقوله في المقامة السابعة: " لا أعلم أنني لقيت من سن الطفولة إلى ما فوق زمان الكهولة أبرع منه- أي الداوي محمد بكداش- في هذه الطريقة²."

كما أشار عبد الرزاق ابن حمادوش في رحلته "لسان المقال ... " بأنه قرأ مع شيخه محمد ابن ميمون تاريخ الكردبوس، وهو تاريخ خاص بالخلافة العباسية أواخر شهر محرم في سنة 1158هـ/1745م، وهو ما يدل على أن الشيخ محمد ابن ميمون ما يزال حيا في تلك الفترة.³

1-3- نشأته

نشأ المؤلف بمدينة الجزائر، وتعود أصوله إلى منطقة* زواوة⁴، من عائلة اشتهرت بالعلم فكان جده أبو العباس أحمد بن عبد الله الزواوي عالما بالفقه واللغة، وصاحب منظومة التوحيد المسماة بـ "الجزائرية".⁵

تلقى تعليمه الأول بمسقط رأسه، وكان مشاركا في جميع فنون عصره، بيد أنه عليه طابع التصوف الداعي إلى التسليم بما كان وسيكون.⁶

تولى عدة وظائف منها خطة قضاء الجزائر لفترة زمنية في عهد الداوي محمد بكداش (1707-1710م)، وكما شغل وظيفة خطة المواريث زمن الداوي إبراهيم باشا (1745-1748م)⁷

¹ - رقية شارف، التاريخ والمؤرخون ...، المرجع السابق، ص 113.

² - محمد بن ميمون، المصدر السابق، ص 150.

³ - عبد الرزاق ابن حمادوش، المصدر السابق، ص 166.

* **منطقة زواوة:** هي بطن من بطون البتر، تقع ما بين دلس غربا وبجاية شرقا، تسكنها قبائل كتامة، ولها بطون كثيرة على غرار: بنو مجسطة، بنو مليكش، بني كوفي ...، أنظر: مزهورة صالح، المجتمع الزواوي في العهد العثماني 1720-1830م، مجلة مجتمع تربية عمل، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، 2022، مج 07، ع 02، ص 59.

⁴ - عادل نويهض، المرجع السابق، ص 174.

⁵ - ناصر الدين سعيدوني، من التراث التاريخي ...، المرجع السابق، ص 398.

⁶ - محمد بن ميمون الجزائري، المصدر السابق، ص 13.

⁷ - ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص 398.

وهذا ما يؤكد ميله الى رواق السياسة وقربه من الحكام، ويتجلى ذلك من خلال مؤلفه الذي يتناول فيه سيرة أحد حكام إيالة الجزائر وظروفها السياسية في تلك المرحلة، والتي عرفت العديد من الأحداث وأبرزها تحرير مدينة وهران الأول سنة 1118هـ/1708م.¹

اكتسب ثقافة أدبية واسعة وعرف بنظمه للمقامات، ومشاركته في مجالس العلم لبعض علماء عصره كابن علي، ابن عمار، محمد بن محمد بن نيقرو²، وكما امتاز أسلوبه بصدق العاطفة وأمانة الشعور، وحقيقة الإحساس، وتقصي الأخبار، والنزوح إلى تزويق الألفاظ وتكرار العبارات³ وهذا ما جعل الشيخ محمد بن عبد الرحمان الجامعي يصفه بـ "الأديب الأريب"، وكذلك وصفه ابن حمادوش في رحلته "لسان المقال" بـ "القاضي الأديب".⁴

1-4- شيوخه وتلامذته

تتلمذ الشيخ محمد بن ميمون على العديد من العلماء، إلا أنه لم يقدّم بذكرهم، باستثناء شيخه أبي عبد الله محمد بن محمد الثغيري الذي قام بتهنئة الداوي محمد بكداش على فتحه وهران الأول سنة 1118هـ/1708م بقصيدة رجزية من 18 بيت جاء في مطلعها:

الحمد لله الذي فتحا ... وهران على أيدي الرجال الصلحا⁵

وقد مدح شيخه وأشاد به في قوله: " ... فنجم ونجب ووعظ وخط وأقرأ وتكلم ودرس وعلم وأرشد وفهم وحكم وقضى وأنفذ وأمضى ... فهو اليوم عين مصره بل فريد عصر وقديح مجده بل نسيج وحده يقرئ من العلم فنونا ويستحضر من تلك الفنون عيونا يستدعي خشوع المهور بوعظه ويزين مجالس الموعظة بحفظه ...".⁶

1 - مولاي بلحميسي، تحرير مدينة وهران 1708م، مجلة تاريخ وحضارة العرب، الجزائر، جويلية 1970، ع 07، ص 57.

2 - ناصر الدين سعيدوني، من التراث التاريخي والجغرافي ...، المرجع السابق، ص 399

3 - محمد بن ميمون، المصدر السابق، ص 13.

4 - ناصر الدين سعيدوني، من التراث التاريخي والجغرافي ...، المرجع السابق، ص 398.

5 - رقية شارف، التاريخ والمؤرخون ...، المرجع السابق، ص 113

6 - محمد بن ميمون، المصدر السابق، ص 233.

ومن تلامذته نجد عبد الرزاق ابن حمادوش الذي قرأ عليه العديد من الكتب مثل القلصادي في الحساب والفرائض، ومسائل ابن حجة في الأدب وتاريخ الكريدوس".¹

1-5- آثاره

اشتهر ابن ميمون بمصنفه "التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية" حيث تناول فيه سيرة الداوي محمد بكداش من خلال سرد أعماله وأراءه أثناء فترة حكمه، وكذا خصص جزء كبير منه للحديث عن الفتح الأول لمدينة وهران سنة 1118هـ/1708م،² وكما أورد محمد بن عبد الرحمان الجامعي في شرحه لأرجوزة الحفاوي بأن أبي محمود بن ميمون ألف كتابا في سيرة الداوي (محمد بكداش) سماه بـ "المقامات"، وهي في الحقيقة قلائد عقيان، ولولا مشاهدة رقم سطوره في باب المحروسة لقلت وسجعات حمائم البستان.³

2- التعريف بكتاب "التحفة المرضية في الدولة البكداشية ..."

من أهم المصادر المحلية الجزائرية التي عاصرت فتح وهران الأول سنة 1118هـ/1708م كتاب "التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية"، وقد قام بتحقيق هذه المخطوطة الدكتور محمد بن عبد الكريم، ونشرها مطبوعة سنة 1972م بالجزائر، معتمدا في ذلك على نسختين هما:

النسخة الأولى: مخطوطة توجد بمكتبة محمد بن عبد الكريم الخاصة، وعدد صفحاتها 155، وهي ذات حجم مستطيل، متوسطة الطول، وكل صفحة منها 21 سنتمترا وعرضها 15.5 سنتيمترا، وفي كل صفحة 12 سطرا، أما خطها فهو مغربي صمغي واضح، لونه أسود حالك، ما عدا العناوين

¹ - عبد الرزاق ابن حمادوش، الرحلة ...، المصدر السابق، ص 216.

² - محمد بن ميمون، المصدر السابق، ص 73.

³ - ناصر الدين سعيدوني، من التراث التاريخي والجغرافي ...، المرجع السابق، ص 399.

المكتوبة بلون أحمر فاتح، أما لون أوراقها فإنه أبيض مشوب بخضرة،¹ وقد استخدم الخط المغربي في كتابة هذا المخطوط لارتباطه بانتشار المذهب المالكي في تلك المنطقة.² هذه النسخة مجهولة النسخ وتاريخ النسخ، إلا أنها قليلة الأغلاط، ولذلك اعتمد عليها المحقق بالدرجة الأولى وقد رمز لها بحرف (أ).

النسخة الثانية: وهي عبارة عن مخطوطة توجد بالمكتبة الوطنية تحت رقم 1625، ويبلغ عدد صفحاتها 187 وقد أهدى هذه النسخة الأستاذ "فاليي" (Vollier) وهي ذات حجم صغير مستطيل طول كل صفحة منها 19.5 سنتمترا، وعرضها 15 سنتمترا في كل صفحة 12 سطرا أوراقها بيضاء، خطها مغربي جيد، لونه أسود، أما العناوين فإنها مذهبة، وهذه النسخة كثيرة الأغلاط، وكما بترت صفحاتها من الصفحة 29 إلى 42، ومن الصفحة 123 إلى 138، وهي منقولة عن مسودة بخط المؤلف في آخر جمادى سنة 1121هـ كما جاء في آخر صفحات الكتاب، وهي مجهولة النسخ وتم الرمز لها بحرف "ب"، ولم يتم الاعتماد عليها في عملية التحقيق إلا من ناحية المقابلة بين النسخ، وذلك بسبب أنها كثيرة التحريف مبتورة الصفحات.³

يعتبر ألفونسو روسو (A.Rousseau) أول من قام بترجمة مخطوطة التحفة المرضية ونشرها سنة 1846م، وبعدها قام الدكتور محمد بن عبد الكريم بتحقيقها ونشرها مطبوعة سنة 1972 بالجزائر في 344 صفحة، منها (162 صفحة) خاصة بالمخطوط، وأما باقي الصفحات فهي عبارة عن مقدمة وملاحق وفهارس وضعها المحقق بهدف إضفاء الطابع العلمي على الكتاب⁴ وتم نشره بطبعته المعتمدة في هذه الدراسة سنة 1439هـ/2018م من طرف دار الوعي للنشر والتوزيع

¹ - محمد بن ميمون، المصدر السابق، ص 93.

² - فيصل نايم، دراسة أثرية فنية لمخطوط التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية لمؤلفه أبي عبد الله محمد بن ميمون الزواوي الجزائري، مجلة العبر للدراسات التاريخية والأثرية، معهد الآثار، جامعة الجزائر 2، الجزائر، يناير 2020، مج 3، ع 1، ص 285.

³ - محمد بن ميمون، المصدر السابق، ص ص 93-94.

⁴ - رقية شارف، التاريخ والمؤرخون...، المرجع السابق، ص 136.

بالجزائر، والذي تناول فيه المؤلف سيرة الداى محمد بكداش وأعماله ومساهمته في فتح مدينة وهران.¹

3- المحتوى العام لكتاب "التحفة المرضية في الدولة البكداشية..." ومضمونه

يعتبر كتاب "التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية" أحد المصادر المحلية التي عاصرت فترة حكم الداى محمد بكداش، وفتح مدينة وهران الأول سنة 1118هـ/1708م والذي قام بتأليفه محمد بن ميمون الجزائري، متضمنا مقدمة المؤلف، وستة عشرة* مقامة وكل مقامة عبارة عن فصل² قد ضمّنها العناصر التالية:

مقدمة المؤلف: أشار فيها إلى نسبة الكتاب لمؤلف بقوله: " هذه مقامات الفقيه، العلامة الدراكة، الفهامة، الأديب، البارع، سيدي محمد ابن ميمون الجزائري"، وكذا الى تسميته "التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية"،³ والذي ضم ستة عشرة مقامة، والعديد من القصائد.⁴

المقامة الأولى: وعنونها بـ "نبذة من أخلاقه المرضية، ومما أشار به عليه بعض السادات الصوفية"، تناول فيها اسم والده "تورالدين أبو الحسن علي بن محمد القرشي النسب، النكداني الدار، المنشأ والوفاة"، والتنبؤ لولده بالإمارة على بلاد المغرب، وكذا سنة قدومه إلى إيالة الجزائر 1086هـ/1675م في عهد ولاية الداى الحاج محمد باشا* وانتسابه لجيش الإيالة وكذلك صفاته

¹ - محمد بن ميمون، المصدر السابق، ص 8.

* **المقامة:** لغة في المجلس ومقامات الناس مجالسهم، أما اصطلاحا فهي فن أدبي سردي يتضمن حادثة يرويها راوٍ بأسلوب ساحر وساخر منمق، ويعتمد فيها على السجع الأسر والخيال الواسع، أنظر: ابن منظور، المصدر السابق، مج 14، ص 271 وأنظر أيضا: يوسف نور عوض، فن المقامات بين المشرق والمغرب، دار القلم، بيروت، 1979، ط1، ص 8.

² - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر للثقافي ...، المرجع السابق، ج 2، ص 208.

³ - محمد بن ميمون، المصدر السابق، ص 97-99.

⁴ - المهدي البوعبدلي، الحياة الثقافية بالجزائر، دار المعرفة، الجزائر، 2013، ص 180.

* **الحاج محمد باشا:** هو الحاج محمد بن محمود تريك، ويُعرف بمحمد تريك، وهو من طائفة الرياس تقلد العديد من المناصب ويعتبر أول داي للجزائر، حكم ما بين (1671 إلى غاية 1682م)، أنظر:

Mahfoud Kaddache, L'Algerie des Algeriens. De la préhistoire à 1954, paris, 2003, p 421

الأخلاقية الحميدة ومجاورته للمشايخ والعلماء أمثال الشيخ سيدي قاسم المعروف بـ "ابن ساسي البوني" والسيد "إبراهيم بن سنان".¹

المقامة الثانية: جاءت بعنوان "في كونه سانجاق دار، بلغة المجاهدين الأخيار"، وقد ذكر في هذه المقامة المراتب والمناصب التي تقلدها الداوي محمد بكداش منذ وصوله إلى أن ارتقى إلى منصب الداوي²، ومنها تولي منصب سنجق دار، سنة 1107هـ/1695م في عهد الداوي أحمد باشا، ثم توليه منصب مقتصد عسكري سنة 1700م (وكيل حرج) ثم توليه منصب رئيس ديوان الانشاء (دفتر دار) سنة 1705م، ثم تعيينه سنة 1707م دايا على الجزائر³، وقد أنشد فيه المؤلف قصيدة كان مطلعها:

هي السيادة حلت منزل القمر وأنت منها سواد القلب والبصر
وهي الجلالة لا تدري لها صفة لكنها عبرة جاءت من العبر⁴

المقامة الثالثة: وتناول فيها تولية الداوي محمد بكداش عملية تقسيم خبز الجنود، وعزله للظالم الذي طغى وتجبر، وكان ذلك سنة 1117هـ/1705م، وهي إشارة من المؤلف إلى المعاملة السيئة التي تعامل بها الداوي الحاج مصطفى أهجي* مع السكان والجنود، والتي كانت سببا في عزله من منصبه سنة 1112هـ/1705م.⁵

¹ - محمد بن ميمون، المصدر السابق، ص ص 101-104.

² - عبد النبي مرزاققة، محمد حجازي، نشأة وتطور فن المقامة في الأدب الجزائري من القرن 12م إلى 19م، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة باتنة، 2022، مج 15، ع 02، ص 216.

³ - مصطفى بن عمار، حياة دايات الجزائر العثمانية (1671-1830) دراسة وصفية، مجلة أنسنه للبحوث والدراسات، جامعة زيان عاشور، الجلفة، الجزائر، 2015، ع 13، ص 178.

⁴ - محمد بن ميمون، المصدر السابق، ص ص 107-108.

* **الحاج مصطفى أهجي:** هو أحد دايات الجزائر، حيث تولى الحكم ما بين سنوات 1700م إلى غاية 1705، كانت لديه العديد من النزاعات ضد حكام إيالة تونس من الناحية الشرقية، وحكام المغرب الأقصى من الغرب "المولى إسماعيل"، أنظر: مبارك بن محمد الملي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، مكتبة النهضة الجزائرية، الجزائر، 1964، ج 3، ص ص 198-199.

⁵ - محمد بن ميمون، المصدر السابق، ص 111.

المقامة الرابعة: أشار محمد بن ميمون في الإقامة الى ارتقاء محمد بكداش الى رتبة "تقتر دار" أو "دفتر دار*" وذلك سنة 1117هـ/1705م ومدحه من طرف "ابن ساسي البوني" بأرجوزة طويلة متكونة من 88 بيت، ومن أبياتها:

أنتم قوام الزمن كوالد مؤتمن¹

المقامة الخامسة: تناول فيها المؤلف رحيل محمد بكداش عن الجزائر ثم عودته إلى إيالة الجزائر مرة أخرى وذلك سنة 1117هـ/1705م.²

المقامة السادسة: تطرق في هذه المقامة إلى سنة تولي محمد بكداش منصب حاكم الجزائر "داي الجزائر" المصادف لـ 29 ذي القعدة 1118هـ/1707م، ومبايعة أصحاب المراتب السامية والأعيان والأهالي له بالخلافة، وهذا خلفا للداي حسن الشريف خوجة المخلوع.³

المقامة السابعة: أورد فيها المؤلف التعريف بالداي محمد بكداش، من حيث ذكر اسمه ونسبه "هو أمير المؤمنين محمد بن علي بن محمد، الشريف، الحسيني النكداني"، ثم تطرق إلى وصفه بقوله: "أبيض اللون طويل القامة، معتدل الهامة، أشهل العينين، خفيف الساقين" بالإضافة إلى ذكر أبنائه وأصهاره ومنهم "حسن أوزون*"، ووزرائه الأربعة المكلفون بتسيير دار بيت المال وكتابه وترجمانه السيد أحمد المكنى بـ "ابن آقليل"، وكما ذكر قضاياه الأربعة، وهم "أبو علي حسين" "أبو زيد عبد الرحمان الأرضي"، "ابن آقوجيل"، وقاضي الجنود والعسكر "أبو حفص عمر بن

* **الدفتر دار:** وهو رئيس ديوان الانشاء، والكاظم العام للدولة المكلف بالتسجيلات، أنظر: فونتير دوباردي، المصدر السابق، ص 219.

1 - محمد بن ميمون، المصدر السابق، ص 120.

2 - المصدر نفسه، ص 127.

3 - المصدر نفسه، ص ص 131-134.

* **حسن أوزون:** هو الوزير حسن أوزون صهر الداوي محمد بكداش، توفي سنة 1710م، وهي نفس السنة التي تم اغتيال فيها الداوي محمد بكداش، أنظر: هنري دوغرامون، المصدر السابق، ص 346.

محمد"، مختتما ذلك بقوله: " لا أعلم إني لقيت من سن الطفولة إلى ما فوق زمان الكهولة أبرع منه"، وهذا دليل على حكمة وحنكة وفطنة الداوي محمد بكداش في نظر محمد بن ميمون.¹

المقامة الثامنة: ذكر فيها المؤلف تهنئة الشعراء ومدحهم لداوي محمد بكداش بالكثير من القصائد وعلى رأسهم الشاعر السيد يحيى بن أحمد بن أحمد بن محمد ابن أبي القاسم بن أبي راشد تلميذ الشيخ أبي عبد الله محمد المغربي*، ومما جاء في قصيدته:

هتفت بدولته الطيور وبشرت	بسعوده الصلحاء والأبدال
كرمت عناصره وطاب نجاره	وزكت له الأعمال والأحوال
دانت له الأنعام طرا مثلما	دانت لليث الغابة الأشبال. ²

وكما هنأه الشيخ والشاعر أبو عبد الله محمد البونصي الشريف بوصوله لسدة الحكم بقصيدة جاء في مطلعها:

بشارة خير قد أتت عقب المسا	يفرقد سعد في السعادة قد رسا
فهب نسيم السعد حين شروقه	ومن حسنه أن جاء ذا الحي قد كسا. ³

وممن مدحه من شعراء عصره أيضا نذكر: "إبراهيم القنيلي"، "أبو عبد الله محمد ابن محمد القالي"، "أبو عبد الله محمد بن أحمد البوني"، "أبو عبد الله محمد الملقب بـ "بابن يوسف الجزائري" و"ابن عبد الله محمد المستغامي" ... وغيرهم من مشايخ وشعراء عصره وزمانه.

¹ - محمد بن ميمون، المصدر السابق، ص ص 135-142.

* الشيخ أبي عبد الله محمد المغربي: هو أبو عبد الله محمد بن محمد بن سليمان بن الفاسي ابن طاهر السوسي الروداني المغربي المالكي، ولد بقرية سوس بالمغرب الأقصى سنة 1037هـ، وتوفي بدمشق سنة 1094هـ، من أهم مؤلفاته "مختصر التحرير وشرحه" في الأصول الحنفية لابن همام، و "مختصر تلخيص المفتاح وشرحه"، و "حاشية على التسهيل في النحو" ... أنظر: محمد أمين المحبي، خلاصة الأثر، المصدر السابق، ج 4، ص 204، وأنظر أيضا: عبد الحي الكتاني، فهرس الفهارس المرجع السابق، ج 1، ص 317، محمد بن محمد بن عمر بن قاسم مخلوف، المصدر السابق، ص 457.

² - محمد بن ميمون، المصدر السابق، ص ص 143-144.

³ - المصدر نفسه، ص 146.

احتوت المقامة الثامنة ثلاثمائة وإثنين وسبعين بيتاً من الشعر، والتي خصصها المؤلف في ذكر أسماء الشعراء الذين قاموا بتهنئة الداوي محمد بكداش بمناسبة توليته منصب داي الجزائر.

المقامة التاسعة: تناول فيها المؤلف خروج الداوي محمد بكداش لوهران بهدف تحريرها، وقد عنونها بـ " في ذكر الخروج لوهران بقصد غزو الكفر وما حدث بعده من مقاتلة اللئام الفجرة" حيث ذكر فيها تاريخ استيلاء الاسبان على مدينة وهران في أواخر محرم من عام 914هـ الموافق لـ ماي سنة 1508م¹، وتسلطهم على المنطقة، وتطهيرهم لسكانها، وانضواء العديد من القبائل الخونة تحت لوائهم، ومن بينهم قبائل بنو عامر ومساعدتهم في عمليات القمع والتتكيل بأهلها.²

كما تطرق إلى ذكر أسماء العلماء الذين حرضوا السكان والسلطة الحاكمة وعلى رأسهم الداوي محمد بكداش على الجهاد ضد المحتل الاسباني، ومن بينهم ابن آقوجيل* في العديد من القصائد ومما جاء في قصيدته قوله:

فانهض بعزمك نحوها مستتصرا بالله في جد وفي تشمير

بعساكر مثل السيول تراحمت للسبق تحت لوائك المنصور.³

المقامة العاشرة: جاءت بعنوان "في حصر حصن العيون، وكيف استفتحه -عنة- المسلمون" وقد أشار المؤلف الى كيفية استعادة المسلمين لبرج العيون* من طرف القائد "أوزن حسن" صهر الداوي محمد بكداش، مستخدماً في ذلك زرع الألغام في تهديم السور الذي يحمي البرج، وقد تمكن "حسن أوزن" من اقتحامه في 27 جمادى الثانية من سنة 1119هـ الموافق لـ 28 سبتمبر 1707م، وكان هذا النصر شفاء للصدر وسرور بالقلوب وقرة للعيون، وتم فيه أسر 545 رجلاً

¹ - محمد المهدي بن علي شغيب، المرجع السابق، ص 175.

² - رقية شارف، المصادر الجزائرية المعاصرة ...، المرجع السابق، ص 53.

* الشيخ ابن قوجيل: هو الشيخ محمد بن محمد بن علي بن يسعد بن سعيد ابن عبد الواحد ابن يحيى بن العباس الملقب بابن آقوجيل، من آثاره " عقد الجمان اللامع من قعر البحر الجامع"، أنظر: عادل نويهض، المرجع السابق، ص 172.

³ - محمد بن ميمون، المصدر السابق، ص ص 203-204.

* برج العيون: ويعرف ببرج زروال، ويقع هذا البرج جنوب مدينة وهران، ويعد من أهم التحصينات الدفاعية المحيطة بالمدينة، أو هو مفتاح البلد وقفلها، أنظر: محمد بن أحمد بن علي بن سحنون الراشدي الجزائري، المصدر السابق، ص 207.

— الفصل الثالث: الكتابات والمذكرات الشخصية الجزائرية خلال القرن 18م وبداية القرن 19م —

وشابا من الإسبان والخونة من قبائل بني عامر، وكما استولى المجاهدون على ذخائر حربية وتموينية هائلة.¹

المقامة الحادية عشر: ذكر فيها عملية فتح حصن الجبل*، والذي تم استعادته يوم السبت 27 جمادى الآخرة من سنة 1119هـ الموافق لـ 25 سبتمبر 1707م، وتم أسر مائة وستة رجال وستة نسوة، واستولوا على ذخائر الحربية.²

المقامة الثانية عشر: وعنونها بـ "في حصار حصن بن زهوة* وكيفية فتحه من طرف المسلمون" حيث بدأ المسلمون محاصرته يوم الأحد 22 جمادى الآخر سنة 1119هـ من طرف القائد "أوزن حسن"، الذي استطاع فتحه عنوة يوم الثلاثاء 05 شعبان سنة 1119هـ، وقد قُتل جميع الكفرة المتواجدين به، ورفرت الراية الإسلامية فوق حصنه، واستولى المسلمون على كل الذخائر العسكرية من مدافع وسلاليم وفؤوس.³

المقامة الثالثة عشر: تضمنت هذه المقامة فتح مدينة وهران على يد القائد وصهر الداوي محمد بكداش ووزيره "أوزن حسن"، وهذا بعد السيطرة على الأبراج الثلاثة من ناحية الغرب، وتم ذلك في 26 شوال من سنة 1119هـ الموافق لـ 20 جانفي 1708م⁴، وقد تم الفتح عنوة على يد الباي مصطفى بوشلاغم والقائد حسن أوزن، وبعد هذا الانتصار المبين عاد الوزير "حسن أوزن" إلى مدينة الجزائر، وانتقل الباي مصطفى إلى مدينة وهران التي اتخذها مقرا لحكمه، وأقام بها المساجد، وزين ساحاتها العامة بالأقواس فانتعشت الحرف والصنائع وازدهرت التجارة، وعادت العلاقة بين

¹ - يحي بوعزيز، مدن تاريخية "وهران"، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الرغبة، 1985، ص 90.

* **حصن الجبل:** وهو برج جبل المائدة، والمعروف "ببرج مرجاجو"، وهي قلعة منصوبة على جبل المائدة، من الجهة الغربية والمتحكمة في الطرق البرية والبحرية لمدينة وهران، أنظر: محمد بن أحمد بن علي بن سحنون الراشدي الجزائري، المصدر السابق ص 207.

² - محمد بن ميمون، المصدر السابق، ص 213.

* **حصن بن زهوة:** ويعرف بـ سان قروقي" أو برج اليهودي، أنظر: محمد بن أحمد بن علي بن سحنون الراشدي الجزائري، المصدر السابق، ص 208.

³ - محمد بن ميمون، المصدر السابق، ص 217-218.

⁴ - محمد أبي راس الناصر، عجائب الأسفار ولطائف الأخبار ...، المصدر السابق، ج1، ص 47.

— الفصل الثالث: الكتابات والمذكرات الشخصية الجزائرية خلال القرن 18م وبداية القرن 19م —

المدينة والريف إلى ما كانت عليه وتحول ميناؤها الى قاعدة بحرية تجارية، واستتب الأمن والاستقرار بالمدينة.¹

وممن هنا الداوي محمد بكداش بهذا النصر والفتح العظيم من الشعراء الشيخ أبي عبد الله محمد بن محمد الثغيري بقوله:

الحمد لله الذي قد فتحا وهران عن أيدي الرجال الصلحا
وقهر القوم اللئام الفجرة ورفع الإسلام فوق الكفرة²
وقوله أيضا:

محمد البكداش فخر الدولة وحسن صهره عالي الصولة
زاد لهما في النصر والظفر وافتتاح أرض الكفر

المقامة الرابعة عشر: تناول فيها فتح "البرج الأحمر*" و "البرج الجديد*" وذلك يوم 27 شوال من سنة 1119هـ الموافق لـ 21 جانفي 1708م، وذلك بعد قيام النصاري بطلب الأمان وتسليم مفاتيح البرجين، وقد بلغ عدد الأسرى خمسمائة وستين أسيرا، وبهذا النصر العظيم تهافتت على الداوي محمد بكداش التهاني والثنايا، وفي هذا يقول الأديب أبي عبد الله محمد بن يوسف:

مولاي فضلك للكروب مفرج وبتاج عز الله أنت متوج
وجمعت بين مكارم وفضائل أضحي بها صبح الهنا بتبلج³

¹ - رقية شارف، المرجع السابق، ص ص 192-193.

² - محمد بن ميمون، المصدر السابق، ص ص 229-230

* **البرج الأحمر:** ويعتبر من أعظم أبراج مدينة وهران، ويقع شرق المدينة، وهو مطل على البحر، ومساحته بحجم مدينة القاهرة أنظر: محمد بن أحمد بن علي سحنون الراشدي الجزائري، المصدر السابق، ص 207.

* **البرج الجديد:** قام بتشبيده الاسبان سنة 1693م ويقع من جهة الوطا للبرج الأحمر، ويقال بأنه تم بناؤه من طرف إحدى الاسبانيات الكافرات، وبلغت قيمة بنائه تسعين ألف ريال، أنظر: أحمد بن عبد الرحمان الشقراني الراشدي، القول الأوسط في أخبار بعض من حل بالمغرب الأوسط، تح وتق: ناصر الدين سعيديوني، البصائر الجديد للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013، ط 2، ص31.

³ - محمد بن ميمون، المصدر السابق، ص ص 235-236.

المقامة الخامسة عشر: تضم هذه المقامة ذكر فتح حصن المرسى* أو بما يُعرف بالمرسى الكبير، بعد فتح مدينة وهران من طرف الباي مصطفى بوشلاغم والقائد "حسن أوزن" لجأت الحامية الاسبانية وحلفائها من بني عامر إلى المرسى الكبير بهدف التحصن به وكان ذلك أواخر جانفي من سنة 1708م¹، وأمام هذا الانسحاب عمل القائد حسن أوزن على مطاردتهم ومحاصرة هذه البرج من خلال غلق جميع الطرق المؤدية إليه، وقطع المؤونة على ساكنيه وهذا ما نتج عنه انتشار مجاعة كبيرة في وسط الحامية الاسبانية، أين لقي ما قرابة ثلاثة آلاف من النصارى مصرعهم وهلاكهم، وبالإضافة إلى ذلك فقد تم فتح هذا البرج بالقوة عن طريق وضع الألغام وتفجير أسواره.²

وقد تمكن المسلمون من فتحه عنوة خلال شهر أفريل من سنة 1708م³، وبهذا الفتح تهافت الشعراء على مدح الداوي محمد بكداش، ومن بينهم السيد محمد عبد الرحمان المغربي، ومما صدر عنه قوله:

تلت رسل البشائر يوم عيد علينا سورة الفتح السعيد

فأحييت من رسوم البشر رسما عفا بالشرك مذ زمن مديد

وأصبح وجه دين الله طلقا ووجه الكفر في حزن الفقيد⁴

وممن أشاد بهذا الفتح، وهنأ الداوي محمد بكداش على ذلك الشيخ والشاعر أبوعبد الله سيدي

محمد بن أحمد الحلفاوي، وفي هذا يقول:

* **حصن المرسى:** وتم بناؤه من طرف الأمير المريني أبو الحسن وقد أطلق عليه الاسبان باب المرسى أو المرسى الكبير، وعرف بـ "باب سانتوس"، ويقع في أقصى شمال غرب القصبة لمدينة وهران، أنظر: محمد يوسف الزباني، المصدر السابق، ص 208 وأنظر أيضا: يحي بوعزيز، مدن تاريخية ...، المرجع السابق، ص 141.

¹ - هنري دوغرامون، المصدر السابق، ص 345.

² - محمد بن ميمون، المصدر السابق، ص ص 241-242.

³ - هنري دوغرامون، المصدر السابق، ص 346.

⁴ - محمد بن ميمون، المصدر السابق، ص ص 252-253.

* **محمد بن أحمد الحلفاوي:** هو أبو عبد الله محمد بن أحمد الحلفاوي التلمساني النشأة والدار، توفي حوالي سنة 1122هـ كانت له الريادة في جميع العلوم ولاسيما الفقه والنوازل والأحكام، وقد تولى خطة الإفتاء في تلمسان، وكذا الخطابة والوعظ والتدريس ومن

لما أراد الله بالدين جلا
عن أرض وهران بني الكفر جلا
أحاد من حاد عن الخلافة
فاستتهض فتى لها خلافة
وقوله أيضا:

هو دولة الحبر محمد "بكداش"
"تاريخها طبق محمد بكداش"
جاءت بعز وسناء وسنا
والتذب الأعين فيها وسنا
وهو لها كفاء وظل للأنام
فكم أراح ذاعنا وكم أنام
وكم أتى من قبله الجزائري
داي ودهقان كمن جا زائرا
فلم يكن للخلق فيه راحة
ولم يسئل عن غير ما بالراحة¹

وبتحرير برج المرسى الكبير، واسترجاعه من يد المحتل الاسباني سنة 1119هـ/1708م في عهد الداى محمد بكداش، تنتهي مرحلة التواجد الاسباني بالمنطقة "وهران"، والذي لم يدم طويلا بسبب عودة الاسبان مرة ثانية للمدينة والمرسى الكبير مع مطلع العقد الرابع من القرن الثامن عشر.

المقامة السادسة عشر: اختتم المؤلف مقاماته بذكر عودة خليفة الداى وصهره "حسن أوزن" إلى الجزائر بعد الانتصار على النصارى وفتح لمدينة وهران ومرساها الكبير سالما غانما بالأسرى والذخائر، حيث أسر ما يزيد عن ألفا أسير اسباني كانوا متواجدين بالأبراج المحيطة بمدينة وهران مثل برج العيون الذي تم أسر فيه ما بين ثلاثمائة وخمسمائة أسير، وبرج مرجاجو مائة وعشرة وفي البرج الجديد أربعمائة، والبرج الأحمر مائة وستين أسير²، وقد قام الداى محمد بكداش بإرسال البعض منهم مع مفاتيح المدينة إلى إسطنبول، كما تم نقل مقر بايلك الغرب الجزائري إلى وهران

أشهر أعماله أرجوزته المشهورة في فتح وهران الأول سنة 1119هـ/1708م، أنظر: مسعود بن ساري، صورة السلطان العثماني في الأدب الجزائري القديم، مجلة الأثر، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، جوان 2015، ع 22، ص 46.

¹ - محمد بن ميمون، المصدر السابق، ص ص 245-246.

² - سعيد دربال، يامنة بحيري، فتح وهران الأول في الشعر الشعبي - قراءة تاريخية في قصيدة من الشعر الملحون - مجلة هيرودوت للعلوم الإنسانية والاجتماعية، الجزائر، 2022، مج 6، ع2، ص 211.

من طرف الباي مصطفى بوشلاغم، والذي عمل على تحويلها إلى قاعدة بحرية إسلامية في غرب البحر الأبيض المتوسط.¹

كما أجاد المؤلف في وصف وإبراز ملامح السرور والابتهاج عند سكان الايالة بهذا الفتح والظروف التي شهدتها الايالة مع مطلع القرن الثامن عشر، والتي مهدت لهذه العملية التي أنتت بأكملها، وهذا بفضل حنكة الداوي محمد بكداش، وصهره حسن أوزون، وتظافر الجهود بين السلطة الحاكمة وفئات المجتمع الجزائري، خاتما مقامته بأبيات شعرية يُشيد فيها بهذا الفتح، وقائده، ومما قاله في ذلك:

ضاءت بنور إيايك الأيام واعتز تحت لوائك الإسلام

أما الجميع ففي أعم مسرة لما انجلى بظهورك الإظلام

كان الفراغ بحمد الله تعالى من هذه المسودة في أواخر جمادى الآخرة عام إحدى وعشرين ومائة وألف من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل صلاة سنية.²

4- المصادر والأسلوب المعتمد من طرف محمد ابن ميمون في كتابة مؤلفه

اعتمد الشيخ محمد ابن ميمون في تأليفه لكتابه "التحفة المرضية ..." على منهج وأسلوب معاصريه في عرض الأحداث والوقائع التاريخية القائمة على التسلسل الزمني لوقوعها، والوصف الدقيق في سرد الأحداث، وقد اعتمد في ذلك على جملة من المصادر التي تعكس سعة اطلاعه وتكوينه العلمي، في تسجيل وتدوين مؤلفه.

4-1- المصادر المعتمد عليها في كتابة مؤلفه

تنوعت المصادر التي اعتمد عليها محمد ابن ميمون في تأليف كتابه "التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية"، ومن بينها:

- المصادر الشفوية والمشاهدة المباشرة: حيث استند في تأليف كتابه على المرويات الشفوية وشهادة العلماء والفقهاء المعاصرين له، بالإضافة الى ما سمعه من شيوخه وتلامذته، حول الأحداث والشخصيات البارزة في عصره أمثال: أبو زيد السيد عبد الرحمان بن عبد الله الجامعي

¹ - محمد بن سعيدان، التحرير الأول لوهران والمرسى الكبير عام 1708، مجلة العلوم الإنسانية والحضارة، جامعة الأغواط 2021، مج6، ع2، ص 430.

² - محمد بن ميمون، المصدر السابق، ص 256.

وتلميذه عبد الرزاق ابن حمادوش، كما اعتمد أيضا على مشاهداته الشخصية في وصف الأحداث والوقائع المتعلقة بفتح وهران الأول، وهذا باعتباره مشاركا في الحدث نفسه، وهو ما أضفى على مؤلفه طابعا توثيقيا محليا في تاريخ الجزائر خلال الحقبة المتأخرة من العهد العثماني.

• **المصادر التاريخية الإسلامية العامة:** من بين المصادر التاريخية الإسلامية المعتمد عليها في تأليف كتاب "التحفة المرضية... نجد: " مقامات" لصاحبها أبو الفضل أحمد بن الحسين الهمذاني المعروف بـ "بديع الزمان" المتوفى سنة 393هـ/1003م، وكذا كتاب "المحيط" في اللغة لصاحبه القائم إسماعيل المعروف بـ "الصاحب بن عباد" المتوفى سنة 385هـ/995م.¹

• **المدونات الجزائرية خلال الحقبة العثمانية:** اعتمد أيضا على مؤلفات، وكتب علماء الجزائر الذين سبقوه أو عاصروه، ومن بينها: كتاب "فتح الطيب..." لأحمد المقرئ التلمساني، وكتاب "الإحاطة بأخبار غرناطة" لسان الدين ابن الخطيب التلمساني، بالإضافة الى اعتماده على تسجيل الأشعار التي كتبها شعراء وعلماء الجزائر في وصف مرحلة حكم الداوي محمد بكداش "بقداش" وكذا في تهنئته بفتح وهران، وتحقيقه النصر في طرد المحتل الأسباني من المنطقة، أمثال الشاعر والشيخ مصطفى بن عبد الله البوني الخطيب الذي وصفه بشيخ الإسلام، والأديب أبي عبد الله سيد محمد بن يوسف، والشاعر أبو عبد الله محمد بن أحمد الحفاوي، وغيرهم من شعراء وعلماء تلك الحقبة.²

4-2- الأسلوب المعتمد في كتابة مؤلفه

انتهج المؤلف في هذا الكتاب العديد من الأساليب الخاصة في الكتابة التاريخية التي اشتهرت في عصره، ومن بينها:

• **التسلسل الزمني للأحداث:** استند محمد ابن ميمون في عرض الأحداث والوقائع على ذكرها وفق الترتيب الزمني لها، وبالتالي إعطائنا صورة كاملة عن الحدث زمانه، ومكانه، وهذا ما تجلى

¹ - محمد بن ميمون، المصدر السابق، ص 178.

² - المصدر نفسه، ص 75.

في حديثه عن أحداث فتح مدينة وهران في مقامته الستة عشر أين بدأها بإعطاء نبذة مختصرة حول حياة الداوي محمد بكداش، ووصوله لحكم الإيالة، وأهم الأحداث التي جرت خلال فتح مدينة وهران، مختتما إياها بذكر الانتصار المحقق من طرفه ضد المحتل الاسباني، وعودته سالماً غانم بالأسرى إلى مدينة الجزائر.

• **الاعتماد على فن المقامات:** ضم هذا الكتاب بين -دفتيه- مقدمة وست عشر مقامة أدبية مؤلفة من سبعمائة وخمسة وتسعين بيتاً من الشعر، والتي تتميز بكثرة الزخرفة اللفظية كالسجع والجناس، والتلاعب بالألفاظ، وإبراز الأحداث والوقائع، وذكر الشخصيات والزمان والمكان لتلك الأحداث، ومن أركانها: "الراوي للحادثة هو محمد ابن ميمون الجزائري، وبطلها "الداوي محمد بكداش"، والحدث هو " فتح مدينة وهران".¹

• **الأسلوب الأدبي:** انتهج محمد ابن ميمون أسلوباً ممتازاً بالمتانة اللفظية، وقوة التعبير، واستخدام الجمل والتراكيب مع استخلاص المراد منها، بالإضافة إلى اعتماده على ترتيب الأفكار، وتسلسل الحوادث والوقائع، مع عدم تكرارها بهدف استمالة القارئ، وكذا استخدامه للأسلوب المعسول القائم على الاقتباس من الذكر الحكيم والحديث الشريف، مدعماً ذلك بالأبيات الشعرية التي تتناسب مع أحداث الموضوع، وبالتالي إضفاء عليه عنصر التشويق²، وهو ما اشتهر به جل مؤلفي العهد العثماني في كتابة مؤلفاتهم.

من هنا يتضح لنا بأن كتاب "التحفة المرضية..." لمحمد ابن ميمون الجزائري يُعد من أهم المؤلفات المحلية الجزائرية التي أسهمت في توثيق ملامح الحياة في شتى المجالات بإيالة الجزائر فقد قد لنا مادة تاريخية قيمة تبرز تفاعل العلماء مع محيطهم السياسي من خلال ذكره لفترة حكم الداوي محمد بكداش، وعلاقته بالعلماء، وكذا علاقته بفتح مدينة وهران، وطرد المحتل الاسباني منها سنة 1708م، وهو ما ساهم في إبراز مظاهر الترابط والتآزر بين فئات المجتمع الجزائري في

¹ - عباس هاني الجراح، المقامات العربية وآثارها في الآداب العالمية، الرضوان للنشر والتوزيع، مؤسسة دار الصادق الثقافية طبع - نشر - توزيع، 2014، ط1، ص 15.

² - محمد بن ميمون، المصدر السابق، ص 74.

— الفصل الثالث: الكتابات والمذكرات الشخصية الجزائرية خلال القرن 18م وبداية القرن 19م —

مواجهة الأزمات، وهذا ما يجعل منه مرجعا أساسيا للباحثين في إعادة قراءة وكتابة تاريخ الجزائر من منظور محلي بعيدا عن الرؤى الأجنبية.

ثانيا: كتاب "بهجة الناظر ... لعبد القادر المشرفي الجزائري

يُعتبر كتاب "بهجة الناظر في أخبار الداخلين تحت راية الاسبانيين بوهان من الأعراب لبني عامر" من أهم المؤلفات الجزائرية البارزة التي ألّفت خلال القرن الثامن عشر ميلادي، وهو من بين المصادر المحلية الجزائرية خلال الحقبة العثمانية التي تناولت أحداث ووقائع جرت ببابلك الغرب، والمتمثلة في تحالف القبائل العربية من بني عامر مع المحتل الاسباني ضد حكام إيالة الجزائر بهدف الإبقاء على التواجد الاسباني بالمنطقة.

1- ترجمة المؤلف

1-1- اسمه ونسبه

هو أبو المكارم عبد القادر بن عبد الله بن محمد بن أحمد أبي جلال المشرفي، الغريسي* المعسكري، المعروف بـ "بن عبد الله"، وعُرف باسم "سقاط المشرفي"، شيخ الجماعة وإمام الراشدية.¹

يرجع نسبه إلى أسرة المشاركة ذات الأصول الوثيقة بالشرفاء العرهبيين* أبناء مشرف بن عبد الرحمان بن مسعود، وهذه الأسرة إدريسية النسب من الفرع الحسيني.²

* الغريسي: نسبة لسهل غريس المتواجد بالاقليم الراشدي، يحده شرقا جبل المناور، وغربا جبل كرسوط، وشمالا القلعة وجنوبا واد البنيان، أنظر: بلهاشمي بن بكار، مجموع النسب والفضائل والتاريخ والأدب في أربعة كتب، مطبعة ابن خلدون، الجزائر، 1961، ص 33.

¹ - عبد القادر المشرفي، بهجة الناظر في أخبار الداخلين تحت راية الاسبانيين بوهان من الأعراب كبني عامر، تح وتقا: محمد بن عبد الكريم، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، (د.ت.ن)، ص6، وأنظر أيضا: عبد الحي الكتاني، ج1، ص5، وكذا عادل نويهض، ص473.

* شرفاء العرهبيين: هم حفدة عرهب دفين تادلة من شرفاء فجيح بن محمد بن يعقوب الجد الأكبر، أنظر: عبد الحق شرف صورة الاسرة المشرفية بمنطقة معسكر في كتابات يحي بوعزيز، مجلة الناصرية ... بجاية، جوان 2011، ع1، ص135.

² - أبو حامد العربي المشرفي، ياقوتة النسب الوهاجة وفي ضمنها التعريف بسبيدي محمد بن علي مولى مجاجة، دراسة وتحقيق: بن عمر حمدادو، والعربي بوعمامة، دار قرطبة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011، ص ص 291-292.

1-2- المولد والنشأة

ولد الشيخ عبد القادر المشرفي بقرية الكرط ضواحي مدينة معسكر¹، ويرجع الدكتور يحي بوعزيز إحصائية ولادته مع نهاية سنة 1691م، وبداية سنة 1692م.²

نشأ الشيخ المشرفي بإقليم الراشدية، أين تلقى تعليمه الأول على يد مشايخ وعلماء المنطقة ثم انتقل إلى أهم المراكز العلمية بالإيالة، فأخذ العلوم الفقهية والنحوية، البيان، الأصول وعلم الكلام من علمائها، ومن أبرزهم العلامة أبي عبد الله محمد المنور التلمساني³، ثم انتقل إلى الحواضر الإسلامية بالمشرق والمغرب بهدف صقل شخصيته العلمية، فتلقى تعليماً وتكويناً فقهياً وأدبياً من كبار العلماء، فأجازوه في العديد من العلوم.⁴

حظي الشيخ عبد القادر المشرفي باحترام الجميع، حيث كانت له مكانة مرموقة بين معاصريه من العلماء والفقهاء سواء بالإيالة أو خارجها، فهو يعتبر من ألمع شخصيات زمانه، ومن كبار المجاهدين، فلقد تولى التدريس بمعهد "القيطنة"^{*} بعد اختياره من طرف جد الأمير عبد القادر الشيخ "مصطفى بن مختار الراشدي"⁵.

كان المشرفي عالماً نحرياً، ومحدثاً أميناً، وقد تخرج على يده الكثير من طلبة العلم، ومنهم العالم أبوراس الناصر المعسكري⁶، فكان مواظباً على نشر العلم متضلعا في علم الأصول

¹ - أحمد بن محمد بن علي بن سحنون الراشدي، المصدر السابق، ص 37.

² - يحي بوعزيز، أعلام الفكر ...، المرجع السابق، ج2، ص 143.

³ - محمد أبو راس الناصر، فتح الإله ...، المصدر السابق، ص 53.

⁴ - ناصر الدين سعيدوني، من التراث التاريخي ...، المرجع السابق، ص 412.

^{*} **معهد القيطنة:** تأسست هذه المدرسة بمنطقة القيطنة بالقرب من بوحنيقية حوالي 1200هـ/1787م على يد مصطفى بن مختار جد الأمير عبد القادر، أنظر: بن عمر حمدادو، أبو راس الناصر المعسكري وكتابات التاريخية (1155-1238هـ / 1737-1823م)، رسالة ماجستير في التاريخ والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، 2002/2003، ص 67.

^{*} **الشيخ مصطفى بن المختار الراشدي، الغريسي:** هو جد الأمير عبد القادر درس وتقه في منطقة غريس، وهو من أتباع الطريقة القادرية، أسس قرية القيطنة ومدرستها وزاويته بوادي الحمام سنة 1206هـ/1792م، أنظر: يحي بوعزيز، أعلام الفكر ...، المرجع السابق، ج3، ص ص 244-245.

⁵ - محمد بن أحمد بن علي بن سحنون الراشدي الجزائري، المصدر السابق، ص 37.

⁶ - عبد القادر المشرفي، المصدر السابق، ص 6.

والفروع¹، هذا ما ساعده على تأسيس زاوية دينية ومعهدا علمياً بمسقط رأسه "الكرط"، أصبح فيما بعد في مستوى زاوية ومعهد القيطنة²، فكانت زاويته لا تخلوا عن مائتي طالب في بعض الأوقات.³

كما كانت فئات المجتمع تلجأ إليه من أجل الاستفتاء في جل القضايا الدينية كالزواج والبيع والشراء أو من أجل حل النزاعات والخلافات الاجتماعية التي تنتشب بينها، وهذا باعتباره أحد أفراد المجتمع، وكذا لاشتهاره بين جماعته بغزارة العلم الشرعي وسمعته الطيبة، فضلا عن تدينه وعدله في إصدار الأحكام بين الخصوم وتصديه لبعض النزاعات التي يصعب حلها⁴، وهذا ما ساعده على اكتساب مكانة مرموقة في مجتمعه، فخضع له القضاة وسائر الولاة بالمنطقة.⁵

كما شارك الشيخ في تحرير وهران الأول، وكذلك شهد عودة الاحتلال الاسباني لوهران سنة 1732م⁶، وهذا ما أخبر به تلميذه أبي راس الناصر الذي ذكر بمشاركة وحضور شيخه عبد القادر المشرفي في تلك الواقعة.⁷

1-3- شيوخه وتلامذته

تلقى الشيخ عبد القادر المشرفي العلم على يد العديد من المشايخ وفطاحل علماء المشرق والمغرب الذين ساهموا في صقل شخصيته العلمية والدينية، ومنهم : الشيخ أبي عبد الله المنور*

1 - أبو حامد العربي المشرفي، المصدر السابق، ص 292.

2 - يحي بوعزيز، أعلام الفكر...، المرجع السابق، ج2، ص 231.

3 - أبو حامد العربي المشرفي، المصدر السابق، ص 292.

4 - عبد الحق شرف، صورة الأسرة المشرفية بمنطقة معسكر في كتابات يحي بوعزيز، مجلة الناصرية للدراسات الاجتماعية والتاريخية، معسكر، الجزائر، 2011، ع1، ص 135.

5 - محمد أبو راس الناصر، فتح الاله...، المصدر السابق، ص 53.

6 - رقية شارف، المصادر التاريخية...، المرجع السابق، ص 52.

7 - محمد بن أحمد بن علي بن سحنون الراشدي الجزائري، المصدر السابق، ص 37.

* الشيخ أبي عبد الله المنور التلمساني: هو الشيخ محمد بن عبد الله بن أيوب، أبو عبد الله، المعروف بالمنور التلمساني المحدث والأديب و الرحالة، ومن فقهاء المالكية بتلمسان، توفي سنة 1173هـ/1760م، أنظر: عادل نويهض، المرجع السابق، ص 124.

التلمساني الذي أخذ عنه العلوم الفقهية والنحوية، البيان، علم الكلام و الأصول ...¹، وكما أجازته العديد من علماء المشرق والمغرب على غرار الشيخ محمد صالح* الرئيس، والشيخ عمر بن عبد الرسول* العطار المكي، والشيخ شمس الدين* محمد بن علي الشنواني، ومحمد السعيد القادري الملقب بـ "الدرويش"، ومحمد بن محمد بن عربي البناني المكي المالكي، وعلي بن محمد الميلي، ومحمد بن محمد شهاب الدين الأنصاري، والهادي بن محمد الحسني، ومحمد بن حسن الميقاتي الاسكندري المالكي، ومفتاح الدين ابن حسام الدين البخاري وغيرهم ...

كما تخرج على يده العديد من طلبة العلم، وعلى رأسهم الحافظ عماد أبو راس الناصر المعسكري²، وابنه الشيخ* الطاهر والذي وصفه أبي حامد المشرفي بأنه عبر المشارف في العلوم وأستاذهم في تقرير المنطوق والمفهوم.³

¹ - محمد أبو راس الناصر، فتح الإله ...، المصدر السابق، ص 53.

* الشيخ محمد صالح الرئيس: هو العلامة جمال الدين محمد صالح بن إبراهيم بن محمد بن عبد اللطيف ...، الزمزمي، الزبيري الشهير بالرئيس، محدث ومفسر ومن علماء مكة المكرمة، وثق نسبة وإجازته للشيخ عبد القادر المشرفي في منظومته: " إرشاد الأنام إلى شرح فيض الملك العلام لما اشتمل عليه النسك من الأحكام"، توفي سنة 1240هـ، أنظر: خير الدين الزركلي، الأعلام، المرجع السابق، مج 6، ص 123، وأنظر أيضا: عمر كحاله، معجم المؤلفين، مكتبة المثني، دار إحياء التراث العربي، بيروت (د.ت.ن)، مج 10، ص 80.

* الشيخ عمر بن عبد الرسول العطار المكي: هو العلامة والمحدث عمر بن عبد الكريم بن عبد الرسول العطار المكي، الشافعي، أحد علماء مكة المكرمة، توفي سنة 1249هـ، بوباء الطاعون، أنظر: عبد الحي الكتاني، فهرس الفهارس، المرجع السابق، ج2، ص 796.

* الشيخ محمد الشنواني: هو الشيخ محمد بن علي الشافعي الشنواني، المصري، المشهور بـ "الفاكهاني"، تولى مشيخة الجامع الأزهر أجاز العديد من الطلبة منهم الشيخ عبد القادر المشرفي، أنظر: محمد بن علي الشافعي الشنواني، حاشية علي مختصر ابن أبي جمرة للبخاري، مصطفى ألباني الحلبي وأولاده، مصر، 1935، ص 1.

² - عبد القادر المشرفي، المصدر السابق، ص 6.

* الشيخ الطاهر المشرفي: هو الشيخ الطاهر ابن الشيخ عبد القادر المشرفي، تولى القضاء بوهران، والتدريس بالراشيدية اختلفت الروايات حول وفاته، إلا أن أبا حامد ذكر بأنه سنة 1240هـ/1824م ما زال حياً، أنظر: فوزية لزغم، البيوتات والاسر العلمية بالجزائر خلال العهد العثماني ودورها الثقافي والسياسي (925-1246هـ/1520-1830م)، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، الجزائر، 2013/2014، ص ص 246-247.

³ - محمد بوشنافي، الاسرة المشرفية من خلال الكتابات التاريخية الجزائرية، المجلة الجزائرية للبحوث والدراسات المتوسطة جامعة الجيلالي اليابس، بلعباس، الجزائر، جوان 2016، ع3، ص 242.

1-4- آثاره العلمية

خلف عبد القادر المشرفي العديد من المؤلفات والمصنفات، ومنها: شرح رسالة محمد بن علي الخروبي*، والمعروفة بـ: " الدرة الشريفة على أصول الطريقة"، حيث نظمها بعنوان " عقد الجمان الملتقط من قعر قاموس الحقيقة الوسط"، الذي كان محل تقدير تلميذه محمد أبي راس الناصر، ومحمد بن مالك قاضي الجزائر سنة 1226هـ/1811م، وكما نجد تعليق عليه من طرف ابنه الطاهر المشرفي.¹

• "بهجة الناظر في أخبار الداخلين تحت ولاية الاسبانيين بوهران من الأعراب كبني عامر": وهو عبارة عن رسالة انتهى من تأليفها ما بين سنتي 1764-1765م، والتي ذكر فيها القبائل المتعاونة مع الاسبان أثناء احتلالهم لوهران.²

كما ترك مجموعة رسائل إخوانية جمعت ما بين الاهتمام بالفقه والأدب، ومن ضمنها رسالة موجهة للشيخ الحبيب الفيلاي، وتوجد ضمن أوراق الخزنة العامة بالرباط تحت رقم: د 258³ بالإضافة الى ذكر الأستاذ عبد الله الركبي في كتابه "تطور النثر الجزائري" أن للمشرفي رحلة توجد ضمن مخطوطات زاوية الهامل.⁴

1-5- وفاته

اتفق جل المؤرخين والمعاصرين له بأنه توفي ضحوة يوم الخميس 10 رمضان 1192هـ الموافق لـ أكتوبر 1778م، ودفن بمقبرة "الكرط" مسقط رأسه بضواحي مدينة معسكر، وقد رثاه تلميذه أبوراس الناصر بقصيدة طويلة⁵ جاء في مطلعها:

* محمد بن علي الخروبي: عُرف على أنه صاحب حظوة عند العثمانيين، أما نسبه فقد نُسب إلى صفاقس وطرابلس والجزائر كان متشعبا بالروح الصوفية، ترك العديد من الشروحات، توفي سنة 963هـ/1555م بالجزائر، انظر: أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي ...، المرجع السابق، ج 1، ص 499.

1 - ناصر الدين سعيدوني، من التراث التاريخي ...، المرجع السابق، ص 412.

2 - يحي بوعزيز، أعلام الفكر والثقافة ...، المرجع السابق، ج2، ص 231.

3 - ناصر الدين سعيدوني، من التراث التاريخي ...، المرجع السابق، ص 412.

4 - رقية شارف، المصادر التاريخية الجزائرية ...، المرجع السابق، ص 54.

5 - عبد القادر المشرفي، المصدر السابق، ص 6.

لقد كان بالإسلام كهفا وملجأ
تراه في أقل الشؤون يبادر
له الباع في كل العلوم بأسرها
سريع الجواب ليس بضائر¹

2- التعريف بكتاب "بهجة الناظر" لعبد القادر المشرفي

يعتبر كتاب "بهجة الناظر في أخبار الداخلين تحت ولاية الاسبانيين بوهران من الأعراب، كبنى عامر" لشيخ عبد القادر المشرفي أحد أهم المصادر المحلية التي عاصرت فتح وهران الأول، وقد قام بتحقيق وتقديم هذا المخطوط محمد بن عبد الكريم، معتمدا في ذلك على نسختين: **النسخة الأولى:** مخطوطة بمكتبة بلدية وهران، تحت رقم 429، وهي ذات حجم متوسط، مستطيلة الشكل خطها مغربي، صمغي جيد وواضح جدا، لونه أسود، ما عدا خمسة أسطر في رأس الصفحة الأولى - بعد البسملة - مكتوبة باللون الأحمر، أوراقها بيضاء مسطرة، في كل صفحة أربعة عشر سطرا، وتم الرمز لها بحرف "ألف" وهي النسخة التي تم الاعتماد عليها في تحقيق النص.

النسخة الثانية: مطبوعة بالمجلة الافريقية Revue Africaine سنة 1924م، وقد قام بنشر نصها العربي وترجمته الى اللغة الفرنسية الأستاذ "بودان" (Boudin)، ولم يتم الاعتماد عليها في إثبات النص وتم الرمز لها بالحرف "ط".²

تم نشر هذا المخطوط لأول مرة ملحقا بترجمة فرنسية مع بعض التعليقات في الهامش هو مارسيل بودان (Marcel BDDIN) في المجلة الافريقية، ثم تم تحقيقه ونشره مطبوعا - من طرف محمد بن عبد الكريم، في إحدى وستين صفحة (61)، منها (33 صفحة) خاصة بالمخطوط، أما باقي الصفحات فهي من مجهود المحقق³، وقد تم نشره في دار مكتبة الحياة للطباعة والنشر

¹ - بن عودة المزارى، طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر، واسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر، ج1، تحقيق ودراسة: يحي بوعزيز، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1990، ط1، ص2.

² - عبد القادر المشرفي، المصدر السابق، ص7.

³ - رقية شارف، المصادر التاريخية الجزائرية...، المرجع السابق، ص55.

ببيروت الخاصة بالمنشورات الأدبية في إحياء التراث العربي، والذي تناول فيه المؤلف أسماء القبائل الجزائرية المتعاونة مع الاحتلال الاسباني لمدينة وهران.¹

3- المحتوى العام لكتاب "بهجة الناظر... ومضمونه

يُعد كتاب "بهجة الناظر" لشيخ عبد القادر المشرفي أحد المصادر المحلية المهمة التي غطت فترة من فترات تاريخ الجزائر خلال العهد العثماني الأخير، والمرتبطة بالاحتلال الاسباني لمدينة وهران، وما جاورها من مناطق بداية القرن 18م، وذكر أهم القبائل العربية المتعاونة مع المحتل لإخضاع المدينة، وقد تضمن العناصر التالية:

• **مقدمة:** وتناول فيها حمد وثناء على الله تبارك وتعالى، ثم تطرق إلى ذكر اسمه ونسبه واسم تقييده والذي أسماه "بهجة الناظر في أخبار الداخلين تحت ولاية الاسبانيين بوهران من الأعراب، كبنّي عامر".

3-1- العنصر الأول:

تناول فيه ذكر الإسبان، أصلهم، وموطنهم، حيث أشار المؤلف بأنهم فرقة من فرق الروم*، وليسوا من الفرنج*، وقد سموهم بالإسبانيين نسبة إلى مدينتهم القديمة "إسبانيا" بقطع الهمزة المكسورة بأرض الأندلس*، وقاعدة ملكهم في تلك المرحلة هي مدينة "مدريل" باللام ويقال لها "مدريد" ويمتد موطنهم من إقليم كتالونيا "قطلان" و "برشلونة" و "فرنسا" شرقا إلى "أشبونة أو لاشبونة" و "جبال طارق" غربا مع مجاورتهم للبرتغاليين "البردقيز".²

¹ - ناصر الدين سعيدوني، من التراث التاريخي ...، المرجع السابق، ص 413.

*الروم: هم الرومان والبيزنطيون في القديم ينسبون الى الإمبراطورية الرومانية الشرقية، وعاصمتها "القسطنطينية"، ويعتبر الامبراطور "اركاديوس" المولود بإسبانيا سنة 383م، والمتوفى بالقسطنطينية 408م أول أباطرتها.

* **الفرنج:** هم قبيلة جرمانية استوطنوا فرنسا في القرن الخامس الميلادي، أنظر: عبد القادر المشرفي، المصدر السابق، ص 9.

* **أرض الأندلس:** تنسب إلى "أندلس" بن طوبال بن يافث بن نوح، وقيل بأنه "أندلس بن يافث"، أنظر: أحمد بن محمد المقرئ، نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، وذكر وزيرها لسان الدين الخطيب، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1968 مج1، ط1، ص 125.

² - عبد القادر المشرفي، المصدر السابق، ص ص 9-11.

كما أشار في مؤلفه هذا إلى كيفية دخول الاسبان واستيلائهم على مدينة وهران*، والذي تم بمعونة اليهود سنة 915هـ الموافق لـ ماي أو جوان سنة 1509م على اختلاف الروايات.¹

3-2- العنصر الثاني:

تطرق فيه إلى ذكر قبائل بني عامر*، "أصلهم، ونسبهم، وموطنهم" وهي القبائل المتعاونة مع المحتل الاسباني في فرض هيمنته وسيطرته على مدينة وهران²، ولقد أطلق عليهم الشيخ المشرفي اسم "العرب المنتصرة" أو المتعلقة بالنصارى بلا شك ولا ارتياب³، وكما عُرِفوا أيضا بمصطلح "المغطسون" والتي تُعد في نظر البعض مارقة من الدين الإسلامي خائنة للوطن⁴، وقد قُسمت هذه القبائل إلى عدة بطون وفروع هي:

• **فرع كريشتل:** وهم فرع من بطن "زناتة" من مغراوة من أولاد راشد، ويقال لهم "كرشتل" نسبة لجدهم "كرشتل" بن محمد بن راشد المغراوي⁵، وقد بلغ تعدادهم تسعون دوارا يعملون بالبخور والخضر والتجارة، وهم فرقة ضعيفة، أصل مسكنهم حيث يصب نهر الشلف بالبحر الرومي

* **مدينة وهران:** أول من بناها وأسسها هو المغراوي خزر بن حفص بن صولا بن وزمار... سنة 392هـ، وأما تسميتها فهي مكونة من كلمتين تم دمجها وهما "واه"، "رانا"، والتي تألفت منها كلمة واحدة هي "وهران"، وتقع المدينة على السفح الشرقي لجبل المايدة (مرجاجو) الجميل الذي يحمل اسم (جبل سيدي هيدور) فوق شاطئ خليجي بحري هادئ، وعلى خط طول 8° و 2° غرب خط الصفر أو خط الزوال، أنظر: محمد بن يوسف الزباني، دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران، تح و تق: الشيخ المهدي البوعبدلي، واعتنى به: عبد الرحمان دويب، دار المعرفة الدولية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013، ص 49، وأنظر أيضا يحي بوعزيز، المرجع السابق ص 29.

¹ - تقي الدين بوكعبر، جوانب من التراث العلمي المخطوط لأسرة المشارف بمعسكر، مجلة متون العلوم الاجتماعية، الجزائر 2016، ع3، ص 215، وأنظر أيضا: عبد القادر المشرفي، المصدر نفسه، ص 11.

* **قبائل بني عامر:** هم نسبة إلى عامر بن زغبة بن ربيعة بن نهيك ابن هلال بن عامر بن صعصعة، أحد بطون هوزان بن منصور بن عكرمة بن زيد بن حفصة بن قيس ابن غيلان أصل أرضهم بجبل غزوان عند الطائف، وبنو عامر بالمغرب الأوسط ثلاثة بطون: "بنو يعقوب"، "بنو حميد"، و"بنو شافع"، أنظر: عبد القادر المشرفي، المصدر السابق، ص ص 8-9.

² - ناصر الدين سعيدوني، من التراث التاريخي...، المرجع السابق، ص 413.

³ - عبد القادر المشرفي، المصدر السابق، ص 12.

⁴ - هاشمي بن براهيم، ودان بوغفالة، القبائل المتعاونة مع الاحتلال الاسباني لوهران (1505م-1792م)، مجلة الناصرية للدراسات الاجتماعية والتاريخية، جامعة معسكر، جوان 2017، مج 8، ع1، ص 188.

⁵ - عبد القادر المشرفي، المصدر السابق، ص 13.

وكانت وظيفتهم جلب الأخبار للإسبانيين لذلك سمو بـ "المغاطيس" أو "المغطسون"¹، كما استوطنوا ساحة وهران بالقرب من "البرج الأحمر" أسفل "خندق النطاح"، وفي حالة أن سُدت الطرق البرية أمامهم، ركبوا زوارقهم ونقلوا الخضر والأخبار للإسبانيين.²

• **فرع شافع:** وهم فرع من بطونه بني عامر بن زغبة الهلالي، ويتفرعون إلى أربعة بطون هم "الشقارة" و "أولاد مطرف" و "أولاد صالح" و "أولاد بالغ"، وكان عددهم حوالي العشرين دوارا، وهم أهل نجدة وبأس وقتال، وقد تقوى بهم الإسبان ضد إخوانهم المسلمين، فكانوا عيونهم الباصرة وجنودهم القتلة الماكرة.³

• **فرع بني يعقوب:** وهم فرع من بطون بني عامر، وتنسب إليهم أرض اليعقوبية، وتتفرع فيهم خمسة عشر بطن، وهم "دوي"، و "أولاد منيع"، و "الكرائش"، و "أولاد رداد"، و "أولاد عطاف"، و "أولاد هلال"، و "أولاد غانم"، و "أولاد سعيد"، و "أولاد عثمان"، و "أولاد سليم"، و "أولاد ساسي"، و "أولاد سعيد الصغير"، و "أولاد هجر"، و "أولاد سلم".⁴

• **فرع بنو حميد:** وهم الفرع الثالث من بطون بني عامر، وأكبرهم حيث يضم ستة وستون بطنا، وقد كانوا عوناً للإسبان في شن غاراتهم على القبائل المجاورة، وسداً لحاجاتهم وأقواتهم، ومن هذه البطون نذكر: "أولاد عبيد"، و "أولاد زيان"، و "العثمانية"، و "المحاديدي"، و "العوامر"، و "أولاد معروف".⁵

• **قبيلة حميان:** وهي من أكبر القبائل بالمنطقة، وتنسب إلى الجد الأكبر "حميان" بن عقبة بن يزيد بن عيسى ابن زغبة الهلالي، وكانت مساكنهم قرب وادي "المقطع"، تضم ثلاثين دوارا يعرفون ببساتهم العظيمة، ومكائدهم في الحروب ساعدتهم على الفتك بالمسلمين بالمنطقة وهذا

¹ - حنيفي هلايلي، عملاء وجواسيس الإسبان في بايلك الغرب على ضوء كتاب بهجة الناظر، مجلة الحوار الفكري، جامعة منتوري، قسنطينة، ديسمبر 2005، ع 7، ص 144.

² - عبد القادر المشرفي، المصدر السابق، ص 14.

³ - حنيفي هلايلي، المرجع السابق، ص 145.

⁴ - عبد القادر المشرفي، المصدر السابق، ص 15.

⁵ - المصدر نفسه، ص ص 16-21.

بطبيعة الحال بعد تحالفهم مع الإسبان¹، كما اشتهروا بمساعدتهم للإسبان في بناء قلعة سانتا كروز (Santa Cruse) المعروف بقلعة "مرجاجو" فوق جبل "سيدي هيدور" المطل على مدينة وهران من الجهة الغربية، وذلك كتحصين للمدينة، وهذا عقب حملة الباشا إبراهيم الفاشلة سنة 1038هـ/1629م.²

• **قبيلة غمرة:** وهي قبيلة بربرية، وقد سكنوا بالقرب من قبيلة حميان، عدد فروعها ستة دواوير، وقد نصرُوا الإسبان نصرة شديدة.³

• **قبيلة قيزة أو جيدزة:** وينسبون إلى جدهم قيزة بن عامر من بني زغبة الهلالي، وكانت منازلهم بنواحي تارقة (عين تموشنت)، وهم ثلاثة عشر دواراً، ويُعرفون باسم "الصوص"، والملاحظ أنه عند اشتداد الحصار على الإسبان يسكنون معهم، ويقيمون في أبراجهم⁴، ما بين "برج اليهودي"، و"برج العيون"، وكانت لهم رئاسة عظيمة عند الإسبان ومحبة شديدة، وكانوا يتصفون بالأخلاق السيئة من سب للأطفال والنساء، والاطلاع على العورات ... وقد أطلق عليهم الشيخ المشرفي مصطلح "المحنشون المغطسون".⁵

• **أولاد عبد الله التالي:** وهم فرقة من بني عامر وينسبون إلى جدهم عبد الله بن سقير بن عامر، وهم من نسل عامر بن زغبة الهلالي، اشتهروا بعدم غيرتهم على الإسلام، وإنما محبتهم كانت في عبادة الأصنام، ومنهم الكافر أبو نصابية الذي قتل فقيه باي مازونة "شعبان الزناقي" عند باب وهران سنة 1098هـ/1686م⁶، وكان مسكنهم بوادي الثلاثاء من ملاتة إلى وادي مينا بلغ تعدادهم ستون دواراً، وقد تصفوا بكثرة التجوال والبطش الشديد، والمكر العتيد، والانصياع

¹ - حنيفي هلايلي، المرجع السابق، ص 145.

² - محمد بن يوسف الزباني، المصدر السابق، ص 146.

³ - عبد القادر المشرفي، المصدر السابق، ص 28.

⁴ - حنيفي هلايلي، المرجع السابق، ص 145.

⁵ - عبد القادر المشرفي، المصدر السابق، ص 29.

⁶ - ابن عودة المزاري، المصدر السابق، ص 230.

اليهود¹، وكما كانوا أشد نصحاً وإعانة للإسبان، ويقبلون أيادي اليهود والنصارى من الجهتين تشريفاً لهما، وكذا مصاهرتهم لهما.²

• **فرع أولاد علي القبيل:** وهم فرع من بطن بني عامر ينسبون إلى جدهم علي بن عامر كانوا يقيمون ببلاد "ماخوخ" اللوماني صاحب الخيمة المشهورة بـ "الثنية"، وقد اشتهروا بالظلم الشديد لأهل الكرط وإعانتهم للإسبان، وكما كان لهم أكثر من مائتي فارس يتم استغلالهم في الإغارة على المسلمين بالليل.³

• **فرع الونازرة:** وينسبون إلى جدهم ونزار بن عبد الله بن سقير، وهم فرقة ذات بأس شديد وحقد ضد المسلمين بالمنطقة، وهم نحو ستة دواوير، وكانوا يقيمون بوادي سنان بنواحي "تيموشنت" من مزارع أولاد خليفة، ثم انتقلوا مع إخوتهم أهل قيزة وسكنوا "جبال هيدرو" من نواحي "تمزوغة"، وقد اعتمد عليهم الإسبان في حماية المدينة، وأطلقوا عليهم تسمية "الصوص"، وهذا لإذلالهم وإهانتهم، وكان اليهود مكلفون بجباية الضرائب منهم.⁴

كما أشار المؤلف إلى اتباع الإسبان أسلوب تقريب القبائل وترتيبها على حساب بعضها البعض، وهذا بهدف خلق روح التنافس بينها في إطار تقديم الخدمات والولاء، حيث قدموا الونازرة على قيزة، وقيزة على حميان، وغمرة على شافع، وشافع على كرشتل، وكرشتل على أولاد علي وأولاد علي على أولاد عبد الله، وأولاد عبد الله علي بني شقران، وبني شقران على القلعية، والقلعية على الحشم، بينما قبائل هبيرة والبرجية ومجاهر، وغيرهم من القبائل فإنهم لم يدخلوا تحت لواء وطاعة الإسبان.⁵

1 - عبد القادر المشرفي، المصدر السابق، ص 145.

2 - المصدر نفسه، ص ص 31-32.

3 - حنيفي هلايلي، المرجع السابق، ص 145.

4 - المرجع نفسه، ص 145.

5 - عبد القادر المشرفي، المصدر السابق، ص 36.

بالإضافة إلى ذكره أهم دوافع وأسباب تعامل وتعاون قبائل بني عامر مع الاسبان، وهي نفسها التي قال بها الشيخ الشقراني، ومن جملتها ضعف إيمانهم¹، وكذلك الطمع في الحصول في الامتيازات والنفوذ من طرف الاسبان نظير الخدمات المقدمة، لذلك كانوا عيون العدو الذين يتطلع بهم على عورات المسلمين، وأعوانه في شن الغارات فصار أهل قيزة لصوصا، وأهل الونازرة زمالة للإسبانيين²، وكما كانت هذه القبائل تضمن بيع منتوجاتها للإسبان بسبب حاجتهم لها، وللأموال فكانوا يبيعون ويقدمون لهم التين والحطب، واللبن والعسل والضأن والمعز والخيل والبغال والحمير وكل ما يحتاجونه³، ومن بين تلك الأسباب أيضا، سيطرة الاسبان على منابع المياه والمواقع الاستراتيجية للمدينة.⁴

3-3- العنصر الثالث:

ذكر فيه المؤلف الحكم الشرعي في القبائل المتعاونة مع الاسبان والواجب تطبيقه في حق تلك القبائل الضالة، حيث قام بإصدار فتوى تُقر بتكفير تلك القبائل، والحكم عليها بالقتل، أما القبائل التائبة منها فهي واحدة في جماعة المسلمين، وهذا عكس ما ذهب إليه الفقيه أبو العباس أحمد الفلالي التلمساني في تاريخه، والذي أباح دم ومال جميع الفرق المتعاونة مع الاسبان.⁵

• **تحرير مدينة وهران الأول سنة 1708م ومصير القبائل المتعاونة:** اتبع الباي مصطفى بوشلاغم* استراتيجية عسكرية محكمة في تحرير وهران، والمتمثلة في قيامه بمحاصرة المدينة

1 - أحمد بن عبد الرحمان الشقراني، المصدر السابق، ص 63.

2 - عبد القادر المشرفي، المصدر السابق، ص 37.

3 - حنفي هلايلي، المرجع السابق، ص 145.

4 - عبد القادر فكاي، الغزو الاسباني للسواحل الجزائرية وآثاره (1505-1792)، دار هومه لطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر 2012، ص 352.

5 - عبد القادر المشرفي، المصدر السابق، ص ص 39-40.

* **مصطفى بوشلاغم:** هو الباي مصطفى بن يوسف بن محمد بن إسحاق المسراتي، تولى حكم بايلك الغرب خلفا للباي شعبان الزناقي سنة 1098هـ/1686م، من أهم أعماله تحرير مدينة وهران من قبضة المحتل الاسبان سنة 1708م، واتخاذها كعاصمة للبايلك توفي سنة 1146هـ/1734م، أنظر: محمد بن يوسف الزباني، المصدر السابق، ص 254، وأنظر أيضا: بن عودة المزاري، المصدر السابق، ج 1، ص ص 276-277.

وقطع المؤونة عن الحامية الاسبانية بها سنة 1705م، وقد زادت حدته في السنوات الموالية خاصة في عهد الداوي محمد بكداش سنة 1707م، الذي أرسل جيشا بقيادة صهره أوزن حسن عبر ميناء أرزيو¹، وقد وصلت تلك القوات إلى مدينة وهران يوم 14 جوان 1707م، وتم اسناد قيادتها العامة لحسن أوزن، وقسمت هذه القوات إلى ثلاثة فرق منهم فرقة لجأت لمحاصرة حصن العدو²، أما الفرق الأخرى فكانت مهمتها تحرير الأبراج³، وهذا ما ساهم في توالي الانتصارات على حساب القوات الاسبانية التي أصبحت عاجزة تماما عن الدفاع على أبراجها وحصونها، وهذا ما جعل الحاكم العام لوهران "الدون ملشوردي أفيلاندا" يفر عن طريق البحر إلى المرسى الكبير ثم اتجه إلى اسبانيا.⁴

هكذا تمت عملية فتح وهران سنة 1708م، وذلك بفعل تضافر جهود السلطة العثمانية المتمثلة في "الداوي محمد بكداش"، ووزيره "أوزن حسن"، والسلطة المحلية المتمثلة في الباي "مصطفى بوشلاغم"، والأهالي.

أما مصير القبائل المتعاونة، فقد انقسمت إلى ثلاث فرق، فرقة لجأت إلى حصون العدو وصارت تقاتل معه وتدافع عنه، والحكم فيها بإباحة مالها ودم رجالها مثل فرقة الونازرة، والفرقة الثانية لجأت للمسلمين وصارت تقاتل العدو، غير أنها تعمل خفية لصالح العدو، والحكم فيها أنها فرقة الزنادقة يُقتل خونتها، وفرقة تائبة، والحكم فيها أنها واحدة من جماعة المسلمين.⁵

4- المصادر والأسلوب المعتمد من طرف عبد القادر المشرفي في كتابته مؤلفه

استعان الشيخ عبد القادر المشرفي في تأليف كتابه "بهجة الناظر في أخبار الداخلين تحت ولاية الاسبانين بوهران من الأعراب كبني عامر" على حماية من المصادر سواء القديمة أو

¹ - مسلم بن عبد القادر الوهراني، تاريخ بايات وهران المتأخر أو خاتمة أنيس الغريب والمسافر، تح: رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974، ص 15.

² - عبد القادر المشرفي، المصدر السابق، ص 39.

³ - محمد بن أحمد بن علي بن سحنون الراشدي الجزائري، المصدر السابق، ص 199.

⁴ - محمد بن ميمون الجزائري، المصدر السابق، ص 238.

⁵ - عبد القادر المشرفي، المصدر السابق، ص ص 39-40.

المعاصرة لفتح مدينة وهران، ومن بين تلك المصادر : كتاب "تاريخ ابن خلدون" أو "كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر، ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر" لعبد الرحمان ابن خلدون، والذي وظفه في ذكر التعريف ببطون بني عامر، ومجيئهم إلى منطقة المغرب الأوسط خلال الفتوحات الإسلامية بالإضافة إلى كتاب "القول الأوسط في أخبار من حل بالمغرب الأوسط" للحاج أحمد الشقراني، وكتاب "فتح الطيب..." لأحمد المقرئ التلمساني ...

أما عن أسلوبه ومنهجه في التأليف، فقد اعتمد على الأسلوب السردى و الوصفى للأحداث واستعماله في كثير من المواضع الألفاظ المحلية العامية، وكما اعتمد أيضا على توظيف الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة، بالإضافة إلى توظيفه أيضا السجاع والمحسنات البديعية، وذلك بهدف تأكيد سخطه على هؤلاء العرب المنتصرة الخائنة و المتحالفة مع العدو المحتل الاسباني "بني عامر"، مستشهدا في ذلك بالأبيات والقصائد الشعرية التي قالها شعراء وعلماء المنطقة أمثال قصيدة أبو العباس سيدي أحمد بن القاضي بن سيدي عبد الله بن أبي محلى السلجماسي، وجاءت في مطلعها :

فمن مبلغ عني بني عامر لاسيما من قد ثوى تحت كافر¹

من هنا يتجلى لنا بأن الأسلوب الذي اعتمد عليه عبد القادر المشرفي في كتابه مؤلفه هو شبيه بأسلوب أقرانه من المؤلفين والعلماء في عصره، والذي يعتمد على السرد والوصف، والأخذ عن الثقة، واستخدام السجع والمحسنات البديعية، والاستشهاد بالأشعار والقصائد.

وفي الأخير تتجلى لنا قيمة وأهمية هذا الكتاب من خلال ما يتضمنه من معلومات قيمة حول المحتل الاسباني وحلفائه من قبائل العرب كبني عامر من حيث أصولها، ومناطق تواجدها ومواقفها من السلطة الحاكمة بالإيالة، وفتح مدينة وهران، وهو ما يجعله مصدرا أساسيا لكل باحث يسعى لفهم ملامح المياه الاجتماعية والسياسية ببابيك الغرب مع مطلع القرن الثامن عشر الميلادي.

¹ - عبد القادر المشرفي، المصدر السابق، ص 32.

ثالثا: مذكرات حمدان بن عثمان خوجة

تمثل مذكرات حمدان بن عثمان خوجة* التي ألفها مع مطلع القرن التاسع عشر، من أبرز الشهادات المحلية التي وثقت واقع الجزائر في مرحلة مفصلية من تاريخها، وقد تميزت هذه المذكرات بطابعها السياسي والاصلاحي، خاصة عشية الاحتلال الفرنسي للجزائر، وبذلك ساهمت في وصف التحولات السياسية والفكرية التي شهدتها إيالة الجزائر مع بدايات القرن التاسع عشر وكذا في إبراز إرهابات الوعي الوطني في مواجهة ومقاومة المحتل الفرنسي.

1- التعريف بحمدان خوجة

1-1- المولد والنشأة

هو حمدان بن عثمان خوجة من مواليد مدينة الجزائر حوالي 1189هـ/1775م¹، في عهد الداوي محمد عثمان باشا (1179هـ-1205م)، والتي تصادف حملة الكونت أوريلي الاسبانية على مدينة الجزائر سنة 1775م في عهد الملك كارلوس الثالث.²

ينتمي حمدان بن عثمان خوجة إلى شريحة الكراغلة في المجتمع الجزائري، أي أنه ولد من أب تركي الأصل وأم جزائرية³، وتعتبر عائلته من الأسر الجزائرية العريقة التي كانت تمتلك الأراضي الشاسعة سهول متيجة، والبنائات الضخمة، والمحلات التجارية في مختلف أنحاء مدينة

* **خوجة:** كلمة تركية مشتقة من الكلمة الفارسية خواجه التي تستعمل كلقب تشريفي يمنح للأعيان من الوزراء والعلماء، أما في التركية: فتعني المسجل، أو الكاتب، أو المعلم، أنظر: عبد المجيد بن نعيمة، محمد بن معمر، وآخرون، موسوعة أعلام الجزائر (1830-1954م)، منشورات م.و.د.ب في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر، 2007، ط خ، ص 122، كما اختلف المؤرخون حول سنة ميلاده لأنه ليس مضبوطا بل هو اجتهاد منهم، حيث يرى بعضهم بأن زمن ولادته هو سنة 1773م أنظر: حمدان بن عثمان خوجة، المرأة، تق وتح وتغ: محمد العربي الزبيري، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982، ط2، ص 12.

¹ - عادل نويهض، المرجع السابق، ص 213.

² - جون بول وولف، الجزائر وأوروبا 1500-1800م، تر وتغ: أبو القاسم سعد الله، عالم المعرفة، الجزائر، 2007، ص 403.

³ - محمد الطيب عقاب، حمدان خوجة رائد التجديد الإسلامي، صدر عن وزارة الثقافة، الجزائر، 2007، ص 19.

الجزائر وضواحيها¹، لذلك صنف عائلته ضمن فئة أعيان مدينة الجزائر، والتي جمعت بين الجاه، والمال، والنفوذ الإداري، والمناصب السامية في إيالة الجزائر.²

تولى خاله الحاج محمد أمانة السكة، بينما تولى والده الأمانة العامة للإيالة "مكتابجي"، وهو المشرف على الحسابات الإدارية "الميزانية"، وعلى السجلات التي تشمل أسماء ورتب، ورواتب الإنكشاريين بالإيالة، وهو ما ذكره حمدان خوجة في مذكراته: "إن هذه الوظيفة لا تقل أهمية عن وظيفة شيخ الإسلام التي يضطلع بها المفتي الحنفي الذي يعتبر الشخصية الثانية في الدولة بعد الداوي³، وقد ساعدته هذه الظروف المحيطة به على المستوى الإداري والاجتماعي في تكوين وصقل شخصيته.⁴

ينسب حمدان بن عثمان خوجة إلى سكان الحضر بمدينة الجزائر، ولقب *بالأفندي⁵، ومهما يكن فإنه قد عاصر العديد من الأحداث والوقائع التاريخية التي شهدتها العالم الإسلامي والأوروبي ولاسيما الحركات الفكرية التي أحدثت صراعا قويا بين النظم المحافظة، والنظم الليبرالية التي ظهرت آنذاك، ومن بين تلك الأحداث الثورة الفرنسية سنة 1789م، والتي كان لها الأثر القوي

¹ - حمدان بن عثمان خوجة، المرأة (لمحة تاريخية وإحصائية على إيالة الجزائر)، عربيه وقدمه وعلق عليه وفهرسه: محمد بن عبد الكريم، دار الوعي، الجزائر، 2017، ط1، ص 11.

² - محمد الطيب عقاب، المرجع السابق، ص 19.

³ - حمدان بن عثمان خوجة، المصدر السابق، ص ص 11-12.

⁴ - عبد الحميد زوزو، حمدان خوجة ومنهجه في كتابة التاريخ، مجلة الأصالة، الجزائر، أكتوبر 1971، ع4، ص 88.

* **الأفندي**: لقب يُطلق على كبار الموظفين بإيالة الجزائر، وكان يخص به الداوي المفتي فقط، ومهمته الاشراف على الحسابات الإدارية "الميزانية"، انظر: عبد المجيد بن نعيمة وآخرون، المرجع السابق، ص 122.

⁵ - عبد الحفيظ موسم، منهج الكتابة التاريخية عند حمدان بن عثمان خوجة من خلال كتابه "المرأة"، مجلة عصور جامعة الدكتور مولاي الطاهر، سعيدة، الجزائر، جوان 2023، مج22، ع01، ص 231.

على بناء شخصيته، وبروزها على المسرح السياسي والفكري¹، وبذلك أصبح أحد أبطال القومية العربية* الإسلامية.²

1-2- حياته السياسية

يُعد حمدان بن عثمان بن خوجة من رواد الحركة الوطنية الجزائرية³، فالمتتبع لمسيرته يجده أنه كان ميالا للعمل السياسي من خلال تقلده لعدة وظائف في الايالة بعد وفاة والده، كما أصبح من مستشاري الداي حسين وممن يشاركون في مجلس الديوان* بالايالة⁴، و تم انتخابه مندوبا مفوضا من طرف أعيان الجزائر الذين طالبوا المحتل الفرنسي بحقوق الجزائريين، إضافة الى الدور الذي لعبه في مجلس أعيان الايالة الذي عقده الداي حسين بعد نزول الجيش الفرنسي بسيدي فرج، ومحاصرة الأميرال دي بورمون لحصن الامبراطور من خلال تشجيعه للجزائريين والموظفين السامين بالديوان للجهاد أو الاستشهاد، وهذا ما ورد في قوله: " سنحارب إلى أن نستشهد عن

¹ - حميدة عميراي، دور حمدان خوجة في تطوير القضية الجزائرية (1827-1840م)، مطابع دار البعث، قسنطينة، الجزائر، 1987، ط1، ص61.

***القومية العربية**: ظهر هذا المصطلح مع مطلع القرن التاسع عشر مع بداية النهضة الثقافية والأدبية التي قام بها مجموعة من الكتاب والشعراء والفلاسفة العرب بهدف تحرير الشعوب العربية من وطأة الاستعمار الأوربي من خلال تعزيز مبدأ الوحدة والانتماء بين الشعوب العربية، أنظر: حنان محمد العلي، القومية العربية: تطورها، تأثيراتها وتحدياتها في عالم متغير، مجلة أوراق ثقافية، بيروت، لبنان، جويلية 2024، ع 32، ص 5.

² - عبد الرحمان بن محمد الجيلالي، تاريخ الجزائر ...، المرجع السابق، ج4، ص 253.

³ - عادل نويهض، المرجع السابق، ص 213.

* **الديوان**: كلمة ذات أصول فارسية، وهو مجلس عام بالإيالة، وتتم فيه مناقشة أمور محددة في الايالة، وكان مجلس العثمانيين الاستشاري يتكون من النبلاء والموظفين السامين، والكلمة الأخيرة للداي، وينقسم الى هيتين هما: الديوان الصغير (الخاص) والديوان الكبير (العام)، أنظر: يلماز أوزوتونا، المدخل إلى التاريخ التركي، تر: ارشد هرمزي، الدار العربية للموسوعات، بيروت، 2005، ص ص 55-66، وانظر أيضا: ناصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية ...، المرجع السابق، 219 وصالح عباد، المرجع السابق، ص 280.

⁴ - عمار بوحوش، التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1997، ص 91.

آخرنا، ومع ذلك فإذا فضل سموك وسائل أخرى، فإنه حرفي أن يعمل ما يراه صالحا، وسيجدنا عند ارادته"¹، وهذا ما يظهر لنا بأن حمدان خوجة يعتبر من الأوائل الذين دافعوا على فكرة المقاومة حتى الاستشهاد وضد المحتل الفرنسي، وعدم الاستسلام له.

رغم تلك المواقف إلا أن الأعيان وعلى رأسهم حمدان خوجة قد تأثروا بالوعود الفرنسية، لذلك كان من بين الذين رحبوا بإبرام معاهدة الاستسلام يوم 5 جويلية 1830م، وهو ما ذكره بقوله في مذكراته: " في اعتقادنا أن دولة مثل فرنسا ذات سيادة واحترام لا تسمح لها مكانتها بمخالفة هذه الشروط، أو خرق المعاهدة".²

كما تتضح مواقفه السياسية من خلال العريضة التي قدمها في 3 جوان 1833م للمارشال سولت (Soult) وزير الحربية الفرنسية، والتي ضمنها ثمانية عشر (18) بنداً تحمل في طياتها شكاوى الشعب الجزائري محررة بالعربية ومترجمة الى الفرنسية³، ومن أهم بنودها نذكر: نفي القاضي والمفتي بدون حق، الاستيلاء على الأوقاف، هدم الطرق والممتلكات، هدم جامع السيدة، وأربع مساجد، تحويل مسجد كتشاوة إلى كنيسة، وأخذ الزوايا التي كانت مقرا للفقراء، والاستيلاء على المياه الجارية، وعدم احترام الأضرحة، وتعتدي اليهود على البدو.⁴

من الملاحظ بأن حمدان بن عثمان خوجة كان من بين ضحايا المحتل الفرنسي الذين وضعوا الثقة في وعود السلطات الفرنسية وجيشها، ويبرز ذلك من خلال عدم وفاء السلطة الفرنسية الالتزام ببنود معاهدة الاستسلام، وكذا تجلي الأهداف الحقيقية للدولة الفرنسية تجاه الدولة الجزائرية وشعبها⁵، لذلك سارع أعيان الجزائر وعلى رأسهم حمدان خوجة بإعلان معارضته للمحتل الفرنسي عن طريق تشكيل لجنة وطنية سياسية عُرفت بـ "اللجنة المغاربية"، والهادفة إلى الدفاع عن

1 - حمدان بن عثمان خوجة، المصدر السابق، ص 33.

2 - المصدر نفسه، ص 163.

3 - رقية شارف، المصادر التاريخية ...، المرجع السابق، ص 118.

4 - عبد الجليل التميمي، المرجع السابق، ص ص 146-156.

5 - أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء ...، المرجع السابق، ج1، ص 72.

الشعب الجزائري وإلزام فرنسا بالوفاء والتقيد بما جاء في معاهدة الاستسلام، لذا قامت السلطات الفرنسية بطرده ونفيه، فكان أول جزائري سياسي يُطرد ويُنفى من بلده من أجل قضيته الوطنية.¹ كما تعددت مواقفه الوطنية السياسية من خلال الرسائل التي وجهها إلى السلطات الفرنسية بهدف إلزامها بتطبيق مبادئ حقوق الانسان العالمية، ومن بينها رسالته للجنة الافريقية في 26 أكتوبر 1833م.²

من هنا يتجلى لنا بأن حمدان خوجة كان من بين الدعاة الأوائل إلى قيام الحركة الوطنية بهدف المطالبة باستقلال الجزائر والوقوف في وجه المحتل الفرنسي، ويظهر ذلك من خلال مواقفه السياسية الداعية إلى الدفاع عن الجزائر وشعبها خلال مرحلة الاحتلال الفرنسي، والسنوات الثلاث التي تلتها سواء بالجزائر أو بباريس والمهجر.³

1-3- ممارسة الفلاحة والتجارة

حق حمدان خوجة نجاحا باهرا في ميدان ممارسة الفلاحة والتجارة، بحيث أصبح من أغنياء وأثرياء الايالة وذوي الشأن في مدينة الجزائر، وفي هذا يقول على نفسه: " أصبحت أحد كبراء وأغنياء المدينة"⁴، كما ذكر في مذكراته قيمة الثروة التي كان يمتلكها بقوله: " إنني كما ذكرت سابقا أحد كبار المالكين في المتيجة، وأزرع سنويا في هذا السهل ولحسابي الخاص حوالي مائة وستين حمولة جمل من القمح، وحوالي مائة أو مائة وعشرين من الشعير"⁵، وهو ما يدل على انه كان من كبار اقطاعي المنطقة في بداية القرن التاسع عشر.

1 - عادل نويهض، المرجع السابق، ص 213.

2 - رقية شارف، المرجع السابق، ص 119.

3 - عبد الملك مرتاض، أدب المقاومة الوطنية في الجزائر 1830-1962، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر، (د.ت.ن)، ج2، ص 16، وانظر أيضا: حميدة عميراوي، حمدان خوجة ...، المرجع السابق، ص 44.

4 - عبد الجليل التميمي، بحوث ووثائق في تاريخ المغرب-تونس-الجزائر-ليبيا من 1818-1871م، الدار التونسية للنشر، تونس، 1972، ص 134.

5 - حمدان بن عثمان خوجة، المصدر السابق، ص 18.

إلى جانب النشاط الفلاحي فقد عُدَّ من كبار تجار مدينة الجزائر حيث قال عنه القنصل الإنكليزي السيد سان جوهن بأنه: " أحد أهم تجار البلاد"، وقد أكد ذلك بقوله: " كنت تاجرا بالجزائر، ولي تجارة واسعة برأس مال تجاوز ثلاثمائة ألف فرنك، أتعامل بها في مدينة الجزائر وبقية أطراف البلاد"¹، وكما تحدث أيضا عن أهم المنتجات والسلع التي تاجر بها من أقمشة وبضائع تجارية وغيرها من السلع.

كما أقام العديد من العلاقات التجارية مع كل من إنجلترا وفرنسا والعالم الإسلامي، والتي تعد مصدرا هاما من مصادر ثرائه، ووسيلة من وسائل الانفتاح على العالم، والاطلاع على أنماط الحياة المختلفة من عادات وتقاليده وأنظمة سياسية التي كانت سائدة في أوروبا وآسيا الصغرى وفي الشرق الأوسط من خلال تلك الحقبة.

1-4- أهم الوظائف التي مارسها

مارس حمدان بن عثمان خوجة العديد من الوظائف الحكومية أواخر العهد العثماني بالإيالة وقد ساعدته جملة من العوامل منها الظروف الاجتماعية، وانتمائه إلى أسرة ارستقراطية إقطاعية ثرية بمدينة الجزائر، إضافة إلى مكانة والده المرموقة فكان من فقهاء مدينة الجزائر²، ومشرفاً على الحسابات الإدارية وسجلات أسماء ورتب الإنكشاريين³، بالإضافة إلى قيامه بالرحلات المتعددة الأغراض، وهذا ما ساهم في صقل شخصيته على المستوى الوطني و العالمي⁴. كما اشتغل بالتدريس، وذلك بعد إنهائه لدراسته، فخلف والده في منصبه، ودرس العلوم الدينية بمدينة الجزائر⁵.

1 - عبد الجليل التميمي، المرجع السابق، ص 134.

2 - حمدان بن عثمان خوجة، المصدر السابق، ص ص 18-19.

3 - عبد الحميد زوزو، المرجع السابق، ص 88.

4 - محمد الطيب عقاب، المرجع السابق، ص 33.

5 - حمدان بن عثمان خوجة، المصدر السابق، ص 16.

1-5- حياته العلمية

حظي حمدان خوجة برعاية فائقة وتعليم رفيع المستوى، وذلك بحكم محيطه الاجتماعي بحيث نجد جل أفراد أسرته كانوا يحتلون مراكز اجتماعية، وسياسية مرموقة بالإيالة¹، وقد تلقى تعليمه الأول على يد أباه عثمان الذي أخذ عنه مبادئ اللغة العربية ومعارف عصره من حساب وأصول الفقه، وعلم الحديث، وحفظ القرآن الكريم بمدرسة "الكتاب"²، وقد أنهى المرحلة التعليمية في سن الحادية عشر بتفوق، وكمكافئة له من والده على ذلك، فقد أرسله مع خاله إلى إسطنبول سنة 1784م.³

كما أخذ أيضا أصول الإدارة والحكم، وكل ما تعلق بالأمر السياسية عن والده الذي نمّ فيه روح الشريعة الإسلامية، وهو ما جعله متفوقاً في دراسته،⁴ وكما أخذ أيضا الأفكار الفلسفية واطلع على الحضارات القديمة كال يونانية وفلاسفتها، وهو ما ساهم في صقل شخصيته العلمية والدينية، وخاصة بعد اطلاعه أيضا على أمهات الكتب في الفكر الإسلامي.⁵

ساعدته توفر الشروط اللازمة في عهد الداوي محمد عثمان باشا من بناء للمدارس، وتشجيع للطلبة والعلماء على طلب العلم، وتنشيط الحياة الثقافية بالإيالة على صقل شخصيته العلمية والثقافية، وبذلك أصبح من أبرز الشخصيات الجزائرية خلال الحقبة المتأخرة من الحكم العثماني بالمنطقة.⁶

1 - حميدة عميراوي، دور حمدان ...، المرجع السابق، ص 70.

2 - حميدة عميراوي، حمدان خوجة ...، المرجع السابق، ص 21.

3 - حمدان بن عثمان خوجة، المصدر السابق، ص ص 12-13.

4 - ناصر الدين سعيدوني، من التراث ...، المرجع السابق، ص 490.

5 - حميدة عميراوي، دور حمدان ...، المرجع نفسه ص 70.

6 - محمد بن رمضان شاوش، الغوثي محمد، إرشاد الحائر إلى آثار أدباء الجزائر، المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر، الجزائر 2002، ج3، ص 139.

بعد انتقاله مع خاله الى إستانبول مكث هناك مدة سبعة عشر (17) سنة، أين تعلم فيها اللغة التركية على أصولها وصاحها،¹ وبعد رجوعه من الآستانة* شرع في مواصلة دراسته للمرحلتين الثانوية والعليا تحت اشراف والده،² خاصة بعد اتقانه للغة التركية نطقا وكتابة، وإلمامه بمبادئ وأفكار المذهب الحنفي.³

تبحر حمدان خوجة في علم الأصول والفروع الفقهية، والتاريخ والمنطق، وجال في عالم الفلسفة والتصوف خلال المرحلتين الثانوية والدراسات العليا،⁴ وكذا ساعدته رحلاته المتعددة الى البلدان والاقطار العربية والإسلامية، والأوربية على اكتساب معارف وثقافة واسعة خاصة في مجال الفكر السياسي الحديث، وإعجابه بالديمقراطية الأوربية، ونظام الحكم بها، والتي شبهها بمبادئ وأصول الحكم في الإسلام، وأن الفرق بينهما إلا فيما تعلق بميدان التطبيق العلمي،⁵ وهو ما أشار إليه في مذكراته بقوله: " وفي أثناء رحلتي درست مبادئ الحربية الأوربية التي تشكل أساس الحكم التمثيلي والجمهوري، ووجدت أن هذه المبادئ كانت تشبه المبادئ الأساسية لشريعتنا إذا استثنينا فارقا بسيطا في التطبيق".⁶ وكما تحدث أيضا في كتابه " اتحاف المنصفين ... " على سفره إلى باريس سنة 1820م، واحتكاكه ببعض الشخصيات السياسية في تلك الفترة، ومن بينهم لويس

¹ - حميدة عميراي، حمدان خوجة ...، المرجع نفسه، ص 21.

*الآستانة: وهي كلمة تركية معناها "عتبة السلطان" أو "مركز السلطة"، وهي المدينة التي عرفت باسم "إستانبول" أو "اسلامبول" بعد قيام محمد الفاتح عام 453م بفتح مدينة القسطنطينية عاصمة الإمبراطورية البيزنطية، والتي أصبحت فيما بعد عاصمة الخلافة العثمانية، واستمر استخدام اسم "بلاد الآستانة" الى قيام الجمهورية التركية، وانتقال مقر العاصمة إلى مدينة أنقرة، أنظر: زين العابدين شمس الدين نجم، تاريخ الدولة العثمانية، دار الميسرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان، 2010، ط1، ص 109.

² - حمدان بن عثمان خوجة، المصدر السابق، ص 13.

³ - حميدة عميراي، دور حمدان ...، المرجع السابق، ص 71.

⁴ - حمدان بن عثمان خوجة، المصدر السابق، ص 13.

⁵ - حميدة عميراي، حمدان خوجة ...، المرجع السابق، ص 23.

⁶ - حميدة عميراي، دور حمدان ...، المرجع السابق، ص 72.

— الفصل الثالث: الكتابات والمذكرات الشخصية الجزائرية خلال القرن 18م وبداية القرن 19م —

فيليب قبل أن يصبح ملكاً على فرنسا سنة 1830م، وكذا على سفريته الى اسبانياً، وبعض الامارات الإيطالية.¹ واتقانه لبعض مبادئ اللغة الفرنسية والانجليزية.² هكذا اكتسب حمدان بن عثمان خوجة ثقافة واسعة، فإلى جانب اتقانه اللغة العربية والتركية كان يبذل قصارى جهده لإتقان اللغات الأجنبية خاصة الفرنسية والانجليزية، وذلك بهدف الاطلاع على أخبار العالم بصفة عامة، والعالم العربي الإسلامي بصفة خاصة، وكما كان يستعين بصديقه الوفي حسونة الدغيز الذي كان يترجم له كل الكتب الحقوقية والقانونية المطبقة على سلوك الأمم وشؤونها.³

1-6- شيوخه

تتلمذ حمدان خوجة على يد العديد من العلماء بالإيالة، وفي مقدمتهم والده عثمان⁴ الذي أخذ عنه المبادئ الأولى في العلوم الدينية من حفظ للقرآن الكريم، وعلم الحديث، وأصول الفقه، وكذلك تلقينه أصول الإدارة والحكم، وكل ما يتعلق بالأمور السياسية،⁵ إضافة إلى خاله الحاج محمد وشيخه الذي ذكره لنا محمد بن علي مفتي المالكية⁶، وكذلك الشيخ محمد بن عبد الرحمان ممثل الطريقة الرحمانية (ت 1207هـ)، والشيخ حسين بن أحمد مفتي الحنفية (ت 1191هـ).⁷

1-7- آثاره العلمية

ترك حمدان بن عثمان خوجة العديد من الآثار العلمية القيّمة، والتي تعتبر من أهم المصادر المحلية في تاريخ الجزائر أواخر العهد العثماني، وبداية مرحلة الاحتلال الفرنسي، وتتمثل هذه

¹ - حمدان بن عثمان خوجة، اتحاف المنصفين والأدباء في الاحتراس من الوباء، تق وتحت: محمد بن عبد الكريم، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1968، ص 145.

² - حميدة عميراي، دور حمدان ...، المرجع السابق، ص 71.

³ - حمدان بن عثمان خوجة، اتحاف المنصفين ...، المصدر السابق، ص ص 28-29.

⁴ - محمد بن عبد الكريم، المرجع السابق، ص 123.

⁵ - حمدان بن عثمان خوجة، المرأة ...، المصدر السابق، ص 12، وأنظر أيضاً: ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص 490.

⁶ - محمد بن عبد الكريم، المرجع نفسه، ص 123.

⁷ - حمدان بن عثمان خوجة، اتحاف المنصفين ...، المصدر السابق، ص ص 28-29.

— الفصل الثالث: الكتابات والمذكرات الشخصية الجزائرية خلال القرن 18م وبداية القرن 19م —

الآثار في أغلبها في بعض المؤلفات والتراجم، والرسائل، الى جانب مذكرته الشخصية، وقد قام بتأليفهم في السنوات العشر الأخيرة من حياته، وهذا ما يكشف لنا جانباً من نفسيته، وهو أنه لم يلجأ الى الكتابة إلا بعد ضياع جل ممتلكاته وثرواته، ومصادرتها من طرف المحتل الفرنسي¹، ولتعويض ذلك عمل على انتهاج لون جديد يتمثل في التأليف بعد أن فشل في تحقيق مبتغاه، ومن أهم مؤلفاته نذكر:

• **المرآة:** وهو الكتاب المعتمد في الدراسة، وقد ألفه في باريس سنة 1833م، معتمداً في ذلك على مصادر ومراجع عربية وفرنسية.²

• **اتحاف المنصفين والأدباء عن الاحتراس من الوباء:** ألفه باللغة العربية سنة (1252هـ/1836م) ثم ترجمه الى التركية، وأهداه الى السلطان محمود الثاني كمحاولة لإصلاح العالم الاسلامي³، وضمنه وجوب الأخذ بمبادئ الحضارة الأوروبية في مجال الوقاية من الأمراض، وسبل المعالجة من بعضها، خاصة بعد قيامه بتجربتها سنة 1816م، والوقاية من الطاعون،⁴ وقام بتحقيق هذا الكتاب الذي نشر بالجزائر سنة 1968 الدكتور محمد بن عبد الكريم وقد تضمن مقدمة للمحقق، وثلاثة أبواب، وخاتمة وملحق.⁵

• **رسالة أسماها "حكمة العارف بوجه ينفع المسألة ليس في الإمكان أبدع":** وألفها سنة (1252هـ/1837م)⁶ حيث تناول فيها شرح قول الغزالي (ليس في الإمكان أبدع مما كان)،

¹ - تقدر ثروة حمدان خوجة قبيل الاحتلال الفرنسي بأربعين مليوناً من الفرنكات، بالإضافة الى امتلاكه الآلاف من الهكتارات الصالحة للزراعة في سهل متيجة، انظر حمدان بن عثمان خوجة، المرأة...، المصدر السابق، ص 18، وانظر أيضاً: ناصر الدين سعيدوني، النظام المالي...، المرجع السابق، ص 488.

² - حميدة عميراي، دور حمدان...، المرجع السابق، ص ص 74-75.

³ - رقية شارف، المصادر التاريخية...، المرجع السابق، ص 92، وانظر أيضاً: عادل يهض، المرجع السابق، ص 213.

⁴ - حميدة عميراي، حمدان خوجة...، المرجع السابق، ص 25.

⁵ - محمد الطيب عقاب، المرجع السابق، ص ص 25-26.

⁶ - محمد بن عبد الكريم، المرجع السابق، ص 133.

— الفصل الثالث: الكتابات والمذكرات الشخصية الجزائرية خلال القرن 18م وبداية القرن 19م —

وتضمنت اختصار لبعض أفكار الامام الغزالي، وهي محفوظة في إحدى مكتبات اسطنبول، ولم تحقق بعد، ويظهر من خلالها تأثره الكبير بأفكار الإمام الغزالي.¹

• ترجمة كتاب "نور الايضاح ونجاة الأرواح": لشيخ الشرنبلالي* الحنفي (1585-1659)

ترجمها من اللغة العربية الى التركية سنة 1839م، وأسمها "إمداد الفتاح"، وهي في الفقه الحنفي.²

• مخطوط ضخيم يتكون من 228 ورقة (456 صفحة) انتهى من تأليفه سنة

(1249هـ/1833م)، وقد استغرق مدة ثلاث سنوات في تأليفه، وهي المدة التي قضاها في باريس

تقريباً.³

• ستار الاتحاف: وهي ترجمة تركية لكتاب "اتحاف المنصفين ..."⁴

• مذكرة مقدمة للجنة الافريقية (la comission d'Afrique): سنة 1833م⁵، وتعتبر الوجه

الثاني لكتاب "المرآة"، وتحتوي على قضايا هامة من خلال وصف طبيعة سكان الجزائر

واضطهادهم من طرف السلطة الفرنسية⁶، وقد ترجمها محمد العربي الزبيري تحت عنوان: "

مذكرات أحمد باي، وحمدان خوجة وبوضربة"، وطبعت الطبعة الثانية منها بالجزائر سنة

1981م.⁷

¹ - حميدة عميراي، دور حمدان ...، المرجع السابق، ص 76.

*الشيخ الشرنبلالي: هو فقيه حنفي تلقى تعليمه بالجامع الأزهر بمصر، له مؤلف مشهور بعنوان " غنية ذوي الأحكام في بغية دور الحكام" طبع بمصر سنة 1877، انظر: لويس معلوف، المنجد في اللغة والأعلام، قسم الاعلام، دار المشرق، بيروت، لبنان 1986، ط2، ص 193

² - رقية شارف، المرجع السابق، ص 92.

³ - حميدة عميراي، المرجع نفسه، ص 78.

⁴ - عادل نويهض، المرجع السابق، ص 214.

⁵ - رقية شارف، المرجع نفسه، ص 93

⁶ - حميدة عميراي، المرجع السابق، ص 79.

⁷ - رقية شارف، المرجع السابق، ص 93

•رسالة: وتتضمن الرد على من انتقد آراؤه في "المرأة" وأسماها بـ "جواب عن الرد على تأليف

حمدان خوجة".¹

•رسالة إلى اللجنة الافريقية، والتي حررها بباريس في 26 أكتوبر 1833، وتم حفظ نصها

بالأرشفيف الفرنسي تحت رقم: 980، ثم قام بنشرها جورج ايفر (G. yver) بالمجلة الإفريقية سنة 1913 من أرشفيف الجزائر.²

2- التعريف بكتاب "المرأة" لحمدان بن عثمان خوجة

تم تأليف كتاب "المرأة"، وهو لمحة تاريخية وإحصائية على إيالة الجزائر من قبل حمدان بن عثمان خوجة باللغة العربية بباريس سنة 1833م، والذي ترجم إلى الفرنسية من طرف صديقه ورفيقه حسونة دغيز (دغيس) وزير الخارجية للحكومة الطرابلسية³ تحت عنوان: " لمحة تاريخية وإحصائية عن إيالة الجزائر " "Aperçu Historique et Statistique sur la régence d'Alger" وقد صدر شهر أكتوبر 1833 بباريس⁴، قام بترجمته للعربية وتحقيقه الباحثين الجزائريين هما:

• ترجمة الأستاذ محمد بن عبد الكريم سنة 1972م، وهي ترجمة كاملة لمحتويات الكتاب بما فيها الوثائق التي ضمنها المؤلف في كتابه، والتي جاءت على شكل قسم ثالث ضمن الكتاب وقد نشرت من قبل دار مكتبة الحياة ببيروت بلبنان.

• ترجمة الأستاذ محمد العربي الزبيري، وبتر منها القسم الثالث، ونشرت من طرف الشركة الوطنية للنشر والتوزيع بالجزائر سنة 1975م.⁵

يعتبر هذا الكتاب من أهم المصادر المحلية في تاريخ الجزائر بداية القرن 19م، وهو من بين الوثائق المهمة التي وثقت لنا الفترة الحرجة التي سبقت وأعقبت الاحتلال الفرنسي للجزائر سنة

¹ - محمد بن عبد الكريم، المرجع السابق، ص ص 139-141.

² - محمد الطيب عقاب، المرجع السابق، ص ص 35-36.

³ - حمدان بن عثمان خوجة، المصدر السابق، ص ص 9-10 (تع وتقا: محمد بن عبد الكريم)

⁴ - المصدر نفسه، ص 43 (تع وتقا: محمد العربي الزبيري)

⁵ - محمد الطيب عقاب، المرجع السابق، ص 32.

— الفصل الثالث: الكتابات والمذكرات الشخصية الجزائرية خلال القرن 18م وبداية القرن 19م —

1830م من خلال تسليط الضوء على الأحوال السياسية والاجتماعية والاقتصادية بالجزائر أواخر العهد العثماني.

يحتوي مذكرات حمدان بن عثمان على ثلاثمائة وخمسة وسبعين صفحة، وهو مقسم إلى:

• مقدمة الكتاب، ومقدمة المؤلف.

• الكتاب الأول: وضم ثلاثة عشر فصلا.

• الكتاب الثاني: واشتمل على اثني عشر فصلا.

• قسم خاص بالوثائق في الشكاوى والاحتجاجات والبراءات.

وهذا حسب النسخة المترجمة الى العربية من طرف الدكتور محمد بن عبد الكريم.¹

3- المحتوى العام لكتاب "المرآة"

يعد كتاب "المرآة" من بين المصادر المحلية خلال الفترة الحديثة، فهو يقدم لمحة تاريخية وإحصائية لإيالة الجزائر بداية القرن 19م، والتي تناول فيها مؤلفه حمدان بن عثمان خوجة الفترة التي سبقت واعقبت الاحتلال الفرنسي للجزائر سنة 1830م، باعتباره شاهد عيان على تلك الأحداث، ومعاصرا لها.

قسم حمدان بن عثمان كتابه "المرآة" أو ما أسماه "لمحة تاريخية وإحصائية على إيالة الجزائر" إلى ثلاثة أقسام ومقدمة.

3-1- مقدمة:

ضمت تساؤلا على أوضاع الجزائر قبل وبعد الغزو الفرنسي لها، محاولا فيها لفت الرأي العالمي للأوضاع المزرية التي تعرض لها أبناء الشعب الجزائري بعد الاحتلال الفرنسي من اضطهاد ووحشية وكذا كشف الفوارق الشاسعة في المعاملة بين أبناء وطنه المسلوب، وبين شعوب العالم الذين لبسوا ثوب العدالة الإنسانية ومظاهر الحرية والديمقراطية، مختتما إياها بتعليق رجائه

¹ - حمدان بن عثمان خوجة، المصدر السابق، ص 373-375 (تع وتقا: محمد بن عبد الكريم)

على ذوي الإحساس الإنساني وأصحاب الضمائر الحية من شعوب العالم بالاهتمام بالمسألة الجزائرية لأنها مسألة خطيرة تخص حياة أمة بأجمعها.¹

3-2- القسم الأول:

ويشتمل على ثلاثة عشر فصلا، وقد تناول فيها المواضيع التالية:

• **الفصل الأول:** وجاء تحت عنوان "البدو وأصلهم"، حيث قام بتقسيمهم إلى نوعين "العرب" و

"البربر" معتمدا في ذلك على اختلاف لغتهم.

• **الفصل الثاني:** وعنوانه بـ "طبائع البربر وعاداتهم" من خلال ذكر الملابس "البرنس والحايك"

وكذا المأكّل "خبز الشعير وزيت الزيتون"، واحتفالاتهم بقدوم عيد الأضحى.

• **الفصل الثالث:** وهو جزء تابع لما تعلق بطبائع وعادات البربر وأخلاقهم.

• **الفصل الرابع:** وجاء بعنوان "سكان السهول: طبائعهم وعاداتهم"، وقد قسم سكان السهول

إلى قسمين: "أهل الصحراء الرملية"، و "أهل التل"، وهم من أصل عربي، وكما تناول جل طبائعهم وعاداتهم، وعلاقتهم بالسلطة الحاكمة خاصة ما تعلق بدفع الضرائب.

• **الفصل الخامس:** تناول في هذا الفصل كل ما تعلق بمتيجة* وأخلاق سكانها وعاداتهم،

وكذا ذكره الجنرال كلوزيل* ومحاولته جعل متيجة جزيرة في وسط القارة الواسعة.

¹ - حمدان بن عثمان خوجة، المصدر السابق، ص ص 45-46 (تع وتيق: محمد العربي الزبيري)

* **متيجة:** مصطلح طبوغرافي يعني مجموعة السهول "السهل الفسيح" حيث يمتد على مسافة 120 كم من الغرب الى الشرق و50 كلم من الشمال إلى الجنوب، يتميز بتنوع تضاريسه التي جمعت ما بين كتل السهول المعروفة بأحواز مدينة الجزائر "دار السلطان"، والمرتفعات الجبلية المتصلة بسلسلة الأطلس التلي المحاذية لبابك التيطري، أنظر: نور الدين غرداوي، أعراش وقبائل متيجة ودورها في المقاومة الوطنية بداية الاحتلال الفرنسي، مجلة متيجة للدراسات الإنسانية، الجزائر، ديسمبر 2015، ع 4، ص 103.

* **الجنرال كلوزيل:** ولد يوم 12 ديسمبر 1772م في ميريبوا بفرنسا، تولى عدة وظائف منها تعيينه من طرف الحكومة الفرنسية كحاكم عام على الجزائر لمرتين، الأولى من 12 أوت 1830م إلى 21 فبراير 1831م، والثانية ما بين أوت 1835 إلى غاية فبراير 1837م برتبة مارشال، وهو صاحب سجل حافل بالجزائر البشعة في حق الشعب الجزائري، توفي في 21 أبريل 1842م بسكوريو بمنطقة قارون العليا، أنظر: مراد قبّال، المقاومة المسلحة في إقليم متيجة (مدينة البليدة أنموذجا) 1830-1842، مجلة متيجة للدراسات الإنسانية، الجزائر، ديسمبر 2016، ع 06، ص 113.

• **الفصل السادس:** أسماه — " سكان القسم الغربي"، وقد ذكر فيه أهم مدن القسم الغربي "تلمسان، المدينة، مليانة، وهران، معسكر" بالإضافة إلى ذكر كل ما تعلق بأصول سكانه وعاداتهم وتقاليدهم وأخلاقهم، وكذا أوصافهم.

• **الفصل السابع:** تعرض في هذا الفصل إلى كل "ما يخص مدينة الجزائر" بحيث ذكر الطبقات أو الفئات الاجتماعية بمدينة الجزائر من "أندلسيين، أتراك، وكراغلة، والسكان المحليين..." ومميزاتهم وطبائعهم الأخلاقية وأهم العلوم المنتشرة بها.

• **الفصل الثامن:** وجاء بعنوان " حكومة الأتراك نظامهم وأصلهم" وقد تحدث في كيفية إيالة الجزائر بالخلافة العثمانية، وكذا ذكره لأهم أسواق مدينة الجزائر ومساجدها "الجامع الكبير ومسجد القصبة"، وكذلك ما تعلق بأصول لأتراك، وكيفية تسييرهم للإيالة، وجمعهم للضرائب، وأهم الوسائل المستعملة في فرض الأمن بالإيالة.

• **الفصل التاسع:** تناول فيه "كيفية تجهيز سفن القراصنة* وتسجيلهم، وطرق وتوزيع الغنائم وتنظيم الجيش ورجال الديوان*", حيث عملت حكومة الجزائر على وضع نظام بصري يقوم على حرفة الجهاد البحري، والتي يستطيع بفضلها البحارة إلى الارتقاء حتى درجة أميرال، والمشاركة في المجالس التي تنظر في أمور السلم والحرب،¹ بالإضافة إلى تبيان كيفية توزيع الغنائم المتحصل عليها من الغزوات البحرية، وكذا أهم الرتب العسكرية التي يمكن للجنود أن ينالوها

* **القراصنة:** وهي كلمة إيطالية تعني لصوص البحر، أنظر حمدان بن عثمان خوجة، المصدر السابق، تق وتحت: محمد بن عبد الكريم، ص 90، وقد أطلق هذه الصفة الأوربيين على الجهاد البحري الذي كان يقوم به سكان شمال إفريقيا بالبحر المتوسط ضد القراصنة الأوربيين وغيرهم، انظر، حمدان بن عثمان خوجة، المصدر نفسه، تق وتحت: محمد العربي الزبيري، ص 117.

* **الديوان:** هو موضع لفظ لحفظ ما يتعلق بحقوق السلطة من الأعمال والأموال، وبما يقوم بها من الجيوش والعمال وكما تكمن أهمية الديوان في مساعدة الداي في أداء مهامه الإدارية، وكذا قسم إلى هئتين هما: الديوان الصغير (الخاص)، والديوان الكبير (العام)، أنظر نورة بنت عبد الله البقمي، الديوان الهمايوني في الدولة العثمانية، رسالة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، 2010، ص 22، وانظر أيضا: زوليخة سماعيل، المولودة علواش، تاريخ الجزائر من فترة ما قبل التاريخ إلى الاستقلال، دار أرزيو أنفو، الجزائر، 2013، ط1، ص 254.

¹ - حمدان بن عثمان خوجة، المصدر نفسه، ص 118.

ضمن النظام العسكرية "بولوكباشي، أوداباشي، يولداباشي"، مختتما هذا الفصل بذكر شروط الانخراط في سلك الديوان واختصاصاته.

• **الفصل العاشر:** جاء بعنوان "الداي" وحكومته وعوائد مختلفة"، وقد تناول في هذا الفصل سلطة الداي بالإيالة "مهامه واختصاصاته"، وجل التنظيمات الإدارية والمؤسسات العاملة بالإيالة التي تسهر على استتابة الأمن وصيانة النظام "الديوان الصغير والديوان الكبير، وأمناء المهن والحرف والموظفون السامون"، بالإضافة إلى ذكر مصادر بيت المال "الخزانة العامة" ومصادر الانفاق، والعوائد المختلفة "الضرائب والدنوش ومراجل جمعها، وكيفية تقديمها لداي والعادات المتبعة في ذلك.¹

• **الفصل الحادي عشر:** تناول فيه تحديد رسوم وقوانين الأراضي وكيفية قبض الضرائب وجمعها حيث تحدث عن أنواع الأراضي بإيالة الجزائر (أراضي الخراج)*، والمقدار المفروض عليها من الضرائب والمقدر بالعشر أو الجزء من عشر الإنتاج، ويعتبر العشور من الضرائب الشرعية المباشرة التي تمس أراضي الملكية الخاصة والخاضعة لمراقبة البايلك الفعلية² مع تحديد كيفية فرض وجمع وقبض تلك الضرائب سواء في العهد العثماني أو خلال الحقبة الاستعمارية، والتي شملت جل مقاطعات الإيالة "قسنطينة والتيطري..."³

• **الفصل الثاني عشر:** وجاء بعنوان "أسباب تلاشي حكومة الأتراك وزوالها"، ومن خلاله أبرز أهم أسباب سقوط وانحطاط حكومة الأتراك بإيالة الجزائر، والتي عددها فيما يلي: " جمع

*الداي: لفظ الداي بالتركية يعني الخال، وأطلق هذا المصطلح على حكام الجزائر، انظر: عثمان الكعاك، موجز تاريخ العام للجزائر من العصر الحزري الى الاحتلال الفرنسي، تق ومر: أبو القاسم سعد الله وآخرون، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 2003، ص 291.

¹ - ناصر الدين سعيدوني، النظام المالي ...، المرجع السابق، ص 88.

*أراضي الخرج: هي الأراضي التي فتحها المسلمون عنوة أو بحد السيف، وبقي أهلها بها بعد الاتفاق مع الفاتحين، أنظر: حمدان بن عثمان خوجة، المصدر السابق، ص 113.

² - ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص 88.

³ - حمدان بن عثمان خوجة، المصدر السابق، تق وتنع: محمد العربي الزبيري، ص 146.

المجندين من أزميز دون اتباع الطرق القديمة في ذلك"، الاغتيالات "مقتل الداوي مصطفى" * المؤامرات الداخلية والجرائم السياسية، تهمة الكراغلة والسكان المحليين من تقلد المناصب العليا بالبلاط العثماني، اليهود أمثال بكري وأخوه ميخائيل، المجاعة مثل مجاعة 1800م.¹

• **الفصل الثالث عشر:** وهو آخر فصول القسم الأول "الكتاب الأول"، وقد تناول فيه الشؤون الداخلية للإيالة مع تقديم بعض الملاحظات حول حسين باشا باعتباره آخر دايات الجزائر، وقد تطرق فيه إلى ذكر الأحوال السياسية بإيالة الجزائر وأواخر الحقبة العثمانية، ونظرته إلى شخصية الداوي حسين * ومواقفه الرسمية خاصة فيما يتعلق بالتزامه وعدم نقضه للمعاهدات الدولية، وكذا محاولة تبرير قضية حادثة المروحة والنواحي الخفية منها كمحاولة القنصل دوفال وحكومته الاستيلاء على الأموال بدل إرجاعها، وكما أرجع أسباب الحرب الاحتلال إلى خيانة حاشية الداوي له، وللإيالة وهذا لعدم امتلاكهم المبادئ والتجارب الحربية والشجاعة.²

3-3 - القسم الثاني:

يعد الكتاب الثاني والذي اشتمل على اثني عشر فصلا كانت عناوينها كالتالي:

• **الفصل الأول:** تناول فيه الحرب وأسبابها " أين أرجع الأسباب الأساسية للاحتلال الفرنسي للجزائر إلى مطالبة الحكومة الجزائرية من الحكومة الفرنسية بتسوية مسألة الديون * العالقة بين

* **مقتل الداوي مصطفى:** تولى الحكم سنة 1798، وتم اغتياله يوم 30 أوت 1805م بعد المؤامرة التي قام بتبديرها له خوجة الخيل أحمد، أنظر: محمد بوشنافي، المرجع السابق، ص 171.

¹ - حمدان بن عثمان خوجة، المصدر السابق، ص 160

* **حسين باشا:** تولى حكم إيالة الجزائر خلفا للداوي علي خوجة "1817-1818م" سنة 1818م، وكان يشغل منصب خوجة الخيل، واستمر بذلك إلى غاية سقوط مدينة الجزائر بيد الاحتلال الفرنسي سنة 1830م، بعد توقيع لمعاهدة الاستسلام يوم 5 جويلية 1830م، أنظر: ناصر الدين سعيدوني، موظفو الإيالة الجزائرية في أوائل القرن 19 صلاحياتهم الإدارية، مهامهم الاقتصادية والاجتماعية، مجلة المؤرخ العربي، بغداد، 1987، ع 31، ص ص 173-174

² - ياسين بودريعة، شخصية الداوي حسين بين كتاب المرأة ومذكرات الشريف الزهار (1818-1830)، مجلة تاريخ العلوم العربية حلب، سوريا، جوان 2020، مج5، ع 13، ص 162.

* **مسألة الديون:** تعود جذورها إلى فترة قيام الثورة الفرنسية 1789م، وذلك بعد نجاح القنصل الفرنسي فالير في كسب ثقة الداوي وحصوله على إذن لشحن كمية كبيرة من الحبوب، وكذا الحصول على مبالغ وقروض كبيرة من أجل شراء القمح من طرف الحكومة الجزائرية، أنظر: محمد خير فارس، المرجع السابق، ص 135.

الدولتين وموقف القنصل الفرنسي من ذلك "دوفال" وعدم وفائه بالوعد الذي قدمه إلى الداوي حسين والتاجر اليهودي "بكري" بتسوية المسألة بالإضافة إلى حادثة المروحة^{*}، وإطلاق المدافع الجزائرية النار على سفينة لابروفانس (la Provence) الفرنسية، وانتهاك الهدنة الموقعة بين الطرفين، والتي يرى فيها حمدان بن عثمان خوجة بأنها من الأسباب الرئيسية للحرب والتعجيل في تخريب البلاد.¹

• الفصل الثاني: وجاء بعنوان "الحديث عن وصول (الجيش الفرنسي) إلى 'سيدي فرج' "

بحيث تحدث في هذا الفصل عن أهم الاستعدادات الجزائرية لمواجهة الحملة الفرنسية، والمتمثلة في تحصين جميع المدن الساحلية "وهران وعنابة"، وقد أسندت قيادة الدفاع عن مدينة الجزائر إلى صهر الداوي حسين الأغا إبراهيم، والذي لم يكن يمتلك الخبرة العسكرية حسب ما ذكره حمدان خوجة، وكما تناول وصول الحملة إلى ميناء سيدي فرج ونزول القوات الفرنسية بقيادة المشير "د بورمون" به، وكذلك تناول مقاومة سكان متيجة للحملة، ومعركة "اسطاوالي"، وفشل الجيش الجزائري في صد العدوان الفرنسي، واستسلام الداوي حسين وتوقيعه لمعاهدة الاستسلام في 5 جويلية 1830م، والتي ضمت العديد من البنود التي لم تحترمها فرنسا فيما بعد.²

• الفصل الثالث: تطرق حمدان خوجة في هذا الفصل إلى مجموعة من الحوادث المفصلة

التي صحبت دخول الجيش الفرنسي لمدينة الجزائر معنونا ذلك بـ "حوادث مفصلة عن جميع ما قد مر أثناء دخول المشير (بورمون) إلى الجزائر، ومنها قسم مجهول في فرنسا لا ريب في ذلك" و مغادرة الداوي حسين لمدينة الجزائر متوجها إلى مدينة نابولي ثم مدينة الإسكندرية على متن سفينة

* حادثة المروحة: وقعت أحداثها يوم 29 أبريل 1827م، وكانت الذريعة التي اتخذتها فرنسا لإعلان الحرب على الجزائر، أنظر: حسين عبد الهادي، الحصار البحري الفرنسي وسقوط الجزائر (1827-1830)، دورية كان التاريخية الالكترونية، 1 مارس 2017، ج10، ع 35، ص ص 54-59.

¹ - حمدان بن عثمان خوجة، المصدر السابق، تق وتع: محمد عبد الكريم، ص 146.

² - شوقي عطا الله الجمل، المغرب العربي الكبير في العصر الحديث، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1988، ص 261 وأنظر أيضا: حمدان بن عثمان خوجة، المصدر نفسه، ص 163.

"جان دارك"¹ وكذا قضية اختطاف وسرقة الدفاتر والسجلات من دور المحفوظات "سجل المکتابجي"، وكذلك سرقة الصناديق والأموال من دار السكة، ومن بين الحوادث التي تناولها أيضا تعهد الجنرال دي بورمون لجميع السكان بأن التواجد الفرنسي للمنطقة لن يدوم سوى ستة أشهر.

• الفصل الرابع: جاء بعنوان "الاحتلال العسكري والظلم المرتكب بسببه"، ومن بين القضايا

المذكورة قضية استيلاء قادة الجيش الفرنسي على منازل وقصور أعيان البلاد بمدينة الجزائر منها استيلاء القائد "لوفيردو، Loverdo" على منزل إبراهيم آغا، والذي عمل على المحافظة عليه.

• الفصل الخامس: تناول فيه "البايات إبان الغزو الفرنسي" وشمل هذا الفصل موقف السكان

من البايات* خاصة ببابيك الغرب والتيطري بعد وصول خبر عقد معاهدة الاستسلام مع الفرنسيين وسقوط العاصمة أين بدأت مظاهر العصيان والخروج عن طاعتهم تلوحوا بالأفق، بالإضافة إلى انتشار مظاهر السلب والنهب والاستيلاء على جميع الثروات الحيوانية والزراعية، بينما نجد النفاق وتحاد السكان ببابيك الشرق مع زعيمهم أحمد باي* في مواجهة العدوان الفرنسي، وكذا اجتماع السكان من عرب وقبائل ومرابطين حول مدينة الجزائر والدعوة إلى الوحدة الشاملة مع تناسي الأحقاد بينهم من أجل الوقوف في وجه الفرنسيين ومنعهم من نهب الممتلكات خاصة بمنطقة متيجة.²

¹ - محمد بوشنافي، الداوي حسين سقوط الايالة الجزائرية 1818-1830، مجلة العصور، الجزائر، 2005، ع7، ص 106 وانظر أيضا: حمدان بن عثمان خوجة، المصدر السابق، ص 164.

* الباي: هو الأمير أو ما يساويه في السلطة مع اختلاف مقومات سلطته عن الأمير في الإمارة المستقلة وهو حاكم المقاطعة "الولاية"، أنظر: خليفة حمّاش: أهمية المصطلحات التركية في دراسة التاريخ والحضارة الإسلامية، منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، تونس، 1997، ج1، ص 169.

* أحمد باي: هو الحاج أحمد باي من أسرة كرغلية ولد سنة 1786م، وتوفي سنة 1850م، تولى منصب باي لبابيك الشرق قسنطينة لسنة 1826م إلى غاية 1830م، ثم قاد المقاومة بالشرق ضد المحتل الفرنسي "1832-1848"، أنظر: أحمد باي مذكرات أحمد باي وحمدان خوجة وبوضربة، تق: محمد العربي الزبيري، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1981، ص 6 وانظر أيضا: بوعزة بوضارسية، الحاج أحمد باي الشرق الجزائري رجل دولة ومقاومة (1830-1848)، دار الحكمة، الجزائر 2010، ص 344، وكذا، عمار عمورة، المرجع السابق، ج1، ص 280.

² - حمدان بن عثمان خوجة، المصدر السابق، تق وتو: محمد العربي الزبيري، ص ص 225-226.

• **الفصل السادس:** تناول فيه المؤلف إدارة المارشال "المشير دي بورمون" بالجزائر، وما صاحبها من مظاهر التعسف والمظاهر والظلم والجور في حق الشعب الجزائري، خاصة فيما تعلق بعدم احترام بنود معاهدة الاستسلام الموقعة مع الداي حسين "طرد الأتراك" بحجة التأمر ضد الإدارة الفرنسية بالجزائر، وكذا اشتغال الإدارة بنهب الخزينة، وممتلكات الجزائريين وثرواتهم.

• **الفصل السابع:** جاء بعنوان "حوادث دور الأسلحة والاحتلال الفرنسي"، أين تطرق فيه إلى ذكر أهم الأحداث والوقائع التي صاحبت الاحتلال الفرنسي للجزائر، ومن بين تلك الأحداث نهب السفن التجارية بالموانئ الجزائرية من طرف الجيش الفرنسي، وكذا تناول قضية تنازل الجزائريين على جل ممتلكاتهم وعقاراتهم للسلطة الفرنسية، وبأسعار بخسة، وبطرق غير شرعية كالمصادرة.

• **الفصل الثامن:** تطرق فيه لسيطرة الكولونات وضباط الجيش الفرنسي على جل قصور وحدائق وممتلكات ملاك مدينة الجزائر، وإجبارهم على المغادرة منها والهجرة نحو المناطق المجاورة، وكما تحدث عن مراسلة المارشال دي بورمون لباي وهران حسن بن موسى* يطلب منه الاستسلام لفرنسا، وتلبية الباي لذلك، وإعلان ولاؤه للفرنسيين، وقطع علاقاته الودية مع جميع سكان وقبائل بايلك الغرب.

• **الفصل التاسع:** تناول فيه شخصية باي التيطري الباي مصطفى أبو مزراق* وعلاقته بالأهالي وبايات البايلاكات الأخرى "وهران وقسنطينة"، وكذا الإدارة الفرنسية بعد سقوط العاصمة

* **المارشال دي بورمون:** هو لويس أوغست فيكتور دي بورمون ولد سنة 1773م، وتوفي سنة 1846م، قائد الحملة الفرنسية على إيالة الجزائر سنة 1830م، وموقع معاهدة الاستسلام مع الداي حسين في 5 جويلية 1830، أنظر: أديب حرب، التاريخ العسكري والإداري للأمير عبد القادر، دار الرائد، الجزائر، 2005، ج1، ط3، ص 48.

* **الباي حسن بن موسى :** هو آخر بايات بايلك الغرب الجزائري في العهد العثماني "وهران" ما بين (1827-1831) قام بتسليم مفاتيح مدينة وهران للفرنسيين في 4 جانفي 1831م، وانتقل بعدها إلى الإسكندرية ولا توجد معلومات حول ميلاده أو مماته، أنظر يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص 131.

* **مصطفى أبو مزراق:** هو باي بابيلك التيطري تولى قيادته ما بين (1819-1830)، وبعد سقوط العاصمة أبقاه الفرنسيون بايا على التيطري، لكنه سرعان ما أعلن الحرب عليهم بعد اصطدام المصالح، وبعد فشل مقاومته انتقل إلى الجنوب، ولما وصله عهد الأمان من كلوزيل أعلن استسلامه للسلطات الفرنسية وهاجر إلى الإسكندرية إلى أن وافته المنية، أنظر: أبو القاسم سعد الله الحركة الوطنية الجزائري (1830-1900)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1992، ج1، ص 38.

ومحاولته إعلان نفسه كحاكم وادي على الإيالة، وكيفية استسلامه للقائد كلوزيل، وترك المجال لمصطفى بن عمر لقيادة بايلك التيطري بعده.

• **الفصل العاشر:** وجاء بعنوان "إدارة الجنرال كلوزيل* وحملاته ضد المدينة والبليدة مع نسخة المعاهدات"، حيث تناول فيه العوامل المؤدية إلى سقوط مدينتي البليدة والمدينة في يد القائد كلوزيل الذي عمل على سيطرة قواته على مدينة البليدة في 18 نوفمبر 1830.¹ ثم تطرق إلى الحملة التي وجهها الجنرال كلوزيل للمدينة بهدف السيطرة عليها وما صاحبها من ردود الأفعال "ثورة ابن زعموم والحاج سيدي السعدي"²، وكما تحدث عن إدارة القائد كلوزيل كحاكم عام للإيالة خاصة فيما تعلق بجمع الضرائب والسيطرة على الأوقاف وعدم احترام بنود معاهدة الاستسلام "أوقاف الحرمين الشريفين"، وكما أشار إلى تعسف الإدارة الفرنسية في تعاملها مع أوقاف الجزائريين خاصة في عهد القائد الفرنسي "بيرتهوازن" والسيدان "بيشون" والدوق "دورفيغو" إضافة إلى ذلك فقد أورد أهم شروط المعاهدة التي تم إبرامها بين السلطات الفرنسية وبايات تونس لإدارة بايلك الغرب بقيادة أحمد باي، وكذا الاتفاق على قيمة الضرائب المفروضة على مقاطعة قسنطينة، والتي تم التوقيع عليها في يوم 18 أكتوبر 1830 بمدينة الجزائر.³

• **الفصل الحادي عشر:** وتحدث فيه عن الأوقاف، والتغيرات التي تعرضت لها تلك المؤسسات والمحاكم التي تنتظر في شؤونها أثناء ولاية الجنرال كلوزيل، ومن بين تلك الممارسات

* **القائد كلوزيل:** هو جنرال فرنسي (1772-1843م) تولى منصب القائد الفرنسي لجيش افريقيا في 2 سبتمبر 1830 إلى غاية 1831، استولى على العديد من المدن الجزائرية "البليدة" ثم عين حاكما عاما من 8 جويلية 1835 إلى غاية 12 جانفي 1837م أنظر: محمد عيساوي ونيل شرخي، الجرائم الفرنسية في الجزائر أثناء الحكم العسكري (1830-1871)، مؤسسة شطبي للنشر والتوزيع، بوزريعة، الجزائر، 2015، ص 275، وانظر أيضا: بوعزة بوضارسية وآخرون، الجرائم الفرنسية والابادة الجماعية في الجزائر خلال القرن 19م، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة نوفمبر 1954، الجزائر، 2007، ص 41.

¹ - الغالي غربي وآخرون، العدوان الفرنسي على الجزائر الخلفيات والابعاد، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة نوفمبر 1954، دار هوم، الجزائر، (د.ت.ن)، ص 137.

² - إبراهيم مياشي، مقاربات في تاريخ الجزائر (1830-1962)، دار هوم للنشر والطباعة والتوزيع، الجزائر، 2007، ص 58.

³ - حمدان بن عثمان خوجة، المصدر السابق، تق وتغ: محمد العربي الزبيري، ص 268.

التعسفية حسب حمدان خوجة قيام الجنرال كلوزيل بالسيطرة على جل الأوقاف، وتهديم المساجد وتحويلها إلى ثكنات ومستشفيات للجيش، وكذا تهديم المكتبات والاستيلاء على الكتب وبالتالي إطفاء نور العلم والحضارة مع السماح بنهب المقابر والاتجار بالعظام البشرية بالإضافة إلى هدم محلات سوق الصباغين وأسواق بيع الكتان والملابس المنسوجة والحبال الحربية مع إقرار أمر بتوسيع الطرقات وتجميل وصيانة المدينة، وهذا بعد الاستماع إلى اللجنة المكلفة بمصلحة الطرقات وذلك بمقر القيادة بالجزائر يوم 29 أكتوبر 1830.¹

• **الفصل الثاني عشر:** وتطرق في هذا الفصل إلى ذكر ممتلكات الأوربيين في الجزائر وكيفية الحصول عليها خاصة بمدينة الجزائر، والقائمة على إما أساس الشراء بأثمان زهيدة أو عن طريق الاستيلاء عليها بطرق غامضة.

3-4- القسم الثالث:

وضمنه مجموعة من الوثائق، وهي عبارة عن شكاوى واحتجاجات مقدمة للإدارة الفرنسية، وقد شملت 16 عريضة ورسالة، وهي كالتالي:

• **وثيقة رقم (01):** عريضة من سي حمدان وإبراهيم بن مصطفى باشا إلى وزير الحرب الفرنسي المشير "سولت الدوق دولا ألماني" "Le marchand soult dnc de dalmati" مطالباً بإيد باحترام بنود معاهدة الاستسلام "أمن الأشخاص، وحرمة المباني".²

• **وثيقة رقم (02):** عريضة من سي حمدان إلى وزير الحرب السابق "المشير سولت" في 3 جوان 1833م (14 محرم 1249هـ)، وقد شرح فيها الأوضاع المزرية لسكان مدينة الجزائر من جراء العدوان الفرنسي والممارسات التعسفية المنتهجة ضدهم، وقد شملت هذه العريضة 18 شكوى.³

¹ - حمدان بن عثمان خوجة، المصدر السابق، ص 284.

² - محمد الطيب عقاب، المرجع السابق، ص 49.

³ - حمدان بن عثمان خوجة، المصدر السابق، تق وتع: محمد بن عبد الكريم، ص 285.

•وثيقة رقم (03): وهي عبارة عن رسالة من سي حمدان إلى الملك "لويس فيليب" * والتي

قام بإرسالها في 10 جويلية 1833، وقد تضمن مجموعة من الشكاوى المتعلقة بالظلم والاضطهاد الذي تعرض له أبناء الشعب الجزائري من قبل الجيش والإدارة الفرنسية من تهجير وطرد ونفي من وطنهم وممتلكاتهم.

•وثيقة رقم (04): تضمنت هذه الوثيقة تلخيص مذكرة إبراهيم بن مصطفى باشا* إلى الوزير

الأول لملك فرنسا، والتي تمت كتابتها في 28 ديسمبر 1832 الموافق لـ 5 شعبان 1248هـ، والمتضمنة قيمة الضريبة المجحفة المفروضة على سكان مدينة الجزائر من قبل الإدارة الفرنسية.¹

•وثيقة رقم (05): هي رسالة موجهة من طرف حمدان خوجة إلى السيد المقرر لمجلس

الدولة، والتي قام بإرسالها في شهر ماي 1833 الموافق لذي الحجة 1248م، والمتضمنة دفاعه على خاله الحاج محمد أمين السكة في قضية ديون.

•وثيقة رقم (06): وهي وثيقة يطلب فيها حمدان خوجة من السيد المقرر لمجلس الدولة

التوسط لدى أعضاء المحكمة بهدف إنصاف خاله في قضية الديون، وتم إرسالها في 20 جويلية 1833م الموافق لـ 2 ربيع الأول 1249هـ.

•وثيقة رقم (07): وهي رسالة من السيد الحاج محمد أمين السكة إلى الملك المشرف على

مجلس الدولة، وقد تضمنت طلب العفو عنه في قضية الديون، وقد استظهر بها عدة وثائق تثبت براءته من التهمة الموجهة له من طرف المفتش العام للمالية بالجزائر السيد "فوجورو"، وتم

* الملك لويس فيليب: ولد بباريس سنة 1773م ينتمي إلى طبقة النبلاء الارستقراطية، انضم الى الثورة الفرنسية كضابط، وأبلى بلاء حسن سنة 1789م، ثم رُقي إلى رتبة جنرال سنة 1793م، تولى حكم فرنسا ما بين (1830-1848م) حسب نظام مترنيخ توفي سنة 1850 بإمارة نويي، أنظر: محمد الأحمد، الموسوعة العربية، دار الفكر للطباعة والتوزيع، سوريا، (د.ت.ن)، مج 17 ص 243.

* إبراهيم بن مصطفى باشا: ولد بمدينة إستانبول سنة 1800م، اشتغل في سفارتي باريس ولندن في عهد والده مصطفى باشا، ثم اشتغل بمنصب صدر أعظم لـ 6 مرات، توفي بإستانبول سنة 1859م، انظر: أرجمنت كوران، السياسة العثمانية اتجاه الاحتلال الفرنسي للجزائر، تر: عبد الجليل التميم، منشورات الجامعة، التونسية، تونس، 1970، ص 76.

¹ - حمدان بن عثمان خوجة، المصدر السابق، ص 297.

— الفصل الثالث: الكتابات والمذكرات الشخصية الجزائرية خلال القرن 18م وبداية القرن 19م —

إصدارها في تاريخ 16 نوفمبر 1831م الموافق لـ 12 جمادى الأولى 1247هـ، ومن أهم الوثائق التي تضمنتها هذه الرسالة نذكر:

- شهادة ممضاة من طرف عدة نقباء (Dexcapitaines).
- شهادة من النقيب "لازاريت" تثبت بأن كمية الصوف التي شحنت على أحد المراكب الجزائرية قد سُلمت إلى مؤسسة بوشناق نفطالي بإيطاليا.
- شهادة تثبت وقوع النهب والسلب بدار السكة.
- السند الذي التزم فيه الحاج محمد أمين السكة بما قدره 70200 "بوجة" * لفائدة خزانة بيت المال.

- قرار السيد وزير الحرب المؤرخ في 16 نوفمبر 1831.

وقام بتقديم هذا الطلب للملك الفرنسي، المحامي بمجالس الملك السيد "أ.كريميو"

(A.Gremieux) :¹

• **وثيقة رقم (08):** وتضمنت النداء الموجه من طرف الجيش الفرنسي إلى فئة الكراغلة

بإيالة الجزائر، والذي تم توزيعه من طرف القنصل الفرنسي بتونس، وقد تناول الهدف من القيام بالحملة ضد إيالة الجزائر.

• **وثيقة رقم (09):** وهي عبارة عن نداء موجه من طرف القائد دي بورمون إلى سكان

الجزائر ماي 1830م الموافق لـ ذي الحجة 1245هـ، والذي حاول من خلاله استعطاف الجزائريين لمباركة الحملة والهادفة لطرد الأتراك مع تعهده باحترام ديانتهم، والمحافظة على كنوزهم وأموالهم.²

• **وثيقة رقم (10 و 11):** وهي عبارة عن عريضة مرسلة من طرف حمدان خوجة إلى الملك

"لويس فيليب" في 16 سبتمبر 1833 الموافق لـ 1 جمادى 1249هـ، حول عمل اللجنة الافريقية

* **بوجة:** وهي من أنواع النقود الفضية لإيالة الجزائر المتعامل بها محليا، انظر: ناصر الدين سعيدوني، النظام المالي...، المرجع السابق، ص 208.

¹ - حمدان بن عثمان خوجة، المصدر السابق، ص 338.

² - بن عودة المزاري، المصدر السابق، ص 384.

بالجزائر، والهادفة إلى تقصي الحقائق، والنظر في الشكاوى والمظالم المقدمة ضد الإدارة الفرنسية من طرف أعيان المنطقة، وكما اتبعها بإرسال عريضة في نفس الموضوع في 27 أوت 1833م الموافق لـ 10 ربيع الثاني 1249هـ.¹

•وثيقة رقم (12): وتتضمن عدة شهادات من عدة أشخاص تثبت بأن عظاما لأموات بشرية جزائرية نقلت إلى فرنسا، ومنها شهادة الطبيب "سيقود" (Segeud) لمؤرخة في 14 مارس 1833م الموافق لـ 22 شوال 1248 بمرسيليا.² وكذا شهادة "جيرمام قيوم" (Girnar guillame) المؤرخة في 11 مارس 1833م الموافق لـ 23 شوال 1248هـ بمرسيليا الخاصة بقدم سفينة "لابون جوزفين" إلى مدينة مرسيليا محملة بعظام بشرية جزائرية.³

•وثيقة رقم (13): وتضمنت شهادة الطبيب "سيقود" حول سفينة "لابون جوزفين" المحملة بعظام بشرية جزائرية، والتي تم نشرها من طرف جريدة "لويسما فورد دومارسي" الصادرة في 2 مارس 1833م الموافق 1 شوال 1249هـ.

•وثيقة رقم (14): وهي عبارة عن رسالة تتضمن رد الملك الفرنسي "لويس فيليب" على الشكاوى والعرائض التي أرسلها حمدان خوجة إلى الديوان الملكي، والمؤرخة في 3 أكتوبر 1833م الموافق لـ 18 جمادى الأولى 1249هـ.

•وثيقة رقم (15): وجاءت بعنوان "رسالة من سي حمدان إلى وزير الحرب "سولت" " والمؤرخة في 5 أكتوبر 1833 الموافق لـ 20 جمادى الأولى 1249هـ بباريس، وتضمنت مجموعة من الشكاوى والمظالم من طرف أبناء الشعب الجزائري ضد تعسف الإدارة الفرنسية بالجزائر.

¹ - حمدان بن عثمان خوجة، المصدر السابق، ص ص 344-347.

² - محمد الطيب عقاب، المرجع السابق، ص ص 73-74.

³ - حمدان بن عثمان خوجة، المصدر السابق، ص 350.

• وثيقة رقم (16): وتضمنت نص الحكم الذي فاز به سي حمدان خوجة لدى محكمة العدل

بالجزائر في قضيته ضد السيد يعقوب بكري المتعلقة بدفع مبلغ مالي قدره 7 آلاف "قرش" * (Piastres) أي ما يعادل 35 ألف من الفرنكات، وذلك وفق المحضر الذي أعده كل من السادة: " بنجامين فاسنان (Benjamin Vinncent) القاضي القائم مقام الرئيس، و"جوبير" (Jobert) القاضي، و (قراني) "Granet" نائب القاضي والذي تم تسجيله يوم 21 نوفمبر 1832م الموافق لـ 27 جمادى الثانية 1248هـ.¹

4- المصادر والأسلوب المعتمد من طرف حمدان خوجة في كتابة مذكراته

اختلف أسلوب حمدان خوجة في الكتابة عن أسلوب المؤرخين الجزائريين الذين عاصروهم أمثال محمد ابوراس الناصر، وأحمد الشريف الزهار من خلال عدم اعتماده على الطرق المعتمدة في الكتابة الإسلامية كالشواهد الشعرية، وتوظيف الآيات القرآنية، وذكر الدول والعهود والسنوات²، بل اعتمد على طريقة حديثة في انتقاء الموضوعات ذات الصلة بالحياة الاقتصادية والاجتماعية، والثقافية، وكذا السياسية³، هذا ما مكنه من القيام بتأليف كتابه "المرآة" في ظرف وجيز وبأسلوب يعكس مدى تطور الوعي التاريخي للمؤلف⁴، والذي يعبر عن روحه الانفتاحية، ورأيه العميق في ادراك البراهين الساطعة، والوثائق الأمنية التي تبرهن على قدرته في إظهار عجز فرنسا في منح الحياة المدنية للجزائريين وفق قوانينها، ومبادئها الحضارية⁵.

لذا يمكننا تتبع مميزات وأسلوب الكتابة التاريخية عند حمدان خوجة في كتابه مؤلفه "المرآة"

مما يلي:

* قرش: وهو من النقود الأوروبية المتعامل بها في تلك المرحلة وكان يعرف عند الأهالي بالجزائري بقرش بومدفع، أنظر: ناصر الدين سعيدوني، النظام المالي...، المرجع السابق، ص 201.

1 - حمدان بن عثمان خوجة، المصدر السابق، ص 366.

2 - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي...، المرجع السابق، ج7، ص 401.

3 - عبد الحميد زوزو، المرجع السابق، ص 92.

4 - عبد القادر بكاري، منهج الكتابة...، المرجع السابق، ص 216.

5 - محمد بن عبد الكريم، المرجع السابق، ص 129.

4-1- المصادر المعتمد عليها في تأليفه

اعتمد حمدان خوجة على مصادر أساسية في كتابة وتأليف كتابه "المرآة" ومنها:

• **المشاهدة المباشرة:** وهي من أهم المصادر التي استند عليها حمدان خوجة في كتابة مؤلفه، حيث اعتمد كثيرا على المشاهدة المباشرة والتجربة الشخصية، وذلك لما لها من أهمية كبيرة في التعبير عن الأحداث والوقائع التاريخية بالجزائر العثمانية، واعتماده على الملاحظة المباشرة للأحداث له قيمة كبيرة في نقل ووصف، وتسجيل الأحداث، وبذلك تُعد كتاباته مصدرا أوليا في كتابة تاريخ الجزائر أواخر العهد العثماني، وبداية مرحلة الاحتلال الفرنسي¹، ومن بين الأشياء التي ساهمت في تكوين منهجه وأسلوبه التألفي هو القيام بزيارة العديد من المناطق الداخلية بالإيالة، وذلك لتأكد مما سيكتبه من خلال جمع المزيد من الوثائق والبراهين لتدعيم أفكاره، والقائمة على الملاحظة والمشاهدة المباشرة للأحداث والوقائع.²

فالمؤرخ الذي يشاهد الحدث بأم عينيه تكون رواياته راجحة مقارنة مع المعاصر للحدث الذي ينقل الأخبار مشافهة، أو عن طريق السماع، فأهمية المصدر التاريخي يقررها قدمه وقربه من الحوادث التي يصفها³، وهذا إن دل فإنما يدل على إدراك حمدان خوجة بأهمية المشاهدة المباشرة في الكتابة التاريخية.⁴

• **الاعتماد على الأخذ عن الثقة:** دعم حمدان خوجة تأليفه بشهادات الثقة مثل الحكام والموظفين والتجار الذين اتصل بهم، ومن ذوي المكانة كالبايات، والدايات في نقل أخبار السكان، والأحداث، والوقائع التي شهدتها الإيالة أواخر العهد العثماني، والتي لم يُكتب لها معاينتها أو مشاهدتها⁵، وكأمثلة على ذلك ما ذكره بخصوص أهل الصحراء، فرغم عدم زيارته للمنطقة، فقد

¹ - ابن ثغري بردي، المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي، تح: محمد أمين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1986، مج1، ص 69.

² - حمدان بن عثمان خوجة، المصدر السابق، ص 41.

³ - فر أنزور نتال، علم التاريخ عند المسلمين، تر: صالح أحمد العلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1983، ط2، ص 127.

⁴ - عبد الحميد زوزو، المرجع السابق، ص 92.

⁵ - المرجع نفسه، ص 93.

تحصل على أخبارهم، وأحوالهم عن طريق ما أخبره به الثقة من حكام وموظفين بالإيالة، وهو نفسه ما عبر عنه من حديثه عن بايلك الغرب، وبايلك الشرق بقوله: "إن هذه الجزئيات أخذتها عن باي تولى إدارة وهران ثم قسنطينة..."¹، ومما لا شك فيه أنّ معرفته الخاصة ببعض الحكام من دايات، وبايات، وموظفين، وتجار قد ساعده كثيرا في الحصول على المعلومات والأخبار²، وفي طليعته التجار الكبار مثل بكري، وبوشاق، وقد أشار إلى ذلك بقوله: "لقد أخذت عن هذا الشريك نفسه هذه المعلومات"³.

4-2- الأسلوب المعتمد في كتابة مؤلفه

اعتمد حمدان خوجة على العديد من الأساليب المستحدثة في الكتابة التاريخية، ومنها:

- **تبويب الكتاب:** إن الاعتماد على هذا الأسلوب الجديد هو بحد ذاته نقلة نوعية في الكتابة التاريخية خلال الحقبة العثمانية، وهو أسلوب بعيد كل البعد عن الاستطراد، وهذا من خلال وضعه لمجموعة فصول، وخاتمة لكتابه، والتي ضمنها مجموعة من المواضيع والأحداث، فهو وإن ركز على الاحتلال الفرنسي، فإننا نجده دائما يُبدي آراءه وبرز مواقفه في العديد من القضايا بهدف استخلاص النتائج بعد المقارنة، وذلك من خلال وصف الأحداث التي عايشها، أو شاهدها مثل: طبائع السكان وعاداتهم، أو ذكره للعوامل التي أدت إلى ضعف الجزائر كالصراع القائم ما بين فئة الحكام، وفئة الكراغلة، وأخطاء الباشاوات الذين سيطروا على الديوان، وجردوه من كل الصلاحيات، وكما تظهر جليا النزعة الإنسانية، والوطنية لدى حمدان خوجة في كتاباته خاصة في تفسير الأحداث، ونقل الصور الوحشية التي قام بها الجيش الفرنسي في حق الشعب الجزائري الأعزل.⁴
- **أسلوبه السياسي:** اعتمد حمدان خوجة على الأسلوب السياسي القائم على الوصف والتحليل، والأدلة والبراهين الواقعية في اثبات شرعية دفاعه عن القضية الجزائرية، وهو أسلوب

¹ - حمدان بن عثمان خوجة، المصدر السابق، ص 207.

² - عبد القادر بكاري، المرجع السابق، ص 305.

³ - حمدان بن عثمان خوجة، المصدر السابق، ص 43.

⁴ - المصدر نفسه، ص 373 (فهرسة الكتاب).

الصراحة، عنيف اللجة، وقوي الحجة، ومركز الهدف، مع انتقاده لسياسة فرنسا الاستثنائية المتنافية مع مبادئ حقوق الانسان والحرية¹، وفضحه للممارسات التعسفية للسلطة الفرنسية ضد الشعب الجزائري الأعزل، وفي هذا يقول: " ولم تسعف يمين قلبي أن يكتب أشياء واقعية يُندى له الجبين، فأرجوا من السيد "كلوزيل" أن يوبخ ضميره بدل أن يلوم قلبي".²

كما تناول أوضاع الجزائر في شتى المجالات، وبمنظرة متفحصة تعكس مدى إطلاعه الواسع على أحوال المجتمع الجزائري³، ومن بينها تحميل الداي حسين مسؤولية الحرب، والاستسلام، رغم أنه وصفه في العديد من المواقف بالاعتدال، وهو نفس الانتقاد الذي وجهه أحمد الجزائري للداي حسين.⁴

• **الأسلوب المقارن:** استند أيضا حمدان خوجة في تأليف كتابه الى الأسلوب المقارن في تسجيل الأحداث، وإبراز مواقفه تجاه النظام العثماني من جهة والمحتل الفرنسي من جهة أخرى، خاصة بعد الممارسات التعسفية التي شهدتها أرض الجزائر بعد الحملة الفرنسية، وفي هذا يقول: " اللهم ظلم الأتراك، ولا عدل الفرنسيين"⁵، وقد كان حمدان خوجة كثير الانتقاد لسياسة الحكام الاتراك بداية من مصطفى باشا أوائل القرن التاسع عشر، وسماحه لسيطرة بعض العائلات اليهودية على احتكار الأسواق التجارية مثل عائلتي "بكري"، و"بوشناق"⁶، ولكن بالمقارنة مع ما ارتكبه الفرنسيون في ثلاث سنوات من أعمال وحشية وجرائم، جعله يفضل الحكم التركي بقسوته وأخطائه على حساب الإدارة الفرنسية.⁷

1 - رقية شارف، التاريخ والمؤرخون ...، المرجع السابق، ص 251.

2 - حمدان بن عثمان خوجة، المصدر السابق، ص 18-23.

3 - محمد بن عبد الكريم، المرجع السابق، ص 166.

4 - أحمد الجزائري، كيف دخل الفرنسيون الجزائر (وصف شاهد عيان)، نشره وقدمه: صلاح الدين المنجد، دار الكتاب الجديد، القاهرة، مصر، 1962، ص 43.

5 - حمدان بن عثمان خوجة، المصدر السابق، ص 78-79.

6 - أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ج7، ص 398.

7 - محمد الطيب عقاب، المرجع السابق، ص 36-37.

وكما قام بالمقارنة بين أوضاع الشعب الجزائري، وحالته المزرية مع بقية الشعوب الأوروبية التي كانت تتمتع بثمار الحرية، والحضارية، والمدنية، والمعاصرة، حيث عرف الشعب الجزائري في تلك المرحلة ارتفاعا في الأسعار، وقلة في الموارد الزراعية¹، خاصة بعد الاستيلاء على مؤسسات الأوقاف وممتلكاتها، والدفع بالجزائريين إلى الهجرة والطرده، ومصادرة أراضيهم من طرف المحتل الفرنسي، لذلك حاول حمدان خوجة تأنيب القوى الأوروبية على عدم تطبيقها لمبادئ الثورة الفرنسية القائمة على العدالة والحرية والمساواة، ومخالفة أصولها فيما تعلق بالجانب الجزائري.

• **الترتيب الزمني للمعلومات:** انفرد حمدان خوجة بهذا الأسلوب في الكتابة التاريخية، حيث اعتمد على ترتيب المعلومات زمنيا خاصة فيما تعلق بجانب العرائض والرسائل الموجهة للإدارة الفرنسية، ومقارنتها ببعضها البعض، وهذا ما أكسبها أهمية كبيرة في تقريب الصورة في عرض الحقائق إلى ذهن القارئ، معتمدا في ذلك على الدقة في الوصف، والصدق في نقل الأحداث وتسجيلها.²

• **استخدام المفاهيم الحديثة والمعاصرة:** استخدم حمدان خوجة المفاهيم الحديثة والثقافة العصرية في توجيه النقد لسياسة فرنسا بالجزائر، وهذا دليل على فكره الواسع، وشخصيته الوقية في مواجهة القضايا، ومن بينها استخدام مصطلح "الجزائر للجزائريين"، وهذا دليل على إخلاصه وحبه لوطنه.³

وكما استخدم أيضا العديد من المفاهيم والمصطلحات السياسية والحقوقية في جل عرائضه ومراسلاته وهذا لتذكير فرنسا بمبادئ ثورتها، وقيمها الإنسانية كالعدل، والحرية، والديمقراطية، وهذا بهدف فضح السياسة التعسفية التي مارستها فرنسا في حق الشعب الأعزل، ومخالفتها لتلك

¹ - أبو القاسم سعد الله، محاضرات في تاريخ...، المرجع السابق، ص 149.

² - فارس كعوان، المؤرخون الجزائريون ونمو الوعي التاريخي (1830-1962)، مساهمة في التاريخ الثقافي والفكري، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة قسنطينة، الجزائر، 2011-2012، ص 340.

³ - محمد بن عبد الكريم، المرجع السابق، ص 160.

المبادئ من خلال اتباع أسلوب القمع، والسلب، والاغتصاب، والمصادرة¹، وكما كان دائما يعالج الأمور بحكمة، ويحل المشاكل بدهاء ولباقة، بيد أن فرنسا امتنعت عن الانصات إليه رغم محاولته إقناعها بالحجج المنطقية، والبراهين القطعية في مواصلة أعمالها التعسفية، وجرائمها الوحشية المنافية لمبادئ ثورتها²، وقد أشار إلى ذلك بقوله: "وجميع هذه الأخطاء المقيتة قد ارتكبت باسم فرنسا التي تتادي بتحرير الشعوب، وحقوق الانسان".³

من هنا يتجلى لنا بأن مذكرات حمدان بن عثمان خوجة الممثلة في كتابه "المرآة" تُعد من الوثائق التاريخية ذات القيمة العلمية الكبيرة، وذلك لما تضمنته من رؤية نقدية ومعايشة مباشرة للأحداث والوقائع السياسية والاجتماعية، والاقتصادية التي شهدتها الجزائر في مطلع القرن التاسع عشر، خصوصا في المرحلة الانتقالية بين الحكم العثماني بالمنطقة، وبداية مرحلة المحتل الفرنسي، وهو ما جعلها مرجعاً أساسياً لكل الباحثين والمؤرخين لا غنى عنه في إعادة بناء ورسم، وكتابة تاريخ الجزائر أواخر الحقبة العثمانية، وكما تُعد أيضا حلقة أساسية في تطور الكتابة التاريخية الجزائرية الحديثة، وجسراً يربط بين الذاكرة الوطنية، والبحث الأكاديمي في تاريخ الجزائر خلال العهد العثماني.

رابعا: مذكرات أحمد الشريف الزهار

تُعد مذكرات أحمد الشريف الزهار من أبرز الشهادات التاريخية المحلية التي ظهرت مع مطلع القرن التاسع عشر ميلادي، فهي تمثل أنموذجا مميزا في سياق المدونات التاريخية أواخر العهد العثماني، والتي رصدت التحولات العميقة التي عرفها المجتمع الجزائري في تلك الحقبة، خاصة في الجوانب السياسية والاجتماعية والاقتصادية، والثقافية وهذا ما جعلها من بين الوثائق الأساسية المساهمة في إعادة قراءة وكتابة تاريخ الجزائر من منظور محلي بعيدا عن الرؤى الأجنبية.

¹ - حمدان بن عثمان خوجة، المصدر السابق، ص 183.

² - محمد بن عبد الكرم، المرجع السابق، ص ص 166-167.

³ - حمدان بن عثمان خوجة، المصدر السابق، ص 35.

1- التعريف بالحاج أحمد الشريف الزهار

1-1- اسمه ونسبه

هو الحاج أحمد بن الحاج علي النقيب¹، ويُرجع الحفناوي تعريف نسب عائلته من جده محمد بن أحمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن مسعود بن عيسى بن أحمد بن عبد الواحد بن عبد الله بن عبد الكريم بن محمد بن محمد ابن عبد السلام بن مشيش بن أبي بكر بن علي بن رزقي بن عيسى بن سالم بن مروان بن حيدرة بن علي بن محمد بن عبد الله بن داوود بن إدريس بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي وفاطمة ابنت الرسول محمد صلى الله عليه وسلم²، ومن خلال نسبه يظهر بأنه ينتمي لأسرة الأدارسة التي توارثت نقابة أشرف الجزائر أبا عن جد.³

1-2- مولده ونشأته

ولد بمدينة الجزائر في فترة حكم الداوي عثمان باشا سنة 1196هـ/1781م، أين نشأ وترعرع في وسط أسرة عريقة معروفة إلى حد ما، فهي عائلة قديمة بمدينة الجزائر ترجع إلى القرن العاشر الهجري⁴، لذلك حاول العديد من حكام الجزائر التقرب منهم، ومن هؤلاء الداوي محمد بقطاش* باشا الذي سعى إلى كسب ودهم من خلال بناء زاوية لهم سنة 1709م وتقع في شرع الجنية وزنقة بربروس في مدينة الجزائر.⁵

¹ - أحمد الشريف الزهار، مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار نقيب أشرف الجزائر، تح: أحمد توفيق المدني، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1980، ص 09.

² - أبي القاسم محمد الحفناوي، المصدر السابق، ج2، ص 469.

³ - ناصر الدين سعيدوني، من التراث التاريخي ...، المرجع السابق، ص 515.

⁴ - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي ...، المرجع السابق، ج4، ص 492.

* **الداوي محمد بقطاش باشا**: هو الداوي التاسع لإيالة الجزائر خلال العهد العثماني، امتدت فترة حكمه من (1707-1710م) أنظر: يحي بوعزيز، المرجع السابق، ج2، ص 151.

⁵ - رشيدة شكري معمري، العلماء والسلطة العثمانية في الجزائر فترة الدايات (1671-1830م)، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر 2، 2005-2006، ص 46.

درس وأتم تعليمه الأول في مدينة الجزائر، حيث حصل على قدر كبير من العلوم الدينية واللغوية على كبار العلماء بالمدينة، وخاصة زاويتهم التي ظلت قائمة الى غاية مصادرتها من طرف السلطة الفرنسية¹، وعند بلوغه سن الرشد اشتغل في إدارة الإمارة بمدينة الجزائر²، ثم تولى نقابة الأشراف* بعد ما خلف والده، وبأشر الكتابة في ديوان الدولة³، وذلك لمرتين الأولى قبل الاحتلال الفرنسي، والثانية بعد عودته من المغرب الأقصى سنة 1847م⁴، وتعتبر هذه الرتبة أعلى الرتب الاجتماعية بعد والي الحنفي، بحيث يتمتع أفرادها بمكانة اجتماعية ودينية، وسياسية مرموقة بالإيالة، وكما تمتعوا باحترام كبير من طرف فئات المجتمع الجزائري⁵، وكان نقيب الأشراف في الحقبة العثمانية يُعين من طرف والي المحلي خاصة بإيالات الغرب.⁶

تولى الحاج أحمد الشريف الزهار خطة الكتابة في ديوان الايالة أواخر العهد العثماني⁷ وكذلك شغل نفس المنصب لدى الحاج أحمد باي، ثم لدى الأمير عبد القادر بعد عودته من تونس، بالإضافة اشتغل أيضا بالتجارة سنة 1847م.⁸

بعد زواجه رزق بولدين هما: "علي" الذي أُسر من طرف الفرنسيين، وكان عمره حوالي ثلاثة عشر سنة، وكان وسيلة ضغط من الفرنسيين على الحاج الزهار، والثاني اسمه "قدور"، الذي هاجر

1 - أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص 492.

2 - أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص 09.

* **نقابة الأشراف**: تمثل فئة قليلة من المجتمع، وهم الذين ينتسبون إلى آل البيت، وقد تقلد أصحابها مناصب القضاء، والافتاء والتعليم، أنظر: ليلي تيتة، تطور البنية الاجتماعية للمجتمع الجزائري خلال القرن 19م، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2014، ع 17، ص 124، وانظر أيضا: السيد عبد الرزاق كمونة الحسني، موارد الاتحاد في نقباء الأشراف، مطبعة الأدب في النجف، العراق، 1968، ج1، ص 04.

3 - مسعود كواتي، محمد الشريف سيدي موسى، أعلام مدينة الجزائر ومتيجة، منشورات الحضارة، الجزائر، 2010، ص 144.

4 - أحمد توفيق المدني، المرجع السابق، ص 100.

5 - عبد القادر بالغيث، المرجع السابق، ص 120.

6 - عبد الرزاق البيطار، حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر، تح وتق وتغ: محمد بهجت البيطار، دار صادر، بيروت لبنان، 1993، ط2، ج2، ص 421.

7 - مسعود كواتي، المرجع السابق، ص 144.

8 - أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص 10.

مع والده إلى المغرب الأقصى، وبعد عودته إلى الجزائر تولى وظائف دينية وقضائية، وكما تولى نقابة الأشراف بعد وفاة والده.¹

1-3- الحاج أحمد الشريف الزهار والاحتلال الفرنسي

كان عمر الحاج أحمد الشريف الزهار عند احتلال فرنسا للجزائر في صائفة 1830م الخمسين سنة، وكاد يسقط شهيدا في برج الحسن-قلعة الجزائر- بعد القصف المدفعي التي تعرضت له المدينة²، وبعد تطبيق فرنسا لسياسة التهجير القصري ضد أبناء الشعب الجزائري، واتهام العناصر الفاعلة في المجتمع الجزائري خاصة في الساحة السياسية والدينية بالتآمر ضدها، وارتباطهم بالأتراك كمقاومة الحاج أحمد باي بالشرق، أو الانضمام الى مقاومة الأمير عبد القادر بالمغرب، ونحو ذلك من الاتهامات³ كل ذلك جعل أبناء الشعب الجزائري يهاجرون إلى البلدان العربية المجاورة مثل تونس والمغرب الأقصى وعلى رأسهم أعيان الجزائر وأغنيائها وعلمائها.⁴

• هجرته إلى تونس

من جملة الأعيان والعلماء الذين تم تهجيرهم من طرف الاحتلال الفرنسي سنة 1832م نجد الحاج أحمد الشريف الزهار حيث توجه نحو تونس فأقام بمدينة تونس وازداد تبحراً في العلم والفقه، وذلك لعدة سنوات والتي استغلها بملازمة العلماء وأخذ الدروس عن مشايخ وعلماء تونس بجامع الزيتونة.⁵

• عودته إلى الجزائر

لم تذكر المصادر المتحصل عليها تاريخ عودة الحاج أحمد الشريف الزهار إلى الجزائر، إلا أنه وبعد عودته قصد مدينة قسنطينة من أجل الانضمام إلى مقاومة سكان المدينة وقائدها الحاج أحمد باي، وقد تولى وظيفة خطة الكتابة إلى غاية سقوطها في يد الاحتلال الفرنسي سنة

1 - أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص ص 493-494.

2 - مسعود كواتي، المرجع السابق، ص 09.

3 - أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء...، المرجع السابق، ج4، ص 193.

4 - خير الدين شترة، الطلبة الجزائريون بجامع الزيتونة 1900-1956، دار كردادة، الجزائر، 2013، ط3، ج1، ص 232.

5 - مسعود كواتي، المرجع السابق، ص 144.

1837م، قم التحق بمقاومة الأمير عبد القادر بالغرب الجزائري الذي وظفه ككاتب لـ سره أين صحبه في سرائه وضرائه، وبعد موقعة الزمالة في 15 ماي 1843م، وانهزام الأمير¹ هاجر أحمد الزهار الى المغرب الأقصى.²

• هجرته إلى المغرب الأقصى

بعد انهزام الأمير عبد القادر في موقعة الزمالة سنة 1843م هاجر الحاج أحمد الشريف الزهار مع الكثير من الجزائريين المقيمين بالغرب الجزائري إلى المغرب الأقصى، وذلك لقربها الجغرافي وتأييد سلطانها عبد الرحمان ابن هشام * للأمير عبد القادر قاصدين بذلك الهدف الشرقية للمغرب كتطوان وفاس.³

مكث الحاج أحمد الشريف الزهار بمدينة فاس رفقة ابنه قدور لمدة ثلاث سنوات، وقد استفاد من المنحة السلطانية المغربية المقدمة للفقهاء والأعيان الجزائريين المهاجرين كالاستفادة من دور الأعباس وزيادة في مراتبهم نظير انتمائهم للأسر العلمية والفقهيّة⁴، وبعد انقضاء الفترة السابقة الذكر عاد إلى مدينة الجزائر تسلم من جديد نقابة الأشرف واشتغل بالتجارة في دكان كان قد استأجره.⁵

1-4- حياته العلمية وآثاره

درس وتعلم أحمد الشريف الزهار في صغره على يد علماء مدينة الجزائر حيث أخذ عنهم الفقه واللغة ومختلف العلوم⁶، وبعد الاحتلال الفرنسي للجزائر صائفة 1830م هاجر إلى تونس بعد أن فرضت فرنسا سياسة التهجير القصري للعلماء والأعيان، وكان ذلك سنة 1832م في عهد

¹ - محمد بن الأمير عبد القادر الحسيني، تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر وأخبار الجزائر (سيرته السيفية)، المطبعة التجارية، مصر، 1903، ج1، ص ص 279-280.

² - أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص 10.

* عبد الرحمان بن هشام: هو من سلاطين الاسرة العلوية حكم ما بين (1822م-1859م)، أنظر: إبراهيم حركات، المرجع السابق ص 174.

³ - شارل هنري تشرشل، حياة الأمير عبد القادر، تر: أبو القاسم سعد الله، الدار التونسية للنشر، تونس، 1975، ص 219.

⁴ - ادريس بوهليلة، الجزائريون في تيطوان خلال القرن 13هـ/19م، مساهمة في التاريخ الاجتماعي المغربي، مطبعة الهداية المغرب، 2012، ط1، ص 138.

⁵ - أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص 10.

⁶ - المصدر نفسه، ص 09.

الدوق دورفيكو، و ساهمت هجرته الى تونس في توسيع دائرته الثقافية، وصار يتردد على الحلقات والدروس بجامع الزيتونة بهدف أخذ العلوم عن علمائه¹ ومن بينها شرح صحيح البخاري والفقه والنحو، ومن هؤلاء نذكر: " إبراهيم الرياحي " (1768م-1850م)² والذي اشتهر بتدريس شرح القسطلاني على البخاري، ومختصر خليل في الفقه، ودرس النحو³ إضافة إلى الحاج الطيب بن عيسى الجزائري وغيرهم من شيوخ جامعة الزيتونة⁴، وأثناء ذهابه إلى المغرب الأقصى ومكوته بفاس وتيطوان لمدة ثلاث سنوات رفقة ابنه "قدور" ظل يستزيد من العلم والمعرفة ويعطي دروسا للطلبة.⁵

من أهم المؤلفات التي تركها الحاج أحمد الشريف الزهار "مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار نقيب أشرف الجزائر"⁶، وهي عبارة عن مذكرات في دفاتر وكراسات خاصة بعضها كان مستعملا لتقييد حسابات عائلية.⁷

1-5- وفاته

يعد الحاج أحمد الشريف الزهار من أهم المؤرخين المخضرمين الجزائريين الذين عايشوا الفترة الأخيرة من العهد العثماني ومعاصرته للاحتلال الفرنسي للجزائر، وقد ذكر احمد توفيق المدني سنة وفاته 1872 عن عمر ناهز التسعين سنة⁸ ودفن بزاوية جده.⁹

2- التعريف بكتاب المذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار

يُعد كتاب الحاج أحمد الشريف الزهار المسمى ب"مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار نقيب أشرف الزهار" من أهم المصادر المحلية في تاريخ الجزائر خلال القرن التاسع عشر، الذي قام

1 - رقية شارف، التاريخ والمؤرخون ...، ص ص 167-168.

2 - الصادق الزمرلي، أعلام تونسيون، تق وتغ: حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1986، ط1، ج2، ص 49.

3 - محمد محفوظ، تراجم المؤلفين التونسيين، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1982، ط1، ج2، ص 393

4 - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي...، المرجع السابق، ج7، ص 457.

5 - ناصر الدين سعيدوني، من التراث التاريخي ...، المرجع السابق، ص 65..

6 - أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص 1.

7 - ناصر الدين سعيدوني، من التراث التاريخي ...، المرجع السابق، ص 516.

8 - أحمد الشريف الزهار، المرجع السابق، ص 10.

9 - نور الدين عبد القادر، المرجع السابق، ص 216.

بتحقيقه المؤرخ والشيخ أحمد توفيق المدني بعدما تسلم مسودتها من الشيخ محمود الشريف الزهار آخر نقيب أشرف الجزائر، وحفيد الحاج أحمد الشريف الزهار، وتعهده له بنشره في الوقت المناسب، وذلك بعدما أقنعه بعدم تسليمها لمدير الأمور الأهلية بالجزائر "ميسو ميرانت".¹

هذه المذكرات هي عبارة عن مسودة أو دفاتر أو كراسات خاصة، منها ما كان مستعملا لتقييد حسابات عائلية² لذلك وجد الشيخ أحمد توفيق المدني عند تحقيقه إياها ما يدل على ذلك ومنها "توجد على أغلب صفحاته هوامش كثيرة، وكذا استعمال لغة عربية بسيطة..."³

يعتبر هذا المخطوط من أهم المصادر المحلية التي سلطت الضوء على أهم فترات تاريخ الجزائر أواخر العهد العثماني من خلال ذكر سيرة وأعمال الدايات الذين تولوا كرسي الحكم منذ 1754، وكذا فترة الاحتلال الفرنسي للجزائر منذ صائفة 1830.⁴ ومقاس الدفتر الأصلي هو 34 سم طولا و 23 سم عرضا، ومقاس القسم الأخير: 28.5 سم طولا و 19 سم عرضا.⁵

أما الكتاب المحقق من طرف الشيخ أحمد توفيق المدني، فيحتوي على 200 صفحة ولا يحتوي على فصول أو أبواب، وإنما هو مرتب ترتيبا زمنيا حسب حكم الدايات، وقد طُبِعَ في طبعته الثانية من طرف الشركة الوطنية للنشر والتوزيع بالجزائر سنة 1980 تحت رقم النشر: 80/877.

3- المحتوى العام لكتاب "مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار"

يعد كتاب الحاج أحمد الشريف الزهار المسمى بـ "مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار نقيب أشرف الجزائر" من أهم المصادر المحلية التي سردت لنا أهم الأحداث خلال الحقبة العثمانية الأخيرة بإيالة الجزائر، وذلك أن المؤلف كان شاهد عيان على بعض الأحداث والتي قام بتدوينها

1 - أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص 05.

2 - ناصر الدين سعيدي، من التراث التاريخي ...، المرجع السابق، ص 515.

3 - أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص 13.

4 - أحمد توفيق المدني، المرجع السابق، ص 100.

5 - أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص 14.

وتسجيلها، كما اعتمد أيضا على ما روي له من طرف جده وأبيه في تسجيلها، وقد تضمن هذا الكتاب جملة من الأحداث والجوانب المهمة في تاريخ الجزائر نذكر منها:

3-1- الجانب السياسي

تناول به التعريف بأهم الولاة الذين حكموا إيالة الجزائر أواخر العهد العثماني بداية بولاية علي باشا بوصباغ الذي تولى الحكم بعد وفاة الداوي محمد باشا "الأعمى" سنة 1168هـ/1754م وأهم الأحداث التي جرت خلال ولايته منها: ولادة نجل السلطان مصطفى خان* المسمى بـ "سليم" في رمضان 1175هـ¹، وكذا قضية السفينتين النابوليطانيتين وذكر أخبار علي باي* بن حسين بن علي من أمراء تونس وعداوته مع داي الجزائر علي باشا بوصباغ²، كما تطرق إلى ذكر ولاية محمد باشا المجاهد* سنة 1179هـ/1766م بعد وفاة الداوي علي باشا حيث تحدث عن عهده وسيرته وحروبه مع كل من الدانمارك واسبانيا وإخضاع أهل فليسة وكيفية ترتيب الدنوش واستخلاص الضرائب وتقديم الهدايا³ وبعد وفاته تولى الحكم بإيالة الجزائر حسن باشا* في 10

* مصطفى خان الثالث: هو سلطان الدولة العثمانية ابن السلطان أحمد الثالث المولود سنة 1129هـ/1717م ميالا للإصلاح محبا للتقدم والتطور، حكم لمدة 16 سنة، وتوفي في 8 ذو القعدة سنة 1187هـ الموافق لـ 21 جانفي سنة 1774، انظر: محمد فريد بك، تاريخ الدولة العلية العثمانية، تح: احسان حقي، دار النفائس، بيروت، 1981، ط1، ص 340.

¹ - أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص 15.

* علي باشا: هو الباي علي بن الحسين ولد سنة 1712م حكم ما بين (1759م-1782م) عرفت إيالته استقرار سياسيا خاصة ما بين 1178/1765هـ إلى 1776م/1189هـ، توفي سنة 1782م، انظر: عبد الحميد هنية، تونس العثمانية بناء الدولة والمجال من القرن السادس عشر إلى منتصف القرن التاسع عشر، منشورات نبر الزمان، تونس، 2012، ص 192.

² - أحمد الشريف الزهار، المصدر نفسه، ص 17.

* محمد عثمان باشا: هو السيد محمد باشا ابن المرحوم السيد عثمان ولد بتركيا في قرية بولاية قرمان المواجهة لجزيرة رودس حكم ما بين 1766م-1791م ويعتبر عهده من أطول فترات حكام إيالة الجزائر، انظر: يمينه درياس، السكة الجزائرية في العهد العثماني، دار الحضارة، الجزائر، 2007، ص 296، وأنظر أيضا: محمد توفيق المدني، عثمان باشا، المرجع السابق، ص 188.

³ - أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص 193.

* حسن باشا: هو الدالي حسن باشا حفيد الداوي محمد بن عثمان ويلقب ببابا حسن، شغل عدة مناصب منها منصب وكيل الخرج، ومنصب الخزانجي، تولى حكم إيالة كداي للجزائر ما بين (1205-1212هـ/1791-1798م)، أنظر: عبد الرحمان الجيلالي، المرجع السابق، ج3، ص 270.

ذي القعدة 1205هـ الموافق لسنة 1791م¹، ثم ذكر كل من ولاية مصطفى باشا*، وولاية علي باشا* المدعو (علي خوجة)، مختتما ذلك بذكر ولاية حسين باشا*²، حيث شهدت فترات حكمهم الكثير من الإنجازات في مختلف المجالات.

كما عرفت الجزائر في عهد الدايات عدة ثروات وتمردات داخلية منها:

• **تمردات أهل جبل فليسة** ببلاد القبائل الكبرى سنوات 1767 إلى غاية 1773، والتي تم

إخضاعها من طرف السلطة الحاكمة مع إلزامها بدفع الزكاة والأعشار كل سنة.³

• **ثورة الدرقاوة في بالك الغرب**: قادها الشيخ عبد القادر ابن الشريف الدرقاوي صاحب

الطريقة الدرقاوية⁴ وتعد من أخطر الثورات التي شهدتها الولاية الجزائرية ضد السلطة الحاكمة مع مطلع القرن 19م، وقد استمرت ما بين 1805م إلى غاية 1813م، والتي انتهت بهزيمتهم ضد البيا بوكابوس، وكذا الباي قارة علي باغلي الذي نشبتهم.⁵

• **ثورة ابن الأحرش**: قادها الحاج محمد بن عبد الله الأحرش الذي اشتهر عند العامة

بالبودالي نسبة إلى الأبدال الصالحين⁶، حيث ذكره الزباني بقوله: " أنه فتى مغربي، مالكي

¹ - أحمد الشريف الزهار، المصدر نفسه، ص 61.

* **مصطفى باشا**: تولى حكم الولاية ما بين (1798-1805م) وقد اختلفت الكتابات التي أرخت له لعده، حيث طغى على شخصيته الكثير من الغموض، انظر: محمد بوشنافي، الداوي مصطفى ...، المرجع السابق، ص 159.

* **علي باشا**: يعد علي خوجة واحدا من خوجات الترك، تولى الحكم في 26 شوال 1232هـ الموافق لـ 1817م وإلى غاية 23 ربيع الثاني 1233هـ الموافق لـ 1 مارس 1818م، أنظر: أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص 131، وانظر أيضا فهيمة عمريوي، الداوي علي خوجة (1817-1818م) وآثاره السياسية على الحكم العثماني في الجزائر، مجلة الباحث، المدرسة العليا الإسلامية، بوزريعة، الجزائر، 2002، مج 14، ع خاص، ص ص 107-108.

* **حسين باشا**: هو الداوي حسين بن حسين آخر دايات الجزائر، تولى الحكم بعد وفاة علي خوجة ما بين (1818-1830) سهر على اقرار النظام، وتصريف شؤون البلاد، وإصلاح أمور الجيش، وكما عرفت فترة حكمه سقوط إيالة الجزائر في يد المحتل الفرنسي بعد توقيعه لمعاهدة الاستسلام في 5 جويلية 1830م، أنظر: إلتر عزيز سامح، المرجع السابق، ص 116.

² - أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص ص 194-195.

³ - المصدر نفسه، ص 28.

⁴ - مسلم بن عبد القادر، المصدر السابق، ص 49.

⁵ - صالح عباد، الجزائر خلال الحكم التركي 1514-1830، دار هوم، الجزائر، 2012، ص 205.

⁶ - ناصر الدين سعيدوني، وراقات جزائرية...، المرجع السابق، ص 226.

المذهب، درقاوي الطريقة، درعي نسبا...¹، وتعتبر ثورته بالشرق الجزائري من أعنف الثورات ضد السلطة الحاكمة، واستمرت ما بين 1800 إلى غاية 1808م، وبعد انهزامه فر بنفسه، والتحق بابن الشريف الدرقاوي ببايلك الغرب الجزائري²، وقد تمكنت السلطة الحاكمة من القضاء عليه بعد تحالفهم معه مرابطي سيد أحمد مقران، وتم ذلك في معركة الرابطة ببرج بوعرييج حاليا، ويُقال بأنه قتل ابن الشريف الدرقاوي على اختلاف الروايات، وتم نقل جثمانه إلى مدينة فاس بطلب من السلطان المغربي.³

• **ثورة أحمد خوجة بعد واقعة اليهود ومصرع مصطفى باشا:** قام أحمد خوجة بهذه الثورة بعد قيام الداوي مصطفى باشا بعزله من وظيفته (كاتب من الكتاب الأربعة بدار الإمارة)، والتي أنجر عليها قيام الجنود بقتل الداوي مصطفى باشا بزقة فرن الزناكي بمدينة الجزائر مع الخزناجي قارا، وذلك يوم الجمعة الخامس من جمادى الثانية سنة 1220هـ.⁴

من بين الأحداث التي تناولها الحاج أحمد الشريف الزهار في مذكراته علاقات إيالة الجزائر بالدول الأوروبية وأمريكا، والتي اتسمت بعقد المعاهدات السلمية التجارية تارة، وبالحروب والحملات تارة أخرى، ومنها:

• مع الدانمارك

تميزت العلاقة بين حكام إيالة الجزائر ودولة الدانمارك تارة بالسلم كعقد معاهدات السلم والتجارة بتاريخ 10 ماي 1746م في عهد الداوي بابا إبراهيم الصغير⁵ والملك كريستيان السادس⁶ وتارة بالحرب خاصة بعد تولي الداوي محمد باشا للحكم الجزائر ونقضه للهدنة مع الدانمارك بسبب

¹ - محمد بن يوسف الزياني، المصدر السابق، ص 217.

² - محمد بن عبد القادر الجزائري، المصدر السابق، ج1، ص 77.

³ - أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص 87.

⁴ - محمد بوشنافي، الداوي مصطفى باشا وعصره...، المرجع السابق، ص 159، وانظر أيضا: أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص 89.

⁵ - يحي بوعزيز، الموجز...، المرجع السابق، ص 152.

⁶ - مولود قاسم نايت بلقاسم، المرجع السابق، ج1، ص 100.

تأخرها في تقديم الهدايا خاصة بعد الزيادة في الاتاوات المفروضة عليها وعلى الدول الأوروبية¹ هذا ما جعل ملك الدانمارك يوجه حملة صوب مدينة الجزائر ويحاصرها لمدة ثلاثة أيام، وبدأت في 4 جويلية 1770م إلى غاية 10 جويلية 1770م بقصف المدينة بالقنابل دون تدميرها²، وبعدما انسحب الأسطول الدانمارك، وفي سنة 1772م تم الصلح بين الدانمارك وحكام إيالة الجزائر وفق الشروط المفروضة عليهم من طرف الداى محمد عثمان باشا كتسديد مبلغ النفقات والخسائر الحربية في حملتها ضد مدينة الجزائر سنة 1770م³ مع افتداء الأسرى ودفع جميع الهدايا المترتبة على السنوات الماضية أثناء قطع العلاقات بين الطرفين⁴، فوافق الوفد الدانماركي على شروط الداى، وقدموا الهدايا لرؤساء البحر وغادرت السفن سواحل مدينة الجزائر.⁵

• مع إسبانيا

يعتبر الصراع الجزائري الاسباني في الحوض الغربي للبحر المتوسط في الفترة الحديثة من أكثر الصراعات شراسة بين إيالة الجزائر والدول الأوروبية طيلة العهد العثماني، وظل التلويح بالقوة العسكرية البحرية السيمة البارزة في العلاقات الجزائرية الاسبانية، وامتداده إلى أواخر القرن الثامن عشر وهذا ما ذكره الحاج أحمد الشريف الزهار في مذكراته بأن الداى محمد بن عثمان باشا دائما ما كان يبعث أسطوله لغزو سواحل إسبانيا والعودة بالغنائم⁶، ورغم سعي اسبانيا بكل الطرق إلى عقد معاهدات سلام مه الجزائر إلا أنها فشلت في ذلك وهذا ما جعلها تقوم بتوجيه العديد من الحملات العسكرية منها:⁷

¹ - يحي بوعزيز، المراسلات الجزائرية الاسبانية في أرشيف التاريخ الوطني لمريد (1780-1798م)، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009، ص 20.

² - أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص 25.

³ - عبد الرحمان الجيلالي، المرجع السابق، ص 242.

⁴ - عزيز سامح التر، المرجع السابق، ص 526.

⁵ - أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص 25.

⁶ - المصدر نفسه، ص 26.

⁷ - شكيب حفري، العلاقات الجزائرية الاسبانية في القرن الثامن عشر ميلادي من خلال مخطوط عثمانى، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، (د.ت.ن)، ع1، ص 124.

- **حملة الكونت أوريلي 1775م:** والتي قررها الملك الأسباني كارلوس الثالث* كرد فعل على الموقف المتصلب لداي محمد بن عثمان باشا، حيث تم تجهيز واحد وخمسون سفينة حربية وثلاثمائة وأربع وأربعون سفينة نقل تحمل على متنها أكثر من أربعة وعشرون ألف جندي¹ بالإضافة إلى تسعمائة مدفع وأكثر من ألفي بحار²، كما ذكر أحمد الشريف الزهار في مذكراته: " بأن الاصبانيول جاؤوا بعمارة فيها خمسمائة مركب"³، وقد انطلقت هذه القوات من ميناء قرطاجنة باتجاه مدينة الجزائر في يوم 23 جوان 1775م، ووصلت إلى شرق مدينة الجزائر في 30 جوان 1775م⁴، واستمر القتال بين الطرفين إحدى عشر يوماً، وانتهت هذه الحملة بالفشل مما اضطر الأسبان إلى الانسحاب يوم 12 جويلية 1775م من المعركة.⁵ ولاحقتهم السفن الجهادية وغنمت منهم وأتوا بالأسرى⁶، وكما غنموا من هذه المعركة ستة عشر مدفعا وسفينتين وأربعة آلاف قذيفة وكميات كبيرة من الذخائر والبنادق والأخشاب، وبعض السفن المعطوبة.⁷

- **حملة الدون أنطونيو بارسيلو الأولى على مدينة الجزائر 1197هـ/1783م:** بعد انهزام إسبانيا في حملتها على مدينة الجزائر بقيادة الكونت أوريلي سنة 1775، سارعت إسبانيا وبلاطها الملكي إلى محاولة محو آثار تلك الهزيمة من خلال توجيه حملة ثانية ضد الجزائر بقيادة الدون أنطونيو بارسيلو، والتي انطلقت من ميناء قرطاجنة بإسبانيا في 23 جويلية 1783م⁸، ووصلت إلى ساحل مدينة الجزائر في 29 جويلية 1783م، وقد كانت مكونة من ستة وسبعين سفينة

* **كارلوس الثالث:** هو ملك إسبانيا ابن الملك فيليب الخامس ولد بمديريد في سنة 1716م حكم إسبانيا الفترة الممتدة ما بين 1759م-1788م أنظر: جون بول وولف، المصدر السابق، ص 403.

1 - مولود قاسم نايت بلقاسم، مرجع سابق، ص 158.

2 - أحمد توفيق المدني، المرجع السابق، ص 485.

3 - أحمد الشرف الزهار، المصدر السابق، ص 26.

4 - صالح عباد، المرجع السابق، ص 169.

5 - يحي بوعزيز، المراسلات ...، مرجع سابق، ص 22.

6 - أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص 27.

7 - صالح عباد، المرجع السابق، ص 170.

8 - يحي بوعزيز، الموجز ...، المرجع السابق، ج2، ص 318.

حربية، وفي اليوم الموالي شرعت هذه السفن بقصف المدينة بالقذائف، واستمر ذلك لمدة أسبوع كامل بحيث أطلقت فيها سبعة آلاف وخمسمائة قذيفة¹، وأمام هذا الوضع راسل الداوي محمد باشا قبطانه الحاج محمد من أجل وضع استراتيجية حربية في مواجهة سفن اللنجور التي تسببت في دمار النسيج العمراني للمدينة²، وتمثلت هذه الخطة في وضع المدافع في الزوارق الكبيرة الخاصة بحمل الجير المعد للبناء، وقد أتلقت بأكملها وانهزام الاسبان شر هزيمة ليقرروا الانسحاب بدون تحقيق مرادهم المتمثل في إخضاع المدينة.³

- حملة الدون أنطونيو بارسيلو الثانية 1784م: رغم فشل الحملتين الاسبانييتين لسنتي 1775م و1783م، إلا أنهم لم يتعظوا من ذلك، وصمموا على تجديد الكرة مرة أخرى سنة 1784م من خلال عقد تحالف أوربي مع إمارة نابولي ومالطة والبرتغال⁴، وبمباركة البابا انطلقت الحملة الصليبية ضد الجزائر من ميناء قرطاجنة بإسبانيا يوم 3 جويلية 1784م، وكانت مكونة من مائة وثلاثين سفينة حربية منها عشرة سفن للشحن، وبقيادة الدون أنطونيو بارسيلو.⁵

علم الداوي محمد باشا بسير هذه الحملة من خلال مراسلة بعث بها الملك المغربي محمد بن عبد الله⁶، فاستعد لها جيدا وأمر بإصلاح كل ما تهدم في المعركة السابقة⁷، بحيث اعتمد على أساليب دفاعية محضة استطاع بها إبقاء مدى القصف بعيدا عن مدينة الجزائر، أما على مستوى

¹ - صالح عباد، المرجع السابق، ص 170.

² - مؤلف مجهول، تاريخ مجيء الاسبانيين في المرة الثانية والثالثة الى الجزائر، المكتبة الوطنية الجزائرية، مصلحة حفظ المخطوطات، رقم المخطوط 2285، ص 3.

³ - أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص 32.

⁴ - يحي بوعزيز، المراسلات ...، المرجع السابق، ص 25.

⁵ - ويليام سبنسر، الجزائر في عهد رياس البحر، تح وتيق: عبد القادر زبادية، دار القصة للنشر، الجزائر، 2007، ص 184.

⁶ - الملك محمد بن عبد الله: هو السلطان محمد بن عبد الله بن إسماعيل ولد بمكناسة سنة 1134هـ/1721-1722م حكم ما بين 1171هـ/1757م إلى غاية 1204هـ/1790م، أنظر: عبد الرحمان بن زيان، الدرر الفاخرة بمآثر الملوك العلويين بفاس الزهراء، المطبعة الاقتصادية، الرباط، 1937، ص ص 55-56.

⁷ - يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص 25.

البحر فقد واجهت البحرية الجزائري التحالف الأوربي بنفس الزوارق الخاصة بالإسبان "زوارق اللنجور"، وكان على رأسها الحاج محمد القبطان.¹

بدأ القتال بين الطرفين وأصيب العديد من السفن الأوربية، وهذا ما أدى بها إلى الانسحاب مخلفة ورائها سقوط العديد من القتلى والأسرى، وبذلك تعرضت الحملة الاسبانية الأوربية لشر هزيمة بسبب قوة الاسطول الجزائري، والاستعداد الجيد من طرف القوات الجزائرية.²

• الصلح بين الجزائر وإسبانيا 1785م

بعد فشل كل الحملات العسكرية الاسبانية ضد إيالة الجزائر، وعدم تحقيق آمال الدول المسيحية في القضاء على القوة البحرية الجزائرية في الحوض الغربي للمتوسط سعت إسبانيا إلى إيجاد حل سياسي من خلال إقناع الجزائر بقبول عقد معاهدة سلم معهم رغم أن الداوي محمد بن عثمان رفض كل أنواع التفاوض³، وتجلّى ذلك في رده على المقترح الاسباني من خلال ما ذكره أحمد الشريف في مذكراته بقبوله: " لا أصلحهم ما دمت حياً".⁴

لكن نتيجة حدوث بعض الكوارث الطبيعية بالإيالة من فيضانات، زحف للجراد، انتشار الأوبئة والأمراض، والتي كان لها الأثر السلبي على الأحوال الاقتصادية، وحدث المجاعة بعد إتلاف المحاصيل الزراعية⁵، وكذا تراجع عمليات الجهاد البحري من طرف رياس البحر، والتي تمثل المورد الأساسي للخرينة وميزانية الدولة⁶، بالإضافة إلى إلحاح الجانب الاسباني على عقد معاهدة سلام مع الإيالة، كل ذلك جعل الداوي محمد يتراجع عن موقفه، ويوافق على عقد الهدنة.⁷

1 - أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص 33، وأنظر أيضا: صالح عباد، المرجع السابق، ص 169.

2 - بسام العسلي، الجزائر والحملات الصليبية 1541-1791م، دار النفائس، بيروت، 1986، ط3، ج2، ص 154.

3 - يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص 30.

4 - أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص 34.

5 - أرزقي شويتام، المرجع السابق، ص 412.

6 - المنور مروش، دراسات عن الجزائر في العهد العثماني (العملة، الأسعار، المداخل)، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2009

ج1، ص 427.

7 - أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص 34.

بدأت المفاوضات بين الطرفين مع وصول الوفد الاسباني الرسمي إلى مدينة الجزائر في شهر جوان 1785م، والمتكون من المندوبان الساميان: " الكونت ديسييلي"، و"الأميرال مازاريدو"¹ وكان في استقبالهم القنصل الفرنسي بطلب من الداوي محمد بن عثمان²، وقد استقبلهم في قصره ودام اللقاء معه قرابة ربع ساعة، وهذا ما عده الاسبان نجاحا دبلوماسيا وعلامة إيجابية من أجل التوصل إلى اتفاق مشترك³، وبعد اجتماع الداوي مع كبار موظفيه بقصر الإيالة منهم: الخزناجي والآغا، وخوجة الخيل، ووكيل الحرج، والخوجات الكبار تمت الموافقة على عقد معاهدة الصلح مع اسبانيا.⁴

استغرقت المفاوضات قرابة سنة كاملة، وانتهت بتوقيع المعاهدة في 14 جوان 1786م⁵ بين الداوي "محمد" من الطرف الجزائري، والوزير الأول "ألكوندي دي فلوريدا بلانكا" من الجانب الاسباني، وكتبت في ثلاث نسخ: الأولى بالاسبانية، واحتفظ بها الملك الاسباني، والثانية باللغة التركية احتفظ بها الداوي محمد، والثالثة احتفظ بها القنصل الاسباني المقيم بالجزائر⁶، وقد أشار أحمد الزهار إلى إطلاق المدافع الجزائرية للنار كدلالة على عقد المعاهدة والصلح بين الطرفين.⁷

•فتح وهران 1206هـ / 1792م

تعددت محاولات حكام الجزائر في استرجاع مدينة وهران والمرسى الكبير من يد الاسبان، لكنها باءت بالفشل، وبعد وصول الداوي محمد باشا للحكم أمر الباوي محمد بن الكبير باي بايلك الغرب سنة 1790م بتوجيه حملة بهدف تحرير مدينة وهران⁸، وفي أكتوبر من سنة 1790م بدأ

¹ - مولاي بلحميسي، صفحات من تاريخ العلاقات الجزائرية الاسبانية معاهدة 1786 بين الجزائر واسبانيا، مجلة تاريخ وحضارة المغرب، الرباط، 1996، ع11، ص 12.

² - جمال قنان، المرجع السابق، ص 283.

³ - شكيب بن حفري، المرجع السابق، ص 131.

⁴ - جمال قنان، المرجع السابق، ص 286.

⁵ - مولاي بلحميسي، المرجع السابق، ص 12.

⁶ - يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص 38.

⁷ - أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص 34.

⁸ - عبد الرحمان بن محمد الجيلالي، المرجع السابق، ج4، ص 270.

الهجوم على مدينة وهران من خلال استهداف التحصينات الاسبانية بالمدينة، وكذا استخدام استراتيجية حرب الكمائن، وفرض الحصار على المدينة، وقد استمر ذلك إلى غاية 1791م.¹ خلال هذه المرحلة الحاسمة من فتح مدينة وهران توفي الداوي محمد بن عثمان باشا، وخلفه الداوي حسن باشا الذي أمر الباوي محمد بمواصلة الحصار²، وكما استمرت حروب الاستنزاف طوال فصلي الربيع والصيف من سنة 1791م، والتي تخللتها معارك طاحنة منها معركة 5 جويلية 1791م³، وأمام هذا الوضع حاولت اسبانيا البحث عن طرق سلمية لإنهاء قضية وهران، وتوقيف العمليات العسكرية بين الطرفين⁴ وقد أفضى ذلك إلى إبرام معاهدة صلح بتاريخ 9 ديسمبر 1791م، بين داي الجزائر حسن باشا (بابا حسن) وممثل القنصلية للملك اسبانيا بالجزائر الدون "ميكايل دولاريا"، والتي أقرت من خلالها اسبانيا في بندها الأول والثاني الانسحاب النهائي من وهران والمرسى الكبير.⁵

تم الانسحاب نهائيا من مدينة وهران والمرسى الكبير مع ترك الأسلحة والعتاد المتفق عليه في معاهدة الصلح، وتسليم مفاتيح المدينة للباوي محمد بن مصطفى الكبير بعد أن غادر حاكم وهران الاسباني الدون "جون كورتين" لها في 24 فيفري 1792م⁶، وفي هذه السنة بعث الداوي حسن باشا بشارة فتح مدينة وهران ومفاتيحها الى السلطان العثماني سليم الثالث، والذي اعتبره فتحاً عظيماً للمسلمين.⁷

¹ - صالح عباد، المرجع السابق، ص 172.

² - أحمد بن محمد بن علي بن سحنون الجزائري، المصدر السابق، ص 308.

³ - بسام العسلي، المرجع السابق، ص 156.

⁴ - أحمد توفيق المدني، حرب ثلاثمائة ...، المرجع السابق، ص 526.

⁵ - رقية شارف، المصادر الجزائرية ...، المرجع السابق، ص 24.

⁶ - بسام العسلي، المرجع السابق، ص 185.

⁷ - أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص 63.

• مع البرتغال

تميزت العلاقات الجزائرية البرتغالية بالعداء والتوتر طيلة ثلاث قرون، وتجلّى ذلك في المواجهات البحرية بين أساطيل الدولتين في حوض البحر المتوسط، والمحيط الأطلسي، وفي أواخر القرن 18م، ومع لجوء معظم الدول الأوربية إلى عقد معاهدات سلم مع الجزائر، حاولت هي الأخرى على عقد معاهدة صلح، والذي توج بإبرام معاهدة سلم سنة 1813م.¹ من بين المواجهات البحرية بين الطرفين أواخر القرن 18م وبداية القرن 19م، المواجهة البحرية سنة 1211هـ/1796م في عهد الداوي حسن باشا²، وكما تجددت المواجهات البحرية سنوات 1799م، 1802م، 1803م وكان على رأس الأسطول الجزائري **الرايس حميدو**³ الذي ألحق الهزائم المتعددة بالأسطول البرتغالي، مع الاستيلاء على العديد من السفن وأسر خمسمائة شخصا كانوا على متنها.⁴

كما تطرق أحمد الشريف الزهار في مذكراته إلى الحرب الجزائرية البرتغالية سنة 1809م في عهد الداوي الحاج علي باشا الذي امر بتجهيز أسطول بحري يتكون من ثلاثة فراكط وبلاندره تحت قيادة الرايس حميدو⁵، وقد انتصر فيها هذا الأخير وغنم ما كان على متن سفنها⁶، وبعد العودة

¹ - عبد القادر فكاير، علاقات الجزائر مع البرتغال خلال الفترة العثمانية، المركز الجامعي بخميس مليانة، الجزائر (د.س.ن) ص 309.

² - أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص 66.

* **الرايس حميدو**: هو محمد بن علي إلياس المدعو "حميدو"، ولد بالقصبة بمدينة الجزائر سنة 1770م، وينحدر من عائلة تنتمي أصولها إلى مدينة يسر الواقعة بشرق مدينة الجزائر (بومرداس حاليا)، استشهد سنة 1815 في معركة بحرية ضد الأسطول الأمريكي بجبل طارق، أنظر: علي تابليت، الرايس حميدو أميرال البحرية الجزائرية 1770-1815، منشورات ثالة، الجزائر 2006، ص 28.

³ - عبد القادر فكاير، المرجع السابق، ص 300.

⁴ - أحمد الشريف الأطرش، تاريخ الجزائر في خمسة قرون، البصائر الجديدة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013، ط1، ص 269.

⁵ - أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص 106.

⁶ - أبو العيد دودو، المرجع السابق، ص 60.

إلى ميناء الجزائر قسم البحارة أو رياس البحر أموال تلك الغنائم والمتمثلة في ثلاثة عشر دورو كل شخص.¹

وفي سنة 1228هـ/1813م، وبإلحاح من البرتغاليين تم عقد معاهدة صلح بين الطرفين، بوساطة انجليزية عن طريق وزيرها المفوض لدى دول المغرب "كورت" وقد تعهدت البرتغال بدفع جزية وفدية سنوية قدرها أربعة وعشرون ألف دورو، إضافة إلى إرسال الهدايا إلى الداوي وحاشيته كل سنتين²، وكما تم دفع مليونين ونصف مليون ثمن الصلح مع افتداء جميع أسراه بألف دورو³، وقد قام الداوي بتوزيع عشرة دورو بكل جندي بالإيالة، بالإضافة إلى تعيين قنصل برتغالي بالجزائر وفق ما نصت عليه بنود المعاهدة⁴.

كما اتفق الطرفين على استقبال البلدين لبواخريهم التجارية استقبالا حسناً، وأن يعامل تجار⁵ البلدين بنفس المعاملة سواء بالجزائر أو بالبرتغال.

• مع إنجلترا

اتسمت العلاقات الجزائرية الإنجليزية مع بداية القرن 19م بالسلم تارة، والحرب والتوتر تارة أخرى خاصة بعد اشتداد التنافس الأوربي بين فرنسا وإنجلترا، واندلاع الحرب بينهما⁶، ومن مظاهر ذلك نذكر:

- توترت العلاقة بين الجزائر وإنجلترا بعد الاستفزاز غير المبرر للقنصل الإنجليزي بالجزائر "فالكون" سنة 1802م، والذي أدى إلى غضب الداوي مصطفى باشا، والقيام بطرده، وأمره بالذهاب إلى بلده، وبذلك تم قطع العلاقة بين البلدين، وتمثل رد فعل إنجلترا على موقف الداوي بتوجيه حملة ضد الجزائر بقيادة اللورد "نيلسون" ولكنها فشلت، وبعد أخذ ورد تم تغيير القنصل "فالكون" واستبداله

¹ - أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص 106.

² - ويليام سينسر، المرجع السابق، ص 188.

³ - أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص 110.

⁴ - ويليام شالر، المصدر السابق، ص 137.

⁵ - عبد القادر فكايير، المرجع السابق، ص 28.

⁶ - عزيز التراء، المرجع السابق، ص 570.

— الفصل الثالث: الكتابات والمذكرات الشخصية الجزائرية خلال القرن 18م وبداية القرن 19م —

بالقنصل "ماكدونيل" بتعليمات تلقاها اللورد "نيلسون" من حكومة مملكته، وتم عقد الصلح بين الطرفان بدون قتال.¹

- كما تعددت الحملات الإنجليزية على إيالة الجزائر المحروسة*، ومن بينها الحملة التي ذكرها أحمد الشريف الزهار في مذكراته "حملة اللورد إكسموث"، وقد وصلت إلى ميناء مدينة الجزائر في اليوم الثالث من عيد الفطر المصادف لـ 22 أوت 1816م²، أين بدأت السفن الإنجليزية الهولندية بقصف مدينة الجزائر عسراً، واستمر ذلك القصف لمدة إحدى عشرة ساعة³، وكان الانتصار فيها لصالح الاسطول الإنجليزي منذ البداية أين دمرت السفن الجزائرية واستشهد من كان عليها، وهدمت الأبراج، واستمرت المعركة لمدة ثلاثة أيام⁴، وبعد مشاورات بين الداي عمر باشا، ورياس البحر قبل عمر باشا الجنوح للصلح وقبول شروطه، وفي هذا يقول الزهار في مذكراته: " أعطه ما طلب واجعل معه الصلح ..."⁵، ومن بينها تسليم الأسرى مهما كانت جنسيتهم للأميرال إكسموث والبالغ تعدادهم 1147 أسير منهم 707 أسير من إمارة نابولي و173 أسير روميا و6 أسرى توسكانين و28 أسير هولندي و7 يونانيين ...⁶

¹ - أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص ص 78-79.

* **الجزائر المحروسة**: التصقت هذه التسمية بمدينة الجزائر في العهد العثماني من طرف المؤرخين والكتاب العرب والمسلمين أنظر: محمد أبو راس الناصر، عجائب الاسفار ...، المصدر السابق، ج2، ص 25.

* **اللورد إكسموث**: اسمه إدوارد بيلو، ولد يوم 19 أفريل 1757 بإنجلترا، وتوفي سنة 1833م، شغل قائد الحملة الإنجليزية الهولندية على مدينة الجزائر 1816م، رفقة الأميرال الهولندي "فان كيبلان"، أنظر: وليام سبنسر، المصدر السابق، ص 160.

² - أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص 122، والهامش، ص 130

³ - عبد الرحمان ابن ادريس التتيلاني، المصدر السابق، ص 247.

⁴ - عبد الجليل التميمي، المرجع السابق، ص 261.

⁵ - أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص ص 124-125.

⁶ - أبو العيد دودو، المرجع السابق، ص 69.

كما يذكر أحمد الزهار في مذكراته بأنه بعد توقيع الصلح بين الداي عمر باشا، واللورد اكسموث، ندم الداي عمر كثيرا بعد رؤيته الخراب الذي حل بالمدينة والسفن بالمرسى البحري لمدينة الجزائر.¹

تجددت الحملات الإنجليزية على مدينة الجزائر، ومنها حملة 1823م وسببها هجوم بعض المتمردين على السفينة الأمريكية في مرسى بجاية، وقتل من كانوا عليها ونهب ما فيها، ولما بلغ الخبر الداي حسين أمر بإلقاء القبض عليهم² وسجنهم، وكان من بينهم أربعة أشخاص يعملون لدى القنصل الإنجليزي، وعندما أراد الجنود إلقاء القبض عليهم منعهم القنصل الإنجليزي، وهذا ما أدى إلى اقتحام منزله بالقوة من طرف الجنود وإلقاء القبض عليهم.

قام القنصل "ماكدونالد" بإرسال رسالة إلى الأميرال أو الميرانتي بمالطة "هاري بيل" وأخبره بالقضية³، والذي أخبر الملك القضية، فأرسل هذا الأخير سفينة حربية بقيادة النقيب سبنسر إلى مدينة الجزائر⁴، وبعد إجراء مفاوضات بين الطرفين الجزائري والإنجليزي، ومغادرة النقيب سبنسر لمدينة الجزائر، تسارعت الحكومة الإنجليزية لعقد الصلح مع الجزائر⁵، لكن إصرار الأميرال "هاري نيل" على شن الحملة وعصيان أمر حكومته جعلته يقوم بجمع ما توفر له من السفن الحربية، والتي بلغ عددها ثلاثة عشر سفينة، وتوجه بها نحو مدينة الجزائر في فيفري 1824م⁶، وبعد وصوله بدأ برمي القذائف واستمر ذلك إلى الليل، وفي صباح اليوم الموالي غادر الأسطول الانجليز سواحل مدينة الجزائر متجها نحو بلده.⁷

1 - أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص 125.

2 - عبد الرحمان بن محمد الجيلالي، المرجع السابق، ج4، ص 338.

3 - أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص 151.

4 - محمد العربي الزبيري، مدخل إلى تاريخ المغرب العربي الحديث، المؤسسة الجزائرية للطباعة والنشر، الجزائر، 1975، ص 99.

5 - أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص 152.

6 - عبد الرحمان عمر الجيلالي، مرجع سابق، ج4، ص 339.

7 - أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص 153.

وفي 26 جويلية 1824م تم عقد الصلح بين الطرفين بعد موافقة الأميرال "هاري نيل" على تغيير القنصل، وقبول شروط الداوي حسين، مع تقديم هدية للداوي تكونت من بندقيتين من الذهب مع ساعة ذهبية محجرة ودفع ما عليهم من عوائد لداوي الجزائر.¹

• مع هولندا

شهدت العلاقات الجزائرية الهولندية في النصف الثاني من القرن 18م وبداية القرن 19م نوعا من التوتر والصراع خاصة بعد تماطل حكام هولندا على دفع الاتاوة السنوية لدايات الجزائر، وهذا ما أدى بالداوي حسن باشا سنة 1207هـ/1793م²، يأمر أسطوله بمهاجمة السفن الهولندية بقيادة القبطان الحاج محمد³ الذي استطاع السيطرة على عشرين سفينة هولندية محملة بالسلع، وبعد العودة إلى ميناء دينة الجزائر ثم بيع ما قدموا من السلع والأثاث في الأسواق الجزائرية وتوزيع الأموال على الجنود حيث تم منح ثلاثون سلطانيا لكل جندي.⁴

استمر الأسطول الجزائري في 1794 مهاجمة السفن التجاري الهولندية، والتضييق عليها في حوض البحر الأبيض المتوسط، والاستيلاء على السلع الموجودة على ظهرها من سكر وقهوة، ثم القيام بينها، وتوزيع الأموال على الجنود، وبلغ مقدارها 24 سلطاني لكل جندي.⁵

كما ساهم الأسطول الهولندي بقيادة الأميرال "فان كابلان" في الحملة الإنجليزية الموجهة ضد الجزائر بقيادة اللورد "إكسموث" أوت 1816م، وذلك كرد فعل على استهداف الأسطول الجزائري المتكررة على السفن التجارية⁶، وقد تم خلالها تحرير ثماني وعشرين أسيرا هولنديا بعد

1 - أحمد الشريف الزهار، المصدر نفسه، ص 154.

2 - عزيز إلتر، المرجع السابق، ص 564.

3 - أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص 65.

4 - مولود قاسم نايت بلقاسم، المرجع السابق، ج1، ص 115.

5 - أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص 66.

6 - أبو العيد دودو، المرجع السابق، ص 69.

موافقة الداوي عمر على شروط الصلح، وكما تخفيض الغرامة السنوية التي كانت هولندا تدفعها للجزائر من سبعة سنين إلى ثلاثة سنين كثمنا للصلح.¹

• مع السويد

تراوحت العلاقات الجزائرية السويدية في أغلب الأحيان بالسلم، ومن أهم الأحداث التي ذكرها أحمد الشريف الزهار في مذكراته هو قيام الداوي عمر بأمر أسطوله البحري لغزو السويد سنة 1813م بقيادة القبطان الرايس حميدو، وهذا ما تخلفها في دفع وتسديد الإتاوات، والضرائب السنوية المتفق عليها ضمن معاهدة السلم الموقعة بين الطرفين²، وقد تم الاستيلاء على عشرين مركباً كانت مشحونة بالسكر والقهوة، وكوكا، وغيرها من السلع، وتم بيعها وتقسيم الغنيمة بين جنودها فكانت 24 دورو لكل شخص أو جندي مشارك في تلك الحملة.³

• مع بعض الإمارات الإيطالية

- إمارة نابولي

من أهم القضايا التي ذكرها أحمد الشريف الزهار في مذكراته قضية السفينتين النابوليتين سنة 1761م في عهد الداوي علي بوصباغ اللتين فرا بهما الأسرى الجزائريين من مدينة نابولي الى مدينة الجزائر، ولما علم حاكم الامارة بالخبر أرسل إلى السلطان العثمان يطلب منه بأمر الداوي علي بإرجاع السفينتين ومن كان عليهما من الاسرى الفارين، وبعد وصول مبعوث السلطان العثماني الى الجزائر قبجي باشا اخبره الداوي علي بتحطم السفينتين في عرض البحر أما الأسرى فقد أتونا هاربين ثم عادوا إلى بلدانهم.⁴

كما كانت إمارة نابولي من بين الامارات الأوروبية المتعاهدة بدفع الضريبة السنوية لإيالة الجزائر وكانت دائما تتماطل في دفعها وهذا ما جعل دايات الجزائر يوجهون إليها الحملات البحرية

¹ - أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص 125.

² - عبد الرحمان بن محمد الجيلالي، المرجع السابق، ص 314.

³ - أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص 109.

⁴ - المصدر نفسه، ص 16.

— الفصل الثالث: الكتابات والمذكرات الشخصية الجزائرية خلال القرن 18م وبداية القرن 19م —

بهدف إرغامها على دفع الاتاوات، ومنها حملة سنة 1794م في عهد الداوي حسن باشا،¹ والذي أمر بتجهيز أسطول بحري مكون من سبعة سفن حربية بقيادة القبطان الرايس حميدو، الذي ألحق هزيمة نكراء بالأسطول النابولي، وغنم ثمانى سفن نابولية، ومن عليها من الأسرى.²

كما تجددت الحملات الجزائرية على إمارة نابولي، ومنها حملة 1798م في عهد الداوي مصطفى باشا على ميناء صقلية أين غنم جنود الأسطول الجزائري ما كان بالمدينة، وضربوا المدافع التي لم يستطيعوا حملها ثم رجعوا إلى الجزائر.³

وفي سنة 1801م أغار الأسطول الجزائري على إمارة نابولي من ناحية قارو أوليا بأمر من الداوي مصطفى وبقيادة القبطان بابا شريف وغنموا مغانم كثيرة،⁴ وتجدد ذلك الغزو سنة 1802م بقيادة القبطان الرايس محمد علي كقائد عام والرايس شلبي والرايس حميدو، ولكن السفن النابولية استطاعت الفرار من الأسطول الجزائري ليلا.⁵

وبعد قبول الداوي عمر لشروط الصلح مع قائد الحملة الإنجليزية اللورد اكسموث سنة 1816م قام حاكم إمارة نابولي بإرسال هدية لداوي الجزائر على توقيعه لهذا الصلح.⁶

• مع جنوى

تميزت العلاقة بينهما بالتوتر والحرب، ومن بين الحملات الجزائرية التي ذكرها أحمد الزهار في مذكراته حملة سنة 1209هـ/1794م بقيادة القبطان الرايس حميدو، أين غنم فيها الأسطول الجزائري عشرة سفن من سردينيا وجنوى.⁷

1 - أحمد الشريف الأطرش، المرجع السابق، ص 264.

2 - أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص 66.

3 - جيمس ويلسون ستيفن، الأسرى الأمريكان في الجزائر 1795-1796، تر: علي تابليت، منشورات تالة، الأبيار، الجزائر، 2007، ص 92.

4 - أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص 76.

5 - أحمد الشريف الأطرش، المرجع السابق، ص 300.

6 - أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص 120.

7 - يحي بوعزيز، الموجز في تاريخ الجزائر ...، المرجع السابق، ص 188، وأنظر أيضا: أحمد الشريف الزهار، نفسه، ص 66.

• مع فرنسا

اتسمت العلاقات الجزائرية الفرنسية في الفترة المتأخرة من الحكم العثماني بالجزائر بالهدوء والسلم والمساعدة تارة، والتوتر والحرب تارة أخرى، خاصة بعد ظهور مشكلة القناصل الأوربية في البلدان الإسلامية، ومساهمتهم في بث القلق والاضطرابات في العلاقات بين الدول ومن بينهم القناصل الفرنسيين والقنصل دوفال على وجه الخصوص.

- مسألة الديون وحادثة المروحة في 29 أبريل 1827م¹

تعود جذورها للنشاط التجاري لأسرة "بكري" و"بوشناق"، والمتمثل في تصدير المواد الغذائية "القمح" لفرنسا بعد الانهيار الاقتصادي الذي شهدته بعد قيام الثورة الفرنسية 1789م، وانتشار المجاعة وتردي الأوضاع الداخلية لها في جميع مناحي الحياة، وكذا الحصار الاقتصادي المفروض عليها من طرف ممالك أوروبا المعادية للثورة ومبادئها.²

عرفت هذه المسألة منعرجاً خطيراً في الفترة الممتدة ما بين سنوات 1820م-1826م خاصة بعد تعيين القنصل "دوفال" لابن أخيه "ألكسندر دوفال" كنائب قنصل في بونا (عنابة) وقيامه بتسليح المنشآت الفرنسية في القالة وعنابة مراكز صيد المرجان³، والذي يُعد خرقاً صارخاً لبنود معاهدة السلم الموقعة ما بين الطرفين سنة 1818م.⁴

ومما زاد في تأزم الوضع هو عدم رد القنصل وملكه على رسائل الداوي حسين بخصوص مسألة الديون، وكذلك رده الوقح في قصر الداوي حسين بالقصبة بمناسبة عيد الفطر في 29 أبريل 1827م على الداوي بقوله: "ليس من العادة أن يخاطب الملك أو الوزير ممن هو أدنى منه من

¹ - أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص 186.

² - يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص 120.

³ - عمار حمداني، حقيقة غزو الجزائر، تر: لحسن زغدار، منشورات ثالة، الأبيار، الجزائر، 2008، ط2، ص 48.

⁴ - جمال قنان، معاهدات الجزائر مع فرنسا 1619-1830، وزارة المجاهدين، ط خاصة، المؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر، 2007، ص 348.

غير وساطة...¹ هذا الرد والكلمات التي مست كرامة الداوي جعلته لا يتمالك نفسه من الغضب فأشار عليه بخيزرانه " المروحة" من ريش كانت في يده، وطرده من مجلسه.²

هذا ما اعتبرته فرنسا إهانة لشرفها، وطابت من قنصلها مغادرة الجزائر على متن سفينة القبطان المسماة بـ "لابروفانس" يوم 12 جوان 1827³، وكما قامت بفرض حصار عسكري بحري على الايالة بداية من 7 فيفري 1830م، ثم القيام بتوجيه حملة عسكرية ضد الايالة بهدف تنفيذ مشروعها.⁴

— الحملة الفرنسية على الجزائر سنة 1830

بعد أن قرر مجلس الوزراء الفرنسي بالإجماع على توجيه حملة عسكرية لتأديب داي الجزائر خرجت هذه الأخيرة من ميناء طولون متجهة نحو الجزائر في 25 ماي 1830⁵، ووصول أخبارها لداوي حسين من طرف جواسيس مالطة وجبل طارق في نفس الشهر تُعلمه بكل تفاصيل الحملة هذا ما جعل الداوي يرأسل القبائل والعرب من أجل ارسال الجنود إلى مدينة الجزائر لمواجهة وحماية المدينة،⁶ وبالرغم من الاستعدادات الجزائرية في مواجهة الحملة إلا أن الداوي ارتكب عدة أخطاء، منها إبقاء الجيش بعيدا عن العاصمة وعدم تحصين ميناء سيدي فرج بالتحصينات اللازمة لدحر القوات الفرنسية وكذلك عدم اتباع أسلوب المواجهة المباشرة، والتي سهلت من مهمة القوات الفرنسية في السيطرة على العاصمة.⁷

1 - أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص 164.

2 - عمار عمورة، المرجع السابق، ص 256.

3 - حمدان بن عثمان خوجة، المصدر السابق، ص 183.

4 - أبو القاسم سعد الله، محاضرات في تاريخ الجزائر...، المرجع السابق، ص 33.

5 - يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص 144.

6 - أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص 170، وأنظر أيضا: سيمون بفايفر، مذكرات جزائرية عشية الاحتلال، تر وتق وتغ: أبو العيد دودو، دار هوم، الجزائر، 1998، ص 66.

7 - أبو القاسم سعد الله، محاضرات في تاريخ الجزائر...، المرجع السابق، ص ص 40-41.

وفي يوم السبت الحادي والعشرين من ذي الحجة سنة 1245 الموافق لـ 14 جوان 1830م نزلت القوات الفرنسية بسيدي فرج دون وجود مقاومة تذكر¹، باستثناء الهجوم الذي قامت به القوات التي كانت تعسكر باسطاوالي بقيادة الأغا يحيى، والتي انسحبت من المعركة بعد وقوعها ما بين قتل وجريح، كما فشل الأغا الجديد بومزراق في الدفاع عن المدينة بسبب محاصرة الفرنسيين لها²، وبعدها تقدم الجيش الفرنسي نحو قلعة "مولاي حسين" (قلعة الامبراطور) وبسقوطها اجتمع الداي حسين مع أعيان المدينة وأعضاء الحكومة لمشاورتهم في أمر استمرار المقاومة أو تسليم المدينة.³

وفي 4 جويلية 1830 وقع الداي حسين على الشروط الفرنسية وسلم مفاتيح المدينة إلى القائد العام للحملة دي بورمون في 5 جويلية 1830م وطلب الداي الأمان من الحكومة الفرنسية وغادر الجزائر يوم 10 جويلية 1830م إلى نابولي ثم الإسكندرية.⁴

• مع الولايات المتحدة الأمريكية

تعد سنة 1776م تاريخ مولد دولة الولايات المتحدة الأمريكية المستقلة عن بريطانيا⁵ بقيادة جورج واشنطن⁶ وتعتبر الجزائر من بين الدول الأولى التي اعترفت باستقلالها بعد الإعلان عنه مباشرة⁷، لذلك عملت على ربط علاقات مع الدول والأقطار التي تطل على البحار والمحيطات ومن بينها إيالة الجزائر.

1 - أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص 171.

2 - صالح عباد، المرجع السابق، ص ص 254-255.

3 - حمدان بن عثمان خوجة، المصدر السابق، ص 196.

4 - أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص 175، وانظر أيضا: صالح عباد، المرجع السابق، ص 261.

5 - عمر عبد العزيز عمر، دراسات في التاريخ الأوربي والأمريكي الحديث، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، 1992 ص 345.

6 - علي تابليت، العلاقات الجزائرية الأمريكية 1776-1830م، منشورات ثالة، الأبيار، الجزائر، 2013، ج1، ص 349.

7 - محمد العربي الزبيري، التجارة الخارجية ...، المرجع السابق، ص 42.

تميزت العلاقات الجزائرية الأمريكية بالمرحلية، فتارة تمتاز بالتوتر وذلك لتصادم المصالح وتارة أخرى تمتاز بالسلم وعقد الصلح بين الطرفين خاصة وأن الولايات المتحدة الأمريكية قد برزت كعالم جديد¹، وكذا اعتماد الدبلوماسية الخارجية للجزائر على مبدئين هما الأول "كل دولة تعتبر عدوة للجزائر إلى غاية توقيع معاهدة صداقة وسلم معها" والثاني "كل معاهدة لا يعترف فيها بسيادة الجزائر على البحر الأبيض المتوسط فهي مرفوضة، وتعتبر ملغاة من طرف الجزائر"²

وبناء على ذلك فقد أعلنت الجزائر الحرب على السفن الأمريكية سنة 1785م، وتم أسر ما فيها³ بعدها حاولت الولايات المتحدة الأمريكية عقد معاهدة سلم والتفاوض مع حكام الجزائر على إعادة السفينتين وتحرير الأسرى، فاشتراط الداوي محمد على الوفد الأمريكي، دفع إتاوة سنوية للجزائر، فرفض الوفد ذلك وفشلت المفاوضات⁴

استمر الوضع على حاله إلى غاية تقلد الداوي حسن مقاليد الحكم بإيالة الجزائر، (1790-1797م) من خلال اتباعه سياسة مغايرة مع الدول التي تمر سفنها عبر البحر الأبيض المتوسط ولا تدفع الإتاوة للجزائر⁵، حيث أمر بإبعاد مفوضي السفارة الأمريكية من الجزائر⁶، لذلك عملت أمريكا على عقد اتفاقية سلم مع الجزائر بهدف تقادي هجمات الاسطول الجزائري على السفن الأمريكية في المحيط الأطلسي والبحر الأبيض المتوسط.⁷

تم عقد أول اتفاقية سلم بين إيالة الجزائر والولايات المتحدة الأمريكية بتاريخ 5 سبتمبر 1795م⁸ بين الداوي حسن، والرئيس الأمريكي جورج واشنطن، حيث أمضيت المعاهدة بالجزائر

¹ - جلال يحيى، تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، مصر، 1999، ص 71.

² - عبد الرحمان بن محمد الجيلالي، المرجع السابق، ج 4، ص 264.

³ - ويليام سبنسر، المصدر السابق، ص 185.

⁴ - مولود قاسم نايت بلقاسم، المرجع السابق، ص 219.

⁵ - أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص 62.

⁶ - أحمد الشريف الأطرش، المرجع السابق، ص 273.

⁷ - كمال بن صحراري، الدور الدبلوماسية ليهود الجزائر في أواخر العهد الدايات، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، قسم التاريخ، جامعة معسكر، الجزائر، 2007-2008، ص 98.

⁸ - سلوى سعد الغالي، العلاقات العثمانية الأمريكية (1830-1918م)، مكتبة مديولي، القاهرة، مصر، 2002، ص 30.

— الفصل الثالث: الكتابات والمذكرات الشخصية الجزائرية خلال القرن 18م وبداية القرن 19م —

من طرف الداوي ومبعوث أمريكا جوزيف دونالدسون¹، وفي 2 مارس سنة 1796م صادق مجلس الشيوخ الأمريكي على المعاهدة.²

تضمنت هذه المعاهدة 22 بنداً منها إطلاق سراح الأسرى الأمريكيين في جوان 1796م مقابل بناء السفن الحربية وتجهيزها بالمدافع والبارود، ودفع مليوني ونصف مليون دورو لإيالة الجزائر.³

عادت العلاقات الجزائرية الأمريكية لتوتر والتأزم من جديد بعد إعلان الكونجرس الأمريكي الحرب على الجزائر سنة 1814م بحجة عدم قدرة أمريكا على دفع الضريبة السنوية للجزائر من خلال إرسال قوة بحرية لإرغام الجزائر على قبول الصلح⁴، وبالتالي محاولتها التهرب من التزاماتها الخاصة بمعاهدة 1795م.⁵

كان على رأس الأسطول البحري الأمريكي القبطانين "وليام بينبريدج" و"ستيفن"⁶ في فترة حكم الرئيس "جيمس ميديسون" وفي الجهة المقابلة كان على رأس الأسطول الجزائري "الرايس حميدو" في فترة حكم الداوي "عمر باشا"⁷.

التقى الطرفان يوم 17 جوان 1815م قرب رأس غاتة Locap Gata بمضيق جبل طارق وبدأ القتال والتصادم بين الطرفين، فكانت معركة عنيفة أصيب خلالها الرايس حميدو⁸، بقذيفة

¹ - جيمس لندركاكتارت، مذكرات أسير الداوي كاتكارت قنصل أمريكا في المغرب، تع وتوق: إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982، ص 162.

² - إسماعيل العربي، العلاقات الدبلوماسية بين دول المغرب والولايات المتحدة الأمريكية (1776-1816م)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1978، ص 108.

³ - أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص 66، وأنظر أيضا: أبو القاسم سعد الله، أبحاث وأراء...، المرجع السابق، ص 291.

⁴ - وليام شالر، المصدر السابق، ص 146.

⁵ - عثمان الكعاك، المرجع السابق، ص 312.

⁶ - علي تابليت، المرجع السابق، ص 211.

⁷ - مولود قاسم نايت بلقاسم، المرجع السابق، ص 236.

⁸ - حنيفي هلايلي، بنية الجيش الجزائري...، المرجع السابق، ص 55.

— الفصل الثالث: الكتابات والمذكرات الشخصية الجزائرية خلال القرن 18م وبداية القرن 19م —

مدفعية وهو واقف على كرسيه فقسمته إلى نصفين، فمات في أول القتال، وخلفه أحمد ولد عمر المعروف بـ "الباش رايس" الذي حمله، ورمى به في البحر وفق وصيته واستشهد الكثير من المسلمين.¹

بعد الانتصار المحقق من طرف الولايات المتحدة الأمريكية ضد البحرية الجزائرية تقدم القنصل الأمريكي بعقد معاهدة صلح بين الدولتين، لكن الداوي عمر رفض ذلك إلا بعد استعادة الجزائر لسفنها "مشهودة، استيديو"²، وبعد مد وجزر بين الطرفين تم التوقيع على معاهدة السلام بين البلدين وعقد الصلح³ وكان ذلك في 30 جوان 1815م، والتي صادق عليها مجلس الشيوخ الأمريكي في 26 ديسمبر 1815م.⁴

كما تم عقد معاهدة جديدة بين البلدين في 23 ديسمبر 1816م بين الداوي محمد باشا والرئيس الأمريكي جيمس ميديسون، وهي تجديد للمعاهدة السابقة⁵، أما فيما يخص العلاقات بين البلدين في الفترة الممتدة ما بين 1816م الى غاية 1830م فلم يطرأ عليها ما يستحق الذكر.⁶ من بين المواقف التي يجب علينا ذكرها هو الموقف الأمريكي المؤيد للاحتلال الفرنسي للجزائر، أليس من العجب أن تكون أمريكا التي سبق للجزائر أن اعترفت بثورتها سنة 1775م ضد الانجليز ومن بين الدول المعترف بها وباستقلالها سنة 1776م، هي نفسها التي تدير ظهرها وتؤيد الاحتلال الفرنسي سنة 1830.⁷

¹ - أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص 118.

² - أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء...، المرجع السابق، ص 303.

³ - أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص 118.

⁴ - علي تابليت، المرجع السابق، ص 287.

⁵ - مولود قاسم نايت بلقاسم، المرجع السابق، ص 240.

⁶ - علي تابليت، المرجع السابق، ص 307.

⁷ - مولود قاسم نايت بلقاسم، المرجع السابق، ص 248.

• مع الدولة العثمانية

عرفت العلاقات الجزائرية والباب العالي في الفترة الأخيرة من الحكم العثماني تطورات عدة منها توقف إرسال الباشوات من إستانبول الى الايالة وأصبح تعيين الداي يتم من طرف الديوان عن طريق الانتخاب، وبذلك تخلصت الايالة من نفوذ الباب العالي، كما عرفت نوعا من الاستقلال الذاتي والسيادة الذاتية في تسيير إدارة شؤونها الداخلية والخارجية من خلال عقد وإمضاء المعاهدات¹، مع ضبط العلاقات بشكل يتلاءم مع تبعيتهم للدولة العثمانية، ومن مظاهر ذلك نذكر: ²

أ- العلاقات السياسية:

تميزت العلاقات الجزائرية مع الباب العالي في أواخر العهد العثماني بنوع من الاستقلالية تارة والتبعية السياسية تارة أخرى ومن مظاهرها:

• **الدعاء للسلطان العثماني:** اعتبر الجزائريون الدعاء للسلطان العثماني على المنابر، وفي خطب الجمعة والأعياد بمثابة القوة التي تساهم في ارتباطهم السياسي بالعالم الإسلامي وتقوي انتمائهم إليه³، وكذا الاحتفال بمولد أبناء السلطان، وفي هذا يقول أحمد الشريف الزهار: " جاءت البشارة من عند مولانا السلطان مصطفى خان بزيادة مولود اسمه "سليم"⁴، وقد استمر الدعاء للسلطان بإيالة الجزائر، إلى غاية سقوط مدينة الجزائر في يد الجيش الفرنسي 1830.⁵

• **تبادل الهدايا بين إيالة الجزائر والباب العالي:** تعود جذور تبادل الهدايا بين إيالة الجزائر والباب العالي إلى سنة 1518م بعد إرسال خيرالدين وفداً بقيادة حاجي حسين آغا محملا بالعديد

¹ - مولود قاسم نايت بلقاسم، شخصية الجزائر الدولية ...، المرجع السابق، ج1، ص 82.

² - فلنزي لوسات، المغرب العربي قبل احتلال الجزائر (1790-1830)، تر: حمادي الساحلي، سراس للنشر والتوزيع، تونس 1994، ص 90.

³ - عائشة جميل، الجزائر والباب العالي من خلال الأرشيف العثماني (1520-1830)، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ، جامعة جيلالي لباس، سيدي بلعباس، الجزائر، 2017-2018، ص 93

⁴ - أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص 15.

⁵ - خليفة حماش، العلاقات بين إيالة الجزائر ...، المرجع السابق، ص 197.

— الفصل الثالث: الكتابات والمذكرات الشخصية الجزائرية خلال القرن 18م وبداية القرن 19م —

من الهدايا للسلطان سليم خان¹، حافظ جميع حكام إيالة الجزائر على هذا المظهر، وقد اختلفت قيمة الهدايا المتبادلة بين حكام إيالة الجزائر، والباب العالي من داي لآخر²، كما أولى سلاطين الخلافة العثمانية أهمية كبيرة للهدايا الجزائرية التي كانوا يستقبلونها بكل فرح وسرور³، مع إنزال الوفد الجزائري منزلة العزو القبول، وهو ما ذكره أحمد الشريف الزهار في مذكراته حول الهدية التي أرسلها الدي حسين مع الحاج يوسف وكيل الحرج السابق إلى السلطان العثماني محمود خان والذي أمر بنزولهم، وإكرامهم منزلة العز والقبول سنة 1238هـ/1822م⁴، وكان يطلق على الهدية الجزائرية بإستانبول مصطلح "باشكاش".

كما كانت الخلافة العثمانية ترد على الهدية الجزائرية بهدية أكثر منها قيمة، والتي تكون الإيالة بأمس الحاجة إليها خاصة فيما تعلق بالتجهيزات الحربية⁵، أما محتوى الهدية الجزائرية فتتمثل في الأشياء الثمينة، وبعض المنسوجات الصوفية التي تشتهر بها الإيالة، إلى جانب بعض الأشياء المصنوعة من الذهب الخالص، والمرصعة بالجواهر كالبنادق، والسيوف، والسروج...⁶

• **ضرب السكة أو العملة باسم السلطان:** من أهم مظاهر الترابط بين الإيالة الجزائرية والخلافة العثمانية هي ضرب "السكة" أو "العملة" باسم السلطان العثماني، وقد أمر الداي حسين ببناء دار السكة داخل القصبة سنة 1236هـ/1820م، وتم صنع القطع السلطانية من الذهب

¹ - خير الدين بربروس، مذكرات خير الدين بربروس، تر وت: الدكتور محمد دراج، الأصالة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013 ط2، ص ص 90-91.

² - عائشة جميل، المرجع السابق، ص 75.

³ - فاطمة الزهار سيدهم، موارد الإيالة الجزائرية في مطلع القرن التاسع، مجلة كان التاريخية الإلكترونية، 2016، ع 13، ص 27.

⁴ - أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص 145.

* **باشكاش أو بشكش:** هي كلمة عثمانية من الأصل الفارسي، وتعني الهدية المهداة لسلاطين والملوك لكسب مودته، أنظر: عائشة جميل، المرجع السابق، ص 79.

⁵ - ناصر الدين سعيدوني، النظام المالي...، المرجع السابق، ص 14.

⁶ - خليفة حماش، العلاقات بين إيالة الجزائر...، المرجع السابق، ص 152.

عوض الفضة والبرونز¹، ومنها الدينار الذهبي أو السلطاني الذهبي نسبة للسلطان محمود خان الثاني، وتبرز أهمية ذلك في إرساء السيادة السياسية من جهة، والتبعية الاسمية للخلافة العثمانية من جهة أخرى.²

ب- تقديم المساعدات العسكرية من طرف حكام الجزائر إلى الدولة العثمانية أواخر العهد العثماني:

• الجزائر والحروب اليونانية العثمانية (1821م-1827م)

تعود حيثيات الصراع اليوناني العثماني إلى قيام السلطان محمد الفاتح بفتح منطقة شبه جزيرة المورة اليونانية سنة 1458م، والذي نتجت عنه اندلاع العديد من الثورات من طرف سكان المنطقة ضد الدولة العثمانية ابتداء من سنة 1769³، والتي أخذت شكلا انفصاليا بداية من القرن التاسع عشر.⁴

استغل اليونانيون ضعف الدولة العثمانية وأعلنوا الثورة ضد الحكم العثماني بالمنطقة في 12 فيفري 1821م مدعين من طرف الدول الأوروبية التي تحمل الحقد الدفين للإسلام والخلافة العثمانية باعتبارها مركز الخلافة الإسلامية، وقاموا بمجازر عنيفة في حق المسلمين حيث يذكر الزهار: "... ثار الكرايك على السلطان محمود وقتلوا من كان معهم من المسلمين مثلوا بهم، وسبوا النساء والذاري..."⁵، وقد كان لهذه الحرب آثار وخيمة على الجانب العثماني أمام المدد الأوروبية على الساعة الدولية.⁶

¹ - أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص 147، وأنظر أيضا: ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص 189.

² - محمد شحيش، تاريخ الجزائر من خلال المسكوكات (العملة-الأسعار-المداخل)، دار القصبة للنشر، تلمسان، الجزائر، 2009، ج1، ص 65.

³ - وليام سبنسر، المصدر السابق، ص 56.

⁴ - ناصر الدين سعيدوني، وثائق جزائرية...، المرجع السابق، ص 353.

⁵ - أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص 147.

⁶ - محمد فريد بك المحامي، تاريخ الدولة العلمية العثمانية، تح: إحسان حقي، دار النفائس، لبنان، 1981، ص 211.

أمام هذا الوضع استدعت الضرورة أن يطلب الباب العالي المساعدة العسكرية العاجلة من الايالات التابعة للدولة العثمانية خاصة بشمال إفريقيا، خاصة إيالة الجزائر مع حاكمها الداي حسين والذي لم يتردد في تقديم المساعدات العسكرية من خلال تزويد السفن بالمؤن اللازمة والمدافع بقيادة الحاج علي غرناوط.¹

كما نجد بأن جل المصادر لم تتناول نهاية هذا الصراع، والواضح بأن معركة نافارين* كانت نهاية هذه الأحداث سنة 1827م.²

• الجزائر والحروب الروسية العثمانية أواخر العهد العثماني

تعود جذور الصراع الروسي العثماني إلى محاولة روسيا التوسع على حساب الأراضي العثمانية بهدف الوصول إلى سواحل البحر الأسود³، وكذا استثمار نتائج معركة نافارين في تسوية الحسابات مع العثمانيين خاصة بعد انتهاء الحرب الروسية مع فارس وتوقيع معاهدة تركمان، وبالتالي التفرغ للحرب ضد الدولة العثمانية.⁴

أعلنت روسيا الحرب على الدولة العثمانية في 26 أفريل 1828م، واجتازت جيوشها نهر بروت Prut ، ودخلوا الأراضي العثمانية في 8 ماي 1828م، واحتلوا الأفلاق والبغدان وفارنا وتوالت الهزائم العثمانية حتى وصل الروس أدرنه* لذلك تدخلت الدول الأوروبية بعد أن أصبح

¹ - أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص 148.

* معركة نافارين: هي معركة وقعت بين الدول الأوروبية المتحالفة (فرنسا، إنجلترا، روسيا، اليونان، النمسا) ضد الدولة العثمانية بمياه نافارين عشية 20 أكتوبر 1827م واختلفت المصادر حول مشاركة الأسطول الجزائري في المعركة، أنظر: ناصر الدين سعيدوني، معركة نافارين 1827، مجلة الدراسات التاريخية، جامعة الجزائر 2، الجزائر، 1992، مج4، ع1، ص 91.

² - خليفة إبراهيم حمّاش، الجزائر والحرب اليونانية العثمانية (1821-1827م)، المجلة المغربية، 1992، العدد 65-66، ص 177.

³ - ناصر الدين سعدوني، ورقات جزائرية ...، المرجع السابق، ص 312.

⁴ - سامي صالح محمد، عبد الجبار جاسم، الحرب الروسية العثمانية 1828-1829، (الموقف البريطاني والروسي منها)، مجلة آداب، جامعة تكريت، العراق، 2014، ص 1.

* أدرنه: هي أشهر المدن التركية الأوروبية بعد إستانبول، أنظر: أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص 187.

الروس قاب قوسين قريبين من استانبول، وتم توقيع معاهدة أدرنه 1829م¹، والتي تنص على دفع الدولة العثمانية غرامة حربية لروسيا قدرها إحدى عشر مليون ونصف مليون قطعة ذهبية² مقابل انسحاب روسيا من استانبول، وسيطرتها على مصب نهر الطونة مع الأحقية في الملاحة بالبحر الأسود.³

أرسل السلطان محمود الثاني قيجي باشا إلى الداوي حسين من أجل أخذ أموال الغرامة الحربية لروسيا لكي الداوي رفض ذلك بقوله: " ادفعوا أنتم لموسكو ما وجب عليكم، أما وجب علينا فابعثوه لكي نعطيه من أفواه المدافع... " ⁴

من هنا بدأت علاقة الدولة العثمانية بإيالاتها تتلاشى خاصة مع زيادة أطماع الدول الأوروبية من جهة، والظروف التي كانت تعيشها الجزائر من جهة أخرى وسقوطها في يد الاحتلال الفرنسي وبالتالي تراجع قوة ونفوذ الدولة العثمانية بالمنطقة بشكل خاص والعالم بشكل عام.⁵

ج- محاولة الباب العالي الإصلاح بين حكام إيالاتي الجزائر وتونس أواخر العهد العثماني

شهدت الفترة الممتدة ما بين سنوات 1813م و1820م سلسلة من الحروب الضارية بين إيالاتي الجزائر وتونس، والتي أدت إلى تدخل السلاطين العثمانيين من أجل وضع حد لها، وإقرار السلم والصلح بينهما سنة 1821م⁶، ومن بينهم السلطان محمد خان الثاني* الذي أمر الداوي

¹ - محمد أسامة زيد، منهل الظمان لإنصاف دولة آل عثمان، دار ابن رجب، القاهرة، 2012، ج1، ص 316.

² - محمد فريد بك المحامي، المرجع السابق، ص 417، وأنظر أيضا: حقي العظيم، تاريخ حرب الدولة العثمانية مع اليونان مطبعة الشرقي، القاهرة، 1902، ط1، ص 17.

³ - يلماز أوزتونا، موسوعة تاريخ الإمبراطورية العثمانية (السياسي والعسكري والحضاري)، تر: عدنان سلمان، الدار العربية للموسوعات، بيروت، 2010، ج3، ط1، ص 12.

⁴ - أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص 165.

⁵ - فريد محمد بك المحامي، المرجع نفسه، ص 440.

⁶ - أحمد بن أبي الضياف، المصدر السابق، ج3، ص 134.

* **السلطان محمود الثاني**: هو أحد سلاطين الخلافة العثمانية، رقبه ثلاثون في القائمة السلطانية، تولى عرش السلطة سنة 1808م، قام بعدة إصلاحات عسكرية، تزامنت فترة حكمه مع مرحلة الاحتلال الفرنسي للجزائر سنة 1830، أنظر: عزتو يوسف بك آصاف، تاريخ سلاطين بني عثمان من أول نشأتهم حتى الآن، تق: محمد زينهم ومحمد عزت، مكتبة مدبولي، مصر، 1995 ط1، ص ص 116-117.

حسين وباي تونس بأن يرسل مبعوثاً ممثلاً عن كل إيالة من الأوجاق*، وبعد وصولهما إلى إستانبول والاستماع إليهما حول موضوع العداوة القائمة بين الإيالتين¹، أمر السلطان بعقد الصلح بينهما، وتم ذلك في 14 مارس 1821م، وضرب المدفع طلقات نارية صباح ومساء ذلك اليوم.²

د- توتر العلاقة بين الداوي حسين والباب العالي سنة 1829م:

بعد توقيع الخلافة العثمانية مع روسيا معاهدة صلح أدرنه³، بوساطة من إمارة بروسيا في 14 سبتمبر 1829م⁴، ومن بنودها أن تدفع الدولة العثمانية مبلغ مليون وخمسمائة ألف دوقية هولندية في مدة ثمانية عشرة سنة⁵، أرسل السلطان العثماني إلى حكام إيالاته بشمال إفريقيا مساعدته في دفع التعويضات لروسيا، أين أرسل قبجي باشا للجزائر لأخذ الأموال، وتسليم أمر السلطان، لكن الداوي حسين رفض، ورجع مبعوث السلطان خائباً، وأخبر السلطان بما جرى فاشتد غضبه على الداوي حسين.⁶

هـ- محاولة الباب العالي في عقد الصلح بين الجزائر وفرنسا 1829-1830م

قام الباب العالي بالعديد من المحاولات من أجل تأمين الصلح بين الداوي حسين وفرنسا⁷، من خلال إرسال السلطان للمفتي خليل أفندي للجزائر، وبالتعاون مع القنصل الإنجليزي، أين شرع في

* الأوجاق: هي كلمة تركية (Ocak) لها عدة معاني منها: الموقد، الكانون...، وكذلك أطلقت على صنف من الجند كالسباهية وهم فرق في الجيش الإنكشاري العثماني، أنظر: سهيل صابان، المرجع السابق، ص 42.

1 - أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص 146.

2 - أحمد بن أبي الضياف، المصدر السابق، ص 134.

3 - محمد فريد بك المحامي، المرجع السابق، ص 433-441.

4 - أحمد إسماعيل ياغي، الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث، مكتبة العبيكان، الرياض، السعودية، 1996، ط1، ص 131.

5 - محمد فريد بك المحامي، المرجع السابق، ص 438.

6 - أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص 165.

7 - أحمد الشريف الأطرش، المرجع السابق، ص 340.

— الفصل الثالث: الكتابات والمذكرات الشخصية الجزائرية خلال القرن 18م وبداية القرن 19م —

مشاوراته مع الداي حسين بهدف إيجاد حل للنزاع القائم بين الدولتين، لكن الداي حسين رفض ذلك، رغم تنبيهه لها بأخطار الحملة الفرنسية على الجزائر.¹

بعد فشل مهمة خليل أفندي، قامت الدولة العثمانية بإرسال مبعوثها طاهر باشا محملاً بفرمان إلى داي الجزائر وحاشيته يوضح فيه مهمة مبعوثها، ومساعدته لهم من أجل إيجاد حل للنزاع القائم بين الأيالة وفرنسا²، وفي طريقه إلى الجزائر التقى بقائد الحصار الفرنسي الذي عمل على مماطلة المبعوث السلطاني للدولة الجزائرية.³

بعد رفض عبوره ودخوله إلى الجزائر، وتوجه هذا الأخير نحو مرسيليا بهدف القيام بالمفاوضات مع الفرنسيين من أجل منع انطلاق الحملة⁴، لكن الدوائر الفرنسية ظلت تماطل في المبعوث السلطاني حتى انطلقت الحملة، وتحققت أهدافها⁵، وبذلك فشلت الخلافة العثمانية في التوفيق والإصلاح بين الدولتين، ومنع توجيه الحملة باتجاه الجزائر، وعاد طاهر باشا إلى الإسكندرية، ومكث بها حتى وصول الحملة إلى الجزائر، وبذلك تأكد فشل المبعوث في مهمته⁶، ونجحت فرنسا في احتلال الجزائر بعد توقيع الداي لمعاهدة الاستسلام يوم 5 جويلية 1830⁷، وقد أبلغ السفير الفرنسي باستانبول الباب العالي في يوم 6 جويلية 1830م.⁸

¹ - أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص 167.

² - خليفة حمّاش، العلاقات بين إيالة الجزائر والباب العالي (1798-1830م)، مذكّرة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر جامعة الإسكندرية، مصر، 1988، ص ص 233-234.

³ - صالح عباد، المرجع السابق، ص 249.

⁴ - أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص 170.

⁵ - خليفة حمّاش، المرجع السابق، ص 237.

⁶ - أحمد الشريف الزها، المصدر السابق، ص 170.

⁷ - عبد القادر فلوح، العلاقات الجزائرية العثمانية في الفترة (1818-1830) على إثر وضوء وثائق المكتبة الوطنية الجزائرية رسالة ماجستير في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر 2، الجزائر، 2009-2010، ص 94.

⁸ - محمد زروال، العلاقات الجزائرية الفرنسية (1791-1830م)، المؤسسة الوطنية المطبعية، الجزائر، 2009، ص 161.

• علاقة الجزائر مع تونس أواخر العهد العثماني

أ- تدعيم حكام الجزائر لأبناء الحسين بن علي

عرفت الأسرة الحسينية* بتونس العديد من الحروب الداخلية التي دارت رحاها بين الأبناء والأخوة وبني العمومة حول الحكم والسلطة، ومن بينها الحرب القائمة بين علي باشا وعمه الحسين بن علي والذي انتصر عليه بفضل تدعيم دايات الجزائر له، وتمت له البيعة في 1148هـ/1735م، وانسحاب عمه الحسين وأبنائه إلى القيروان والتحصن بها.¹

بعد مقتل الحسين بن علي سنة 1153هـ/1740م، لجأ ابنائه علي باي، محمد باي، محمود باي إلى الجزائر وطلبوا الدعم من حاكمها إبراهيم باشا الذي اعتذر لهم عما صدر منه اتجاه والدهم ومناصرته لابن عمهم علي باشا²، وفي سنة 1169هـ/1756م جهزت الحكومة الجزائرية محلة برئاسة حسن باي قسنطينة ضد الباي علي باشا، والتي استطاعت القضاء عليه وقتله³، وفي 25 سبتمبر 1756م تم تنصيب محمد بن الحسين بن علي باياً على تونس⁴ حيث توفي في 14 جمادى الثانية 1172هـ/1758م وانتقلت السلطة إلى أخيه علي باشا.⁵

* الأسرة الحسينية: تأسست الأسرة الحسينية على يد الحسين بن علي في ربيع الأول من سنة 1117هـ/1705م، واستمرت في حكم تونس إلى غاية الاستقلال، وإعلان قيام الجمهورية التونسية سنة 1369هـ/1957م، أنظر: مفيد الزيدي، موسوعة التاريخ الإسلامي (العصر العثماني)، دار أسامة للنشر والتوزيع، الأردن، 2009، ص 217-219.

وأنظر أيضاً: محمد الباجي بن أبي بكر المسعودي، الخلاصة النقية في أمراء افريقية، تح: محمد زينهم، محمد عزب، دار الآفاق العربية، القاهرة، 2012، ط1، ص 241.

¹ - محمد بن عثمان السنوسي، مسامرة الظريف بحسن التعريف، تح: محمد الشاذلي النيفر، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1994، ج1، ص ص 91-94.

² - أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص 17.

³ - محمد بن عثمان السنوسي، المصدر السابق، ج1، ص 97.

⁴ - حصام صورية، العلاقات بين إيالتي تونس والجزائر خلال القرن الثامن عشر، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة وهران، 2012-2013، ص 81.

⁵ - محمد بن عثمان السنوسي، المصدر السابق، ج1، ص ص 106-107.

ب- الحرب بين الجزائر وتونس 1806-1813م

عرفت العلاقات الجزائرية التونسية أواخر عهد حمودة باشا* نوعا من التوتر من خلال محاولة حمودة باشا كسر تبعية تونس لدايات وحكام الجزائر، ومن أجل تحقيق هدفه قام بإنشاء فرق من الجواسيس والعيون داخل الجزائر¹، وكذا تدعيمه لثورات التي شهدتها الجزائر مثل ثورة ابن الأحرش²، سنة 1804 في عهد الباي عثمان باي بايلك قسنطينة (1803م-1804م)³ ويذكر الزهار في مذكراته بأنه استدعاه ووسوس له قائلا: "إن رجلا مثلك شجاع ... يجب أن يذهب إلى ملك الترك (بالجزائر) وينزعه من أيديهم ونحن نمذك بما يخصك والعرب يتبعونك لكثرة ما ظلمهم الأتراك"⁴، ولجوء الحاج مصطفى انقليز باي قسنطينة مع ابنه إلى تونس، واستتجاده بحموده باشا بهدف إعادته إلى منصبه ومساندته في ذلك⁵، وكان جزاء هذا الباي أن قتله أمراء الجزائر بعد موت الأمير مصطفى باشا.⁶

أعلن حمودة باشا الحرب على الجزائر وجهاز أربعين ألف مقاتل بقيادة أبو الربيع سليمان كاهية، وأخذ في محاصرة قسنطينة وضربها بالمدافع⁷، واستمر ذلك قرابة ثلاثة أشهر⁸، ولما وصل

* حمودة باشا: هو حمودة باي بن علي بن حسين باي، ولد 18 ربيع الثاني 1173هـ/ ديسمبر 1759م، تمت مبايعته في محرم 1191هـ/فيفري 1777م في حياة والده، وبعد وفاته تم تجديد البيعة له في 18 جمادى الثانية 1196هـ/ماي 1782م، وظل على رأس السلطة إلى غاية وفاته سنة 1229هـ/1814م، أنظر أحمد بن أبي الضياف، المصدر السابق، ج3، ص 11، وأنظر أيضا: محمد بن عثمان السنوسي، المصدر السابق، ج1، ص 118.

¹ - حنفي هلايلي، المرجع السابق، ص51.

² - محمد العربي الزبيري، التجارة الخارجية...، المرجع السابق، ص 28.

³ - أحمد بن المبارك بن العطار، تاريخ بلد قسنطينة، تح وتو: عبد الله حمادي، دار الفائز للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر 2011، ص 111.

⁴ - أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص 85.

⁵ - أحمد بن أبي الضياف، المصدر السابق، مج2، ج3، ص 40.

⁶ - أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص 87.

⁷ - محمد بن عثمان السنوسي، المصدر السابق، ص 120.

⁸ - محمد الباجي المسعودي، المصدر السابق، ص 137.

الخبر إلى أحمد باشا جهز جيشا وبعثه إلى قسنطينة عن طريق البر والبحر، واستطاع هذا الجيش الانتصار على الجيش التونسي وفك الحصار المضروب على قسنطينة.¹

بعد الهزيمة التي تلقاها الجيش التونسي في حرب 1806م عقد الباي حمودة باشا اجتماعا وقرر فيه الخروج بنفسه، لكن مستشاره رجب بونمرة نصحه بالبقاء على رأس ايلته بقوله: " أنت لا تملك أمر نفسك، والمصلحة أن تكون في مركز ولايتك ..."، فقرر تكليف أبو المحاسن يوسف صاحب الطابع²، ولما سمع أحمد باشا جهز جيشا وعين حسن آغا قائدا عليه.³

التقى الجيشان في موقع يعرف بـ سلاطة في 13 جويلية 1807م⁴ وبمؤامرة من باي قسنطينة واتفاقه مع حمودة باشا انسحب الجيش الجزائري وترك وراءه آلاته الحربية والمدافع⁵، وفي اليوم الموالي رجع الجيش التونسي إلى ساحة المعركة بقيادة أبو المحاسن يوسف، واستولى على المدافع والأسلحة والخيول وغير ذلك من المتاع الذي تركه الجيش الجزائري وعاد بهم إلى تونس بعد اخبار الباي حمودة باشا بانتصارهم المحقق وكان ذلك في 6 أوت 1807م.⁶

أما حسن آغا فبعدما تفتن لتلك المؤامرة بعد عودته إلى قسنطينة قام بإلقاء القبض على الباي حسين، وإخبار الداوي أحمد باشا بذلك⁷، والذي أمره بقتله وإعدامه.⁸

كما تجددت الاضطرابات في العلاقات بين الايالتين الجزائرية والتونسية في عهد الداوي الحاج علي باشا* الذي انتهج سياسة التضييق على السفن التجارية التونسية في عرض البحر وفي

1 - أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص 96.

2 - أحمد بن أبي الضياف، المصدر السابق، ج3، ص 44.

3 - أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص 97.

4 - محمد الباجي المسعودي، المصدر السابق، ص 137.

5 - أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص 97.

6 - أحمد بن أبي الضياف، المصدر السابق، ج3، ص 49.

7 - صالح عباد، المرجع السابق، ص 211.

8 - أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص 98.

* **الحاج علي باشا**: ينتمي الحاج علي باشا إلى النسب الشريف، تولى الحكم في الجزائر ما بين 1809م-1815م، أنظر: يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص 152، وأنظر أيضا: أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص 106.

الموانئ¹، وتعيين الرئيس حميدو* قائدا عاما للأسطول البحري الجزائري في حملته على تونس والتقى الجيشان بالقرب من مدينة الحمامات التونسية² في 7 ماي 1811م وهزم الجيش التونسي بسبب حدوث انشقاق في صفوفه بعد تولي الرئيس محمد المورالي قيادة الأسطول البحري التونسي.³

كما تم توجيه حملة برية أخرى من طرف إيالة الجزائر ضد الإيالة التونسية بقيادة عمر آغا والتقى الجيشان بالقرب من مدينة الكاف في أكتوبر 1813م⁴، وبعد مناوشات خفيفة انسحب الطرفان خاصة بعدما وصل الخبر لعمر آغا بانسحاب الحملة البحرية.⁵

• الصلح بين الجزائر وتونس سنة 1821م

تم الصلح بين الايالتين الجزائرية والتونسية بعد تدخل السلطان العثماني محمود الثاني الذي أمر داي الجزائر حسين باشا وباي تونس سنة 1821م بإرسال ممثلين عنهم من الاوجاق الى الباب العالي للنظر في العداوة القائمة بين الايالتين فاستجاب الطرفين بطلب السلطان.⁶ بعد وصول المبعوثين الى إستانبول أمر السلطان وزيره الأعظم بالاستفسار حول سبب العداوة القائمة بين الايالتين⁷، وبعد الاستماع للطرفين أمر السلطان محمود الثاني بعقد الصلح

¹ - رشاد الإمام، سياسة حمودة باشا في تونس 1782-1814م، منشورات الجامعة التونسية، تونس، 1980، ص 400.

* الرئيس حميدو: ولد سنة 1773م في مدينة الجزائر، بدأ احتكاكه بالبحر منذ شبابه، تم تعيينه كقائد للأسطول البحري من طرف الداى حسن باشا(1791-1798م)، توفي سنة 1815م، أنظر: نجيب بن لمبارك، تحفة البصائر في ذخائر مدينة الجزائر البصائر الجديدة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013، ج1، ص ص 23-27.

² - رشاد الإمام، المرجع السابق، ص 400.

³ - أحمد بن أبي الضياف، المصدر السابق، ج3، ص 51.

⁴ - رشاد الإمام، المرجع السابق، ص 403.

⁵ - أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص 108.

⁶ - المصدر نفسه، ص 146.

⁷ - أحمد بن أبي الضياف، المصدر السابق، ج3، ص 134.

بينهما، وأرسل الفرمانات والرسل لحكام الايالتين¹، وتم الصلح في 14 مارس 1821م وضرب المدفع في ذلك اليوم صباحا ومساء² وفرح جميع المسلمين واستبشروا خيرا بإطفاء هذه الفتنة.³

• مع المغرب الأقصى

تميزت العلاقة الجزائرية المغربية في الفترة الحديثة بنوع من الصراع والتنافس تارة، والتقارب والهدنة تارة أخرى⁴، وشهدت فترة حكم السلطان العلوي المولى سليمان* (1796-1822م)⁵ في بدايتها تدعيم الثورات الداخلية بالجزائر، ومن بينها تحريض ابن الشريف الدرقاوي زعيم الطريقة الدرقاوية ببابيك الغرب على الثورة ضد السلطة الحاكمة بالجزائر⁶، وذلك بعد التقائه بشيخ الطريقة الدرقاوية بفاس⁷ أبو عبد الله، ومعه الأمين الحاج الطاهر بادو المكناسي الذي أيدهم بعد الاستماع لشكاوي سكان المنطقة من المعاملة الجائرة للسلطة العثمانية بالجزائر لهم.⁸

بعد قيام السلطة الحاكمة بالمغرب الأقصى بتدعيم وتشجيع الثورة الدرقاوية بالمال والسلاح والمواد الغذائية أرسل ابن الشريف الى سكان المنطقة الغربية بالجزائر يدعوهم للانضمام إليه، أين

¹ - أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص ص 146-147.

² - أحمد بن أبي الضياف، المصدر السابق، ج3، ص 134.

³ - أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص 147.

⁴ - عزالدين بن سيفي، العلاقات الجزائرية المغربية (1246-1330هـ/1830-1912م)، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه في تاريخ المغرب العربي الحديث والمعاصر، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، الجزائر، 2017-2018، ص 39.

* المولى سليمان: هو سليمان بن محمد بن عبد الله بن إسماعيل، أبو الربيع الشريف العلوي، حكم المغرب الأقصى ما بين (1206هـ-1238هـ/1796-1822م)، أنظر: خير الدين الزركلي، المصدر السابق، ج3، ص 133.

⁵ - إبراهيم حركات، مرجع سابق، ص 128.

⁶ - صالح عباد، المرجع السابق، ص 202.

⁷ - محمد بن يوسف الزباني، المصدر السابق، ص 272.

⁸ - أبو العباس أحمد الناصري، الاستقصاء لأخبار دول المغرب، تح وتعل: جعفري الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب،

المغرب الأقصى، 1997، ج8، ص 110

— الفصل الثالث: الكتابات والمذكرات الشخصية الجزائرية خلال القرن 18م وبداية القرن 19م —

دارت بينه وبين الباي المقلش "المقلج" معارك ضارية جعلته ينسحب إلى عمالة الغرب بالمغرب الأقصى¹، وبهذا استطاع الباي محمد المقلش القضاء على هذه الثورة، وكان ذلك سنة 1806م.² ثم عادت العلاقات الجزائرية المغربية إلى التقارب من خلال قيام المولى سليمان بتدعيم الجزائر سنة 1816م بعد الدمار الذي شهدته مدينة الجزائر على إثر الحملة الإنجليزية الهولندية بقيادة اللورد إكسموث³ وهو ما ذكره أحمد الشريف في مذكراته، بأن الداوي عمر أرسل الحاج محمد العنابي قاضي سادة الحنفية لسلطان المغرب المولى سليمان الذي أحسن ضيافته، ومنحه مركبين من نوع كربيط، وأمولا من أجل تدعيم وبناء الأسطول الجزائري.⁴

• مع مصر

اتسمت العلاقات الجزائرية المصرية أواخر العهد العثماني في مجملها بالطابع السلمي خاصة بعد تضامن إيالة الجزائر في عهد الداوي مصطفى باشا مع مصر خلال تعرضها للحملة الفرنسية التي قادها نابليون بونابارت سنة 1798م⁵، بحيث ألقى القبض على جميع قناصل فرنسا المقيمين بالجزائر مثل عنابة، وهران ومدينة الجزائر ووضعهم بالسجن مع وضع قيود بأرجلهم.⁶ كما نجد مراسلة الداوي حسين لمحمد علي باشا يطلب منه تقديم المساعدات للحجيج والجنود الجزائريين مع السهر على راحتهم ورعاية شؤونهم، إضافة إلى أن مصر كانت مركز لتجنيد المتطوعين بالإيالة الجزائرية، واستمر ذلك إلى غاية فترة الحصار الفرنسي على السواحل الجزائرية.⁷

¹ - أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص 87.

² - حنفي هلايلي، المرجع السابق، ص 34.

³ - عبد الجليل التميمي، بحوث ووثائق في التاريخ المغربي...، المرجع السابق، ص 24.

⁴ - أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص 127.

⁵ - سفيان صغير، العلاقات الجزائرية العثمانية خلال عهد الدايات في الجزائر (1671-1830م)، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة باتنة، الجزائر، 2012، ص 407.

⁶ - أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص 76.

⁷ - فتيحة صحراوي، الجزائر في عهد الداوي حسين (1818-1830م)، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر، 2011، ص ص 152-153.

محاولة محمد علي باشا تحذير الداي حسين سنة 1829م بشأن الحملة الفرنسية على الجزائر، وتنبئيه بأن النتائج سوف تكون وخيمة في ظل رفضه للمفاوضات السلمية مع فرنسا لكن وصول رد الداي حسين إلى والي مصر جعله يخبر الحكومة الفرنسية بفشل محاولته في الوساطة بين الطرفين.¹

كما نجد بأن مصر كانت محطة حسين باشا بعد استسلامه للحملة الفرنسية وقائدها الجنرال دي بورمون، حيث انتقل مع أهله وأتباعه إلى الإسكندرية، وكان في استقبالهم الوالي محمد علي باشا.²

• مع طرابلس الغرب

عرفت العلاقات الجزائرية بطرابلس الغرب أواخر العهد العثماني نوعا من السلم والتعاون في أغلب الأحيان، خاصة بعد وصول الأسرة القرمانيّة* للحكم بطرابلس الغرب مع مؤسسها أحمد بن يوسف القرماني*، ومن مظاهر ذلك تبادل الهدايا والتمثيل الدبلوماسي بين باشوات طرابلس الغرب ودايات الجزائر.³

¹ - أبو القاسم سعد الله، محاضرات في تاريخ الجزائر ...، المرجع السابق، ص 30.

² - محمد بن عبد القادر، تحفة الزائر ...، المرجع السابق، ص 85.

* الأسرة القرمانيّة: هي أسرة تركية الأصل ترجع إلى مدينة قرمان ببلاد الأناضول، أنظر: رولد ولفو ميكاي، طرابلس الغرب تحت حكم الأسرة القرمانيّة، تر: طه فوزي، دار الفرجاني طرابلس، ليبيا، (د.س.ن)، ص 7.

* أحمد بن يوسف القرماني: هو سليل الأسرة التركية القادمة من مدينة قرمان بالأناضول، ولد في مدينة طرابلس وهو مؤسس الأسرة القرمانيّة الحاكمة لطرابلس الغرب في الفترة الممتدة ما بين 1711-1835م، تقلد الحكم وهو ابن 25 سنة، امتدت فترة حكمه ما بين (1711-1745م)، أنظر: هانبسترايت، رحلة العالم الألماني ج.أو. هانبسترايت إلى الجزائر وتونس وطرابلس (1732/هـ)، تر: ناصر الدين سعيدوني، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1982، ص 126، وأنظر أيضا: وليد خالد يوسف، حكم الأسرة القرمانيّة في ولاية طرابلس الغرب 1711-1835م، مجلة جامعة تكريت للعلوم، العراق، جويلية 2012، مج 19، ع 6، ص 302.

³ - مفتاح بلعيد غويطة، العلاقات الطرابلسية الجزائرية 1711-1830م حسب وصف بعض معاصريها، مجلة كلية الآداب لجامعة بنغازي، ليبيا، 2012، ع 36، ص ص 258-259.

ظهر هذا التعاون والترابط في العلاقات الثنائية بين طرابلس الغرب والجزائر في عهد يوسف باشا* الذي أرسل هدية¹ متمثلة في بعض السفن والوصف والخدم للداي عمر باشا بقيادة الرئيس عمر الشلي² بعد الدمار الذي حل بالأسطول الجزائري في حملة اللورد إكسموث على الجزائر سنة 1816م.³

3-2- الجانب الاقتصادي

سارع حكام إيالة الجزائر إلى إنشاء مؤسسات اقتصادية شبيهة بالمؤسسات العثمانية بهدف تنظيم المجتمع وإعطائه مكانة مرموقة في حوض البحر الأبيض المتوسط، ومن بينها مؤسسة الخزينة التي عملت على إدارة الشؤون المالية وتنظيم الواردات والنفقات بالإيالة خاصة في ظل تراجع غنائم البحر أواخر العهد العثماني، ومن أهم مصادرها ما يلي:

• استخلاص الضرائب

تعددت الضرائب والرسوم المفروضة على القطاع الريفي أواخر العهد العثماني، والتي تمثل إحدى مصادر مؤسسة الخزينة خاصة بعد تراجع غنائم وعائدات الجهاد البحري⁴، ومنها الخراج والزكاة والاعشار، والتي تقوم المحال باستخلاصها فمثلا محلة الغرب تخرج في شهر أفريل

* يوسف باشا: هو يوسف بن علي بن أحمد القرماني أصغر أولاد علي باشا، تولى حكم طرابلس الغرب سنة 1211هـ/1796م واستمر ذلك إلى سنة 1832م عمل على فرض النظام، وقام بالعديد من الإصلاحات خاصة في جانب تقوية الأسطول البحري أنظر: ابن غلبون أبي عبد الله محمد بن خليل الطرابلسي، تاريخ طرابلس الغرب المسمى التذكار فيمن ملك طرابلس وما كان بها من الأخبار، تص و تع: الطاهر أحمد الزاوي، المدار الإسلامي، بيروت، لبنان، 2004، ط1، ص 316.

¹ - أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص 127.

² - عبد الجليل التميمي، المرجع السابق، ص 115.

³ - مفتاح بلعيد غويطة، المرجع السابق، ص 259.

⁴ - فريدة شرفة، العوامل المؤثرة في استمرارية العلاقات بين الإدارة العثمانية وسكان الأرياف في الجزائر أواخر الحكم العثماني الملتقى الدولي الثاني: " العلاقات الجزائرية التركية"، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، منشورات مطبعة جامعة محمد خيضر بسكرة، الجزائر، 2014، ص 71.

وتستمر لمدة أربعة أشهر، ومحلة التيطري تخرج في الصيف، وتستمر مدة ثلاثة أشهر بينما محلة الشرق فتخرج في بداية الصيف، وتستمر لمدة ستة أشهر.¹

وتعتبر الزكاة من أهم الضرائب الشرعية الإسلامية المباشرة المفروضة على أراضي الملكية الخاصة، أو الأراضي الخاضعة لمراقبة البايلك² والتي تعتمد على تحديد كمية الإنتاج الحقيقية³ فهناك من القبائل من كان تدفعها من قمح وغنم مثل قبائل بايلك الشرق أو تين وزيت مثل قائد سباو⁴، وكانت هذه التقديرات مرتبطة بقائد العشور أو خوجة المعونة.⁵

•اللزمة

تفرض اللزمة أو المعونة والخطية على قبائل الرعية⁶ الخاضعة للسلطة الحاكمة بهدف تموين الجند في الأرياف، وهي عبارة عن رسوم نقدية وعينية تدفع كل ستة أشهر، وقد ذكر الحاج أحمد الشريف في مذكراته بأن "باي الغرب يدفع ثمانين ألف ريال صغيرة، وباي الشرق يقدم ثمانين ألف ريال كبيرة بجة"⁷، وقد تعددت تسمياتها لتعدد المناسبات التي تؤخذ فيه⁸ وحددت قيمتها بأربعة آلاف دورو بجة عن كل شهر، فمثلا باي الشرق فيدفعها كل ستة أشهر في اليوم الثالث من دنوش الخليفة.⁹

1 - أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص 35.

2 - الأمير بوغدادة، المؤسسات في الجزائر أواخر العهد العثماني (القضاء أنموذجا) "1185هـ-1235هـ/1771-1837م"، مطبوعات الكتاب والحكمة، الجزائر، 2009، ص 48.

3 - فاطمة الزهراء سيدهم، موارد إيالة الجزائر المالية في مطلع القرن التاسع عشر، مجلة كان التاريخية الالكترونية، 2011، ع13 ص 22.

4 - أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص 47.

5 - المهدي البوعبدلي، ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ج4، ص 32.

6 - محمد بن ميمون الجزائري، المصدر السابق، ص 102.

7 - أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص 46.

8 - ناصر الدين سعيدوني، النظام المالي ...، المرجع السابق، ص 97.

9 - أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص 47.

•الدنوش

تعتبر الدنوش من أهم المصادر الرئيسية للخرينة، وهي عبارة عن مساهمات فصلية وسنوية تدفعها ويُقدمها بايات البايلاكات الثلاث (الشرق والغرب والتيطري)، بالإضافة إلى ما يُقدمه حكام دار السلطان وقائد سباو¹، وهي مرتبة حسب فتوحات الأتراك الأوائل²، وهي تختلف من بايلاك لآخر، ويحتل بايلاك الشرق الصدارة في كمية الدنوش المقدمة، حيث بلغت سنة 1822م 294.150 فرنك³ وتقدم هذه الدنوش كل ثلاث سنوات⁴ ومما يلاحظ بأنّ الدنوش، والعوائد الفصلية تكثر وتقل تبعاً للأوضاع الاقتصادية السائدة في كل منطقة⁵.

كما تطرق الحاج أحمد الزهار في مذكراته إلى عوائد الباشا، كاتب الكتاب، وعوائد الشواش وهدايا خوجة الخيل، والخرناجي، والمتمثلة في الأثاث المصبوغ، والخيل والعبيد والبرانس والعسل والأرز، وغير ذلك.⁶

4- الكوارث الطبيعية والأزمات الصحية

أشار أحمد الشريف الزهار في مذكراته إلى ذكر العديد من الكوارث الطبيعية مع مطلع القرن التاسع عشر ميلادي، والتي ساهمت في إحداث الأزمات الاقتصادية، والصحية بالإيالة، ومن بينها:

4-1- الكوارث الطبيعية

4-1-1- الزلازل

عرفت الجزائر زلازل عنيفة، ومن أشدها زلزال 1217هـ/1802م الذي ضرب مدينة القليعة وقد ترتب عليه خراب المدينة، مخلفاً وراءه عددا كبيرا من الموتى⁷، بالإضافة إلى زلزال مدينة

1 - ناصر الدين سعيدي، النظام المالي ...، المرجع السابق، ص 100

2 - أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص 35.

3 - فاطمة الزهراء سيدهم، المرجع السابق، ص 25.

4 - أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص 35.

5 - ناصر الدين سعيدي، النظام المالي ...، المرجع السابق، ص 101.

6 - أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص ص 41-43.

7 - محمد الزين، نظرة على الأحوال الصحية بالجزائر العثمانية أواخر عهد الدايات، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، جامعة غرداية، الجزائر، 2012، ع17، ص 131.

البليدة سنة 1241هـ/1825م، في عهد الداوي حسين باشا¹، والذي ضرب الأطلس البليدي مخرباً المدينة، وأدى إلى هلاك أكثر من سبعة آلاف قتيل.²

4-1-2- الصاعقة

ذكر أحمد الزهار في مذكراته بأن الصاعقة ضربت برج الفنار في عهد ولاية الداوي محمد باشا سنة 1814م/1230هـ، وأدت إلى تهديم جزء منه.³

4-1-3- الجراد

ساعدت الظروف المناخية بإيالة الجزائر أواخر العهد العثماني، والمرتبطة بالمناخ الصحراوي، وتأثيره على مناطق الهضاب العليا الرعوية في الوسط، ومناطق التل الزراعية الخصبة في الشمال على زحفه كل أربع أو خمس سنوات⁴، وهذا ما ذكره أحمد الزهار في مذكراته بأن الجراد زحف على إيالة الجزائر سنة 1230هـ/1814م في عهد الداوي عمر باشا، مسبباً في ذلك اختفاء الأقوات وهلاك الكثير من السكان بسبب انتشار المجاعة.⁵

4-2- الأزمات الصحية

عانى المجتمع الجزائري خلال العهد العثماني من الأزمات الصحية التي تعددت أسبابها، وساهمت في تدهور الوضع الصحي بالإيالة خاصة مع أواخر العهد العثماني في القرن الثامن عشر، وبداية القرن التاسع عشر الميلادي، وأدى إلى هلاك عدد كبير من السكان، ومن بينها انتشار وباء الطاعون⁶ سنة 1201هـ/1786م، وسمي بالوباء الكبير بحيث استمر إلى غاية

1 - أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص 83.

2 - ناصر الدين سعيدوني، دراسات وأبحاث ...، المرجع السابق، ج2، ص 129.

3 - أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص 115.

4 - محمد الزين، المرجع السابق، ص 131.

5 - أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص 117، وأنظر أيضاً: ناصر الدين سعيدوني، الحياة الريفية بإقليم مدينة الجزائر (دار السلطان) أواخر العهد العثماني (1791-1830م)، البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013، ص 329.

6 - فلة القشاعي موساوي، الصحة والسكان في الجزائر أثناء العهد العثماني، وأوائل الاحتلال الفرنسي (1830-1518)، أطروحة دكتوراه دولة في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر، الجزائر، 2003-2004، ص ص 149-151.

1211هـ/1796م¹، ويُعد من أخطر وأعنف الأزمات الصحية التي ضربت إيالة الجزائر وقد قضى على عدد كبير من السكان²، وعلى رأسهم حاكم الإيالة الداوي محمد باشا وحاشيته سنة 1205هـ/1791م.³

استخدم السكان الوسائل البدائية في معالجة مرضاهم مثل البخور، والتمايم، وغيرها من الأعشاب الطبيعية، وكما عرفت الجزائر أيضا سنة 1816م انتشار وباء الطاعون، واستمر لمدة سبعة سنوات.⁴

وقد اختتم أحمد الشريف الزهار مذكراته بذكر سيرة حسين باشا آخر ملوك ودايات الجزائر ثم بخاتمة بها الكثير من الدروس والعبر بهدف الاتعاض، معبراً على ذلك بقوله: " انظر أيها المعتبر كيف كانت أول أيام هذه الدولة، وما آلت له في نهاية الحكم العثماني...".⁵

5- المصادر والأسلوب المعتمد من طرف الحاج أحمد الشريف الزهار في كتابة مؤلفه

الحاج أحمد الشريف الزهار مثله مثل معاصريه اعتمد في تأليف مذكراته على عرض الأحداث التاريخية من خلال تسلسلها الزمني، والوصف الدقيق في سرد الأحداث، مدعماً ذلك بالاعتماد على جملة من المصادر المتنوعة التي تعكس مدى اطلاعه، وثقافته.

5-1- المصادر المعتمد عليها في تأليفه

اعتمد الحاج أحمد الشريف الزهار في كتابة مذكراته على جملة من المصادر المتنوعة، ومن

بينها:

1 - أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص 51.

2 - أرزقي شويتام، المرجع السابق، ص 406.

3 - أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص 51.

4 - أرزقي شويتام، المرجع السابق، ص 406.

5 - أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص 176.

• الاعتماد على الثقات في نقل الأخبار

ويتجلى ذلك من خلال قوله: " ... سمعت عن بعض من أثق به من الشيوخ ... " ¹، وهو ما ساعده على الحصول على العديد من المعلومات خاصة في وصف الأحداث والوقائع التاريخية والتي دعم بها تأليفه، ومن بينها وصفه للمجاعة التي أصابت إيالة الجزائر سنة 1184هـ، أو وصفه للحرب عن إمارة نابولي سنة 1794م، عندما قال: " ... هكذا سمعت من لسان الحاج مصطفى وليد عيسى، وهو ممن حضر وأخذ هذه الغنائم ... " ²

• الاعتماد على المشاهدة المباشرة

اعتمد الحاج أحمد الزهار في وصف الأحداث والوقائع التاريخية على المشاهدة المباشرة بكونه عايشها وشاهدها مباشرة، مثل حديثه عن الأزمة الاقتصادية التي ضربت الجزائر سنة 1805م، في عهد مصطفى باشا بسبب القحط وما أنجر عنه من ارتفاع في أسعار القمح، وكذلك حديثه عن وباء الطاعون الذي انتشر بالإيالة سنوات 1786 إلى غاية 1796م، وكذا الوباء الذي انتشر ما بين سنوات 1816 إلى غاية 1823م في عهد الداوي حسين باشا³، كما تحدث عن الإنزال الفرنسي بسيدي فرج، وعن جل الإجراءات التي اتخذها الداوي حسين في مواجهته ... ⁴ ومن هنا تتجلى القيمة الكبيرة للمشاهدة المباشرة في الكتابة التاريخية فالمؤرخ الذي يشاهد الحدث تكون رواياته راجحة مقارنة مع المعاصر لها.

• الاعتماد على المصادر الإسلامية العامة

تُعد المصادر الإسلامية التي اعتمد عليها الحاج أحمد الشريف الزهار في تأليفه لمذكراته انعكاسا إيجابيا على سعة اطلاعه، وثقافته، ومن أهم المصادر الإسلامية التي دعم بها تأليفه نجد عبد الرحمان ابن خلدون، والذي اعتمد عليه في خاتمة كتابه في تبيان العلاقة الموجودة بين

¹ - أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص 31.

² - المصدر نفسه، ص 90.

³ - أرزقي شويتام، المرجع السابق، ص 406.

⁴ - أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص 171.

ال عمران والحضارة حيث يقول: " إن العمران كله من بداوة وحضارة وملك وسوق له عمر محسوس... " ¹.

• الاعتماد على المؤرخين المعاصرين له في نقل الأحداث

اعتمد الحاج أحمد الشريف الزهار على جملة من المؤرخين المعاصرين له في نقل المعلومات سواء ما تعلق بإيالة الجزائر أو الايالات المجاورة، فمثلا عندما تحدث عن أوضاع تونس خلال حكم أوائل الأسرة الحسينية وصراعهم حول السلطة قال: حدثنا ابن عبد العزيز (ت 1202هـ/1788م) في تاريخه "التاريخ الباشي"، على كيفية مصرع الباي حسين بن علي وقطع رأسه على يد حفيده يونس بن علي... ².

5-2- الأسلوب المعتمد في كتابة مذكراته

انتهج الحاج أحمد الشريف الزهار في مؤلفه العديد من الأساليب، والتي اشتهرت في عصره منها:

• الترتيب الكرونولوجي للأحداث: وهو الأسلوب المعتمد من طرفه في معالجة موضوع

الكتاب، لذلك نجده قد تطرق إلى ذكر فترات حكم الدايات منذ البداية إلى النهاية، فمثلا ذكره لفترة حكم الداوي مصطفى باشا من ذي القعدة 1212هـ إلى غاية الخامس من جمادى الثانية سنة 1222هـ، وما تخللها من أحداث ووقائع تاريخية. ³

• استخدام اللغة البسيطة: استخدم الحاج أحمد الزهار اللغة العربية البسيطة، وكذا بعض

التركييب والكلمات العامية، مع العمل على إرجاعها إلى سياقها العربي دون إحداث أي ضرر بالنص المكتوب، مع محاولته إدخال عليها مسحة أدبية، ⁴ وربما يعود ذلك إلى طبيعة تكوينه

¹ - عبد الرحمان ابن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 202.

² - حمودة بن محمد بن عبد العزيز، التاريخ الباشي، تح: محمد ماضور، الدار التونسية للنشر، تونس، 1970، ج1، ص 47.

³ - أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص 71.

⁴ - وافية نفطي، أماني سعدالي، مسألة التدوين التاريخي في الجزائر خلال العهد العثماني، مجلة هيرودوت للعلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر، 2023، مج7، ع2، (ع خ)، ص 87.

العلمي الذي يظهر جلياً في طريقة الطرح والأسلوب، أو بسبب أن الكتاب عبارة عن مذكرات لم توضع لتؤرخ أو تسجل بل كانت مجرد مسودة مثلما ذكر أحمد توفيق المدني¹، وقد لاحظنا بسطاته اللغوية في وصفه لمقر الحكم في عهد علي باشا حيث يقول: "نقل علي باشا لمقر الحكم من قصر الجينية إلى معقل القصبة على حالها..."².

• **الاعتماد على ذكر الألفاظ التركية والمحلية والأجنبية:** ذكر العديد من المصطلحات التركيبية ومنها: "الباشا" (لقب تشريفي في العهد العثماني، ويعني حاكم البلاد)، و"بكداش" (الحجر القاسي)، "الطوبجية" (رماة المدافع)، "السلطاني" (العملة المتداولة بالإيالة والخلافة العثمانية)، "خوجة الخيل" (وزير الحرب)، "الخنزاجي" (وزير المال وضابط حسابات الدولة) "الأغا" (القائد العام للجند البري)³.

• **الاعتماد على أسلوب السرد:** حيث نجده اعتمد على السرد الدقيق في وصف الأحداث ونقل المعلومات ويظهر ذلك من خلال حديثه عن ولاية الدايات أين يذكرهم بأدق التفاصيل التي يمكن تؤرخ بها، مع تحديده تواريخ الأحداث بدقة، ابتداء الباشا علي بوصباع الذي تولى الحكم سنة 1754م، والانتهاه بذكر حكم الداوي حسين سنة 1818، وسقوط الجزائر في يد المحتل الفرنسي سنة 1830م، وكما كان متريثا في نقله للأخبار لذلك كان يستخدم دائما عبارة "الله أعلم"، وهذا في حالة عدم تأكده عن المعلومة المنقولة إليه، وبهذا يضع القارئ دائما محل الحذر في تعامله مع الحادثة التاريخية، وكذا يبرئ نفسه إذا كان بهاشك⁴.

• **الاعتماد على أسلوب التقديم والتأخير:** وهو ما اشتهر به في مؤلفه حيث نجده دائما يقوم بتقديم حدث عن حدث آخر، وهذا رغم وقوعه قبل الحدث الآخر، وبذلك فهو لا يعتمد على

1 - أحمد توفيق المدني، محمد بن عثمان ...، المرجع السابق، ص 100

2 - أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص 13.

3 - فارس كعوان، المصطلحات الإدارية العثمانية في الجزائر (مصطلحات: الباشا-الدنوش-البايك أنموذجا)، دورية مدارات تاريخية، دورية دولية، أبريل 2019، مج 1، ع خ، ص 130.

4 - أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص 65.

الترتيب الزمني للأحداث، ويعود ذلك ربما إلى أن المذكرات لم تخضع للمراجعة¹، فمثلا في الصفحة 82 تحدث عن ثورة الأتراك "الكرغلة" ضد الداوي مصطفى باشا سنة 1219هـ/1804م، ثم يعود للتحدث عن الزلزال الذي ضرب مدينة القليعة سنة 1217هـ/1802م في الصفحة 83.²

• **الاعتماد على أسلوب الوصف والتحليل:** وهو من أهم الأساليب التي اعتمد عليها في تأليف مذكراته خاصة فيما تعلق في وصفه للأحداث التي عرفت مدينة الجزائر، وما حل بها من كوارث طبيعية كالزلازل والفيضانات وصفه للحالة الاجتماعية كذكره لعادات أهل مدينة الجزائر وتقاليدهم وأهم المناسبات الدينية وكيفية الاحتفال بها كالأعياد، وقراءة صحيح البخاري خلال شهر رمضان وكذا كل ما تعلق برحلة الدنوش والتي تعتبر إحدى التقاليد التي حافظت عليها السلطة الحاكمة بالجزائر العثمانية ولفترة طويلة، ومنها الدنوش الكبيرة والدنوش الصغيرة.³

وما تجدر الإشارة إليه بأن مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار تمثل وثيقة تاريخية ذات قيمة كبيرة في كتابة تاريخ الجزائر، إذ يقدم رؤية شاهد عيان عاش أحداثا مفصلية من تاريخ الجزائر أواخر العهد العثماني، وبداية الاحتلال الفرنسي للمنطقة، وتتجلى أهميتها في احتوائها على العديد من المعلومات الهامة عن الحياة السياسية، والاجتماعية، والاقتصادية بالإيالة، وما تخللتها من أحداث ووقائع تاريخية كذكره لفترة الدايات بالجزائر، وكيفية توليهم الحكم، وأهم الأحداث التي جرت في عهد كل داي، وكما وصف لنا الأوضاع الداخلية على الصعيد السياسي والاجتماعي وما تميزت به العلاقات الجزائرية مع بلدان العالم العربي والإسلامي، وكذا علاقاتها مع الدول الأوروبية، والتي انعكست سلبا على الإيالة، وسقوطها في يد المحتل الفرنسي، ولذلك فإن مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار لا تعد مجرد سرد ذاتي، بل مرجعا توثيقيا يُسهم في إعادة بناء التاريخ الوطني من وجهة نظر محلية بعيدا عن الرؤى الأجنبية.

¹ - ناصر الدين سعيدوني، من التراث التاريخي ...، المرجع السابق، ص 567.

² - أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص ص 82-83.

³ - رقية قندوز، مراسم الدنوش ورمزيته في إيالة الجزائر خلال العهد العثماني، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، الجزائر، 2006/2005، ص ص 40-41.

وكختام لهذا الفصل فإننا نجد تعدد المصادر المحلية التي وثقت لنا فترة حرجة من تاريخ الجزائر أواخر العهد العثماني، وبداية الاحتلال الفرنسي، ويتجلى ذلك من خلال ما خلفه عدد من المفكرين والمصلحين والشخصيات الجزائرية ممن حاولوا تأريخ واقعهم بلغة تجمع بين التوثيق والنقد والتحليل لتلك التحولات السياسية، الاجتماعية، الاقتصادية والثقافية التي عرفها المجتمع الجزائري ومن أهم تلك المؤلفات نجد كتابات محمد ابن ميمون الذي قدم تفسيراً للواقع المعاش بمنطق ديني وسياسي، وعبد القادر المشرفي الذي عمل على تقديم عرض شامل لعلاقة السكان بالسلطة ببابيك الغرب، وخاصة فيما تعلق بالفتح الأول لمدينة وهران، وكما اعتمد حمدان بن عثمان خوجة في مذكراته على الخطاب الحداثي الموجه للغرب، والداعي للإصلاح، وانتقاد الممارسات التعسفية للإدارة الفرنسية بالجزائر، بينما سعى الحاج احمد الشريف الزهار في مذكراته أيضا إلى تبيان العلاقة بين المجتمع والسلطة وما صاحبها من أحداث ووقائع ساهمت في ضعف الولاية، ووقوعها في يد المحتل الفرنسي، ولذلك تميزت كتاباتهم بتنوع مناهجهم بين النقد السياسي والتوثيق الاجتماعي، والتحليل، والسرد الموسوعي للأحداث.

الفصل الرابع: أهمية المصادر المحلية في كتابة تاريخ الجزائر خلال العهد

العشاني.

أولاً: الجانب الاجتماعي.

ثانياً: الجانب الثقافي.

ثالثاً: الجانب الاقتصادي.

يُعد الاعتماد على المصادر المحلية أحد المرتكزات الأساسية في كتابة التاريخ الوطني خلال العهد العثماني بصفة علمية وموضوعية، خاصة في الفترات التي تتداخل فيها الروايات الخارجية مع الأجندات السياسية أو الأيديولوجية، وتبرز أهمية هذه المصادر بشكل خاص في دراسة تاريخ الجزائر أواخر العهد العثماني القرن 18م وبداية القرن 19م إذ تشكل المصادر المحلية سواء كانت وثائق إدارية سجلات المحاكم الشرعية أو سجلات بيت المال أو البايك، أو مؤلفات فقهية، أو كتابات تاريخية و مذكرات شخصية مرجعية لا غنى عنها لفهم تطورات الحياة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والعمرانية و السياسية في الإيالة خلال هذه الحقبة، وكذا تمثل خطوة أساسية في تفكيك المركزية الأوربية في كتابة التاريخ، وفي إبراز خصوصيات التجربة الجزائرية في إعادة كتابة التاريخ الوطني خلال العهد العثماني.

أولاً: الجانب الاجتماعي

تناولت العديد من المصادر المحلية الحياة الاجتماعية بالجزائر خلال العهد العثماني، خاصة أواخر العهد، أين عرف المجتمع الجزائري في تكوينه مزيجاً من الأجناس البشرية ذات المشارب الثقافية المتعددة، والروافد الفكرية المتنوعة، والتي أكسبت الحياة الاجتماعية ازدهار في أواخر العهد العثماني، وتعدداً لمظاهر التضامن والتآزر، وتنوعاً في العادات والتقاليد بين فئاته، ويتجلى لنا ذلك فيما يلي:

1- تركيبة المجتمع الجزائري خلال العهد العثماني

أشارت العديد من المصادر سواء المحلية والأجنبية إلى وجود مجموعتين أساسيتين هما: سكان المدن، وسكان الأرياف بالمجتمع الجزائري خلال العهد العثماني.¹

¹ - أرزقي شوتيام، المرجع السابق، ص 75.

1-1- سكان المدن

تراوحت نسبة سكان المدن بالجزائر خلال العهد العثماني ما بين 05 و10%، وقد غلب على نمط معيشتها الاستقرار والتحضر¹، والتي تضم جماعات تتألف من المسلمين والأهالي (الحضر) والذين ينحدرون من أصول عربية وأمازيغية، والأندلسيين والأتراك والكراغلة، وكذا من المسيحيين الذين يتفرعون إلى أحرار وأسرى، ومن اليهود، وبذلك انقسم سكان المدن إلى طوائف مختلفة حسب الأصول والجهات التي ينتمون إليها.²

من بين هذه الفئات نذكر:

1-1-1- فئة الأتراك

تعتبر فئة الأتراك من الفئات الاجتماعية الجزائرية خلال الحقبة العثمانية، وذلك منذ ارتباط الجزائر بالخلافة العثمانية سنة 926هـ / 1519م³، ويذهب حمدان خوجة في مذكراته " المرأة " إلى القول باحتلال هذه الفئة المرتبة الأولى في الهرم الاجتماعي، وقد تشكلت النواة الأولى لفئة الأتراك من الوافدين من آسيا الصغرى (الأناضول) بعد انضمامهم لصفوف اليولداش (الانكشارية) وكانوا يلقبون بالأفندي، و السيد بإيالة الجزائر.⁴

كانت هذه الفئة متمسكة بلغتها التركية ومذهبها الحنفي، وكما كانت تخضع لنظام قضائي خاص، وقد تمركزت في مختلف المدن الجزائرية شرقاً وغرباً مثل مدينة الجزائر، ومدينة قسنطينة ومدينة وهران.⁵

انقسمت هذه الفئة إلى مجموعتين، حيث تتكون المجموعة الأولى من الأتراك العثمانيين القادمين من الأناضول والروملي، والمجموعة الثانية تتكون من الأوربيين الذين التحقوا بفئة الأتراك

¹ - عمار بوحوش، المرجع السابق، ص73.

² - مبارك بن محمد الميلي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، المؤسسة الوطنية للكتابة الجزائر، 2009، ص 315.

³ - عبد الجليل التميمي، المرجع السابق، ص120.

⁴ - حمدان بن عثمان خوجة، المرأة...، المصدر السابق، ص105.

⁵ - صالح عباد، المرجع السابق، ص 355.

بعد اعتناقهم الإسلام. وكانوا يعرفون بـ "الأعلاج"، وقد أشار أحمد الشريف الزهار في مذكراته إلى ارتقاء العديد منهم إلى مناصب عليا في السلطة مثل تولية محمد باي المين على قسنطينة مكان الباي المعزول الذي كان من العلوج، وكذلك تعين الداوي مصطفى باشا الحاج يوسف وكيل الحرج وكاهيته الحاج مصطفى، وأصلهما من أعلاج الصبانيول.¹

كما تشير سجلات بيت المال "دفتر المخلفات أو التركات" إلى وجود عنصرين أساسيين ضمن فئة الأتراك هما: العنصر الكريتلي، حيث تم رصد سبعا وعشرين تركة 27 في الفترة الممتدة ما بين 1807 و1826، والعنصر الغرناؤوطي الألباني²، ومن أشهر رياستها مراد ريس، وقد تم رصد تسع حالات تركة في الفترة الممتدة ما بين 1807 و1827م، وكان ثلث المتوفين من رياس البحر، وهم "مصطفى ريس غرناؤوط، والحاج علي ريس غرناؤوط، وأحمد ريس غرناؤوط...³ تمكنت هذه الفئة من الوصول إلى أعلى المراتب بالسلطة، فكان منهم الباشوات والوزراء والبايات، وبالتالي سيطرة هذه الفئة على سدة الحكم بالإيالة⁴، وقد بلغ تعدادهم سنة 1246 هـ / 1830م حوالي أربعة آلاف نفر، ويعود السبب في تراجع وانخفاض وتقلص هذه الفئة أواخر القرن 18م وبداية القرن 19م إلى قلة المجندين من المشرق.⁵

1-1-2- فئة الكراغلة أو المولودين

ذكر حمدان خوجة في مذكراته بأن فئة الكراغلة تكونت نتيجة التزاوج بين العنصر التركي و النساء الجزائريات⁶، وقد ظهرت هذه الفئة لأول مرة في المدن التي كانت تقيم بها الحاميات

1 - أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص 72.

2 - عائشة غطاس، الحرف والحرفيون...، المرجع السابق، ص 14.

3 - محفوظات المركز الوطني للأرشيف، بيت المال، دفتر التركات، رقم: 54، ورقم: 58.

4 - صالح فركوس، المختصر في تاريخ الجزائر (814 ق.م إلى 1962م)، دار العلوم للنشر والتوزيع، الجزائر، (د.ت.ن) ص 79-80.

5 - أرزقي شويتام، المرجع السابق، ص 87-88، وأنظر أيضا: عمار عمورة، الجزائر بوابة التاريخ، دار المعرفة، الجزائر، 2006، 213.

6 - حمدان بن عثمان خوجة، المصدر السابق، ص 90.

العثمانية خاصة مدينة الجزائر و قسنطينة وتلمسان وعنابة وبسكرة¹ ، وقد أصبحت هذه الفئة في أواخر القرن 10هـ/16م تشكل قوة متميزة تنافس الأتراك العثمانيين في الامتيازات²، ورغم انتمائهم إلى العنصر التركي إلى أن هذا لم يشفع لهم في الحصول على الامتيازات، أو المشاركة في الحكم، بل لم يك لهم الحق في الانتساب إلى الجيش، أو الحصول على مناصب إدارية، وذلك بسبب القرابة ورابطة المصاهرة مع العنصر المحلي.³

في أواخر العهد العثماني اتبعت هذه الفئة سياسة التقارب مع فئة الأتراك، خاصة بعد قيام الداي علي خوجة سنة 1817 بالقضاء على حوالي 1200 جندي انكشاري، وهذا ما فتح الباب أمامهم للانخراط ضمن الجيش، والذي انعكس سلباً في علاقتهم مع السكان المحليين الذين أصبحوا ينظرون إليهم نظرة عدائية مثلهم مثل حكام السلطة.⁴

1-1-3- فئة الحضر

تشير العديد من المصادر المحلية إلى أن هذه الفئة ضمت العديد من المجموعات التي سكنت المدن الجزائرية، وخاصة مدينة الجزائر التي كان يقطن بها ما بين الثلاثين والأربعين ألف ساكن⁵، ومن أهم العناصر المشكلة لهذه الفئة نجد الأشراف والأندلسيين.

*الأشراف: وتتسب هذه الفئة إلى آل البيت⁶، وهي فئة قليلة العدد، وكان أفرادها يتمتعون بمكانة اجتماعية وسياسية مرموقة باعتبارهم واسطة بين الحاكم والمحكوم. وكما تقلد أفرادها

¹ - المهدي البوعبدلي وناصر الدين سعيدي، المرجع السابق، ص94.

² - أرزقي شويثام، المرجع السابق، ص 89.

³ - حمدان بن عثمان خوجة، المصدر السابق، ص155.

⁴ - أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص 166.

⁵ - أبو العيد دودو، المرجع السابق، ص15.

⁶ - المهدي البوعبدلي، ناصر الدين سعيدي، المرجع السابق، ص 97.

— الفصل الرابع: أهمية المصادر المحلية في كتابة تاريخ الجزائر خلال العهد العثماني —

مناصب هامة كالقضاء والإفتاء والتعليم، ومن أهم تلك الأسر نذكر: ابن الفقون، ابن باديس بقسنطينة، وغيرها من العائلات.¹

***الأندلسيون:** شهدت الجزائر خلال العهد العثماني هجرات أندلسية واسعة خلال القرن 15م وبداية القرن 16م²، وذلك بعد أن اشتد الخناق عليهم من طرف الأسبان المسيحيين، وفشلهم في مواجهة العدو، وسقوط آخر معاقلهم غرناطة أواخر القرن الثامن الهجري³، وتذكر بعض المصادر المحلية بأن الإخوة بربروسا قد تكفلوا بنقل المسلمين الاندلسيين من جبال عدوة الى السواحل الجزائرية⁴، والذين قدر عددهم بسبعين ألف أندلسي عبر ست رحلات، وقد تكررت هذه العمليات عدة مرات.⁵

شكل الأندلسيون إحدى الفئات الاجتماعية المهمة في المجتمع الجزائري، ومن أشهر العائلات الاندلسية التي توطنت بالجزائر نجد: عائلة ابن هني، سعد الله، بوضربة، ابن زوان، وابن الشاهد...⁶، وساهمت هذه الفئة في بناء العديد من المدن الجزائرية على غرار تنس، والقليلة، وممارسة العديد من الصناعات المحلية منها: صناعة البارود والخزف...، وكذا تنشيط وتطوير الجانب الفلاحي بالإيالة⁷، مع احتفاظهم بعاداتهم وتقاليدهم، فقد تميزوا بدقة الذوق والملبس

¹ - ليلي تيتة، تطور البنية الاجتماعية للمجتمع الجزائري خلال القرن 19م، مجلة الباحث في العلوم الإنسانية الاجتماعية، جامعة الوادي، الجزائر، 2014، ج4، ص 138.

² - عبد الرحمن الجيلالي، تاريخ المدن الثلاث (الجزائر، المديّة، مليانة)، وزارة الثقافة، الجزائر، 2005، ص 124.

³ - أبي الحسن علي القلصادي، رحلة القلصادي، دراسة وتحقيق: محمد أبو الاجفان، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، 1978، ص ص 17-18.

⁴ - أحمد بن محمد بن علي بن سحنون الراشدي، المصدر السابق، ص 455.

⁵ - مؤلف مجهول، كتاب غزوات عروج وخير الدين، المحرر: نور الدين عبد القادر، مطبعة رودسي، الجزائر، 1934، ص 82.

⁶ ليلي تيتة، المرجع السابق، ص 138.

⁷ - مؤيد محمود حمد المشهداني، أوضاع الجزائر خلال الحكم العثماني (1518-1830)، مجلة الدراسات التاريخية والحضارية، جامعة تكريت، العراق، 2013، مج5، ع16، ص 462.

— الفصل الرابع: أهمية المصادر المحلية في كتابة تاريخ الجزائر خلال العهد العثماني —

والمتاع، والتقنن في العمارة والنحت والموسيقى والغناء، كما كانوا يشتهرون بتحضير القرميد والزليج، والزخارف والاشكال، والتخريجات الجميلة.¹

ومن هنا يتجلى لنا بأن الهجرة الاندلسية إلى الجزائر كان لها انعكاس ايجابي شمل كل المجالات: الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، وحتى القدرات الدفاعية للبلاد من خلال انضمامهم إلى صفوف الجيش العثماني لمواجهة الخطر الأجنبي الذي كان يهدد المدن الساحلية، أو من خلال تقوية الحصون الدفاعية.²

كان تأثير هذه الفئة في المجتمع الجزائري عميقاً مقارنة مع الفئات الأخرى، وهذا ما ذهب إليه أبوراس الناصر بقوله: " وكان تأثيرهم أكثر عمقاً، بكونهم أكثر ثقافة وتطوراً ونشاطاً من باقي الجماعات الأخرى، فهم يستحقون كل تقدير لأنهم طوروا المهن والأشغال اليدوية بالمدن"؛ بمعنى آخر أفرغوا كل ما جلبوه من الأندلس في المجتمع الجزائري ليكتسي بذلك حلة رائعة.³

1-1-4- السودانين

تعود أصول أغلبهم إلى السودان، حيث كان التجار التوارق يقومون بشرائهم مقابل بضائع معينة مثل الشواشي والأحذية والأقمشة الحريرية.⁴

ارتفع عدد السودانين الوافدين إلى إيالة الجزائر، أين أصبحوا يشكلون فئة اجتماعية منتشرة في كثير من المدن الجزائرية، وهم ينقسمون إلى جماعتين هما: جماعة الأحرار، وجماعة العبيد.⁵ يتم توظيف هذه الفئة داخل المجتمع الجزائري خاصة الأسر الثرية، أو امتلاكهم من طرف الطبقة الحاكمة من حكام وموظفين ساميين كالوزراء وموظفي الإدارة من خوجات، وهذا ما أشارت إليه بعض وثائق سجلات المحاكم الشرعية من عقود العتق، ودفتر التركات منها: هذه أمة عثمان

1 - محمد أبو راس الناصر، عجائب الأسفار...، المصدر السابق، ص 40.

2 - أرزقي شويتام، المرجع السابق، ص 104.

3 - محمد أبوراس الناصر، المصدر السابق، ص 39.

4 - عائشة غطاس، الحرف والحرفيون....، المرجع السابق، ص 32.

5 - وليام شالر، المصدر السابق، ص 82.

— الفصل الرابع: أهمية المصادر المحلية في كتابة تاريخ الجزائر خلال العهد العثماني —

باشا، وهذا عبد أحمد باشا، وهذه معتقة حسن باشا، وهذه معتقة عباس خوجة، وهذه عبدة من رقيق السودان صالحة للخدمة...¹

1-1-5- الوافدين

تتكون هذه الفئة الاجتماعية من العناصر التي هاجرت من الأرياف إلى المدن الكبرى كالجزائر وقسنطينة وتلمسان بحثا عن العمل والاسترزاق²، وقد عرفت هذه الفئة باسم الوافدين أو سكان المدن المؤقتين، وكان لكل جماعة من هذه الفئة اختصاصها وأعمالها، والتي جعلتها جزءاً هاماً في المجتمع المدني الجزائري وساهمت في استقراره.³

وتشير العديد من وثائق بيت المال إلى التنوع الكبير الذي عرفتته هذه الفئة، فهناك الوافدين من المدن القريبة وما جاورها كالبلدية، وسهل متيجة، وشرشال...، وهناك الوافدين من المناطق البعيدة مثل بسكرة، قسنطينة وجيجل...، أشارت هذه الوثائق إلى الانتماء وإلى النسب، وإلى الجهة بطريقة دقيقة للغاية، ويتجلى ذلك من خلال الألقاب التي عرفت بها العناصر المكونة لهذه الفئة مثل: " القبائلي"، " القسنطيني"، " التلمساني"، وهذا محمد البليدي الحوكي...⁴، كما كانت عناصر هذه الفئة مهيكلة ضمن جماعات منظمة بمدينة الجزائر منذ أوائل القرن السابع عشر⁵ ومن تلك الجماعات نذكر:

* جماعة البساكرة

وهم الوافدين من مناطق الزيبان، ووادي ريغ، ووادي سوف و توقرت، ويُعرف زعيم هذه الجماعة بالبسكري، أما عن بدايات قدومهم واستقرارهم، فكان ذلك خلال القرن 16م، باتجاه مدينة

1 - عائشة غطاس، الحرف والحرفيون، المرجع السابق، ص 33.

2 - محمد مقصود، الكراغلة والسلطة في الجزائر خلال العهد العثماني (1519-1830)، رسالة ماجستير، جامعة وهران، الجزائر 2014، ص 40.

3 - شوفالبيه كورين، الثلاثون سنة الأولى لقيام دولة مدينة الجزائر (1510-1540)، تر: جمال حمادنة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007، ص 19.

4- محفوظات المركز الوطني للارشيف الجزائري، بيت المال، دفتر المخلفات، رقم: 35، ورقم: 80.

5 - ناصر الدين سعيدوني، مخطوط " قانون أسواق مدينة الجزائر " لعبد الله محمد بن الحاج الشويحات، مجلة حوليات، جامعة الجزائر، الجزائر، 1990، مج 5، ع 1، ص ص 124-126.

— الفصل الرابع: أهمية المصادر المحلية في كتابة تاريخ الجزائر خلال العهد العثماني —

الجزائر، قسنطينة و وهران، وعملوا بالكثير من المهن البسيطة، كتزويد المدن بالمياه، وجمع الحطب.¹

وتشير سجلات بيت المال، ودفتر التركات خاصة السجلين 8-9 إلى وجود 29 تركة تتعلق بهذه الجماعة، ويمتد إطارهما الزمني 1233-1243هـ/1818-1828م، وكما تطلعنا على أماكن إقامة هؤلاء بمدينة الجزائر، والهدف من ذلك وأسباب هجرتهم من مواطنهم إلى مدينة الجزائر.²

*جماعة بني ميزاب

وينسب أفرادها إلى السكان المنحدرين من غرداية، وبني يزقن وبني ريان، ومناطق الشعبانية وورقلة، وهم من أتباع المذهب الإباضي، وقد تخصص أفرادها في تسيير وإدارة الحمامات ومطاحن الحبوب والبقالة، وغيرها من المهن، وبلغ تعدادهم حوالي ألف نسمة مع بداية القرن 19م بمدينة الجزائر.³

وردت أقدم إشارة في المصادر المحلية إلى جماعة بني ميزاب بمدينة الجزائر عام 1018هـ/1609م-1610م، حينما كان الحاج يوسف الشويهد على رأس أمانة الأمناء.⁴

*الجماعة الجيجلية

تعتبر هذه الجماعة من أقدم العناصر الوافدة على مدينة الجزائر، وهذا باعتبارهم من العناصر الذين رافقوا الإخوة بربروسا عقب استتجاد أهل مدينة الجزائر بهم، ويعود ذلك الى عام 1516م، ومنذ هذا التاريخ أضحى هؤلاء يحظون بمكانة خاصة عند الأهالي، والسلطة الحاكمة⁵ إذا ما قورنت هذه الجماعة مع الفئات السكانية الأخرى، حيث منحت لهم عديد الامتيازات مثل

1 - المهدي البوعبدلي، ناصر الدين سعيدي، المرجع السابق، ص 99 - 100.

2 - محفوظات المركز الوطني للأرشيف الجزائري، بيت المال، دفتر المخلفات، رقم: 8، ورقم: 9.

3 - عمار بوحوش، المرجع السابق، ص 75.

4 - ناصر الدين سعيدي، مخطوط، المرجع السابق، ص 123-124.

5 - عائشة غطاس، الحرف والحرفيون، المرجع السابق، ص 24.

حق حمل السلاح، وارتداء الألبسة التركية وممارسة العديد من الأنشطة التجارية على غرار الدباغة والحزير، كما امتلكوا المخازن لصنع الخبز والعقارات المختلفة.¹

*الجماعة القبائلية

تعود أصول أفرادها الى المناطق الجبلية القريبة من مدينة الجزائر، وخاصة قبائل جرجرة وبني عباس، وبلغ تعدادهم في القرن 19م حوالي أربعة آلاف نسمة، وكان مجال اختصاصها النسيج، وصناعة الأواني البسيطة، والآلات الزراعية، وإنتاج زيت الزيتون، وأشغال البناء خاصة بناء المساكن بالحجارة.²

*جماعة الأغواطيين

تنسب هذه الجماعة حسب محمد العدواني الجزائري إلى مدينة الأغواط، وقبيلتي الزناجرة وأولاد نايل، وهي فئة قليلة العدد، ويقومون بأعمال متواضعة كنقل البضائع، وأعمال التنظيف وكذا الكيل والأوزان بالأسواق.³

استقرت هذه الجماعة بمدينة الجزائر، وانضم معظم أفرادها إلى الفرقة الإنكشارية والتي أصبحت تشكل فيما بعد فرقة الزواوة.⁴

1-1-6 فئة الدخلاء (أهل الذمة)

وفدت العديد من الجاليات اليهودية والأوربية المسيحية على إيالة الجزائر خلال العهد العثماني، إضافة إلى فئة الأسرى التي غنمها الاسطول البحري في جهاده وغزواته بالبحر الأبيض المتوسط والمحيط الأطلسي، والتي استقرت بالمدن السياحية للإيالة، أين أصبحت تشكل عنصرا هاما في المجتمع الجزائري، ومن بين هذه العناصر نذكر:

¹ - بلبروات بن عتو، المدينة والريف في الجزائر أواخر العهد العثماني، رسالة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة وهران، الجزائر، 2008، ص 131.

² - صالح عباد، المرجع السابق، ص ص 358-359.

³ - محمد بن محمد بن عمر العدواني الجزائري، تاريخ العدواني، محرر: أبو القاسم سعد الله، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2015، ص 115.

⁴ - أرزقي شويتام، المرجع السابق، ص 78.

*اليهود

تكونت الطائفة اليهودية بالجزائر خلال العهد العثماني من عدة فئات مختلفة الأصول والأعراق خضعت مباشرة لسلطة الحكام العثمانيين بالإيالة، لكنها تمتعت بنظامها الديني والاجتماعي في ظل قانون أهل الذمة الذي حدد وضعيتها القانونية، وحريتها في ممارسة شعائرها الدينية، فكانت لها مدارسها ومحاكمها، ومعابدها الخاصة، ولباسها المتميز، وكذا عاداتها وتقاليدها المستوحاة من ثقافتها اليهودية¹، وكما كانت لهم أحياء خاصة بهم تدعى بـ " الحارة".²

عرف اليهود الذين قدموا إلى إيالة الجزائر بعدة تسميات هي: "يهود التوشايم" "الميفوراشم" و" الليفورنيين"، لكن المصادر التاريخية اختلفت في تقديم رقما محدداً لعددهم الذي عرف ارتفاعا ملحوظا في مدينة الجزائر خلال القرن 17م، ونصف القرن 18م، وقد انتشرت العائلات اليهودية في العديد من المدن الجزائرية، و أبرزها: مدينة الجزائر، تلمسان، قسنطينة المدية وبوسعادة، بالإضافة الى العائلات المنتشرة في المناطق الريفية والصحراوية.³

¹ - أمال معوشي، ملامح من الحياة الاجتماعية والثقافية لليهود الجزائر خلال العهد العثماني، مجلة حوليات، جامعة الجزائر الجزائر، 2020، مج 34، ع01، ص 763.

* أهل الذمة: هم النصارى واليهود الذين يعيشون في بلاد المسلمين، ويدفعون الحزية مقابل الحصول على الحماية و الأمان أنظر: سلوى علي ميلاد، وثائق أهل الذمة في العصر العثماني وأهميتها التاريخية، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر 1983، ص 07.

² - أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص 88.

* يهود التوشايم: وهم اليهود الأهالي، وكان تواجدهم بالجزائر منذ القدم، أنظر: كمال بن صحرابي، الدور السياسي ليهود الجزائر في أواخر عهد الدايات، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث، جامعة مصطفى اسطنبولي، معسكر، الجزائر، 2007، ص 19.

* يهود الميفوراشيم: وهم اليهود المطرودين من أوروبا والأندلس بصفة خاصة، وعرفوا أيضا بالكابوسيين نسبة إلى الكابوسة الحمراء التي يضعونها على رؤوسهم، أنظر: فاطمة بوعمامة، اليهود في المغرب الإسلامي خلال القرنين 14-15 م، مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011، ص 56.

* يهود الليفورنيين: وهم اليهود القادمين من مدينة ليفورنو الإيطالية في نهاية القرن 17م، مثل عائلة بكري وعائلة بوشناق أنظر: فوزي سعد الله، يهود الجزائر هؤلاء المجهولون، دار الأمة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2004، ص 136.

³ - أرزقي شويتام، المرجع السابق، ص 92.

— الفصل الرابع: أهمية المصادر المحلية في كتابة تاريخ الجزائر خلال العهد العثماني —

تشير العديد من المصادر المحلية إلى تمتع العديد من العائلات اليهودية بثقة الحكام الأتراك بالإيالة، وتفضيل الأندلسيين في تعاملاتهم، وهذا بحكم أن غالبية اليهود من ذوي الأصول الأندلسية ويتشابهون في نمط المعيشة والحياة معهم¹، كما أرجع حمدان خوجة ارتباط اليهود بالأتراك من أجل المصلحة، وجمع الأموال الطائلة.²

مارس اليهود التجارة والعديد من المهن المختلفة على غرار الخياطة، الحدادة، الخراطة الصياغة والسمكرة³، وكان يتولى شؤونهم أمين يهودي يعينه الداي ومن مهامه الإشراف على جمع الجزية على كل رأس منهم مقابل الحصول على الأمن والأمان.⁴

برزت العديد من الشخصيات اليهودية بإيالة الجزائر على مستوى السلطة: الأولى في مجال الترجمة بين الحكام والقناصل الأجانب، والثانية في احتكارها للتجارة الخارجية للجزائر وإقامة شركات ودور تجارية في عدة دول وأماكن، ومن أهم تلك الشخصيات عائلي بكري وبوشناق⁵ وعائلة بوجناح التي كانت لها صولة كبيرة مع الداي والخزناجي.⁶

بذلك تمكنت الجالية اليهودية من الاندماج في الحياة العامة بالإيالة، وكسبها لثروات طائلة ساعدتها على ربط علاقات حسنة مع حكام الإيالة، ومن ممارسة المهنة التي رأوها مناسبة لهم بكل حرية وفي حدود ما يسمح به قانون الإيالة، كما كانوا ملزمين بدفع ضعفي الضرائب الجمركية المستحقة على جميع أنواع البضائع المستوردة من الخارج⁷، كما اتصفت هذه الفئة بالغدر والخيانة

¹ - محمد أبوراس الناصر، عجائب الأسفار والطائف الأخبار...، المصدر السابق، ص 41.

² - حمدان بن عثمان خوجة، المصدر السابق، ص 120.

³ - محمد دادة، اليهود في الجزائر خلال العهد العثماني منذ مطلع القرن 18 م حتى 1830، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة دمشق، سوريا، 1985، ص 69.

⁴ - عبد القادر حليمي، مدينة الجزائر، نشأتها وتطورها قبل 1830، دار الفكر الاسلامي، الجزائر، 1972، ط1، ص 229.

⁵ - أمال معوشي، المرجع السابق، ص 771.

⁶ - أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص 87.

⁷ - أمال معوشي، المرجع السابق، ص 771.

— الفصل الرابع: أهمية المصادر المحلية في كتابة تاريخ الجزائر خلال العهد العثماني —

والتواطؤ مع الأوروبيين، وهذا ما أشار إليه عبد القادر المشرفي في كتابه "بهجة الناظر" بقوله: "وكان دخولهم لوهـران بمداخلة اليهود - لعنهم الله وأخلى منهم الأرض - غـدراً للمسلمين..."¹

***الأوروبيون**

تعتبر هذه الفئة إحدى العناصر المهمة داخل المجتمع الجزائري خلال العهد العثماني² وتنقسم إلى قسمين:

- فئة الاحرار أو الطلقاء المتكونة من القناصل وموظفي القنصليات والارساليات، وكلاء المؤسسات التجارية، التجار ورجال البعثات الدينية، وهي فئة غير خاضعة للقوانين المعمول بها في البلاد³.

- فئة الأسرى الأوروبيين المسيحيين.⁴

تشير العديد من المصادر المحلية على غرار مذكرات خير الدين بربروسا أن عدد الأسرى في الجزائر بلغ حوالي ثلاثة عشر ألف أسير، منهم أربعة وعشرون من كبار القباطنة يعرفون عند الافرنج باسم " الأميرال"⁵ أما أحمد الشريف الزهار فقد ذكر في مذكراته بأن عددهم بلغ حوالي أربعة وعشرون ألف أسير مع مطلع القرن 19م⁶ و كان تواجههم مقصورا على مدينة الجزائر فمنهم من كان مقيماً بالسجون، ومنهم من كان يعيش عند الخواص، و قد استخدموا في جمع الصخور لبناء كاسر الأمواج الذي يربط بين القلاع والموانئ حسب ما ذكره خير الدين بربروسا في مذكراته⁷، أما الأوروبيون الأحرار فإن وجودهم كان مقصوراً على أداء مهامهم التجارية

1 - عبد القادر المشرفي، المصدر السابق، ص11.

2 - هشام بوبكر، عياشي بلقاسم، جوانب من الحياة الديموغرافية والاجتماعية للمجتمع الجزائري أواخر الفترة العثمانية، مجلة الآفاق للعلوم، المملكة العربية السعودية، 1992، ص 64.

3 - عبد الرحمان الجيلالي، تاريخ المدن الثلاث...، المرجع السابق، ص ص 104 - 105.

4 - أرزقي شويتام، المرجع السابق، ص 93.

5 - خير الدين بربروس، المصدر السابق، ص ص 89-90.

6 - أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص 25.

7 - خير الدين بربروس، المصدر السابق، ص 128.

الدبلوماسية، الإدارية والدينية بالإيالة ، وعند الانتهاء منها فإنهم يعودون إلى بلدانهم¹، وقد سكنت هذه الفئة بأحياء معروفة بهم كحي باب الوادي.²

من هنا يتجلى لنا بأن فئة الأوربيين بمختلف عناصرها التي ذكرناها سابقاً، قد أثرت في الحياة الاجتماعية بإيالة الجزائر خلال الحقبة العثمانية، كل حسب تغلغله، وحسب إمكانياته، سواء كان هذا التأثير سلباً أو إيجاباً، فهي تمثل إحدى العناصر الهامة في تشكيل بنية المجتمع الجزائري خلال تلك المرحلة.

1-2- سكان الأرياف

مثل سكان الأرياف بإيالة الجزائر خلال العهد العثماني الأغلبية الساحقة من المجتمع حيث تراوحت نسبتهم من مجموع السكان ما بين 90% إلى 95%، وكانوا يعيشون في قبائل متناثرة ما بين المناطق التلية التي تعتمد في حياتها على الزراعة، ومناطق الهضاب والصحراء التي تعتمد على نشاط الرعي وتربية المواشي.³

تشير العديد من المصادر المحلية إلى أن سكان الأرياف ينقسمون إلى قسمين:

*قسم يسكنون السهول وهم العرب الحقيقيون، وأصلهم من الشرق، وينحدرون من القبائل العربية.
*قسم يسكنون الجبال أو الأماكن الوعرة، وهم البرابرة الحقيقيون الذين تختلف لغتهم عن لغة العرب⁴ ويمكن تصنيفهم حسب علاقتهم بالسلطة الحاكمة بالإيالة. وحسب علاقتهم ببعضهم البعض، وطريقة معيشتهم، وهم كالاتي:

1-2-1- قبائل المخزن

تطرق الأغا بن عودة المزاري في كتابه " طلوع سعد السعود..." إلى تعريفها

بقوله: " المخزن هم الأعيان بالإجماع، واستقامة الملك إنما تكون بالمخزن الأعيان لا الأتباع"⁵

1 - ارزقي شويتام، المرجع السابق، ص 98.

2 - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي...، المرجع السابق، ج 1، ص 144.

3 - صالح عباد، المرجع السابق، ص 365.

4 - حمدان بن عثمان خوجة، المصدر السابق، ص 53.

5 - الأغا بن عودة المزاري، المصدر السابق، ج2، ص114.

لذلك فقبائل المخزن تمثل الجهاز الاقتصادي والعسكري والإداري الذي تعتمد عليه الإدارة العثمانية في الأرياف خاصة في استخلاص الضرائب، حفظ الأمن والاستقرار وتسيير شؤون المجتمع الريفي.¹

تتوزع هذه القبائل في الأماكن الإستراتيجية حول الأبراج والحصون التي تقيم بها الحاميات التركية والمضائق الجبلية ، والممرات الصعبة، وبالقرب من الأسواق الأسبوعية، وهذا بهدف تقديم المساعدة للإدارة في إبعاد خطر القبائل الممتنعة، والحد من عصيانها، وفي جمع الضرائب " المحلات" وكذا توفير الجند عند الحاجة²، مقابل حصولها على إعفاءات جبائية وإقطاعات زراعية والعديد من الامتيازات³، ومن أهم تلك الأماكن الممر السلطاني الرابط بين مدينة الجزائر ومدينتي وهران ومعسكر، والطريق السلطاني الرابط بين مدينة الجزائر وقسنطينة.⁴

من أشهر القبائل المخزنية بإيالة الجزائر، قيادات بايلك التيطري الأربعة قيادات الظهراوية "التل الشمالي"، قيادات القبليّة "التل الجنوبي"، وقيادة جبل ديرة ، وقيادة الجنوب⁵، وقبائل الزمالة والدواير، و المكاحلية في كل من بايلك الشرق، وبايلك الغرب⁶، فمثلا مخزن الحراكمة بببايلك الشرق يتكون من 26 فرع هي: عين الدبس، سيدي رغيث، توزلين، عين بيوش، الواسعة الحاسي، عين الزيتون، فكرينة ، ولمان، عين البيضاء، مسلولة، الرحية، قرن حمار، المشتة أو عرقوب الضبوعة أو مشطاب، رأس الزبار، الضلعة، واد نربي، متوسة، بغاي، عين طويلة، عين

1 - عمار بوحوش، المرجع السابق، ص70.

2 - ناصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية ...، المرجع السابق، ص 219.

3 - دلندة الأرقش، عبد الحميد الأرقش، جمال بن طاهر، المغرب العربي الحديث من خلال المصادر، مركز النشر الجامعي ميديا كوم، تونس، 2003، ص 206.

4 - حنفي هلايلي، بنية الجيش...، المرجع السابق، ص 87.

5 - مولاي بلحميسي، مدينة المدية عبر العصور في تاريخ المدن الثلاث، الجزائر، المدية، مليانة، إعداد و تعليق: عبد الرحمن الجيلالي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، (د.ت.ن)، ص330.

6 - أرزقي شويتام، المرجع السابق، ص ص 239-240.

الضب، بئر بوحوش، ترقالت، الزرق، سدراتة¹، أما قبائل الكراطة ببابيك الغرب، فتتكون من سبعة دواوير هي: الشرايفية، كراسته، فراطسة، أولاد بن ساعد، أولاد سيدي البشير، وأغواط بوحجر².
كان لهذه القبائل العديد من الأدوار الإدارية والعسكرية والاقتصادية خاصة في الفترة الممتدة ما بين القرنين 18م و19م، حيث كانت بمثابة الجهاز الإداري الحقيقي للإدارة العثمانية بالأرياف و حلقة وصل بين الحكام والأهالي³، وكذلك عملت على توفير الأمن بالإيالة من خلال استعانة الإدارة بالقادة ذوي النفوذ بالمناطق الداخلية بهدف المراقبة والحماية مثلما فعل صالح باي عندما قام بنقل جنود الزمالة إلى سهل عين مليلة على طريق باتنة بغرض مراقبته وحمايته من القبائل المتمردة واللصوص⁴، ومن أدوارها أيضا المشاركة في إخماد الثورات الداخلية كثورتي ابن الأحرش ودرقاوة⁵، بالإضافة إلى جمع واستخلاص الضرائب مثل قبائل الحنانشة والحراكتة ببابيك الشرق⁶.
من هنا نجد أن قبائل المخزن لعبت دوراً مهماً في تثبيت الوجود العثماني لفترة تزيد على ثلاثة قرون مقابل حصولها على امتيازات و إعفاءات وإقطاعات بالإيالة.

1-2-2- قبائل الرعية

هي القبائل الخاضعة مباشرة للبابيك والمقيمة بالدواوير والشر والقرى المنتشرة في المناطق الي تراقبها قبائل المخزن، وتعبورها فوق الحاميات التركية المتوجهة لجمع الضرائب، أو الملتحقة بمراكز الحاميات⁷.

¹ - كاميلية دغموش، قبائل الغرب الجزائري بين الاحتلال الاسباني والسلطة العثمانية (1509-1792)، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث، جامعة وهران، الجزائر، 2014/2013، ص100.

² - الآغا بن عودة المزاري، المصدر السابق، ص31.

³ - أرزقي شويتام، المرجع السابق، ص168.

⁴ - محمد الصالح العننزي، المصدر السابق، ص 81.

⁵ - محمد بن يوسف الزيان، المصدر السابق، ص218.

⁶ - محمد صالح العننزي، المصدر السابق، ص30.

⁷ - المهدي البوعبدلي، ناصر الدين سعيدي، المرجع السابق، ج4، ص 107.

لعبت هذه القبائل دورا بارزا في تنمية اقتصاد البلاد كونها مصدرا مهما للخزينة، وذلك لما توفره من مداخيل مالية، وإنتاجا زراعيا حسب ما ذكره حمدان خوجة في مذكراته،¹ ويتجلى ذلك من خلال دفعها لضرائب الثقيلة، وبيع محاصيلها الزراعية بأسعار زهيدة للإدارة العثمانية بالإيالة، وهذا ما جعل وضعيتها أسوأ من وضعية القبائل الممتنعة، أو التي لم تخضع للسلطة الحاكمة.² من أجل التحكم في هذه القبائل تم وضع على رأس كل قبيلة قائد من الأتراك أو الكراغلة أو شيخ من شيوخ العائلات المتعاملة مع البايات، وقد بلغ عدد القياد بالشرق الجزائري 24 قائدا وعدد الشيوخ 11 شيخاً، أما في بايلك الغرب، فقد قسمت قبائل الرعية إلى عدة مجموعات منها مجموعة خاضعة للباي مباشرة أما المجموعات الأخرى، فيتداول الأشراف على قيادتها ومراقبتها.

3

يتم استخلاص الضرائب من قبائل الرعية من طرف القبائل المخزنية، وخوجة الخيل، وهذا ما ذكره أحمد الشريف الزهار في مذكراته، حيث يقول: "وأهل هذه الأوطان أكثرهم صبائية الأغا، يركبون معه أينما يتوجه... أما خوجة الخيل فإن له رعية من عرب الصحراء، وهم نجوع فأولهم: نجع رحمان، و نجع الزناخرة فيدفعون له الخراج والزكاة..."⁴، وأمام هذه الضغوطات والاستغلال الذي كانت تعاني منه قبائل الرعية، فإنها في كثير من الأحيان تقوم بشق عصا الطاعة، والتمرد على السلطة وحلفائها من قبائل المخزن أملا منها في تحسين ظروفها المعيشية مقارنة مع القبائل الأخرى.⁵

1-2-3- القبائل المتحالفة

¹ - حمدان بن عثمان خوجة، المصدر السابق، ص 84.

² - ناصر الدين سعيدي، دراسات وأبحاث...، المرجع السابق، ص 105.

³ - المهدي البوعبدلي، ناصر الدين سعيدي، المرجع السابق، ج4، ص 108، وأنظر أيضا: أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص 49.

⁴ - أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص 49.

⁵ - ناصر الدين سعيدي، النظام المالي للجزائر...، المرجع السابق، ص 49.

وهي عبارة من مجموعات سكانية متحالفة مع الإدارة العثمانية بالإيالة، ويتم التعامل معها عبر إقامة تحالفات مع شيوخها وزعمائها المحليين الذين أصبحوا يتوارثون الحكم بالعادة والعرف، معتمدين في ذلك على نفوذهم الديني، أو كفاءتهم الحربية أو النسب.¹

من أهم القبائل المتحالفة مع الإدارة العثمانية بالبايلكات الثلاث نذكر: بني عباس، أولاد مقران، بني جلاب، بوعكاز، ابن عاشور، ابن عز الدين، الحنانشة والحراكتة في بايلك الشرق وآل القاضي بمنطقة القبائل، وأولاد سيدي الشيخ والحشم في بايلك الغرب، وقبائل أولاد يعقوب في بايلك التيطري.²

1-2-4- القبائل الممتنعة المستقلة

هي القبائل التي كانت تعيش في المناطق الجبلية الحصينة، والمناطق الجنوبية والصحراوية البعيدة عن نفوذ الإدارة، وسميت بذلك لامتناعها في دفع الضرائب بسبب مداخيل أنشطتها الاقتصادية المنحصرة في الزراعة وتربية المواشي، والتي لم تك تلبي حاجياتها اليومية³ وهذا ما أشار إليه ابن هطال في رحلته بقوله: "فماؤها حميم وغبارها عميم، فلا توافق كل ذي طبع سليم.... لا نبات فيها تعيش به الدواب، ولا شجر بساحتها يكون منه الاحتطاب..."⁴

من أهم تلك القبائل الممتنعة أو المستقلة من الإدارة العثمانية نذكر: قبيلة ريغة الواقعة بضواحي مليانة، وقبائل بني فراح، جندل، ومطمطة والعطاف⁵، وأهل زينة من قبائل أولاد نايل التي وصفها ابن هطال بقوله: "... وهي لبعض الأعراب الذين لا حكم عليهم لأحد، وأهلها أصحاب قوة ووعدة وعزة".⁶

¹ - المهدي البوعبدلي، ناصر الدين سعيدي، المرجع السابق، ج 4، ص 108.

² - أرزقي شويتام، المرجع السابق، ص 245.

³ - المهدي البوعبدلي، ناصر الدين سعيدي، المرجع السابق، ص 109.

⁴ - أحمد بن هطال التلمساني، المصدر السابق، ص ص 66-67.

⁵ - كاميلية دغموش، المرجع السابق، ص 118.

⁶ - أحمد بن هطال التلمساني، المصدر السابق، ص 50.

نظرا لبعدها عن مراكز السلطة، فقد حاولت الإدارة العثمانية أن تحد من استقلاليتها، وإرغامها على المهادنة أو التحالف من خلال إقامة العديد من الحاميات، والتي بلغت 12 حامية من القالة إلى وهران على المناطق الجبلية.¹

من خلال ما سبق ذكره نلاحظ التنوع الذي ميز المجتمع الجزائري في تركيبته السكانية المكونة له، فقد انقسم إلى سكان المدن، والتي كان على رأس الهرم الاجتماعي في المدن الأقلية التركية ثم تليها فئة الكراغلة ثم طبقة الحضر المشكلة من الأندلسيين و الأشراف، ثم نجد فئة الوافدين من مختلف المناطق الجزائرية على مدينة الجزائر خاصة، ثم فئة أهل الذمة من يهود وأوربيين، ثم تأتي جماعة السودانيين في أسفل الهرم الاجتماعي، أما سكان الأرياف والذين يمثلون غالبية السكان بالإيالة، فنجد في الصدارة القبائل المخزنية، ثم قبائل الرعية الخاضعة، وإلى جانب ذلك نجد القبائل المتحالفة والقبائل المستقلة، ورغم هذا التنوع العرقي والتفاوت الموجود بين الفئات الاجتماعية من حيث العدد والمكانة الاجتماعية و الامتيازات المتحصل عليها، إلا أن المجتمع الجزائري في العهد العثماني كان يشكل طبقة واحدة متماسكة خاصة في مواجهة الأخطار الخارجية، والكوارث الطبيعية .

ثانياً: مظاهر الترابط بين فئات المجتمع الجزائري خلال العهد العثماني على ضوء المصادر المحلية

1- التضامن الاجتماعي

يُعد التضامن الاجتماعي أحد مظاهر الترابط بين أفراد المجتمع الجزائري خلال العهد العثماني، والذي يتجلى في التعاون بين أفراد المجتمع في مواجهة الظروف الصعبة التي تمر بها الإيالة، وكذا دليل على تماسك المجتمع الجزائرية في مواجهة الكوارث الطبيعية من فيضانات وزلازل وقحط...، إلى جانب مواجهة الأمراض والأوبئة التي عرفت الإيالة في تلك المرحلة، ومن ملامح صور التضامن الاجتماعي التي أشارت لها المصادر المحلية بين فئات المجتمع الجزائري نذكر:

¹ - المهدي البوعبدلي، ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص ص 109-110.

1-1- مواجهة آفة المجاعة

أشارت العديد من المصادر المحلية إلى العمليات التضامنية بين فئات المجتمع الجزائري في مواجهة آفة المجاعة التي تعرضت إليها الإيالة في العديد من المرات، وذلك بسبب انتشار القحط،¹ و منها العملية التضامنية التي قام بها الباي محمد بن عثمان مع الهيئة الإدارية المشكلة من بعض الأعيان، وأمناء المهن، والقاضي، والآغا ممثل السلطة العسكرية من خلال تحديد الأسعار والأوزان، ومراقبة مختلف السلع المطروحة في الأسواق بهدف مواجهة آفة المجاعة التي ضربت بايلك الغرب سنة 1199هـ / 1785م²، ويشير ابن سحنون الراشدي في كتابه " الثغر الجمانى " إلى الدور البارز للباي محمد بن عثمان في مواجهة تلك الآفة من خلال إعفاء القبائل المتضررة من الكوارث الطبيعية من الضرائب³.

تكررت نفس العملية التضامنية سنة 1215هـ / 1800م في عهد الداى مصطفى (1213-1220هـ / 1798-1805م⁴)، والذي أمر بتموين البلاد بالقمح من موانئ البحر الأسود بهدف مواجهة المجاعة التي عرفت الإيالة في فترة حكمه،⁵ وكما قام رجال الطرق الصوفية بتقديم المعونات اللازمة للمحتاجين أثناء مجاعة 1811م من أمثال بن عودة من عائلة الغبريني⁶، وقيام ابن عيسى وجماعته بجمع الغلال و توزيعها على الطبقة المعوزة، بالإضافة الى امتلاكه دار الضيافة التي كان يقدم فيها الطعام والشراب للمسافرين بدون مقابل وكذلك الأمر بالنسبة للحيوانات التي كانوا يستعملونها في سفرهم⁷.

¹ - أرزقي شويتام، المرجع السابق، من 434.

² - خير الدين سعيدي، المجاعات والأوبئة في الجزائر خلال العهد العثماني 1700-1830م، أطروحة دكتوراه علوم في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة 8 ماي 1945، قالمة، الجزائر، 2018 / 2019، ص141.

³ - أحمد بن محمد بن علي بن سحنون الراشدي، المصدر السابق، ص144.

⁴ - أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص 71.

⁵ - أحمد بن محمد بن علي بن سحنون الراشدي، المصدر السابق، ص 160.

⁶ - الشريف كمال دحومان الحسني، أشرف الجزائر ودورهم الحضاري في المجمع الجزائري، دار الخلدونية، الجزائر، 2009، ط1، ص110.

⁷ - حمدان بن عثمان خوجة، المصدر السابق، ص21.

— الفصل الرابع: أهمية المصادر المحلية في كتابة تاريخ الجزائر خلال العهد العثماني —

ويعتبر غزو الجراد لإيالة الجزائر في الفترة العثمانية من بين الأسباب المباشرة لحدوث المجاعة، وهذا ما أشار إليه أحمد الشريف الزهار في مذكراته عندما تحدث عن المجاعة التي ضربت الجزائر سنة 1230 هـ، أي في حدود سنتي 1814 و1815م بقوله: "... أنه في هذه السنة جاء الجراد...أوله أتى طائراً، ثم غرس وأقام أياماً في الأرض، ثم خرج وأكل الزرع والأشجار والثمار ووقع الغلاء في تلك السنة"¹، وكما يعد الجفاف أيضاً من الأسباب المؤدية إلى حدوث المجاعة، وهذا ما قال به محمد بن صالح العنترى في مؤلفه بقوله: "... يحكى أنه في سنة 1219هـ زمان الأتراك وقعت مجاعة شديدة وقحط، وجفاف، وهول أضر بأهل قسنطينة ووطنها، ودام الحال كذلك عليهم ثلاث سنين متوالية...".²

من هنا يظهر لنا الفضل في التغلب على المجاعات التي أصابت الإيالة الجزائرية خلال العهد العثماني والتخفيف من حدتها إلى الدور التضامني بين فئات المجتمع الجزائري من سلطة حاكمة وأعيان البلاد وأهل البر والإحسان الذين أخذوا على عاتقهم مهمة توفير الطعام للفئات الهشة من فقراء ومساكين، ومسنين طوال فترة المجاعة.

1-2- ظاهرة الأوقاف

تعد ظاهرة الأوقاف* من بين الظواهر المنتشرة والشائعة في المجتمع الجزائري، وقد بلغت شأنًا كبير خلال العهد العثماني، أين تعددت أغراضها والمؤسسات التي كانت تسيروها منها مؤسسة الحرمين الشريفين والتي تأسست قبل مجيء العثمانيين³، وتعود أوقافها إلى فقراء مكة والمدينة،

¹ - أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص 144.

² - محمد بن صالح العنترى، المصدر السابق، ص ص 27-28.

*الأوقاف: جمع لكلمة الوقف، والوقف في اللغة الحبس، يقال وقفت، أقف، وقوفاً، والوقف أصل واحد يدل على تمكث في شيء ثم يقاس عليه، ويعني التحبيس والتسبيل أما اصطلاحاً فيعني: "حبس الأصل وتسبيل الثمرة، أي حبس المال وصرف منافعه في سبيل الله، أنظر: أبو الحسن علي بن محمد بن علي الجرجاني، المصدر السابق، ص 132، وأنظر أيضاً: أبي الحسن أحمد بن فارس بن زكرياء، المصدر السابق، ص 135.

³ - ناصر الدين سعيدوني، دراسات وأبحاث...، المرجع السابق، ص ص 156-157.

— الفصل الرابع: أهمية المصادر المحلية في كتابة تاريخ الجزائر خلال العهد العثماني —

وتوزع أسبوعيا في شكل صدقات¹ وترسل عوائد أوقاف الحرمين سنويا إلى البقاع المقدسة بواسطة أمير ركب الحج، أو يسلم لمبعوث شريف مكة عند زيارته للجزائر²، وكذلك نجد مؤسسة سبل الخيرات التي أسسها شعبان خوجة التريكي سنة 999هـ/1584م، وكانت أملاكها توقف لفائدة المساجد الحنفية³، بالإضافة إلى مؤسسة الجامع الأعظم، وجامع ميزو مورطو، وجامع عبيد باشا، وجامع خيضر باشا⁴، ومؤسسة أوقاف أهل الأندلس، ومؤسسة أوقاف الأولياء والأشراف⁵، وغيرها من المؤسسات الوقفية.

طبيعة الأوقاف نوعان: منها أوقاف خيرية وعائداتها المالية تنتفع بها كل المؤسسات التي وقفت باسمها، ومنها أوقاف أهلية أو ذرية وعائداتها المالية تنتفع بها المؤسسات المعنية بعد موت ورثة صاحب الوقف⁶، ورغم تعدد دوافعها، فإن الغرض منها هو تخفيف المعاناة على الفئات الضعيفة بالمجتمع، وخلق مناصب شغل، إضافة إلى توفير الموارد المالية من أجل مواجهة ظاهرة البطالة، وهذا ما يعبر بصدق عن روح التضامن والتكافل الاجتماعي الذي ميز المجتمع الجزائري في تلك المرحلة عن باقي المجتمعات الإسلامية.⁷

كما اتفقت جل المصادر على أن مؤسسات الأوقاف بمختلف أنواعها ساهمت في الحياة الاجتماعية والثقافية لفئات المجتمع الجزائري، وذلك بهدف تدعيم الحياة الدينية والتعليمية والعلمية، والتكفل بكل مستلزماتها، وكذا بمعيشة العلماء و الطلبة ومؤسساتها من مساجد وزوايا وكتايب⁸ فمثلا يذكر ابن سحنون الراشدي أن الباي محمد الكبير في معسكر خصص مبالغ مالية من

¹ - صالح صالح، مؤسسة الأوقاف في التجربة الجزائرية، مجلة الصراط، جامعة الجزائر 1، ديسمبر 2004، ع10، ص196.

² - ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص158.

³ - عبد الرحمن الجيلالي، تاريخ الجزائر...، المرجع السابق، ص 424.

⁴ - أرزقي شويتام، المرجع السابق، ص441.

⁵ - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي...، المرجع السابق، ج1، ص ص 239-241.

⁶ - ناصر الدين سعيدوني، موظفو مؤسسات الأوقاف بالجزائر في أواخر العهد العثماني من خلال وثائق الأرشيف الجزائري المجلة التاريخية المغاربية، تونس، 1990، ص176.

⁷ - أرزقي شويتام، المرجع السابق، ص447.

⁸ - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي...، المرجع السابق، ج1، ص227.

— الفصل الرابع: أهمية المصادر المحلية في كتابة تاريخ الجزائر خلال العهد العثماني —

ميزانية الدولة الخاصة بالأوقاف كأجرة للمدرسين بالمساجد وموظفي المساجد،¹ و كما توجد العديد من الوثائق بسجلات البايلك تدل على دفع رواتب أئمة ومدرسي المساجد من عائدات أوقاف المساجد، حيث جاء في نص وثيقة في سجلات البايلك: "الحمد لله بيان ما دفعنا رواتب موظفي الجامع من أوقاف جامع الأمير السيد عبيد باشا سنة 1142هـ/1729م"، وهناك وثيقة أخرى جاء في نصها: "بيانا ما خرج على راتب متاع مسجد الباشا مزموط سنة 1152هـ/1739م".²

الملاحظ من خلال هذه الوثائق أن جلّ رواتب الموظفين بالمساجد في مدينة الجزائر خلال العهد العثماني كانت تدفع من عائدات الأوقاف، والتي تختلف قيمتها حسب الرتب العلمية.

كما برز دور الوقف خلال العهد العثماني شموله لسائر فئات المجتمع الجزائري، فهناك من فئة اليهود من لجأ للمؤسسات الوقفية بهدف استغلال أموال الوقف إما عن طريق الكراء، أو القرض، أو للحصول على أجر، وهذا ما دلت عليه وثائق أوقاف جامع علي خوجة المتواجدة بمركز الأرشيف الوطني بالعاصمة بالدفتر رقم 202 على الميكروفيلم تحت رقم 35.³

أما فيما يخص كيفية التصرف في عائدات الأوقاف من الناحية القانونية خلال العهد العثماني فقد أشار إليها حمدان خوجة في مذكراته، وفقا لما نص عليه المذهبان الحنفي والمالكي بقوله: "هناك طرق متعددة للتصرف في هذه الأملاك، فوفقاً لمبادئ القضاء المالكي، إن الذي يهب ملكا ما يتعهد بأن يسمح للمؤسسة المهدي لها أن تشرع حيناً بالتمتع بذلك الملك، و حسب مبادئ القضاء الحنفي، فإن إرادة الواهب تصبح بدورها قانوناً، غير أن الذي يوقف أملاكه على فقراء من غير مدينته، فإن إرادته لا تنفذ إلا بعد النظر فيما إذا لم يك فقراء في بلده...".⁴

1 - أحمد بن محمد بن علي بن سحنون الراشدي، المصدر السابق، ص144.

2 - مركز المحفوظات الوطني للأرشيف الجزائري، سجلات البايلك، ع 29، ص231.

3 - عقيل نمير، أوقاف مدينة الجزائر القرن الثامن عشر (أوقاف مؤسسة سُبُل الخيرات من خلال المساجد الحنفية)، مجلة دراسات في العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة قسنطينة2، الجزائر، 2001، ع01، ص 134.

4 - حمدان بن عثمان خوجة، المصدر السابق، ص134.

كما ساهم الوقف الخاص بالأراضي الزراعية وبعض البساتين البحائر مثل بساتين مدينة البليدة، والوقف الخاص بالعيون والسواقي دورا بارزا في تأمين الغذاء والماء الشروب والشقي لفئات المجتمع في مواجهة الكوارث الطبيعية كالجفاف والقحط والزلازل والفيضانات، وما ينتج عنه من أزمات كالمجاعة، وهذا ما انعكس إيجاباً على حياة الأفراد بالإيالة مع إبراز الروح التضامنية بين فئات المجتمع الجزائري خلال الحقبة العثمانية.¹

مثلت ظاهرة الأوقاف في العهد العثماني بإيالة الجزائر عملاً خيرياً وتضامنياً واجتماعياً وأخذت حيزا اقتصاديا، فكانت سلوكا فرديا وجماعياً، تبنته فئات المجتمع، فاستفاد منها الفقراء وأهل العلم في تغطية احتياجاتهم، فكانت بمثابة وزارة تضامنية واجتماعية مهمتها التخفيف من معانات الفئات الهشة والمعوزة من جهة، وتوفير أجور وعدد كبير من الأفراد في مختلف الأنشطة والمهن من جهة أخرى.

1-3- مواجهة الخطر الأجنبي

عملت فئات المجتمع الجزائري خلال العهد العثماني على ردع التحرشات الأجنبية، وتحقيق وحدة تراب الإيالة، وهذا ما أشارت إليه جلّ المصادر المحلية المعاصرة لتلك الأحداث، وتبرز صور التضامن بين فئات المجتمع الجزائري في مواجهة الحملات الأوروبية والأمريكية على سواحل المدن الجزائرية خاصة مدينة الجزائر من خلال مشاركة العلماء والأئمة والطلبة، والأعيان والأهالي إلى جانب الإنكشارية ورياس البحر كمتطوعين في صد تلك الحملات في العديد من المرات، ومن بينها:

* صد حملة شارلكان 1541م

من صور و ملامح التضامن بين فئات المجتمع الجزائري في صد الحملات الأوروبية على سواحل مدينة الجزائر ما ذكره ابن رقية التلمساني في مؤلفه "الزهرة الثائرة " بأن حسن آغا نصب

¹ - رابح كنتور، الوقف وآثاره، دراسة تاريخية في مدينة البليدة، مجلة المؤرخ، اتحاد المؤرخين الجزائريين، الجزائر، 2005، ع03، ص332.

— الفصل الرابع: أهمية المصادر المحلية في كتابة تاريخ الجزائر خلال العهد العثماني —

ديوانا عظيما عليها جمع فيه علماء البلد وصلحائهم ومشايخهم غداة وصول العمارة الإسبانية بقيادة الملك شارلكان إلى سواحل مدينة الجزائر يوم الخميس جمادى الثانية سنة 948هـ 1541م بهدف الاستشارة على كيفية مواجهتها،¹ وقد خرج هذا الديوان بالعديد من القرارات أهمها حشد القوات العسكرية إلى جانب المتطوعين من العلماء والأئمة والطلبة والأعيان والأهالي بهدف الجهاد، والدفاع عن المدينة،² وبهذه الاستعدادات المحكمة من طرف فئات المجتمع الجزائري وتضامنهم وتآزرهم، تمكنوا من تحقيق النصر، وبذلك فشلت الحملة الإسبانية مع قائدها شارلكان شر هزيمة.³

*فتح مدينة وهران 1792م

تذكر جل المصادر المحلية المعاصرة لهذا الحدث على مشاركة كل عناصر المجتمع الجزائري من علماء وطلبة وحرفيين وأصحاب الزوايا، والكراغلة إلى جانب الإنكشارية بقيادة الباي محمد الكبير في عملية الفتح بداية من سنة 1791م⁴، والذي عمل على محاصرة المدينة وتضييق الخناق على الحامية الإسبانية من جميع الفجاج حتى تمكن من فتحها⁵، وتحقيق النصر على الإسبان، واستلام مفاتيح المدينة سنة 1792م⁶، وهذا بفضل التضامن والتآزر بين فئات المجتمع الجزائري الهادف إلى تحقيق الوحدة الترابية للإيالة.

*مواجهة حملة اللورد اكسموث 1816م

أشار الشيخ عبد الرحمن بن ادريس التتيلاني في رحلته إلى ثغر الجزائر 1231هـ/1816م إلى بعض صور التضامن والتآزر بين فئات المجتمع الجزائري في مواجهة الحملة الانجليزية

¹ - محمد بن محمد بن عبد الرحمن الجيلاني بن رقية التلمساني، الزهرة النائرة فيما جرى في الجزائر حين أغارت عليها جنود الكفرة، ضبط وتعليق: خير الدين سعيدي، أوراق ثقافية للنشر والتوزيع، جيجل، الجزائر، 2017، ط1، ص ص 112-113.

² - علي محمد الصلابي، كفاح الشعب الجزائري منذ الاحتلال الفرنسي، دار المعرفة، لبنان، 2015، ص72.

³ - ناصر الدين سعيدي، وراقات جزائرية، المرجع السابق، ص 32.

⁴ - أحمد بن هطال التلمساني، المصدر السابق، ص 226.

⁵ - محمد بن يوسف الزباني، المصدر السابق، ص 261.

⁶ - أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص 63.

الهولندية على مدينة الجزائر في عهد الداى عمر باشا حتى قال فيهم اللورد اكسموت: " لم أر في حياتي أعداء يحاربون بإيمان وثبات جأش كهؤلاء"¹، وكما قام سكان مدينة الجزائر بإعادة بناء المدينة بعد نهاية الحرب وتراجع الحملة الانجليزية الهولندية، وهو دليل على التضامن الاجتماعي بين أفراد المجتمع الجزائري في مواجهة الشدائد والأزمات.²

*مواجهة العدوان الفرنسي على مدينة قسنطينة

يذكر حمدان خوجة في مذكراته التفاف سكان مدينة قسنطينة من علماء وفقهاء، وأعيان وحرفيين حول أحمد باي، ومبايعته باعتباره ممثلاً شرعياً للسلطان العثماني في مواجهة العدوان الفرنسي خاصة بعد سقوط مدينة الجزائر، وهذا بهدف تهدئة القبائل وفرض الاستقرار بالمنطقة وهذا دليل على روح التضامن بين فئات المجتمع القسنطيني وتأزره في مواجهة الاحتلال الفرنسي.³

وما تجدر الإشارة إليه أن التحالف بين فئات المجتمع الجزائري والسلطة الحاكمة بالإيالة خلال العهد العثماني منذ القرن العاشر الهجري واستمراره إلى أوائل القرن الثالث عشر الهجري والقائم على العامل المشترك (الدين والجهاد والعدو الواحد)، قد ساهم في صد الهجمات والحملة الأوربية الأمريكية على المدن الساحلية، وخاصة مدينة الجزائر، وهو ما يدل على التضامن والتآزر بين فئات المجتمع في مواجهة الأزمات، والهادف إلى تحقيق وحدة وحماية التراب الوطني للإيالة.

2- الاحتفال بالمناسبات الدينية

عرف المجتمع الجزائري خلال العهد العثماني اختلافاً في الطوائف والفرق الدينية من سنة وشيعة وإباضين، وكذا الحرية الدينية للمسيحيين واليهود، وقد وجدت العديد من المصادر المحلية من مذكرات وكتب الرحالة التي وصفت لنا طرق الاحتفال بالمناسبات الدينية، ومن بينها:

¹ - عبد الرحمن بن ادريس التتيلاني، المصدر السابق، ص484.

² - أبو القاسم سعد الله، محاضرات في تاريخ الجزائر...، المرجع السابق، ص 203.

³ - حمدان بن عثمان خوجة، المصدر السابق، ص ص 222-223.

2-1 - الاحتفال بقدوم شهر رمضان وصيامه

شهر رمضان هو شهر الرحمة والبركة والإيمان، وهو من بين الأشهر التي تتميز بقداسة كبيرة لدى المسلمين وأنه شهر القرآن، وأحد أركان الإسلام الخمسة مصداقا لقوله تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾¹، لذلك اهتم الرحالة والمؤرخون الجزائريين بالإشارة إليه في كتبهم وتآليفهم وإلى كيفية الاحتفال بقدومه وأهم العادات المرتبطة بهذا الشهر.

أشار أحمد الشريف الزهار في مذكراته إلى احتفال سكان الجزائر بمختلف الفئات بقدوم شهر رمضان حيث يقول: "وكذلك شهر رمضان المعظم فإنهم يحتفلون به غاية الاحتفال ويقومون بواجب حقه أتم القيام..."² ويأتي شهر رمضان بعد شهر شعبان، وتكون الرؤية من طرف شاهدان بالغان، وإذا ثبتت الرؤية يبادر سكان الأيالة بإيقاد النار لإعلام القرى المجاورة برؤيته.³ كما نجد نوازل الشيخ محمد الفقون القسنطيني (ت. 1702م) التي تناول فيها أربعة مسائل فقهية تتعلق بصيام شهر رمضان، فكانت المسألة الأولى تحت باب مسائل في الصيام والمتضمنة حكم من أفطر خطأ وما يتوجب عليه من القضاء دون الكفارة، أما المسألة الثانية فتتعلق بمن أفطر عمداً، في حين أن المسألة الثالثة فتضمنت حكم ما يتم بلعه من الطعام أثناء الصيام، والمسألة الرابعة فتتعلق بحكم التدخين أثناء الصيام.⁴

¹ - سورة البقرة، الآية : 185.

² - أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص 181.

³ - أبي العباس أحمد بن يحيى الونشريسي، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي أهل إفريقية والأندلس والمغرب، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية للمملكة المغربية، المغرب، 1981، ص 213.

⁴ - محمد بن عبد الكريم الفقون، نوازل قسنطينة، تق وتحرر: هوارى تواتي، وعائشة بلعابيد، دار الزيتون للنشر والتوزيع، الجزائر 2018، ص ص 25 - 26.

أما ابن حمادوش في رحلته "لسان المقال..." قد ذكر أهم العادات والعبادات المرتبطة بهذا الشهر، حيث أشار إلى تنوع الأكلات المقدمة مثل الكعك والحلويات والكسكسي بالزيت يضاف إليه اللحم المقلي والفواكه والمشلوش والبوراك والزلابية والبقلاوة.¹

من بين العبادات التي تطرقت إليها المصادر المحلية خلال شهر رمضان ختم القرآن الكريم في أغلب مساجد الإيالة في صلاة التراويح، وختم صحيح البخاري عند ليلة السابع والعشرين من رمضان² غير أن ابن سحنون في كتابه "الثغر الجمانى" أشار إلى أن ختم صحيح البخاري في بعض نواحي بايلك الغرب يتم في اليوم السابع بعد عيد الفطر حيث يقول: "..... فإذا كان سابع العيد ختم فيه صحيح البخاري، وتهياً له السلطان أحسن تهياً..."، والمقصود بالسلطان هنا هو الباي محمد الكبير³، بالإضافة إلى احتفال عناصر المجتمع الجزائري بليلة القدر والمصادفة لليلة 27 من شهر رمضان من كل سنة، ومن بين عادات أهل الجزائر ليلة القدر ما ذكره ابن حمادوش في رحلته إشعال الشموع بالجامع الكبير من طرف القائم بالجامع، والصلاة والسلام على النبي صلى الله عليه وسلم بأصوات مرتفعة من طرق المصلين، ثم الصلاة والتسبيح إلى غاية الفجر، وكما يتم فيها ختم صحيح البخاري⁴.

بعدها ينتظر الجزائريون ظهور هلال شهر شوال، وفي حالة ثبوت رؤيته يطلقون النار فرحة بقدوم العيد ونهاية شهر رمضان.⁵

2-2- الاحتفال بعيدي الفطر والأضحى

رغم الأهمية الرمزية والاجتماعية الكبرى التي كانت تحظى بها الأعياد الدينية في المجتمع الجزائري خلال العهد العثماني، إلا أن ما وصلنا من كتابات محلية توثق لهذه المظاهر يظل

1 - عبد الرزاق ابن حمادوش، المصدر السابق، ص122.

2 - أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص181.

3 - أحمد بن محمد بن علي بن سحنون الراشدي، المصدر السابق، ص115.

4 - عبد الرزاق ابن حمادوش، المصدر السابق، ص ص 125 - 126.

5 - أبو العيد دودو، المرجع السابق، ص120.

— الفصل الرابع: أهمية المصادر المحلية في كتابة تاريخ الجزائر خلال العهد العثماني —

محدوداً نسبياً مقارنة مع الكتابات الأجنبية، ومن منا أهم المصادر المحلية التي تناولت الاحتفال بعيدي الفطر و الأضحى ما ذكره ابن حمادوش في رحلته بأن المسلمون يحتفلون بعيدي الفطر والأضحى من كل سنة، فعيد الفطر يحل بنهاية شهر رمضان، وأما عيد الأضحى فهو عيد تقديم القرбан "ذبح الأضاحي" و الذي يتزامن مع وجوب القيام بأحد أركان الإسلام الخمسة، وهو أداء مناسك الحج.¹

تدعى هذه الأعياد بـ "بيرامات" (Bayrams) المشتقة من الكلمة تركية الخاصة بالعطلة الدينية، ويتم الاعلان عن قدوم العيدين عن إطلاق نار المدافع²، وقد جرت العادة في صبيحة وليلة العيدين أن يتم تقديم التهاني لداي، وإلقاء السلام من طرف العامة وقناصل الدول الأجنبية وهذا ما أشار إليه أحمد الشريف الزهار في مذكراته بقوله: " فأمر الأمير يومئذ بأن يهنئ قنصل الفرنسيين ليلة العيد ويهنئ قنصل الانكليز يوم العيد، وأصبحت تلك هي العادة".³

في صبيحة العيد تتشارك جميع عناصر المجتمع الجزائري بالإيالة في الاحتفالات الخاصة بالمناسبة حيث يرتدون أجمل الملابس خاصة الأطفال الذين يرتدون الثياب المطرزة بالذهب والفضة والسراويل المصنوعة من الصوف والقطن، بالإضافة إلى الذهاب إلى المساجد بغية تأدية صلاة العيد، والاستماع إلى الخطبة التي تحوي مواعظ وبشائر، وتحذير ونهي، وكل ما يتعلق بأمور العيد.⁴

من العادات التي ذكرها المؤرخون الجزائريون، وحافظ عليها المجتمع الجزائري خلال العهد العثماني، وحتى في عصرنا هذا ما ذكره يحيى بن خلدون في كتابه " بغية الرواد... " حيث قال: "... يجتمع الناس في دار الحاكم، ويحشد فيها أصناف من المنشدين " ذكر المدائح " مع تقديم جل

¹ - عبد الرزاق ابن حمادوش، المصدر السابق، ص126.

² - أبو العيد دودو، المرجع السابق، ص70.

³ - أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص 164.

⁴ - عبد الرزاق ابن حمادوش، المصدر السابق، ص 96.

أنواع الطعام...¹، ومن بين الأطعمة المقدمة نجد الحلوة كالهريسة، والثريد والتقنتة والزلابية والبقلاوة، والمسمن، وغيرها من الأطعمة²، وهي في أغلبها أطعمة وحلويات ذات طابع أندلسي. من هنا تتجلى لنا القيمة الاجتماعية للاحتفال بالأعياد الدينية عند فئات المجتمع الجزائري خلال العهد العثماني، فهي فرصة للتضامن والتآزر، وصلة الأرحام، وتبادل الهدايا، وتقديم للأطعمة والأشربة، ولبس الجديد لكل أطفال الإيالة دون استثناء.

2-3- في الاحتفال بالمولد النبوي الشريف

تناولت العديد من المصادر المحلية طريقة الاحتفال بالمولد النبوي بالجزائر العثمانية، ومن بين تلك المصادر ما ذكره ابن حمادوش في رحلته "لسان المقال..."، وذلك بعد الزيارة التي قادته للشيخ أحمد بن المبارك السلجماسي بفاس، وهي مشابهة لعادة الاحتفال بها في الجزائر حيث يقول: "لقيت الطبايين و العياطين وآلات الطرب كلها في السوق، ذاهبين بأربعة قباب من الشمع كل واحدة من لون، إحداها خضراء، وأخرى بيضاء، وأخرى حمراء، والرابعة نسيت لونها..."³ وهو ما ذهب إليه المفتي أحمد بن عمار الذي ترك لنا وصفاً في رحلته "نحلة اللبيب" لما كان يفعله أهل الجزائر بمناسبة المولد النبوي الشريف مثل إبقاء الشموع، وإنشاد التواشيح، والتزيين والتطيب وغيرها من الأعمال⁴

من العادات أيضاً أنه كان يتم تنظيم المجالس العلمية والمناظرات بين العلماء من طرف حكام الإيالة والبايات، وهذا ما أشار إليه ابن سحنون في كتابه "الشعر الجماني" بأن الباي محمد

¹ - أبي زكرياء يحيى ابن أبي بكر محمد ابن خلدون، بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، مطبعة ببيير فونتانا الشرقية، الجزائر، 1903، ص 550.

² - محمد بوشنافي، النظام الغذائي في الجزائر خلال العهد العثماني (1520-1830م)، المجلة الجزائرية للبحوث والدراسات التاريخية، الجزائر، 2020، ع 11، ص 75.

³ - عبد الرزاق ابن حمادوش، المصدر السابق، ص 84.

⁴ - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي...، المرجع السابق، ج 1، ص 159.

— الفصل الرابع: أهمية المصادر المحلية في كتابة تاريخ الجزائر خلال العهد العثماني —

بن عثمان الكبير كان يستدعي العلماء من كل الأقطار، ويغدق عليهم بالهدايا والعطايا بمناسبة الاحتفال بالمولد النبوي وهذا نظير أعمالهم المساهمة في إنارة المجتمع بالأمور الشرعية.¹ ومن بين عادات المجتمع الجزائري للاحتفال بهذه المناسبة، هو تنظيم العلماء للقصاصد الشعرية في مدح الرسول صلى الله عليه، ومن بينها ما قاله الشاعر أحمد بن عمار الذي يُعد من كبار الشعراء في القرن الثاني عشر الهجري:

ظَلَّ الْقَلْبُ بِمَدْحِ الْمُصْطَفَى عِنْدَ إِبْعَادِهِ
وَاتَّخَذَ عِيداً وَعُزْساً قَدْ صَفَا يَوْمَ مِيلَادِهِ
يَوْمَ نَلْنَا الْفَوْزَ وَصَفَا ظَلَّ إِسْعَادِهِ²

تدوم هذه الاحتفالات لمدة خمسة عشر يوم، وتبدأ المراسيم كل يوم بعد صلاة المغرب إلى حين وقت صلاة العشاء.³

من خلال ما سبق ذكره فإننا نلاحظ قلة المصادر المحلية التي تؤرخ للاحتفالات الدينية بالمجتمع الجزائري خلال الفترة العثمانية مقارنة بالكم الهائل للكتابات الأجنبية المختلفة والمتعددة التوجهات والمشارب التي تناولت الحياة الاجتماعية بإيالة الجزائر خاصة في مجال العادات والعبادات بأكثر دقة وتفصيل.

3- الزواج والمصاهرات بين فئات المجتمع الجزائري

يعتبر الزواج اللبنة الأولى في تكوين الأسرة، ومظهر من المظاهر الاجتماعية التي شككت النسيج الاجتماعي، لذلك اهتمت المصادر المحلية بذكر العادات والشروط المتعلقة بالزواج بإيالة الجزائر خلال العهد العثماني تطرق ابن حمادوش في رحلته " لسان المقال..." إلى ظاهرة الزواج باعتبارها ضرورة من ضروريات الحياة، ورباط شرعي بين الرجل والمرأة، وهو مقدس في كل

¹ - أحمد بن محمد بن علي بن سحنون، المصدر السابق، ص115.

² - أحمد بن عمار، المصدر السابق، ص21.

³ - أحمد مريوش، الحياة الثقافية في الجزائر خلال العهد العثماني، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر، 2007، ص ص 225-226.

الشرائع والديانات السماوية، وخاصة الدين الإسلامي الذي يشدد على وجوبه، ويتجلى ذلك في قوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾¹، و أول خطوة في مراحل الزواج نجد الخطبة وعقد القران والتي تعتبر المقدمة والمدخل إلى عقد الزواج، وتبدأ بعملية التشاور والاختيار وصولاً إلى مرحلة الارتباط² ومن صيغها ما ذكره ابن حمادوش: "الحمد لله الذي أحل لنا النكاح وحرم علينا السفاح والصلاة والسلام على من بذكره القلوب تترتاح ، وبعد: يقال لأبي الزوجة أو وليها صل على النبي وقل زوجت ابنتي فلانة من فلان على صداق ما... ويقال للزوج صل على النبي وقل قبلت منه و علي ما قال على نحو ما هو مفصل"³، وتعتبر حفلات الخطبة من العادات الاجتماعية الشائعة بالمجتمع الجزائري خلال العهد العثماني.⁴

وكما ساعدت وثائق السجلات الزواج والطلاق والمعاملات الاجتماعية بمركز الأرشيف الوطني في معرفة شبكة المصاهرات، وقواعدها الإسلامية، وتقاليدها الجزائرية المتعلقة بالمهر والصداق خلال العهد العثماني⁵ مثل زواج سليمان بن محمد التريكي قائد المرسى من مديحة بنت محمد بمهر قدره 500 ريال سنة 1182هـ/1767م.⁶

ذكر ابن حمادوش في رحلته أيضاً عقد نكاحه على ابنة عمه فاطمة بنت الحاج أحمد الدباغ والمهر المقدم لها، والمقدر بـ ستمائة دينار، وقفطان مؤبر، وفردان اثنان وثلاثة قناطير صوف وأوقيتين من الجواهر، وأمة من رقيق السودان⁷ كما تطرق أحمد الشريف الزهار في مذكراته

1 - سورة الروم، الآية 21.

2 - عبد الخالق عبد الرحمان، الزواج في ظل الإسلام، الدار السلفية، الكويت، 1988، ص 60.

3 - عبد الرزاق ابن حمادوش، المصدر السابق، ص 244-245.

4 - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي ...، المرجع السابق، ج 1، ص 159.

5 - رابح كنتور، التأثيرات الاجتماعية والاقتصادية بين العثمانيين والجزائريين من 1519 إلى 1830، المجلة المغاربية للمخطوطات، جامعة الجزائر 2، الجزائر، 2019، مج 15، ع 01، ص 283.

6 - مركز المحفوظات للأرشيف الوطني الجزائري، وثائق المحاكم الشرعية، علة 2/27.

7 - عبد الرزاق ابن حمادوش، المصدر السابق، ص 241.

إلى زواج محمد باشا والمهر المقدم لزوجته العلجة¹ ومن بين العادات المنتشرة في المجتمع الجزائري إعارة الحلي للزوجة بهدف التزين به يوم الزفاف وهذا ما أشار إليه حمدان خوجة في مذكراته.²

من أهم الممارسات التي تتم في حفل الزواج، وما زالت إلى يومنا هذا هو تخصيص يوم الأربعاء والخميس للزفاف، وكذا تقديم الولائم والأطعمة، وكما يتم نقل العروس في موكب زاهر، وبذلك أصبحت هذه الممارسات تصنف ضمن التراث الشعبي للمجتمع الجزائري.³

4- ختان الأطفال

من العادات الشائعة في المجتمع الجزائري خلال العهد العثماني، والتي مازالت إلى يومنا هذا الاحتفال بختان الأطفال حيث ذكر ابن حمادوش في رحلته بأن جل الأسر اعتبرت الختان بمثابة العرس الأصغر للطفل والعرس الأكبر يوم زفافه.⁴

تقام بهذه المناسبة حفلة صغيرة، يدعى فيها أفراد الأسرة وأهل المنطقة، وتقدم لهم، وقد وصف أحمد الشريف الزهار في مذكراته حفل ختان ولدي مصطفى باشا سنة 1797م، وهما إبراهيم وأخيه بقوله: "... صنع مهرجا كبيرا ... ودعى جميع السكان ... وأطعم الناس ثلاث مرات في كل يوم والقهوة في كل وقت ضربت المدافع من جميع الحصون وأصحاب الخيل يتسابقون والبهلوانات يعلبون ألعابهم، واستمرت الوليمة سبعة أيام..."⁵، وكما ذكر الحسن الوزان في كتابه و مؤلفه " وصف إفريقيا" بأن الاحتفال بختان الأطفال يكون السابع من ولادته، أين يستدعي الأب أصدقاءه وأهله فيطعمهم، وعند الانتهاء من الأكل يقومون بتقديم الهدايا لأهل الطفل ".⁶

¹ - أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص 24.

² - حمدان بن عثمان خوجة، المصدر السابق، ص 64.

³ - عبد القادر حليمي، المرجع السابق، ص 265.

⁴ - عبد الرزاق ابن حمادوش، المصدر السابق، ص 118.

⁵ - أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص 82.

⁶ - الحسن الوزان، المصدر السابق، ص 285.

— الفصل الرابع: أهمية المصادر المحلية في كتابة تاريخ الجزائر خلال العهد العثماني —

يسمى الرجل الذي يقوم بعملية الختان "البشار"، وما هو برجل دين وأقصى ما يستلمه من أهل الطفل الأثرياء هدية لا تزيد في ثمانية بوجو، أما الفقراء فإنه يقوم بختانهم مجاناً، ويختن أبناء الريف من طرف المرابط.¹

تتجلى مظاهر ترابط المجتمع الجزائري وتكافله من خلال تقديم التهاني، والمشاركة في فرحة الأطفال ومنح الأموال للفقراء والمعوزين، وقضاء الدين عن المدينين، وهو ما قال به أحمد الشريف الزهار في مذكراته "... ووزعت الصدقات على المحتاجين من الطلبة، ومنح الفقراء النقود، وقضى الدين عن المدينين، وأطلق سراح المساجين...".²

ختاماً لما سبق ذكره نلاحظ تنوع فئات المجتمع الجزائري خلال العهد العثماني، فإلى جانب السكان المحليين نجد فئة الأتراك والكراغلة، وأهل الذمة من يهود ومسيحيين، إضافة إلى فئة العبيد أو السودانيين، ورغم هذا التنوع فقد تعددت مظاهر الترابط بين فئاته خاصة في مواجهة الأزمات والشدائد، ومن بينها ظاهرة الأوقاف ومؤسساتها التي عملت على تنشيط الحياة الثقافية من جهة، والاهتمام بالجانب الاجتماعي ومحاولة التخفيف من معانات الفئات المعوزة من جهة أخرى، وكما دلت المصادر المحلية على تمسك أفراد المجتمع الجزائري أباً عن جد بعباداتهم وتقاليدهم فيها يخص الاحتفالات الدينية والاجتماعية، والتي مازالت أثارها إلى يومنا هذا.

ثانياً: الجانب الثقافي

تُعد المصادر المحلية المخطوطة أو المطبوعة من المصادر الأساسية في كتابة تاريخ الجزائر الثقافي خلال العهد العثماني، وهذا باعتبارها أحد الركائز الأساسية التي تعبر عن هوية الشعوب وحضارتها، ويمثل القرن الثاني عشر الهجري، وبداية القرن الثالث الهجري القرن 18م وبداية القرن 19م أخصب الفترات التي عرفت الإيالة الجزائرية تصنيفاً وتأليفاً وتعليماً خاصة

¹ - أبو العيد دودو، المرجع السابق، ص 74.

² - أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص 83.

في مجال العلوم النقلية والعقلية، وتطوراً و ازدهاراً في مؤسساتها الثقافية والتعليمية، وتتجلى ملامح الحياة الثقافية بالإيالة في العديد من المظاهر منها:

1- التعليم ومؤسساته

أجمعت المصادر المحلية على أن التعليم في الجزائر خلال العهد العثماني بمراحله عرف انتشاراً واسعاً بالإيالة، وكذلك عدم تدخل السلطة العثمانية في شؤونه، وذلك لاهتمامها بالحفاظ على الاستقرار السياسي داخل الإيالة، والدفاع عن الحدود، وصد الهجمات الأوروبية، وإبراز مكانتها العالمية خارجياً، والعمل على إرضاء سلاطين الخلافة بالهدايا والعطايا¹، ولكن ما يحفظ للأتراك هو أنه إن لم يهتموا بالتعليم، فإنهم لم يعرقلوه.

والملاحظ على أن التعليم في هذه الفترة لم يك نظامياً معتمداً من طرف الدولة، وإنما غلب عليه الطابع الذاتي الحر القائم على جهود الأفراد والعائلات و المؤسسات الخيرية، وبعض رجال السلطة بصفتهم أفراد لا قطاعاً حكومياً مثل الباي محمد بن عثمان الكبير، وصالح باي، وكما كان أساسه القرآن والأمور الدينية سواء كان تعليماً ابتدائياً أو ثانوياً أو عالياً²، وهو ما أشار إليه الحسين الورثياني في رحلته بقوله: "... وإنما دأبهم بالفقه وأصول الكلام... " ³.

وكما تشير العديد من وثائق سجلات البايلك إلى إشراف المؤسسات الوقفية بمختلف أنواعها على التعليم من خلال التكفل بدفع أجور الموظفين والمعلمين، وتقديم المساعدات المالية والمنح للطلبة، والمساهمة في بناء المؤسسات التعليمية وصيانتها، وما بين تلك الوثائق، ما أشارت له الوثيقة الخاصة بدفع رواتب الموظفين في جامع عبيد باشا من سنة 1210 هـ / 1795 م إلى غاية 1212 هـ/1797م، وجاء فيها ما يلي: " الخطيب مصطفى أفندي 15 ريال، الإمام محمد

1 - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي ...، المرجع السابق، ج 1، ص 313.

2 - صليحة بردي، الممارسة التعليمية في الجزائر أثناء الحكم العثماني، دراسة في الواقع والمعطيات، مجلة الذاكرة، جامعة ورقلة الجزائر، جوان 2018، ع 11، ص 129.

3 - الحسين الورثياني، المصدر السابق، ص 549.

خوجة مع المكتب 22 ريال، سي محمد سعيد مدرس و حراب 8ريال...¹ وهو الأمر الذي دفع بالعديد من المؤرخين إلى اعتبار المؤسسة الوقفية بالجزائر بمثابة وزارة التعليم في تلك الرحلة² ومن أهم المؤسسات الوقفية بالجزائر العثمانية، مؤسسة أوقاف الحرمين الشريفين، ومؤسسة أوقاف الجامع الأعظم وبقية المساجد الحنفية والمالكية، ومؤسسة أوقاف سبل الخيرات، ومؤسسة أوقاف الأولياء والأشراف وأهل الأندلسي. وأوقاف الجند والثكنات والمرافق العامة³ وتتجلى أهمية الوقف في الحياة الدينية والعلمية والاجتماعية، فهو مصدر العيش للزوايا والأضرحة، وكذا مصدر الحياة والنمو للمساجد والمدارس والكتاتيب ومعيشة العلماء والطلبة، ومن جهة أخرى لعب دورا بارزا في الحياة الاجتماعية بتضامن المجتمع وترابطه داخليا من خلال توزيع عائداته على الفقراء والمساكين والعجزة، وخارجيا بإرسال النقود سنويا إلى فقراء مكة والمدينة مع ركب الحج.⁴ من أبرز المؤسسات التعليمية بإيالة الجزائر خلال العهد العثماني حسب ما أشارت لها المصادر المحلية نذكر:

1-1- الكتاتيب

كانت بمثابة مراكز التعليم التحضيري أو الابتدائي تعرف في الأرياف باسم " الشريعة" أما في المدن فيطلق عليها اسم " المسيد"،⁵ و الكتاتيب أو المسيد هو تصغير لكلمة مسجد،⁶ و كان الغرض من إنشائها تجنيب المساجد ضوضاء الأطفال، والحفاظ على نقاوتها، أما مهمتها فتتمثل في تحفيظ القرآن الكريم، وتعليم مبادئ القراءة والكتابة، وبعض مبادئ الحساب، ويتم ذلك صباحا

¹ -محفوظات المركز الوطني للأرشيف الجزائري، سجلات البايلك، ع 31، ص 288.

² - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي من القرن العاشر إلى الرابع عر الهجري '16-20م، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر، 1985، ج1، ط2، ص231.

³ - ناصر الدين سعيدوني، دراسات وأبحاث في تاريخ...، المرجع السابق، ص ص 156-160.

⁴ - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي...، المرجع السابق، ج 1، ص 231.

⁵ - عبد القادر حلوش، السياسة التعليمية الفرنسية في الجزائر (1873 - 1914م)، رسالة ماجستير، جامعة دمشق، سوريا، 1985، ص 6.

⁶ - رايح بونار، الذكرى الألفية لتأسيس مدينة الجزائر، مجلة الأصالة، الجزائر، 1972، ع 08، ص 84.

— الفصل الرابع: أهمية المصادر المحلية في كتابة تاريخ الجزائر خلال العهد العثماني —

ومساء، ويتراوح عدد مريديه ما بين 15 و20 طفلاً بين ذكور وإناث¹ وقد أشار محمد أبوراس الناصر في رحلته إلى ذلك بقوله: " ثم تتلمذت على يد الشيخ أحمد بن ثابت المتوفي سنة ثمان وخمسين ومائة وألف بـ "جيل ترارة"... فأتقنت القرآن برواية قالون"²، وهو ما يؤكد بأن التعليم الابتدائي بالكتاتيب كان يعتمد على تحفيظ القرآن الكريم وأحكامه، وتعليم الطفل الحروف الهجائية بواسطة اللوح المصاصل والقلم القسبي³، والكتاتيب عبارة عن حجرة أو حجرتين مجاورة للمسجد، وبنيت خصيصاً لتعليم القرآن.

يتم بناؤها من طرف أفراد احتساباً لله وابتغاءاً لأجر الآخرة، وأثاثها عبارة عن حصير مصنوعة من الحلفاء أو الدوم، بها ألواح خشبية وأقلام قصب، وكميات معتبرة من الصلصال والصمغ، وبعض الأواني البسيطة.⁴

كما كانت للكتاتيب أحباس وقوانين داخلية محكمة، وهو الفرق بينها وبين الزاوية التي تخضع لشيخ الطريقة أو مقدمها، لذلك كانت الكتاتيب تسير ذاتياً، وطلبتها ينقسمون إلى: القداش التلاميذ الصغار، والطلبة وهم أكبر فئة القداشين والمقدمون والوكلاء.⁵

1-2- المساجد

تشتهر الجزائر بغيرها من الإيالات والدول الإسلامية بمنشآتها المعمارية المختلفة في الفترة العثمانية خاصة منها الدينية والتعليمية، ومن بينها المساجد فهي المركز الأول للإشعاع الروحي والعلمي، والنواة الأولى كمؤسسة ثقافية وتعليمية ودينية في آن واحد⁶ وكذا ملتقى العباد

¹ - يحي بوعزيز، أوضاع المؤسسة الدينية بالجزائر خلال القرنين التاسع عشر والعشرين، مجلة اللغة العربية، الجزائر، 2006، ع16، ص ص 100-101.

² - محمد أبوراس الناصر، فتح الإله...، المصدر السابق، ص19.

³ - محمد بن ميمون الجزائري، المصدر السابق، ص50.

⁴ - عبد الرحمان بن أحمد التيجاني، الكتاتيب القرآنية بندرومة من 1900 إلى 1977، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، 1983، ص17. وأنظر أيضاً: أحمد بن محمد بن علي بن سحنون الجزائري، المصدر السابق، ص 68.

⁵ - رشيدة شدرى معمر، المرجع السابق، ص61.

⁶ - أحمد مريوش، الحياة الثقافية...، المرجع السابق، ص11.

— الفصل الرابع: أهمية المصادر المحلية في كتابة تاريخ الجزائر خلال العهد العثماني —

ومجمع الأعيان ومنشط الحياة العلمية والاجتماعية، فهو قلب القرية في الريف وروح الحي في المدينة، وكما أنه الرابط بين أهل القرية والمدينة، وذلك بحكم اشتراك جميع فئات المجتمع في بنائه.¹

نظراً لأهمية المساجد كمؤسسة تعليمية واجتماعية، فقد أشارت العديد من المصادر المحلية إلى الأدوار المهمة لها ومن بينها ما ذكره ابن حمادوش في رحلته المسماة "لسان المقال..." بأنها أماكن للعبادة وملتقى للعلماء حيث يقول: " فدخلت تطوان في أول الساعة السابعة وصليت الظهر بها جماعة، فلقيت من علمائها الشيخ أحمد الورززي، فسلمت عليه..."²، كما كانت أماكن للمناقشات والمناظرات بين العلماء في الأمور الدينية والدنيوية، وهذا ما ذكره أبوراس الناصر في رحلته " فتح الإله..." حول مسألة البيوع والآجال حيث يقول: "... فامتحنوه بأن يقرأها لهم، فأتوا الجامع الأعظم، فلما بلغ ثمانية آلاف انصرفوا عنه"³، وهو دليل على أن المساجد باعتبارها مكاناً مقدساً تقام فيه الصلوات، فهي أيضاً مركزاً للإشعاع الحضاري الذي تقدم فيه الدروس اليومية، ومحطة لنشوء العلوم التي كانت تدرس في الفترة العثمانية بالمدن والأرياف.⁴

من أهم المساجد التي ذكرتها المصادر المحلية بإيالة الجزائر، مساجد مدينة الجزائر كجامع خضر باشا والجامع الأعظم، حيث يذكر أحمد الشريف الزهار في مذكراته بأن الدروس الخاصة بصحيح البخاري كانت تقدم يومياً بهما، بالإضافة إلى تحفيظ وختم القرآن خاصة بالجامع الأعظم،⁵ بالإضافة إلى الجامع الكبير وهو مسجد واسع وإمامه مالكي، وجامع سيدي رمضان الذي يُعرف بجامع القشاش⁶، وجامع كتشاوي الذي أسسه حسن باشا سنة 1209هـ/1794م وكان

1 - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي ...، المرجع السابق، ج1، ص246.

2 - عبد الرزاق ابن حمادوش، المصدر السابق، ص31.

3 - محمد أبوراس الناصر، فتح الإله ...، المصدر السابق، ص23.

4 - محمد بن ميمون الجزائري، المصدر السابق، ص51.

5 - أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص166.

6 - علي بن محمد التمكروتي، النفحة المسكية في السفارة التركية (1589)، تح وتقا: محمد الصالحي، ارتياد الآفاق، المغرب، 2007، ط1، ص139.

— الفصل الرابع: أهمية المصادر المحلية في كتابة تاريخ الجزائر خلال العهد العثماني —

على مقربة من جامع السيدة الذي بناه الداوي محمد باشا¹، وكما نجد جامع محمد باشا، مسجد سيدي السعدي أو جامع علي بتشين، وحسب أبو القاسم سعد الله فقد بلغ عدد مساجد مدينة الجزائر العاصمة عند الاحتلال الفرنسي 122 مسجداً بين صغير وكبير منها 13 جامعاً كبيراً.² أما بحاضرة قسنطينة فقد ذكر الحسين الورثيلاني في وقلته المسماة بـ "نزهة الأنظار..." بأن عدد المساجد الكبرى بها قد بلغ خمسة مساجد، وسبعين مسجداً صغيراً منتشرة عبر أحياء المدينة³، ومن بينها: الجامع الكبير، جامع سيدي الأخضر، ومسجد سيدي الكتاني الذي بناه صالح باي...، يبدو أن إقليم قسنطينة كان يضم 837 مسجداً قبل قدوم الاحتلال الفرنسي ما بين قديم وجديد.⁴

أما بابلك الغرب فقد اشتهر بالعديد من المساجد والجوامع، وأبرزها: الجامع الكبير بقلب مدينة معسكر الذي بناه الباي الحاج عثمان 1160هـ/1747م،⁵ وجامع عين البيضاء الذي تم تشييده في شهر ذو القعدة من سنة 1195هـ/1780م في عهد الباي محمد بن عثمان⁶ وجامع الباشا بمدينة وهران الذي بناه الداوي محمد الكبير بأمر من حاكم الإيالة "حسن باشا" سنة 1206هـ/1792م،⁷ وجامع الباي محمد الكبير الذي بناه الباي محمد الكبير سنة 1207هـ / 1793م، و مسجد سيدي الهواري وغيرها من المؤسسات الدينية المنتشرة بحاضرة تلمسان كالجامع الكبير، وجامع سيدي الحسن، ومسجد ريغ، وجامع سيدي بومدين...⁸.

¹ - أبو القاسم بن أحمد بن علي الزياني، الترجمانة الكبرى في أخبار المعمور برا وبحرا، تح وتقا: عبد الكريم الفيلاي، دار النشر والمعرفة للنشر والتوزيع، الرباط، المغرب، 1991، ط1، ص152.

² - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي ...، المرجع السابق، ج5. ص ص 11-16.

³ - الحسين الورثيلاني، المصدر السابق، ص685.

⁴ - أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص99.

⁵ - ابن هطال التلمساني، المصدر السابق، ص27.

⁶ - أحمد بن محمد بن علي بن سحنون الجزائري، المصدر السابق، ص 127.

⁷ - ابن هطال التلمساني، المصدر السابق، ص29.

⁸ - أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص ص 105-108.

قسمت المساجد خلال العهد العثماني إلى أنواع هي مساجد بناها الحكام أو الخلفاء، أو الأمراء أو الولاة أو الملوك قبل الجامع الكبير والجامع الجديد بالعاصمة ومساجد بناها الأثرياء والأعيان مثل مسجد سيدي أبي مروان بعنابة، والمسجد الجديد الذي بناه صالح باي، ومساجد قامت ببنائها المؤسسات الوقفية الخيرية وأعدادها كثيرة ولا تحصى، ومن مميزاتها أنها مباني عادية مبنية بالحجر والطوب أو الجبس، صوامعها منخفضة، فراشها بسيط من الحصير والزرابي.¹

1-3- المدارس

عرفتها المصادر المحلية على أنها أمكنة خصصت لإلقاء الدروس وتعليم العلم وتعلمه،² وقد عرفت انتشارا واسعا بإيالة الجزائر خلال الفترة العثمانية، حيث لا يكاد يخلو حي من أحياء المدن من هذه المدارس.³

أما بناء المدارس والاعتناء بها فكان يتم من طرف الأسر العلمية، والأعيان، وهذا ما ذكره الحسين الورثيلائي بقوله: "... وأما المدارس فيظهر أنها كانت من اهتمام الخاصة نظرا لحرص باياتها على العناية بالقلاع والحصون"⁴، كما ساهمت الأحماس والمؤسسات الوقفية باختلاف أنواعها على تحمل ودفع نفقات موظفي المدارس وتوظيفهم مثل أحماس مدرسة مازونة، وأحماس الباي محمد الكبير الموجهة للاعتناء بالمؤسسات التعليمية وصيانتها.⁵

ومن أهم المدارس التي ذكرتها المصادر المحلية نذكر:

1-3-1- مدرسة مازونة: نالت مدرسة مازونة شهرة علمية منذ تأسيسها على يد الشيخ أحمد

الشارف بن أحمد بن علي بن عبد العزيز البلداوي سنة 1029هـ/1619 وقد عرفت من طرف

1 - أحمد مريوش، المرجع السابق، ص ص 12-14.

2 - محمد بن ميمون الجزائري، المصدر السابق، ص 50. وأنظر أيضا: محمد أبوراس الناصر، عجائب الأسفار...، ص 91.

3 - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي...، المرجع السابق، ج 1، ص 274.

4 - الحسين الورثيلائي، المصدر السابق، ص 686.

5 - فتحة واليش، الحياة الحضارية في بايلك الغرب الجزائري خلال القرن 18م، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث، جامعة الجزائر، 1993 - 1994، ص 165.

مازونة: وتعني أرض الرجال الأقوياء، وهي اسم قبيلة من زناتة، أنظر: محمد بن يوسف الزياني، المصدر السابق، ص 77.

— الفصل الرابع: أهمية المصادر المحلية في كتابة تاريخ الجزائر خلال العهد العثماني —

المصادر المحلية والأجنبية بمدينة العلم والعلماء والمتقنين بفضل العلوم الدينية واللغوية التي كانت تلقن بها، واستمرت بذلك حتى بعد انتقال مركز العاصمة الإقليمية من مازونة إلى معسكر في عهد مصطفى بوشلاغم.¹

اشتهرت مدرسة مازونة الفقهية بتدريس علم الحديث وعلم الكلام، فشدت إليها الرحال وقصدها الطلبة من كل حذب وصبوب لا سيما مستغانم، تلمسان، تنس ومعسكر، والمناطق المجاورة إليها، فخرج منها العلماء والفقهاء، ومن بينهم الشيخ مصطفى الرماحي الذي أخذ الاجازة عن مؤسسها الشيخ أحمد الشارف المازوني.²

كما درس بها العديد من العلماء والمشايخ، وعلى رأسهم العالم الحافظ أبوراس الناصر حيث ذكر في رحلته: " ولما ذكر لي الطلبة "مازونة" وكثرة مجالسها، ونجاسة طلبتها وقريحة أشياخها سافرت إليها... ومن أجلاء أشياخي شيخنا محمد الصادق ابن فغول..."³ ومن خلال ما ذكرته المصادر المحلية يتبين لنا بأن مدرسة مازونة كانت ملتقى العلماء والطلبة، ومقراً للمبادرات الفكرية والسياسية فكانت كالزهرة بين الشوك دائمة العطر والحيوية يستنشقها محبو العلم والمعرفة.

1-3-2- المدرسة المحمدية

تعد المدرسة المحمدية بأم عسكر من بين المدارس المشهورة بإيالة الجزائر خلال العهد العثماني، فهي تنسب إلى بانيها أبي الفتوحات المنصور بالله الباي محمد بن عثمان فاتح وهران

⁶ - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي...، المرجع السابق، ج1، ص286.

¹ - الطاهر جنان، مازونة عاصمة الظهرة وثغر حربي ومركز إشعاع حضاري، دار الرشاد، سيدي بلعباس، الجزائر، 2005 ص22.

² - أبو القاسم الحفناوي، المرجع السابق، ص ص 541-543.

³ - محمد أبوراس الناصر، فتح الإله...، المصدر السابق، ص ص 43 - 45.

— الفصل الرابع: أهمية المصادر المحلية في كتابة تاريخ الجزائر خلال العهد العثماني —

الذي شيدها إلى جانب الجامع الأعظم المسمى بجامع العين البيضاء سنة 1196هـ¹، وقد عين الشيخ والعالم محمد بن عبد الله الجيلالي كمدير لها، وهو المشهور بتنظيمه رباط وهران.² أشارت إليها العديد من المصادر المحلية خلال العهد العثماني، وذلك لما كان لها من صدى واسع في العالم العربي والإسلامي حيث اعتبرت من أكبر المعاهد العلمية بالإيالة وهذا ما تطرق إليه محمد أبوراس الناصر بقوله: "إن المدرسة المتعارفة عندنا هي التي تبنى لدراسة العلم أي؛ لتعليمه وتعلمه، كالمدرسة البوعنانية بفاس والمدرسة المستنصرية والباشية بتونس والقشاشية بالجزائر العاصمة"³، أما ابن سحنون الراشدي فقد وصفها بقوله: "كاد العلم أن يتفجر من جوانبها".⁴

درس بها العديد من العلماء، وهو ما ذكر أبي راس الناصر في رحلته بقوله: "ثم شمرت للتدريس بـ"ام عسكر" وفي آخر القرن الثاني عشر أكثر من تدريس الألفية"⁵... وكذلك نجد محمد مصطفى بن زرفة الدحاوي، والشيخ الطاهر بن حواء، وغيرهم من العلماء الأجلاء، فكانوا بمثابة المرشدين الاجتماعيين والموجهين للطلبة والأئمة والقضاة، والمفتيين في غالب الأمر.⁶ رغم الشهرة التي نالتها المدرسة المحمدية إبان العصر الذهبي لفترة حكم الباي محمد بن عثمان، إلا أن نجمها قد أفل خاصة بعد نقل العاصمة من معسكر إلى وهران سنة 1792م وهجرة علمائها ومدرسيها إلى الحواضر العلمية الأخرى.

¹ - محمد أبوراس الناصر، الخبر المعرب عن الأمر المغرب المال والأندلس وثغور المغرب مخطوط بخزانة البشير محمودي بالبرج، معسكر، الجزائر، ص188.

² - المهدي بوعبدلي، مراكز الثقافة وخزائن الكتب، مجلة الأصالة، الجزائر، 1973، ع11، ص94.

³ - محمد أبوراس الناصر، المصدر السابق، ص188.

⁴ - أحمد بن محمد بن علي بن السحنون الراشدي، المصدر السابق، ص127.

⁵ - حمدان أبوراس الناصر، فتح الإله ومنته... المصدر السابق، ص24.

⁶ - أحميدة عميراي، دراسات في تاريخ الجزائر الحديث، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2004، ط2، ص207.

1-3-3- المدرسة الكتانية

تأسست المدرسة الكتانية على يد الباي صالح باي بقسنطينة سنة 1189هـ/1775م، وذلك تبركاً بالولي الصالح سيدي عبد الله بن هادي المعروف بسيدي الكتاني، وعرفت باسم المدرسة الكتانية¹، وقد تخصصت هذه المدرسة في تلقين الطلبة شتى العلوم الدينية والعقلية، ومنها الفقه والحساب والفلك، ولعل الشهرة التي اكتسبتها هذه المدرسة تعود إلى النظام الدراسي الدقيق الذي استحدثه صالح باي ليسير عليه الطلبة والمدرسون.²

من أهم العلماء الذين درسوا بالمدرسة الكتانية بقسنطينة ما ذكره الحسين الورثيلاني في رحلته: "سيدي يحي العيلاوي...، والفقيه سيدي أحمد الزين...، وسيدي خليفة الشارف، وسيدي أحمد العلمي، وسيدي عبد الله التومي، وسيدي علي بن سعيد وسيدي السعدي السدراتي... وغيرهم من العلماء والمشايخ و الصلحاء والأعيان بمدينة قسنطينة³، بالإضافة إلى ما ذكره أبوراس الناصر في رحلته: "ولما دخلت قسنطينة نزلت على محط رجال الأفاضل، ومنبع الفضائل ... السيد عبد الكريم بن محمد الفكون... والشهير السيد علي الونيسي..."⁴ وكذلك نجد الشيخ عبد القادر الراشدي الحنفي، والشيخ شعبان العباسي قاضي المالكية، و سيدي مصطفى بن جلول ومحمد بن الموهوب وأحمد بن بهلول...⁵

إلى جانبها فقد وجدت العديد من المدارس في مختلف الحواضر الجزائرية، فمدينة الجزائر وحدها كانت تحتوي على 229 مدرسة يدرس بها 5583 تلميذاً، ومن أبرزها المدرسة القشاشية

¹ - محمد السعيد قاصري، المدرسة الكتانية بقسنطينة صرح ثقافي يصارع النسيان، مجلة عصور الجديدة، جامعة محمد بوضياف المسيلة، الجزائر، أوت 2015، ع 18 (عدد خاص بقسنطينة)، ص 155.

² - عبد الحليم طاهري، مدرسة صالح باي ومقبرته العالية في حي سوق العصر بمدينة قسنطينة، رسالة ماجستير في الآثار الإسلامية، معهد الآثار، جامعة الجزائر، 2008، ص 67.

³ - الحسين بن محمد الورثيلاني، المصدر السابق، ص 692.

⁴ - محمد أبوراس الناصر، فتح الإله ومنته، المصدر السابق، ص ص 98 - 99.

⁵ - محمد السعيد قاصري، المرجع السابق، ص 155.

التي وصفها أبوراس الناصر على أنها مراكز للتعليم العالي¹، وكذا مدارس تلمسان للتعليم العالي "مدرسة الجامع الكبير" و " مدرسة أولاد الإمام" اللتين كان يتردد عليهما ألفي تلميذ وستمئة طالب²

1-4- الزوايا

عرفت الزوايا انتشارا واسعا في الجزائر خلال الفترة العثمانية، حيث انتشرت في مختلف أرجاء الإيالة من مدن وأرياف، وفي الجبال الشاهقة والصحاري القاحلة، وقد لعبت دوراً محورياً باعتبارها مؤسسة دينية وثقافية واجتماعية، وهذا ما أشار إليه ابن ميمون في كتابه " التحفة المرضية..." بقوله: " وقد كانت مقسمة إلى قسمين اثنين كل قسم منها يقوم بدوره أحسن قيام فالقسم الأول يقوم بوظيفة تحفيظ القرآن الكريم ويؤممه غالبا الأفراد الذين سبق لهم أن تعلموا الحروف الهجائية، أما القسم الثاني فإنه يقوم بتدريس بعض فنون الفقهيات وبعض المبادئ في علم الفلك والعقائد وقواعد النحو والصرف وفنون اللغة والمنطق".³

الزوايا هي عبارة عن مجتمعات من البيوت والمنازل المختلفة الأشكال والأحجام، تشتمل على بيوت للصلاة كالمساجد، وغرف لتحفيظ القرآن الكريم، وتعليم العلوم النقلية والعقلية، وأخرى كمساكن للطلبة، وطهي الطعام، وتخزين المواد الغذائية والعلف ، وإيواء الحيوانات التي تستعمل في أعمال الزاوية.⁴

من أهم الزوايا المشار إليها من طرف المصادر المحلية، زوايا مدينة الجزائر وأبرزها، زاوية وضريح عبد الرحمن الثعالبي، وزاوية الولي دادة، وزاوية عبد القادر الجيلاني، وزاوية سيدي محمد الشريف، وزاوية سيد أحمد بن عبد الله الجزائري صاحب " المنظومة الجزائرية..."⁵ أما بلاد الزاوية فكان بها نوعان هما: زوايا حرة لا تنتمي إلى أي ولي أو طريقة كزاوية عبد الرحمان اليلولي وزوايا

¹ - محمد أبوراس الناصر، عجائب الأسفار ولطائف ...، المصدر السابق، ص 91.

² - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي ...، المرجع السابق، ج 1، ص 276.

³ - محمد بن ميمون الجزائري، المصدر السابق، ص 59.

⁴ - عباس كحول، زوايا الزيبان والعزوية (مرجعية علم وجهاد)، دار علي بن زايد للطباعة والنشر، بسكرة، الجزائر، 2013، ط 1 ص ص 40 - 41.

⁵ - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي ...، المرجع السابق، ج 1، ص 263.

تتسب إلى ولي أو طريقة صوفية مثل الزاوية الرحمانية في جبال جرجرة¹، وتعتبر منطقة زواوة من أغنى مناطق الجزائر بالزوايا قد تصل إلى خمسين زاوية منها زاوية تيزي راشد وزاوية ابن أعراب و زاوية الشيخ محمد التواتي ببجاية وزاوية الأزهري بآيت إسماعيل وغيرها.²

وبمدينة قسنطينة توجد حوالي ستة عشر زاوية منها، زاوية سيدي عبد المؤمن التي تم تجديدها سنة 1183هـ / 1769م على يد السيد صالح خوجة بن مصطفى، وهو صهر إحدى حفيدات سيدي عبد المؤمن، وزاوية بن عبد الرحمن والتي يعود تاريخ تأسيسها إلى سنة 1208هـ / 1794م³، كما تشير العديد من المصادر المحلية على غرار الرحلة الورثيلانية، وكتاب "فريدة منسية..." لابن العنتري على وجود العديد من الزوايا الخاصة بالعائلات الكبيرة بالمدينة مثل: زاوية ابن الفكون، زاوية ابن نعمون، زاوية أولاد جلول وغيرها...⁴، كما كان للأتراك والكراغلة زواياهم الخاصة مثل: زاوية رضوان خوجة، بالإضافة إلى بعض الزوايا الأخرى المنتشرة ببابلك قسنطينة مثل زاوية خنقة سيدي ناجي، وزاوية بني مسعود، وزاوية بني مقران، وزاوية مولاي الشققة بين جيجل والقل.⁵

أما في بابلك الغرب فقد اشتهرت تلمسان وضواحيها بكثرة الزوايا والأضرحة، منها زاوية سيدي الذيب، زاوية سيدي بومدين، زاوية محمد السنوسي وزاوية سيدي الغماري⁶، بالإضافة إلى زوايا أم عسكر، ومن أشهر زواياها زاوية القيطنة التي ذكرها أبي راس الناصر في رحلته: فذهبت

¹ - محمد سي يوسف، نظام التعليم في بلاد الزواوة بإيالة الجزائر خلال العهد العثماني، جمع وتقديم: عبد الجليل التميمي منشورات الدراسات والبحوث المورسكية والتوثيق والمعلومات، تونس، 1990، ط1، ص 193.

² - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ص 265.

³ - عبد الحق معزوز، لخصر درياس، جامع الكتابات الأثرية العربية بالجزائر (كتابات الشرق الجزائري)، منشورات المتحف الوطني للآثار القديمة، مطبعة سومر، بئر خادم، الجزائر، 2000، ج 1، ص 170.

⁴ - أبو مصطفى كمال السيد، جوانب من الحياة الاجتماعية والاقتصادية والدينية والتعليمية في المغرب الإسلامي من خلال نوازل وفتاوي المعيار المعرب للنشرسي، مركز الإسكندرية للكتاب، الإسكندرية، 1996، ص 113.

⁵ - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي ...، المرجع السابق، ج1، ص 265.

⁶ - فوزية لزغم، الإجازات العلمية...، المرجع السابق، ص 388.

— الفصل الرابع: أهمية المصادر المحلية في كتابة تاريخ الجزائر خلال العهد العثماني —

لـ " قيطنة" وقد اجتمعت جموع من الطلبة...¹، وزاوية عبد القادر المشرفي، وزاوية أبي راس الناصر التي قام بترميمها وتبييضها الباي محمد بن عثمان الملقب بـ " بوكابوس" سنة 1227هـ/1812م²، و زاوية سيدي بوسكرين التي أسسها يحيى بن زكرياء بن يعقوب المكنى بأبو زكري خلال القرنين التاسع والعاشر الهجري.³

كما نجد زوايا الجنوب الجزائري، ومن أبرزها زاويا إقليم توات، حيث ذكر لنا الشيخ عبد الرحمان بن إدريس التتيلاني في رحلته إلى ثغر الجزائر العديد من الزوايا مثل الزاوية البكرية التي تأسست سنة 1117هـ/1705م، وزاوية أوقروت التي تأسست سنة 1008هـ/1599م، و الزاوية الكنتية (الرقادية)، والزاوية المهدية التي تأسست سنة 1119هـ/1707م عمر بن عبد الرحمان بن يوسف التتيلاني⁴ إضافة إلى زاوية الشيخ عبد الله بن طمطم التي أشار إليها العياشي في رحلته⁵ وزاوية الحاج بلقاسم، وزاوية الدباغ، زاوية الشيخ ابن عبد الكريم المغيلي، وزاوية حينون، وزاوية مولاي هيبة.⁶

أما طريقة الانفاق على المتمدرسين والعلماء المدرسين بها، فهي تعتمد على أموال الهبات والزكاة، والهدايا المقدمة إليها من طرف أفراد المجتمع الجزائري والسلطة الحاكمة، إضافة إلى الأحباس الموقوفة والمخصصة لذلك من طرف المؤسسات الوقفية كمؤسسة سبل الخيرات والأندلسيين، والأشراف وغيرها من المؤسسات الوقفية الأهلية والذرية.

1 - محمد أبو راس الناصر، فتح الإله...، المصدر السابق، ص24.

2 - الآغا بن عودة المزاري، المصدر السابق، ج1، ص 329.

3 - بلهاشمي بن بكار، كتاب مجموع الحسب والنسب والفضائل والتاريخ والأدب، مطبعة ابن خلدون، تلمسان، الجزائر، 1961 ص380.

4 - عبد الرحمن بن إدريس التتيلاني، المصدر السابق، ص ص70-73.

5 - أبو سالم العياشي، الرحلة العياشية، المصدر السابق، ج1، ص 12.

6 - سالم بوتدارة، الحركة العلمية بالجنوب الجزائري خلال العهد العثماني، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه علوم في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة جيلالي اليابس، سيدي بلعباس، الجزائر، 2016/2015، ص 132.

2- نماذج من أهم العلوم السائدة والإنتاج الفكري بالجزائر أواخر العهد العثماني

تناولت المصادر المحلية العلوم السائدة بالجزائر أواخر العهد العثماني، والتي عرفت انتشارا واسعا خاصة التعليم الديني حيث لعبت المؤسسات الدينية والتعليمية وتشجيع بعض الحكام العثمانيين للحركة العلمية بالإضافة إلى حركة التواصل الحضاري بين الجزائر ومحيطها العربي والإسلامي دورا محوريا في نشر العلم والمعرفة، والتي كان لها الفضل في إثراء الحياة الدينية والفكرية بالإيالة ومكتباتها العامة والخاصة بمختلف المؤلفات والتي شملت مختلف العلوم سواء الدينية أو العقلية، وهذا رغم طابعها التقليدي.

2-1- العلوم النقلية

وتُعرف بالعلوم الشرعية، وهي مجموعة المعارف والعلوم التي تستمد من النقل أو المصادر الدينية والتي ينقلها الإنسان عن وضعها وهو الشارع الحكيم ولا مجال للعقل فيها، وتشمل العلوم النقلية ثمانية علوم: القرآن، التفسير والقراءات، الحديث، الفقه، الفرائض، أصول الفقه، الكلام التصوف، تعبير الرؤيا¹، وقد عرفت هذه العلوم اهتماما كبيرا من طرف علماء ومشايخ وطلبة الجزائر خلال الفترة العثمانية تخصصا وتأليفاً.

2-1-1- علوم القرآن

ويقصد بها تلك العلوم التي تُعنى بالقرآن الكريم الذي هو كلام الله المنزل على نبيه محمد صلى الله عليه المكتوب في المصاحف والمنقول إلينا نقلاً متواتراً، والمتعبد بتلاوته، أنزل على رسول الله منجماً بلفظه ومعناه، بلسان عربي مبين، وهو أصل الشريعة، ودستور المسلمين وعماد الدين العام للإنسانية كلها.²

¹ - أحمد الشريف بوساحة، تصنيف العلوم عند مفكري المغرب الإسلامي، دار الأيام للنشر، عمان، 2016، ط1، ص131.

² - علال الفاسي، مقاصد الشريعة الإسلامية ومكارمها، منشورات مؤسسة علال الفاسي، الرباط، 2008، ط5، ص85.

— الفصل الرابع: أهمية المصادر المحلية في كتابة تاريخ الجزائر خلال العهد العثماني —

وعلم القرآن تشمل فروع كثيرة أبرزها علم القراءات* وعلم التفسير* ورغم تنوع شيوع ظاهرة التقليد والحفظ خاصة أواخر العهد العثماني بإيالة الجزائر، فقد اشتهر العديد من العلماء في مجال علم القراءات والتفسير بالحوضر العلمية الجزائرية مدينة الجزائر، قسنطينة، تلمسان، إقليم توات بالجنوب الجزائري، والعربية والإسلامية (جامع القرويين، جامع الزيتونة، جامع الأزهر، الحرمين الشريفين، بلاد الشام)، ومن أبرز العلماء ومؤلفاتهم في مجال علوم القرآن خلال القرنين 18م وبداية القرن 19 نذكر:

- أحمد بن قاسم بن ساسي التميمي البوني توفي سنة 1139هـ/1726م، وكتابه "إتحاف الأقران ببعض مسائل القرآن"، "نظم غريب القرآن لابن عباس" و"نظم غريب القرآن لابن جزي".¹
- أبو يعقوب يوسف بن محمد، توفي سنة 1187هـ/1773م، وكتابه "حاشية على الجلالين"²

- الشيخ محمد بن عبد الله بن عبد الجليل التتسي، وكتابه "الطراز في شرح الخراز".³
- الشيخ محمد الطاهر ابن حوا، توفي سنة 1206هـ/1791م، وكتابه "تفسير القرآن".⁴

* علم القراءات: هو علم ينقل لغة القرآن وإعرابه الثابت بالسماع المتصل، وموضوعه كلمات القرآن كلمة كلمة من أوله إلى آخره من حيث أحوال النطق بها وكيفية أدائها مع تعدد الطرق واختلاف الوجوه في الأداء المنقول بالتواتر عن النبي صلى الله عليه وسلم، أنظر: ابن الأكفاني محمد بن إبراهيم بن ساعد الأنصاري، إرشاد القاصد إلى أسمى المقاصد في أنواع العلوم، تح وت: عبد المنعم محمد عمر، ومراجعة: أحمد حلمي عبد الرحمان، دار الفكر العربي، القاهرة، 1987م، ص154. وأنظر أيضا: عبد الفتاح القاضي، البذور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة عن طريقي الشاطبية والدرة، دار الكتاب العربي، بيروت، 1981، ط1، ص7.

* علم التفسير: وهو علم يبحث فيه عن أحوال القرآن الكريم من حيث دلالاته على مراد الله بقدر الطاقة البشرية، وبالتالي فهو العلم الذي يفهم به معاني كلمات القرآن الكريم المنزل على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، وبيان معانيه، واستخراج أحكامه وحكمه أنظر: محمد عبد العظيم الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، تح: فوزي أحمد زملي، دار الكتاب العربي، بيروت، 1995 ط1، ج1، ص471، وأنظر أيضا: محمد حسين الذهبي، علم التفسير، دار المعارف، القاهرة، 1977، ص06.

¹ - أبو القاسم محمد الحفناوي، المرجع السابق، ج2، ص372.

² - بشير ضيف بن أبي بكر الجزائري، فهرست معلمة التراث الجزائري بين القديم والحديث نماذج متنوعة للمعلوم والمجهول.

مر: عثمان بدري، منشورات ثالثة، الجزائر، 2007، ص36.

³ - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي...، المرجع السابق، ج1، ص120.

⁴ - محمد الطاهر ابن حوا، تفسير القرآن العظيم، مخطوط بخزانة الشيخ جلول جيلالي، معسكر، رقم: 02، وأنظر أيضا: أحمد بن محمد بن علي بن سحنون الراشدي، المصدر السابق، ص241.

- الشيخ يوسف بن عدوي بن حمو أبو يعقوب الإباضي الجزائري، توفي سنة 1223 هـ/1808م، وكتابه " حاشية على تفسير البيضاوي".¹

- الشيخ محمد أبوراس الناصر الجزائري، توفي سنة 1823م، ومن مؤلفاته: " الجمع بين الأطناب والإيجاز في شرح الخراز"، "إغاثة اللهفان في شرح مورد الضمان و التكلم مع صاحب عمدة البيان"، " السيوف القوامع في شرح الدور اللوامع"، "إزالة الألغاز على كلام الطراز والخراز" " سر الرحمان في جمع القرآن وسبب جمعه على هذا المنوال"، "فتح المنان في ترتيب نزول القرآن" "تذيل الاتقان في أحكام القرآن"، "إعانة القدير في شرح النشر و التسيير" في ثلاثة أسفار "توضيح المعاني في شرح حرز الأماني" في ثلاثة أسفار²، وكتاب "مجمع البحرين، ومطلع البدرين، بفتح الجليل للعبد الذليل في التيسير إلى علم التفسير" في ثلاثة أسفار، وفي كل كتاب عشرون حزباً³، وكتاب "الإبريز والإكسير في علوم التفسير" في ثلاثة أسفار⁴، وكتاب "تقييد على الخراز"، و " الدرر اللوامع" و " الطراز".⁵

2-1-2- علم الحديث

هو العلم الذي يهتم بنقل الحديث النبوي، وضبطه، وتحري ألفاظه، وصيانيته من الدخيل، و التصنيف فيه، وتمييز صحيحه من سقيم، ومعرفة أحوال رواته، وفقه ما فيه من العقائد والأحكام⁶ ويعتبر علم الحديث من أشرف العلوم وأجلها وأبقاها ذكراً وأعظمها أثر، حيث يأتي في الدرجة الثانية مباشرة بعد علوم القرآن الكريم في سلم العلوم النقلية، لذلك أعتنى به علماء الجزائر في الفترة العثمانية تدريساً و تأليفاً، رواية، إجازة، وذلك لصلته بالتصوف، واعتماده على الحفظ وهو ما كان

¹ - إبراهيم عيو، المرجع السابق، ص 173.

² - يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص 178.

³ - محمد أبوراس الناصر، فتح الإله ومنته المصدر السابق، ص 179.

⁴ - محمد أبو راس الناصر، عجائب الأسفار والطائف الاخبار...، المصدر السابق، ج1، ص30.

⁵ - محمد أبو راس الناصر، فتح الإله ومنته ...، المصدر السابق، ص179.

⁶ - الحسين بن محمد شواط، علم الحديث رواية، وعلم الحديث دراية (سيرة المصطلح وحده ومفهومه)، الألوكة للنشر الالكتروني، السعودية، 2015، ص 01.

— الفصل الرابع: أهمية المصادر المحلية في كتابة تاريخ الجزائر خلال العهد العثماني —

شائعاً في تلك المرحلة، ومن أهم تلك الكتب المدروسة بالحواضر الجزائرية والمؤسسات الدينية والتعليمية نجد كتاب " صحيح البخاري " ، كتاب " صحيح مسلم " ، وقد بلغا عند بعض العلماء والمشايخ والطرق الصوفية مبلغ القداسة.¹

لم يك علم الحديث يُدرس لذاته فقط، بل كان يدرس أيضاً للعمل به في مجالات المعرفة المختلفة، وهذا باعتباره مصدراً من مصادر التشريع الإسلامي، لذلك عمد علماء الجزائر إلى دراسته، ومن أشهر علماء الحديث بإيالة الجزائر خلال القرن 18م، وبداية القرن 19م نذكر:

- عبد الرزاق ابن حمادوش: وتأليفه لنسخة من صحيح البخاري، وتعداده للأحاديث النبوية بها والمقدرة بـ 7275 حديث، وسردها في الجامع الكبير بمدينة الجزائر العاصمة.²

- محمد أبوراس الناصر: بلغت مؤلفاته في علم الحديث ثمان مخطوطات هي: " الآيات البينات في شرح دلائل الخيرات " و " مفاتيح الجنة وأنساها، في الأحاديث التي اختلف العلماء في معناها " و " السيف المتنضي، فيما رويت بأسانيد الشيخ مرتضي " ³ وكتاب " النور الساري في شرح صحيح البخاري " في ستة أسفار ⁴ ، و " السيل الفسيح الجاري في شرح صحيح البخاري " في أربعة أسفار، و " مختصر المعلم في شرح مسلم " في ثلاثة أسفار، و " مناعم الشفا " في سفرين، و " نزهة الفضائل في شرح المسائل " ⁵.

- أحمد بن قاسم بن محمد ساسي أبو العباس البوني: ومن مؤلفاته: " نظم المسيرة المحمدية " و " طراز الحمائل على الشمائل " و " أعلام الأعلام بشفاء الآلام في مدح المصطفى صل الله عليه وسلم " و " نظم أسماء الرسول صلى الله عليه وسلم " و " السراج في ذكر بعض من فضائل صاحب

¹ - ذهبية بوشيبية، العلم والعلماء في الجزائر خلال العهد العثماني، مجلة الحوار المتوسطي، جامعة جيلالي اليابس، سيدي بلعباس، الجزائر، 2012، ع3-4، ص125.

² - عبد الرزاق ابن حمادوش، المصدر السابق، ص 124 - 128.

³ - محمد أبو راس الناصر، فتح الإله ومنته...، المصدر السابق، ص 179.

⁴ - محمد أبوراس الناصر، نبأ الايوان ...، المصدر سابق، ص17.

⁵ - يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص 178.

— الفصل الرابع: أهمية المصادر المحلية في كتابة تاريخ الجزائر خلال العهد العثماني —

المعراج صلى الله عليه وسلم " و "النفحات الغربية في نظم السيرة الطبرية"¹ و "نظم الخصائص البنيوية"، "أظهار نفاس ادخاري المهيآت لختم كتاب البخاري" و "تنوير السريرة بذكر أعظم سيرة"... - أحمد بن عمار بن عبد الرحمان بن عمار الجزائري، توفي سنة 1205هـ/1790م، ومن

مؤلفاته: "حاشية على صحيح البخاري"، "نحلة اللبيب بأخبار الرحلة إلى الحبيب".

- عبد العزيز الثميني توفي سنة 1223هـ/1808م، ومن مؤلفاته: "مختصر حاشية مسند

الربيع بن حبيب" في ثلاثة أجزاء.²

ومن خلال ما سبق يتجلى لنا بأن علم الحديث أواخر العهد العثماني قد خلى من بعض التأليف المنتشرة في الفترات الأولى من العهد العثماني بإيالة الجزائر، والمتمثلة في الشروح والحواشي والرسائل الصغيرة والأراجيز.

2-1-3- علم الكلام

ويُعرف بعلم التوحيد، أو علم العقائد والمعتقدات، ونظرا لاقتترانه بالتصوف القائم على الزهد والوعظ، فقد لقي اهتماما كبيرا من طرف علماء الجزائر، لذلك عرفه الشيخ مصطفى الرماصي بقوله: "علم الكلام أوثق العلوم دليلاً، وأوضحها سبيلاً، وأشرفها فوائداً، وأنجحها مقاصداً، إذ به تعرف ذات الحق وصفاته، ويصرف عنه ما لا يليق به ولا تقبله ذاته"،³ وبالتالي فهو علم يبحث في التعريف بذات الله تعالى وصفاته الإلهية، ويهتم بدراسة العقائد الإسلامية والدفاع عنها.⁴ ومن أبرز العلماء الذي اهتموا بالتأليف في هذا المجال أواخر العهد العثماني نذكر:

1 - بشير ضيف ابن أبي بكر، المرجع السابق، ص 96.

2 - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي ...، المرجع السابق، ج 2، ص 30.

3 - مصطفى الرماصي، حاشية على أم البراهين المسماة بـ "صغرى السنوسي"، مخطوط بخزانة البشير محمودي، البرج، معسكر، ورقة رقم: 02، وأنظر أيضاً: أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص 91.

4 - علي بن محمد الجرجاني، التعريفات، دار القلم، بيروت، لبنان، 1984، ص 485.

— الفصل الرابع: أهمية المصادر المحلية في كتابة تاريخ الجزائر خلال العهد العثماني —

- مصطفى بن عبد الله بن محمد مؤمن الرماصي أبو الخيرات الجزائري: توفي سنة 1137هـ/1724م، ومن مؤلفاته: " حاشية على أم البراهين المسماة بـ صغرى السنوسي"، و " كفاية المريد في شرح عقيدة أهل التوحيد".¹

- أحمد بن قاسم بن محمد ساسي أبو العباس البوني: ومن مؤلفاته: " نظم عقيدة أبي منصور الماتري"، " نظم عقيدة عبد القادر الجيلاني"، و " نظم عقيدة الشاذلي"، و "نظم عبد الكريم الفكون" " نظم عقيدة العز عبد السلام"، و " نظم قواعد الإسلام الذخر الأسنى بذكر أسماء الله تعالى الحسنى" و " نظم صغرى الصغرى"، و " نظم الوسطى"، و " نظم شعب الإيمان"، وكتاب " الفتح المتوالي بنظم عقيدة الغزالي"، و "نظم عقيدة محي الدين بن عربي"، و " المنهاج المبسوط في نظم عقيدة السيوطي".²

-الحسين بن محمد الورثيلاني: توفي سنة 1193هـ، ومن مؤلفاته بعض الشروحات "شرح على محصل المقاصد للإمام أبي العباس أحمد بن زكريا التلمساني"، و " شرح على وسطى الإمام السنوسي"، و "شرح الخطبة المسماة " بمقدمة شرح السنوسي على صغراه" و " حاشية على حاشية الكتاني على شرح السنوسي".³

- عبد الرزاق ابن حمادوش: ومن أهم مؤلفاته: شرح حول العقيدة الكبرى للسنوسي الذي سماه بـ "مباحث الذكرى في شرح العقيدة الكبرى" و"حاشية على ألفية ابن مالك".⁴

- عبد القادر بن محمد الراشدي: توفي سنة 1207هـ/1780م، ومن مؤلفاته: " رسالة في تحريم الدخان" و " رسالة في وزن الأعمال" و " فتاوى" و "حاشية في شرح السيد للمواقف العضدية".⁵

¹ - مصطفى الرماصي، المصدر السابق، ورقة رقم: 02.

² - إبراهيم عيو، المرجع السابق، ص168.

³ - الحسين بن محمد الورثيلاني، المصدر السابق، ص05.

⁴ - عبد الرزاق ابن حمادوش، المصدر السابق، ص268.

⁵ - محمد بن محمد بن عمر بن قاسم مخلوف، المصدر السابق، ج1، ص320.

- محمد أبو راس الناصر الجزائري: توفي سنة 1238هـ/1823م، ومن مؤلفاته: "رحمة الأمة في اختلاف الأئمة" و "تشنيف الاسماع في مسائل الإجماع"، و"جزيل المواهب، في اختلاف الأربعة المذاهب" و "الزهر الأكم في شرح الحكم" و "فتح الإله في التوصل إلى شرح حكم ابن عطاء الله" و "الحاوي لنبد من التوحيد والتصوف والأولياء والفتاوي"، و "كفاية المعتقد، ونكاية المنتقد"، و "شرح العقد النفيس، في ذكر الأعيان من أولياء غريس"، و "شرح الجمان للشيخ عبد الرحمن" وغيرها من التأليف.¹

2-1-4 - علم الفقه

هو العلم المختص بالأحكام الشرعية العملية المكتسبة من أدلتها التفصيلية مثل القرآن الكريم والسنة النبوية، وبالتالي يساعد المسلم على معرفة ما عليه، وماله.²

كما هو متعارف عليه أن المذهب السائد بإيالة الجزائر منذ الفتح الإسلامي، وإلى غاية مجيئ العثمانيين هو المذهب المالكي، لذلك كانت كل القضايا والمعاملات تتم وفق آراء الإمام مالك³، ومع مجيئ العثمانيين إلى الجزائر مع مطلع القرن 9هـ/16م، و جلبهم المذهب الحنفي وهو المذهب الرسمي للخلافة العثمانية معهم تم فرضه بإيالة الجزائر إلى جانب المذهب المالكي⁴ وهذا من خلال إنشاء محكمتين (محكمة حنفية ومحكمة مالكية) بهدف معالجة القضايا والأحوال الشخصية للسكان كالزواج والطلاق و الميراث ، وتبيان المعاملات كالبيع والشراء، مع ترك حرية

¹ - محمد أبو راس الناصر، فتح الإله في منته... المصدر السابق، ص180.

² - بدر الدين الزركشي، البحر المحيط في أصول الفقه، تحرير: عبد القادر عبد الله الغاني، مراجعة: عمر سليمان الاشقر، دار الصفوة للطباعة والنشر والتوزيع، الغردقة، مصر، 1992، ط2، ج1، ص 21.

³ - محمد بوشنافي، علماء المذهب الحنفي في الجزائر خلال العهد العثماني، مجلة العصور الجديدة، جامعة وهران، الجزائر، شتاء - ربيع 2014 - 2015، ع16-17، ص221.

⁴ - عبد القادر نور الدين، المرجع السابق، ص91.

— الفصل الرابع: أهمية المصادر المحلية في كتابة تاريخ الجزائر خلال العهد العثماني —

الاختيار للأفراد في إتباع المذهبين¹ ، وأدى ذلك إلى ظهور فكرة التعايش بين المذاهب في الإشراف على شؤون الرعية بإيالة الجزائر.²

ترك علماء الجزائر عدة تأليف في الفتاوي، والوقف، والفرائض، وغيرها من القضايا الفقهية ومن أبرز علماء الجزائر أواخر العهد العثماني وإنتاجهم الفكري نذكر:

- أحمد بن قاسم بن محمد بن ساسي أبو العباس البوني (ت. 1182هـ/1726م): من مؤلفاته: "منظومة في التوقيت" و"إظهار القوة بإحكام الباب والقوة" و"الغوثية بإحكام بعض المسائل اللوثية" و"إعلام القوم بفضائل الصوم".³

- عبد الرحمان بن ادريس بن محمد بن أحمد أبو زيد المنجرة التلمساني (ت. 1198هـ/1783م) ومن مؤلفاته: "شرح كتاب البيوع" و"حاشية على الجعبري" و"حاشية على المرادي" و"أرجوزة التلمساني في الفرائض" و"حاشية على فتح المنان".⁴

- عبد العزيز بن إبراهيم ابن عبد الله بن عبد العزيز الثميني الملقب بـ "ضياء الدين" (ت. 1223 هـ / 1808م)⁵ ومن مؤلفاته: "النيل"، "الورد البسام في رياض الأحكام"، "التاج في حقوق الأزواج"، "التاج"، "المصباح"، "النور"، "الأسرار النورانية" شرح الرانية في الصلاة مختصر حاشية مسند الربيع بن حبيب"، "معالم الدين" في الفلسفة وأصول الدين.⁶

¹ - محمد بوشنافي، المرجع السابق، ص 221.

² - مصطفى أحمد بن حموش، المدينة والسلطة في الإسلام (أنموذج الجزائر في العهد العثماني)، دار البشائر، دمشق، سوريا 1999، ص 81.

³ - أحمد بن قاسم البوني، المصدر السابق، ص 12.

⁴ - محمد بن رزق بن طرهوني، التفسير والمفسرون في غرب إفريقيا، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، السعودية، 1426هـ، ط 1 ج 1، ص 225.

⁵ - ضياء الدين عبد العزيز الثميني، النيل وشفاء العليل، صححه وعلق عليه: بكلي عبد الرحمن بن عمر، دار النشر، الجزائر 2003، ط 1، ص 9. وأنظر أيضا: عمر إسماعيل، ضياء الدين الشيخ عبد العزيز الثميني اليسجني، جمعية أبي إسحاق اطفيش لخدمة التراث، غرداية، 1999، ص 42.

⁶ - ضياء الدين عبد العزيز الثميني، المصدر السابق، ص 15-16.

— الفصل الرابع: أهمية المصادر المحلية في كتابة تاريخ الجزائر خلال العهد العثماني —

- الشيخ خليفة بن حسن بن مبارك بن محمد بن أبي العافية القماري (ت: 1211هـ)، ومن مؤلفاته " جواهر الإكليل نظم مختصر الشيخ خليل"، " الكنش " مجموعة مسائل وفتاوى فقهية، و " وثيقة بخط الشيخ " فحواها فتوى في مسائل البيع، و " نظم حول صحة الطلاق"، وهو جواب سؤال ورد عليه من فقهاء الزاب، و "نظم السنوسية وشرحها"، و " نظم الأجرومية".¹
- عبد الرزاق ابن حمادوش، ومن مؤلفاته: " شرح على منظومة ابن غرنوط"، و " حاشية على ألفية ابن مالك"، وكما أخذ العديد من الاجازات حول قراءته لمختصر الشيخ خليل.²
- العلامة أحمد بن عمار بن عبد الرحمان بن عمار الجزائري (ت 1205هـ/1790م)، ومن مؤلفاته: " رسالة في الوقف".

- الشيخ محمد أبوراس الجزائري (ت: 1238 هـ / 1823م)، ومن مؤلفاته: " درة عقد الحواشي على جيد شرحي الزرقاني والخراسي " في ستة أسفار، و " الأحكام الجوازل ، في نبذ من النوازل"، و " نظم عجيب في فروع ، قليل نصها مع كثرة الوقوع"، و "الكوكب الدري في الرد بالجدي"، و " ما رواه الواعون في أخبار الطاعون"، "النبذة المنيفة، في ترتيب فقه أبي حنيفة" و "المدارك في ترتيب فقه الإمام مالك"³، "العقود الجوهريّة في النوازل المعسكرية"، "رحمة الأمة في اختلاف الأئمة" و "تشنيف الاستماع في مسائل الإجماع" و "عقد الجواهر النفيس في ترتيب فقه الإمام محمد بن ادريس" و " القول الأكمل في ترتيب فقه الإمام أحمد بن حنبل"، و " قاضي الأوهاد في مقدمة الاجتهاد".⁴

¹ - فؤاد بن أحمد عطاء الله، استيعاب نظم جواهر الإكليل للشيخ خليفة بن حسن السوفي (1211هـ) لمسائل مختصر الإمام خليل 776هـ - دراسة مقارنة -، مجلة آفاق فكرية، جامعة جيلالي اليابس، سيدي بلعباس، الجزائر، ماي 2019، مج05، ع10، ص 195-196.

² - عبد الرزاق ابن حمادوش، المصدر السابق، ص 360.

³ - محمد أبو راس الناصر، فتح الإله في منته ...، المصدر السابق، ص 179.

⁴ - محمد أبوراس الناصر، الإصابة فيمن غزا المغرب من الصحابة، تق وتحت: أحمد الطويلي، المطبعة العصرية، تونس، 2010 ص18، وأنظر أيضا: محمد أبوراس الناصر، نبأ الايوان بجمع الديوان في ذكر صلحاء مدينة القيروان، تق وتحت: محمد الحبيب العلاني، سهيل الحبيب، منشورات مركز الدراسات الإسلامية، القيروان، تونس، 2012، ص ص 17-18.

- العلامة محمد بن علي السنوسي الجزائري (1788 - 1859م)، ومن مؤلفاته: "سوايغ الأيد من مرويات أبي زيد"، "المنهل الروي الرائق"، "التحفة المنيفة المشتملة على زبدة ما حقق الجهابذة بعض محققي الإمام أبي حنيفة"، "مسند الإمام مالك والشافعي"، "شرح البسطة"، "مجموع مسانيد الإمام أبي حنيفة"، "مختصر مسند الإمام أحمد"، "المسائل العشرة"، "بغية القاصد و خلاصة المراد" وغيرها...¹

2-2- العلوم العقلية

يقصد بها العلوم الدالة على مختلف المعارف التي تدخل في باب العلم من حيث المنهج، والمعارف المحصلة مع اختلاف مواضيعها وقضاياها، وهي تشتمل على كل ما هو محسوس ومعقول ومنقول²، ولها علاقة ارتباط وظيفية بالعلوم الشرعية فمثلاً علم الحساب له علاقة بعلم الفرائض، وعلم الفقه له علاقة بعلم الهيئة، وعلم المنطق له علاقة بعلم الأصول، لذلك اهتم علماء الجزائر أواخر العهد العثماني بهذه العلوم وخاصة علم المنطق، وعلم الطب والصيدلة وعلم الفلك، وعلم الحساب تدريسا وتأليفاً.

2-2-1- علم المنطق

عرفه السرياقوسي بأنه: "علم صور الاستدلالات الصحيحة التي تتضمن صور للقضايا وبالتالي فهو يختص بدراسة العلاقات التي تسمح بالاستدلال الصحيح الذي يقوم بين مختلف أنواع القضايا باعتبار الصورة وحدها، وبذلك يكون المنطق علماً مجرداً وصورياً، أما إذا اهتم بالقضايا والاستدلالات لا بصورها، فإنه يكون منطقاً أقل تجرداً، وأقل صورية وعمومية".³

من أشهر علماء الجزائر الذين ألفوا في علم المنطق نذكر منهم:

¹ - محمود ابراهيم، العلامة محمد بن علي السنوسي الجزائري مجتهدا ومجاهدا (1788-1859)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2009، ص 107 - 109.

² - مليكة حميدي، المسار التاريخي للعلوم العقلية الإسلامية وأثره على الفكر الأوروبي، مجلة قيس للدراسات الإنسانية والاجتماعية، جامعة الشهيد حمة لخضر، الوادي، الجزائر، ديسمبر 2017، مج 01، ع 02، ص 108.

³ - محمد السرياقوسي، التعريف بالمنطق الصوري، دار الكتب الجامعية، الإسكندرية، مصر، 1975، ص 07.

— الفصل الرابع: أهمية المصادر المحلية في كتابة تاريخ الجزائر خلال العهد العثماني —

- عبد الرزاق ابن حمادوش: ومن مؤلفاته، وضعه حاشية على مختصر السنوسي في المنطق، وقد أسماه "الدرر على المختصر"، الذي انتهى من تأليفه يوم الثلاثاء سابع ربيع الثاني 1157هـ، كما نسخ كتب المنطق منها: كتاب "النجاح" لابن سينا، وكتاب "الجدل" للسمرقندي، وكتاب "الأحكام والطلاسم" لابن البنا.¹

- عبد العزيز بن إبراهيم ابن عبد الله بن عبد العزيز التميني الملقب بـ "ضياء الدين" (ت: 1223هـ / 1808م)، ومن مؤلفاته: "تعاضد الموجين في شرح مرج البحرين" وهو شرح لكتاب "مرج البحرين" لأبي يعقوب يوسف ابن إبراهيم الوجداني، وكتاب "معالم الدين" في مجلدين.²

- محمد أبوراس الناصر (ت: 1238هـ / 1823م)، ومن مؤلفاته: "القول المسلم، في شرح السلم" وهو شرح لكتاب "السلم المرونق" لعبد الرحمن الأخضر.³

2-2-2- علم الطب

ساهمت العديد من العوامل في انتشار الطب بإيالة الجزائر خلال العهد العثماني منها توافد العديد من الأجnas على غرار الأندلسيين واليهود والمسيحيين، فأدى ذلك إلى تغير البنية الاجتماعية والعمرانية بالإيالة، وهذا ما ساهم في ارتباط الأوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية بالظروف الصحية⁴ فظهر الطب التقليدي أو بما يعرف بالطلب الشعبي خاصة في الأرياف أين اعتمدوا على الأعشاب في معالجة الأمراض، وهو ما ذكره ابن حمادوش في رحلته بقوله: "أصابني حمى شديدة فلم أستطع القراءة حتى ألهمني الله أن اشتري ثلاثة أثمان من الكين الكينة، فاشتريتها بستة موزونات استقر في بطني أمسكت الأعضاء..."⁵

¹ - عبد الرزاق ابن حمادوش، المصدر السابق، ص ص 119-120.

² - ضياء الدين عبد العزيز التميني، المصدر السابق، ج 1، ص 16.

³ - محمد أبوراس الناصر، فتح الإله ومنته، المصدر السابق، ص 180.

⁴ - ناصر الدين سعيدوني، الجزائر منطلقات وآفاق ...، المرجع السابق، ص 167.

⁵ - عبد الرزاق ابن حمادوش، المصدر السابق، ص 84.

كما اشتهرت بعض العائلات الجزائرية في الطب وتوارثته كالجراحة العامة والحجامة، وهو ما ذكره حمدان خوجة بأن بعض العائلات الجزائرية اعتمدت الطب النبوي في علاج الأمراض.¹

ومن أشهر علماء الجزائر الذين اشتهروا في مجال الطب أواخر العهد العثماني نذكر:

- أحمد بن قاسم بن محمد بن ساسي أبو العباس البوني (ت: 1182هـ / 1726م)، ومن مؤلفاته: "أعلام القريحة في الأدوية الصحيحة"، وتطرق فيه المؤلف إلى ذكر بعض أمراض العيون والأذن والأنف والأسنان و الفم والسعال، وأمراض الرحم، وبعض الأدوية العلاجية الخاصة بالحمى ولدغات الحيات، و كتاب آخر عنوانه ب: "مبين المسارب في الأكل والطب مع المشارب"، وهو عبارة عن موسوعة مصغرة حول الأدوية وطرق العلاج كتبه سنة 1132هـ²، وكتاب "اتحاف الألباء بأدوية الأطباء"، و" منظومة حول منافع الثوم".³

- عبد الرزاق ابن حمادوش، ومن مؤلفاته: " الجواهر المكنون في بحر القانون"، ويشتمل على أربعة كتب هي: الكتاب الأول في السموم وذوات السموم، والعلاج منها، والكتاب الثاني في الترياقات، والكتاب الثالث في الأمراض، والكتاب الرابع في الأعشاب والأدوية والمسمى بـ"كشف الرموز في بيان الأعشاب"،⁴ وكما ألف أيضا كتاب " تعديل المزاج بسبب قوانين العلاج، وله العديد من التأليف في الطاعون لكنها غير معروفة ومجهولة،⁵ انفرد ابن حمادوش عن أقرانه بتخصصه في مجال الطب من خلال أخذ المعارف من كتب ابن سينا، وإقليدس، والقلصادي وغيرهم من العلماء، فأصبح بذلك الطبيب الصيدلاني.⁶

1 - حمدان بن عثمان خوجة، إتحاف المنصفين والأدباء، المصدر السابق، ص21.

2 - شاوش محمد بن رمضان، الغوثي بن حمدان، إرشاد الحائر إلى آثار أدباء الجزائر أو الأدب العربي الجزائري عبر النصوص المرتبة ترتيبا تاريخيا من الفتح العربي إلى عصرنا، دار البصائر، الجزائر، 2011، ج1، ص ص 451-452.

3 - عادل نويهض، المرجع السابق، ص79.

4 - عبد الرزاق ابن حمادوش، كشف الرموز في بيان الأعشاب، مخطوط بخزانة البشير محمودي، البرج، معسكر، ورقة رقم: 02.

5 - أبو القاسم سعد الله، الطبيب الرحالة ابن حمادوش...، المرجع السابق، ص 87.

6 - عبد الرزاق ابن حمادوش، لسان المقال ...، المصدر السابق، ص120.

— الفصل الرابع: أهمية المصادر المحلية في كتابة تاريخ الجزائر خلال العهد العثماني —

- محمد بن أحمد الشريف الحسني (ت: 1139هـ / 1728م)، ومن مؤلفاته: "المن والسلوى في حديث لا عدوى" في الطب النبوي، وتتكون هذه الرسالة من ثلاثة عشر صفحة كتبها سنة 1110هـ، شرح فيها الحديث النبوي المتعلق بالحماية من الأوبئة، وأهداها إلى السلطان العثماني أحمد باشا بنفسه.¹

- عبد الله بن عزوز المراكشي التلمساني المشهور بسيدي بلة (ت: 1204هـ / 1790م)، من مؤلفاته: "ذهاب الكسوف ونفي الظلمة في علم الطب والطبائع والحكمة" وتتأول فيه القمل وعلاجه، وأسامي أمراض العين، والأدوية العلاجية للحكة والبهاق الأسود وانتهى من كتابته سنة 1194هـ / 1780م.²

- أحمد بن محمد بن علي بن سحنون الراشدي (ت: 1211هـ — / 1796م)، ومن مؤلفاته: "المنحة القدوسية في الادوية القاموسية"، وقد قسمه المؤلف إلى ثلاثة أقسام، فالقسم الأول يشتمل على الأدوية المفردة وصفاتها العلمية، وخصائصها العلاجية، والقسم الثاني شمل المسائل في معرفة المزاج، وتركيب الأدوية، والقسم الثالث عبارة عن خاتمة.³

- محمد أبو راس الناصر المعسكري الجزائري (ت: 1238هـ / 1823م)، وترك العديد من المؤلفات في مجال الطب وعلاج الأمراض والأوبئة، ومن بينها: "ما رواه الواعون في أخبار الطاعون"، وكتاب "الكوكب الدري في الرد بالجدي".⁴

¹ - عادل نويهض، المرجع السابق، ص166.

² - عبد الله بن عزوز المراكشي التلمساني، ذهاب الكسوف ونفي الظلمة في علم الطب والطبائع والحكمة، الناسخ: محمد بن محمد بن الطاهر الخليلي الجزائري، مخطوط بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، مؤسسة الملك عبد العزيز آل سعود، الدار البيضاء، المغرب، رقم الورقة: 172.

³ - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي ...، المرجع السابق، ج2، ص119.

⁴ - محمد أبوراس الناصر، فتح الإله...، المصدر السابق، ص179. وأنظر أيضا: مصطفى خياطي، الطب والأطباء في الجزائر العثمانية، وحدة ENAL الروبية للطباعة، الجزائر، 2003، ص123.

2-2-3 - علم الفلك

يعرف بعلم الهيئة، وهو العلم الذي ينظر في حركات الكواكب الثابتة والمتحركة والمتحيزة¹ وبالتالي فهو العلم الذي يختص بدراسة الكون خارج الغلاف الجوي للأرض بما في ذلك الأجرام السماوية مثل الكواكب والنجوم، والمجرات، والظواهر مثل الانفجارات النجمية، ويستخدم علماء الفلك علم الرياضيات والفيزياء والكيمياء في شرح أصل وتطور هذه الأجرام والظواهر. اهتم علماء الجزائر أواخر العهد العثماني بالدراسة والتأليف في هذا المجال العلمي ومن أشهر العلماء نذكر:

- الشيخ سحنون بن عثمان بن سليمان الونشريسي الجزائري: ومن مؤلفاته: " مفيد المحتاج شرح السراج "، و" أزهار المطالب في علم الاسطرلاب " و "سهام الربط في الخمس خالي الوسط".²

- عبد الرزاق ابن حمادوش: اهتم ابن حمادوش بدراسة علم الفلك والاسطرلاب، وفي القوس، وقد ترك العديد من المؤلفات منها: " الربع المقنطر"، " تأليف في الروزنامة " و "تأليف في القوس". لرصد الشمس، و"تأليف في الاسطرلاب " و " تأليف في علم الفلك"، وقد جمع فيه غريب ما تعلم، ومنها سبعة تواريخ: العربي والمسيحي والإسكندري، والفارسي والملكي والقبطي والعبري.³

- علي بن حسن الجزائري، ومن مؤلفاته: رسالة في الفلك أسماها " الحاشية الاختصارية الرملية الفلكية" والفها بمصر سنة 1185هـ/1771م.⁴

¹ - زينب رزيوي، العلم والمعارف الثقافية بالمغرب الأوسط ما بين القرنين 7هـ-9هـ / 13 م/15م، أطروحة دكتوراه، جامعة سيدي بلعباس، الجزائر، 2016/2015، ص337.

² - سحنون بن عثمان الونشريسي، تحرير المقال في الحمد لله والصلاة والسلام على سيد الارسل، تق وتع: أبي عاصم بشير بن أبي بكر، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، 2009، ط1، ص 8.

³ - عبد الرزاق ابن حمادوش، المصدر السابق، ص256-264.

⁴ - أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص415.

- الرحموني محمد بن صالح بن سليمان (ت. 1826م)، وترك شرح على سراج الأخضرى وسماه بـ "المحتاج في شرح معاني السراج".¹

من هنا يتجلى لنا بأن الإنتاج العلمي والفكري في مجال علم الفلك أواخر العهد العثماني كان ضئيلاً مقارنة بالعلوم العقلية كالطب والمنطق، وانحصاره في تقويم الصلوات وحركات الليل والنهار، وتعديل الكواكب.

2-3- العلوم اللسانية

يقصد بها العلوم التي تهتم بدراسة اللغة البشرية من ناحية خصائصها وتراكيبها والتغيرات الطارئة عليها طوال مسارها التاريخي، وهي تصنف إلى صنفين هما: "لسانيات عامة" و "لسانيات خاصة"، أما موضوعها هو البحث في النظريات والمناهج اللسانية القديمة والحديثة، وذلك لكشف تطورها وتناولها للغات البشرية من المستويات الصوتية والنحوية والدلالية.²

حظيت العلوم اللسانية بإقبال كبير من طرف علماء الجزائر خاصة أواخر العهد العثماني وبالأخص الشعراء والكتاب، وعلماء الدين، وذلك لما لها من اتصال وثيق بعلمي القرآن والحديث حيث أسهم الجزائريون بالعديد من المؤلفات في مجال اللسانيات خاصة: علم اللغة والنحو والبيان والعروض وغيرها من العلوم اللسانية.

2-3-1- علم اللغة

هو العلم الذي يبحث في اللغة ويتخذها موضوعاً له، فيدرسها من النواحي الوصفية والتاريخية، والمقارنة، والعلاقة بين اللغات المختلفة، ووظائفها وأساليبها المتعددة، أما موضوعها فهو النشاط اللغوي الإنساني في الماضي والحاضر.³ ورغم أن الجزائريين لم يؤلفوا الكثير في علوم اللغة مقارنة بنحوها، إلا أنه برز العديد من العلماء في هذا المجال ومن بينهم نذكر:

¹ - بشير ضيف بن أبي بكر، المرجع السابق، ص 417.

² - مازن الوعر، اللسانيات والعلم والتكنولوجيا، مجلة اللسان العربي، الرباط، المغرب الأقصى، 1983، ع 22، ص 17.

³ - عبد الثواب رمضان، المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، مكتبة الخانجي للنشر، القاهرة، (د.ت.ن)، ص 01.

— الفصل الرابع: أهمية المصادر المحلية في كتابة تاريخ الجزائر خلال العهد العثماني —

- أحمد بن قاسم بن محمد بن ساسي أبو العباس البوني (ت: 1182هـ/1726م)، ومن مؤلفاته: "إعانة المعاني بما للفظ العجز من المعاني" و "أنس النفوس بفوائد القاموس" "نبذ العجم على لامية العجم"¹ وكتاب "فتح المتين في تراجم بعض مشاهير النحاة واللغويين" حيث ذكر منه بعض الأخبار الأدبية واللغوية التي أسماها بـ "الفوائد".²

- محمد أبوراس الناصر المعسكري الجزائري (ت. 1238 هـ / 1823م)، ومن مؤلفاته: "ضياء القابوس على كتاب القاموس"، و "ضابط" اختصر من الأزهري على "قواعد القاموس والجوهري" وكتاب "رفيع الأثمان في لغة الولاتم الثمان".³

2-3-2 - علم النحو

هو العلم الذي يُعنى بالنظر في أواخر الكلم وما يعتريها من إعراب وبناء، وكما يُعنى بأمور أخرى على جانب كبير من الأهمية كالذكر والحذف والتقديم والتأخير، وتغير بعض التغيرات، غير أنه يولي العناية الأولى للإعراب، وهناك مسائل وموضوعات نحوية كثيرة لا تقل أهمية عن كل ما بحثه النحاة.⁴

اهتم الجزائريون خلال العهد العثماني بعلم النحو والصرف، فتركوا لنا إنتاجا كبيرا في هذا المجال، وتعد منطقة زواوة من أهم المناطق التي اشتهرت بعلم النحو والصرف خاصة زاوية خنقة سيدي ناجي⁵ ومن أشهر العلماء الذين ألفوا في مجال النحو أواخر العهد العثماني نذكر:

- أحمد بن قاسم بن محمد بن ساسي أبو العباس البوني (ت: 1182هـ/1726م) ومن مؤلفاته: "تحفة الأريب بأشرف الغريب"، و "نظم الأجرومية" و "شرح لامية الأفعال لابن مالك"⁶

¹ - بشير ضيف بن أبي بكر، المرجع السابق، ص355.

² - أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص165.

³ - محمد أبوراس الناصر، فتح الإله ومنته... المصدر السابق، ص180.

⁴ - فاضل صالح السامرائي، معاني النحو، دار الفكر، القاهرة، مصر، 2000، ج1، ص5.

⁵ - أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص157.

⁶ - أحمد بن قاسم البوني، المصدر السابق، ص12.

— الفصل الرابع: أهمية المصادر المحلية في كتابة تاريخ الجزائر خلال العهد العثماني —

و"شرح نظم الأجرومية" و"الألغاز"، و"تعجيز التصدير وتصدير التعجيز للبردة"، و"مجموع في السماع".¹

- عبد الرزاق ابن حمادوش: ومن مؤلفاته، حاشية على ألفية ابن مالك، وسماتها "السائح في حواشي المتن والشارح على ألفية ابن مالك"²، وكتاب "كفاية المتحفظ ونهاية المتلفظ في أوصاف بني آدم وشيأت الحيوان" للأجدابي في علوم اللغة والنحو.³

- عبد الرحمان بن عمر التتيلاني (ت: 1189هـ / 1775م) ومن مؤلفاته: "مختصر السمين في إعراب الكتاب المكنون"، وهو اختصار لكتاب "السمين" لشهاب الدين أبو العباس أحمد بن يوسف الشافعي الحلبي.⁴

- الشيخ محمد بن أب أحمد المزمري (ت: 1160هـ / 1747م)، ومن مؤلفاته: "نزهة العلوم في نظم ابن أجروم"، و"نظم معاني بعض حروف الجر"، و"روضة النسر في مسائل التمرين" في الصرف، و"الذخيرة الكنزية في حل ألفاظ الهمزية" وهي شرح على همزية البوصيري وشرح للامية العجم "نفث القلم"، وشرح للمقصود والمعدود لابن دريد، وشرح للامية ابن المجراد سماه "نيل المراد".⁵

- محمد العالم الزجلاوي (ت: 1212هـ / 1795م) ومن مؤلفاته: "ألفية غريب القرآن" ونوازل.⁶

¹ - بشير ضيف ابن أبي بكر، المرجع السابق، ص333.

² - عبد الرزاق ابن حمادوش، المصدر السابق، ص268.

³ - المصدر نفسه، ص 252.

⁴ - عبد الرحمان بن عمر التتيلاني، مختصر السمين في إعراب الكتاب المكنون، مخطوط بخزانة الشاري الطبيب، كوسام، أدرار الورقة رقم: 01.

⁵ - ضيف الله ابن أب محمد المزمري، الرحلة لزيارة قبر الوالد، مخطوط بالخزانة البكرية، تمنطيط، الورقة رقم: 67.

⁶ - محمد باي بلعالم، المرجع السابق، ج 1، ص 128.

— الفصل الرابع: أهمية المصادر المحلية في كتابة تاريخ الجزائر خلال العهد العثماني —

- محمد أبوراس الناصر المعسكري (ت 1238هـ/1823م) ومن مؤلفاته: " الدرة اليتيمة" التي لا يبلغ لها قيمة، و"نفي الخصاصة في إحصاء تراجم الخلاصة " و"عمدة الزهاد في إعراب كلا شيء جئت بلا زاد" و " النكت الوفية " وهي شرح المكودي على الألفية.¹

2-3-3- علم البلاغة والعروض

يهدف علم البلاغة إلى إيصال المعنى بكلام بليغ، وهو شامل لثلاثة علوم رئيسية هي: علم المعاني* وعلم البيان*، وعلم البديع*² وهذا العلم يدرس الأساليب التي تجعل المعنى يصل إلى المتلقي بأفضل طريقة ممكنة مع مراعاة حال المخاطب، والموقف، والسياق.

اهتم علماء الجزائر بعلم البلاغة تدريجاً وتأليفاً، ومن أشهر علماء الجزائر أواخر العهد العثماني الذين ألفوا في هذا المجال نجد محمد أبوراس الناصر المعسكري الذي ألف كتاب سماء بـ " نيل الأمانى على مختصر سعد الدين التفتازاني"³. وكما اشتهر أيضاً علي بن عبد القادر المعروف بابن الأمين بتأليفين الأول "رسالة في أما بعد"، والثاني " حاشية على مختصر السعد" وأحمد بن محمد بن علي بن سحنون الراشدي بشرحه في علم البلاغة والذي سماء بـ " الأزهار الشقيقة المتزوجة بعرف العقيدة" والمعروف بـ " شرح العقيدة".⁴

¹ - محمد أبوراس الناصر، فتح الإله ومنتته...، المصدر السابق، ص180.

* علم المعاني: هو العلم الذي يُعرف به أحوال اللفظ العربي التي بها يطابق مقتضى الحال، وينحصر في ثمانية أبواب هي: أحوال الاسناد الخبري، وأحوال المسند إليه، وأحوال المسند، وأحوال متعلقات الفعل والقصر والإنشاء، والفصل والوصل، والإيجاز والاطناب والمساواة، أنظر: خالد بن عبد الله العتيبي، الجوهر المنشور، مكتبة الملك فهد الوطنية للنشر، الرياض، 2022 ط1، ص 07.

* علم البيان: هو الذي علم يعرف به البليغ مع كيفية إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة في وضوح الدلالة على حسب مقتضى الحال وهي: الحقيقة، والمجاز، والتشبيه، والتصريح، والكناية، أنظر: أنور غني الموسوي، تلخيص موجز البلاغة، دار أقواس للنشر العراق، 2020، ص 18.

* علم البديع: هو العلم المختص بتحسين أوجه الكلام اللفظية والمعنوية، أنظر: مرعي بن يوسف الحنبلي، القول البديع في علم البديع، تح: محمد بن علي الصامل، كنوز اشبيليا، الرياض، 2004، ص 18.

² - محمد قاسم، محي الدين ديب، علوم البلاغة، المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس، ليبيا، 2003، ص26.

³ - محمد أبوراس الناصر، المصدر السابق، ص 180.

⁴ - أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص169.

أما علم العروض، والذي يعرف منه صحيح أوزان الشعر من فاسده، وأنواعها المستخدمة في الشعر، والمسماة بالبحور وكيفية تحليلها إلى أجزاء المسماة بالتفاعيل¹، فرغم جودة الأشعار التي قالها علماء وشعراء الجزائر أواخر العهد العثماني إلا أن التأليف في هذا المجال كان قليلا ومن أشهر المؤلفات نجد: " شرح مشكاة الأنوار التي يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسه نار " للعلامة محمد أبوراس الناصر.²

2-4- علوم الأدب

تشير العديد من المصادر المحلية الجزائرية خلال العهد العثماني إلى اهتمام علماء الجزائر من شعراء وأدباء بعلوم الأدب، وهذا باعتبارها فن جمالي رفيع المستوى اختلفت مواضيعها ما بين شعر ونثر، والخاضعة لمنطق لغوي معين³ وتهدف هذه العلوم إلى فهم الأفكار والمشاعر وإيصالها بجمال مؤثر مع الحفاظ على الثقافة والتاريخ الإنساني المرتبط بالمجتمع الجزائري خلال الفترة العثمانية.

2-4-1- النثر

يشتمل النثر الأدبي على مجموعة من الفنون، ومن بينها المقامات والرسائل الرسمية الديوانية والإخوانية والوصف، والتقاريظ والتعازي، وعقود الزواج، والاجازات، والشروحات الأدبية، والقصص والخطب⁴، وقد اشتهر العديد من الجزائريين بتأليفهم في هذه الفنون خلال القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر ميلادي، وهذا رغم وجود العديد من العراقيل التي ساهمت في إعاقة الحركة الأدبية بالجزائر أواخر العهد العثماني.

¹ - زينب رزيوي، المرجع السابق، ص252.

² - محمد أبوراس الناصر، المصدر السابق، ص180.

³ - محمد سعيدي، الأدب الشعبي بين النظرية والتطبيق، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1998، ص09.

⁴ - أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص171.

*المقامات

يعتبر فن المقامة من أهم الفنون الأدبية التي تكتب بلغة إيقاعية في شكل قصص وقصائد شعرية قصيرة والتي يحكيها الراوي بأسلوب شيق مع استخدام الألفاظ المسجوعة والخيال الواسع ومن أشهر العلماء الجزائريين الذين برزوا وألفوا في هذا المجال نذكر:

- أحمد بن قاسم بن محمد بن ساسي أبو العباس البوني (ت: 1762م): ومن مؤلفاته: "إعلام الأخبار بغرائب الوقائع والأخبار"¹.

- عبد الرزاق ابن حمادوش، اهتم عبد الزراق ابن حمادوش بهذا الفن قراءة وتأليفاً حيث قرأ مقامات الحريري وغيرها، وألف العديد من المقامات منها، مقامة "الهركلة"².

- محمد بن ميمون الجزائري: اشتهر هذا الأخير بمقاماته الستة عشر في كتابه "التحفة المرضية...". والتي تتبع فيها مسار حياة الداوي محمد بكداش وظروف عصره، والمكونة من سبعمائة وخمسة وتسعين بيتاً من الشعر كلها لأدباء جزائريين قد عاصروا المؤلف وواكبوا الأحداث المتعلقة بفتح وهران الأول.³

- محمد أبوراس الناصر المعسكري (ت: 1823م)، ومن مؤلفاته: "النزهة الأمير في شرح المقامات الحريية" و "الحل الحريية، في شرح المقامات الحريية"⁴.

* الشروحات الأدبية *

ازدهرت الشروحات الأدبية بالجزائر خلال العهد العثماني خاصة في مجال الشرح والتعليق على الأعمال الأدبية، والتي شملت النصوص الدينية والفلسفية، وهو ما يدل على ثراء الحركة الأدبية في الجزائر العثمانية وتنوعها.

¹ - عبد الرحمن بن محمد الجيلالي، تاريخ الجزائر العام...، المرجع السابق، ج 3، ص 180.

² - عبد الرزاق ابن حمادوش، المصدر السابق، ص 78.

³ - محمد بن ميمون الجزائري، المصدر السابق، ص 75.

⁴ محمد أبوراس الناصر، فتح الإله، المصدر السابق، ص 181.

* الشروحات الأدبية: هي مصطلح أدبي قائم على شرح ما جاء في نص من النصوص، شعرا كان أم نثراً، أنظر: نعيمة سعدية، تحليل الخطاب والإجراء العربي-قراءة في القراءة، الملتقى الدولي الثالث في تحليل الخطاب، جامعة بسكرة، الجزائر، 2007، ص 28.

— الفصل الرابع: أهمية المصادر المحلية في كتابة تاريخ الجزائر خلال العهد العثماني —

من أشهر الشخصيات الأدبية الجزائرية التي اشتهرت في هذا المجال الفني النثري نذكر:

-أحمد بن قاسم بن محمد بن ساسي أبو العباس البوني (ت: 1726م): يعد أحمد البوني من أهم الأدباء الذين ذاع صيتهم في ميدان الشروح الأدبية، ومن أهم آثاره: " شرح لامية العجم"، وهي شرح للامية الحسين بن علي الطغرائي المسماة بـ " لامية العجم".¹

-عبد الرزاق ابن حمادوش: تطرق ابن حمادوش في رحلته إلى ذكر بعض الشروحات والتعليق حول بعض المؤلفات الأدبية الشهيرة مثل شرح الشريف الغرناطي على مقصورة حازم القرطاجني وكتابه " بغية الأديب من علم التكعيب"، والذي انتهى من تأليفه سنة 1143هـ، وهو عبارة عن شرح منظومة ابن غرنوط في الهندسة.²

-أحمد بن محمد بن علي بن سحنون الراشدي الجزائري: ومن أهم مؤلفاته شرحه الكبير والضخم الذي وضعه على " عقيقة" المنداسي، والذي انتهى منه سنة 1202هـ، وسماه "الأزهار الشقيقة المتצועة بعرف العقيقة".³

-محمد أبوراس الناصر العسكري الجزائري (ت: 1823م): اشتهر العلامة والحافظ أبوراس الناصر في مجال الشروحات الأدبية والتعليق، ومن أهم مؤلفاته: " الدرة الأنيقة في شرح العقيقة"، و" طراز شرح المرداسي، لقصيدة المنداسي" و " الحلة السعدية في شرح القصيدة السعيدية" و"الجمان في شرح قصيدة ابن عثمان" و " نظم الأديب" وشرح " حكم ابن عطاء الله" و" شرح الغوثية" و " الخليلية" وغيرها من الشروحات.⁴

* الإجازة وكتابة العقود والتقاريط

تُعد فنون النثر الأدبي الجزائري خلال العهد العثماني إرثاً أدبياً زاخراً بالأشكال الأدبية، ومن بينها الإجازة، وكتابة العقود، والتقاريط، وقد اشتهر الجزائريون بالعديد من المؤلفات الأدبية، والتي

¹ أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص 181.

² عبد الرزاق ابن حمادوش، المصدر السابق، ص 265.

³ أبو القاسم سعد الله، المرجع نفسه، ص ص 174-175.

⁴ أبوراس الناصر، المصدر السابق، ص 182.

— الفصل الرابع: أهمية المصادر المحلية في كتابة تاريخ الجزائر خلال العهد العثماني —

ساهمت في اطلاعنا على الحياة العامة بإيالة الجزائر أواخر العهد العثماني، وعلاقتها بالمجتمعات المجاورة.

أ- الإجازة

تعتبر الإجازة من أهم أشكال النشر الأدبي العربي وهي طلب الإذن¹ من أجل الحصول على رخصة تتضمن المادة العلمية الصادرة من أجلها " الشهادة" يمنحها الشيخ لمن يبيح له رواية المادة المذكورة فيها عنه² وتتناول الإجازة السند وسرد أسماء الشيوخ ومواد الدراسة مع اختلاف موضوعاتها، ومن أشهر العلماء الجزائريين الذين أجازوا واستجازوا أواخر العهد العثماني نذكر:

- عبد الرزاق ابن حمادوش: تطرق الرحالة ابن حمادوش في رحلته المسماة ب " لسان المقال...

" إلى ذكر حصوله على العديد من الإجازات من طرف علماء ومشايخ المغرب الأقصى، ومن بينها إجازة الورززي للمؤلف والتي جاء فيها: "...يقول الفقير إلى الله سبحانه أحمد بن محمد بن عبد الله الورززي منشأ وداراً... أن الشريف الفاضل العلامة سيدنا ومولانا عبد الرزاق بن محمد بن أحمدوش الجزائري داراً ومنشأ... وأسمعته بعض صحيح مسلم بن الحجاج القشيري، وأجزته سائره..."³

- أحمد بن محمد بن علي بن سحنون الجزائري: أشار أحمد بن سحنون الجزائري في كتابه

"الثغر الجماني..."، إلى حصوله على الإجازة في الفقه والأصول من طرف الشيخ أبو عبد الله محمد بن الموفق بن محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن محمد المشهور بابي جلال، وقد قام بتقييدها خوفاً على ضياعها، وهذا حسب قوله.⁴

- الشيخ الحسين بن محمد الورثياني: تحصل الرحالة الشيخ الحسين بن محمد الورثياني

على ثمانى إجازات من طرف علماء وشيوخ العالم العربي الإسلامي، ومن بينها إجازة الشيخ

¹ مجد الدين محمد يعقوب الفيروز آبادي، المصدر السابق، ص 506.

² عبد الله فياض، الإجازات العلمية عند المسلمين، مطبعة الإرشاد، بغداد، العراق، 1967، ط1، ص21.

³ عبد الرزاق ابن حمادوش، المصدر السابق، ص37.

⁴ أحمد بن محمد بن علي بن سحنون، المصدر السابق، ص 235-236.

— الفصل الرابع: أهمية المصادر المحلية في كتابة تاريخ الجزائر خلال العهد العثماني —

الصعيدي له بمصر في جميع العلوم خاصة بعد اطلاعه على شرحه لـ "مقدمة السنوسي على الصغرى" وغيرها من الإجازات.¹

-العلامة محمد أبوراس الناصر المعسكري الجزائري: ذكر الشيخ محمد أبوراس الناصر في رحلته "فتح الإله ومنته..." أنه اتصل بكبار العلماء في العالم العربي الإسلامي، وحصل على إجازاتهم، ومن بينهم إجازة الشيخ محمد الأمير له، والذي وصفه بـ "الحافظ"، وإجازة عبد الله الشراقوي الشافعي شيخ الأزهر له، والذي لقبه بـ "شيخ الإسلام" وغيرهم من العلماء.²

بالإضافة إلى وجود الكثير من العلماء الجزائريين الذين أجازوا، واستجازوا، ومن بينهم الشيخ أحمد بن عمار الذي أجاز الشيخ محمد خليل المرادي صاحب "سلك الدرر" أواخر ذي الحجة في عام 1205هـ/1790م³ وإجازة أحمد بن قاسم البوني لابنه أحمد الزروق، وإجازة محمد قدورة لأخيه أحمد قدورة⁴، وغيرها من الإجازات.

ب- كتابة عقود.

يعتبر هذا الفن النثري من الفنون الأدبية الجديدة في مجال التأليف بالجزائر أواخر العهد العثماني، وقد برع العديد من العلماء في هذا المجال من خلال إظهار براعتهم اللغوية والأسلوب الشيق في كتابة عقود الزواج.

من أبرز العلماء الذين كتبوا في هذا المجال نجد عبد الرزاق ابن حمادوش الذي أطلعنا على الأنواع المتعددة في كتابة عقود الزواج منها الفقهية التقليدية، ومنها الأدبية الاجتماعية، ومنها الذي كتب لبكر ويقصد به عقد زواجه الأول، ومنها ما كتب لثيب ويقصد به عقد زواجه الثانية وكما تطرق إلى ذكر أنواع متعددة لوثائق عقد الزواج مثل عقد زواج الباشا،⁵ وكما نجد أيضا

¹ الحسين بن محمد الورثيلاني، المصدر السابق، ص 287.

² محمد أبوراس الناصر، فتح الإله ومنته...، المصدر السابق، ص 116.

³ أبو القاسم سعد الله، تجارب في الأدب والرحلة، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983، ص 67.

⁴ أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي...، المرجع السابق، ج 2، ص 43.

⁵ عبد الرزاق ابن حمادوش، المصدر السابق، ص 236 - 242.

— الفصل الرابع: أهمية المصادر المحلية في كتابة تاريخ الجزائر خلال العهد العثماني —

الشيخ محمد أبوراس الناصر قد تطرق إلى ذكر عقد زواجه على ابنة الشيخ محمد بن يحي المعسكري من أهل غريس.¹

تشير العديد من وثائق المحاكم الشرعية، ووثائق التركات التي تخص مدينة الجزائر خلال العهد العثماني إلى وجود نوعين من عقود الزواج وهي "عقد الزواج الواحدي" حيث كان المجتمع ميالا للزواج الأحادي وبلغت نسبة الرجال الذين لهم زوجة واحدة 41,78%، وكما توجد عقود الزواج التعددي لكنها قليلة مقارنة بعقود الزواج الأحادي أو الواحدي² وقد أحصت الأستاذة عائشة غطاس حوالي 135 عقد زواج من مجموع خمسة عشر ألف وثيقة تعود إلى الفترة الممتدة ما بين 1087-1271هـ / 1672-1854م وهي خاصة بمدينة الجزائر و البليدة والقلعة ومليانة.³

ج- التقارير

التقرير هو فن من الفنون النثرية القائمة على مدح الأشخاص، وقد انتشر هذا الفن في الجزائر خلال العهد العثماني بين الأدباء والعلماء والشعراء، فهو في الغالب يكون نثرا، ويأتي أحيانا شعراً. ويمتاز هذا الفن بجمال اللفظ، ورنق الأسلوب، ومن أشهر العلماء الذين برزوا في هذا المجال نجد:

-أحمد بن عمار الجزائري: ومن أشهر مؤلفاته تقريره لكتاب "الدرر على المختصر" لابن حمادوش في المنطق، وتقريره الرسالة في التوحيد والتي كتبها سنة 1196هـ.

-أحمد بن محمد بن علي من سحنون الراشدي الجزائري: أورد ثلاثة تقارير منها مدحه لشيخه المفتي محمد بن الشاهد الذي ألفه سنة 1202هـ.⁴

¹ محمد أبوراس الناصر، المصدر السابق، ص22.

² باسمة كيال، تطور المرأة عبر التاريخ، مؤسسة عزالدين للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1981، ص138.

³ عائشة غطاس، الصداق في مجتمع مدينة الجزائر، مجلة إنسانيات، مركز البحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية، الجزائر، 1998، ع04، ص ص39-40.

⁴ أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي...، المرجع السابق، ج2، ص ص 183-184.

— الفصل الرابع: أهمية المصادر المحلية في كتابة تاريخ الجزائر خلال العهد العثماني —

-محمد أبوراس الناصر المعسكري الجزائري: ذكر في رحلته " فتح الإله ومنته... " عدة تقارير نثرية في مدح شيوخه الذين أخذ عنهم العلم، وقد سماه " الباب الثاني في ذكر أشياخي النافضين عني قشب أوساخي، شريعة، وحقيقة وقرآنا، وطريقة"، وكما له تقرير في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم سماه ب " نظم الأديب الحسيب، الجامع بين المدح والنسب والتشبيب" ¹.

2-4-2- الشعر

شكل الشعر في أواخر العهد العثماني أحد أبرز مظاهر التعبير الثقافي والوجداني، وكان بمثابة المرآة العاكسة للتحويلات الاجتماعية والسياسية والدينية بالإيالة، وقد ركز الشعراء على مدح الرسول صلى الله عليه وسلم، وتقديم النصائح للحكام، والتحفيز على الجهاد ضد الكفرة والحملات الصليبية، ونقد الظلم الاجتماعي، وهذا ما أدى إلى ظهور تنوع في أساليب الشعر في العمودي إلى العامي.

أ- الشعر الديني

يعد من أشهر وأهم الأغراض الشعرية بين الشعراء والأدباء الجزائريين خلال الحقبة العثمانية، وخاصة في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم، والشوق إلى زيارة قبره وإحياء مولده، مع التنافس على قول أفضل القصائد الشعرية فيه ² ومن أبرز العلماء الذين برعوا في هذا المجال نذكر:

-أحمد بن عمار الجزائري (ت1205هـ/1790م): من أشهر مؤلفاته: " الرحلة التي ضمت مجموعة من المدائح النبوية، وبعض الموشحات، بالإضافة إلى " موشحته النونية المطولة في مدح خير البرية"، ومما ذكره في رحلته قصيدة المنجلاتي في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم ومدينته، ومن أبياتها:

الركب نحو الحبيب قد سارا يود شوقاً إليه لو طارا
قلبي للمعنى الكتيب قد حنا إلى التلاقي وطال ما أنا

¹ محمد أبوراس الناصر، المصدر السابق، ص 41، ص181.

² ضيف شوقي، تاريخ الأدب العربي، دار المعارف، القاهرة، 1995، ج10، ص 211.

إذا سمعت الحمام قد عنا أو هب ذلك النسيم أبكاراً¹

وكما ذكره في رحلته قصيدة أبو أحمد بن عبد الله بن عمر السكري، ومن أبياتها:

دار الحبيب أحق أن تهواها ونحن من طرب الى ذكرها.

فأنت إذا حللت بطيبة وضلت ترتع في ظلال رباها²

-الحسين بن محمد الورثيلاني (ت:1193هـ): ومما قاله في مدح الرسول صلى الله عليه

وسلم، ومدينته ما ذكره في رحلته "نزهة الأنظار ..."، ومنها قوله:

فزرنا أكرم نبي وأفضل رسول وسلمنا عليه وعلى صاحبيه الفائزين

ومن كان أوصى بالسلام لأحمد فبشراه بلغنا السلام ونُبناه³

-محمد أبوراس الناصر المعسكري الجزائري (ت: 1238هـ/1823م): ومن مؤلفاته: "الدرة

الأنيقة في شرح الحقيقة"،⁴ وقد نظم العديد من القصائد في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم ومدينته، ومنها:

مَقَامُ طَه المكي بيت الرضا والأمان ما تروع من وحشه قلب من وصل له

حُطَّ رحلَك يا حادي العَيْسُ كُن مَضْمَانُ ذي منازل من قال الله عليه صلوا

وقوله أيضا:

هذي هي الديار يا باكي الارسام عَرَات يد النسيب للمدح غطاها

هذي الروح المقدسة راحة الاحسام متن البراق ملك الملك مطاها

هذي الروضة المشرفة دفعت الانسام هذي طيبة ضحك مع العيش وطاها

هذا عين الوجود والرحمة طه⁵

¹ أحمد ابن عمار، المصدر السابق، ص 31.

² المصدر نفسه، ص 6.

³ الحسين بن محمد الورثيلاني، المصدر السابق، ص 458.

⁴ محمد أبوراس الناصر، فتح الاله ومنتته...، المصدر السابق، ص 179.

⁵ محمد أبوراس الناصر المعسكري، الدرة الأنيقة في شرح الحقيقة، تح وتقا: أحمد أمين دلاي، مركز البحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية، الجزائر، 2007، ص ص 98-99.

ب- الشعر السياسي

نظم الشعراء الجزائريين أواخر العهد العثماني العديد من القصائد المرتبطة بالجانب السياسي، والمتعلقة بمواجهة الحملات الصليبية، والجهاد ضد الكفار خاصة الإسبان بالإضافة إلى مدح الحكام الأتراك من دايات وبايات فيما تعلق بانتصاراتهم وإنجازاتهم المحققة، ومن أشهر هؤلاء نذكر:

-محمد ابن ميمون الجزائري: يعد كتابه " التحفة المرضية..." من أهم الوثائق التاريخية التي أطلعنا عن كيفية استعداد الجيوش، وتفاصيل المعارك ومراحل الهجومات على مدينة وهران وأبراجها وحصونها، وقد ضم هذا الكتاب سبعمائة وخمسة وتسعين بيتا من الشعر ما بين تحريضا للجهاد، ومدحا للداي محمد بكداش بعد فتحه لمدينة وهران وصهره حسن اوزون ومما ذكره المؤلف في مدحه ما قاله السيد يحيى بن احمد بن احمد بن ابي القاسم بن ابي راشد فيه، ومن ابائتها:

كَمَلِ الْهَنَاءِ وَطَارَتِ الْأَهْوَالُ وَازِيحَتِ الْأَحْزَانُ وَالْأَوْجَالُ
وَبَدَتْ بُدُورُ السَّعْدِ وَارْتَفَعَ السَّمَاءُ وَتَظَاهَرَ الْإِسْعَادُ وَالْإِقْبَالُ
وَالْخَيْرُ عَمَّ وَالزَّمَانُ مُسَاعِدٌ وَدَنَا الْمَنَى وَالْيُمْنُ وَالْإِكْمَالُ
وَالْأَرْضُ قَدْ لَبِسَتْ بُرُودًا حَاكَهَا زَمَنُ الرَّبِيعِ الْوَابِلِ الْهَطَّالِ
وَتَبَسَّمتْ - فَرَحًا - تُغَوِّرُ أَزَاهِرَ بِمُحَمَّدٍ وَدَنَتْ بِهِ الْأَمَالُ¹

مما قاله من قصائد تحريضية على الجهاد ضد الاسبان من اجل تحرير وهران نذكر هذه الابيات:

فَانْهَضْ بِعَسْكَرِكَ الْعَزْمَرِمْ وَاسْتَعِمْ بِاللَّهِ يَنْصُرُكُمْ عَلَى اللَّئَامِ
فَإِذَا ظَفِرَتْ بِفَتْحِهَا أَحْسَنَ إِلَى مَنْ كَانَ عِنْدَكَ بِالرِّضَا وَمَرَامِ
فَاللَّهُ يَنْصُرُكُمْ وَيَشْكُرُ فَعَلَكُمْ وَيَزِيدُكُمْ فَخْرًا لَدَى الْإِمَامِ²

¹ محمد ابن ميمون، المصدر السابق، ص226.

² المصدر نفسه، ص226.

— الفصل الرابع: أهمية المصادر المحلية في كتابة تاريخ الجزائر خلال العهد العثماني —

اما عن فتح الداوي محمد بكداش لمدينة وهران سنة 1119هـ/1708م، فقد نظم الشيخ ابي عبد الله محمد بن محمد الثغيري قصيدة، ومن ابياتها:

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي قَدْ فَتَحَا وَهْرَانَ عَنْ أَيْدِي الرِّجَالِ الصُّلَحَا
وَقَهَرَ الْقَوْمَ اللَّئَامَ الْفَجْرَةَ وَرَفَعَ الْإِسْلَامَ فَوْقَ الْكُفْرَةِ
حتى قوله:

فَفُتِحَتْ سَنَةٌ تِسْعَةٌ عَشَرَ وَمِائَةٌ مِنْ بَعْدِ أَلْفٍ تُعْتَبَرُ
فِي سَادِسِ الْعِشْرِينَ مِنْ شَوَّالٍ صَبِيحَةَ الْجُمُعَةِ خُذْ مَقَالِي¹

-عبد الرزاق ابن حمادوش: من اهم قصائده في مدح الامراء والدايات ما قاله في السلطان

مولاي عبد الله ملك المغرب الأقصى، ومن ابياتها:

كَذَلِكَ هُمْ دَارُ النُّبُوَّةِ كُلَّمَا أَلَمَ بِهِمْ شَخْصٌ تَهَيَّأَ لِلْيُسْرِ
هُمْ اللَّوْلُو الْمَكْنُونُ فِي صَدَفِ النَّقَى وَإِنَّهُمْ الْيَاقُوتُ فِينَا إِلَى الْحَشْرِ
هُمْ زِينَةُ الدُّنْيَا وَشَمْسُ نَهَارِهَا وَلَوْلَاهُمْ مَا اتَّبَعَ اللَّيْلُ بِالْفَجْرِ

قال هذه القصيدة سنة 1145هـ في مدح السلطان مولاي عبد الله، ولم يك الهدف منها الطمع في الحصول على الأموال، وانما كتبها بغرض تنويع الأغراض الشعرية بديوانه الادبي من غزل ومدح، ورثاء حسب قوله.²

-أحمد بن محمد بن علي بن سحنون الراشدي: يعتبر ابن سحنون أحد كتاب الباي محمد بن عثمان وشعرائه، لذا ترك لنا العديد من القصائد الشعرية حول فتح مدينة وهران ومدح الباي وسياسته الناجعة في تسيير بايلكه، ومن اهم قصائده في فتح مدينة وهران نذكر هذه الابيات:

أرج الفتح بالبسيطة فاح وكسا النصر بالبهاء البطاحا
وغدا وأجس الظنون يقينا مذ بدا لألاً الهدى وألاحا

¹ محمد ابن ميمون، المصدر السابق، ص ص229-230.

² عبد الرزاق ابن حمادوش، المصدر السابق، ص117.

اما عن مدحه للباي فيقول:

قُلْ لِكُلِّ الْمُلُوكِ شَرْقًا وَغَرْبًا حَيْثُ رُحْتَ مِنَ الْبِلَادِ مَرَّاحًا
هَكَذَا هَكَذَا تَكُونُ الْمَعَالِي وَيَنَالُ الْفَخَارَ مَنْ قَدْ أَشَاحَا
أَسَدٌ صَالٌ صَوْلَةً فَأَبَادَتْ مِنْ بَنِي الْكُفْرِ جَانِبًا وَجَنَاحًا

-أبو العباس احمد بن محمد بن محمد بن علي بن أحمد بن هطال التلمساني (ت:1219هـ)¹

من اهم القصائد التي مدح فيها الباي محمد الكبير قصيدة تتكون من خمسين بيتا، ومن ابياتها:

بدأت بحمد الله في معرض الثنا وفي الافتخار بهجة وثناء
ومن خصه الرحمن بالمجد والعلا وحاز الفخار والمعالي نساء²

-محمد أبوراس الناصر المعسكري(ت:1823/1238م): ذكر في كتابه "عجائب الاسفار..."

مدحه الباي محمد الكبير في قصيدة جاء في مطلعها:

خليلي قد طاب الشراب المورد لما ان صار الامر بالثغر يقصد
واجفت رحل الوافدين أم عسكر وقد كان مأوى للوفود ومقصد
ويقول أيضا:

ولا كن أحسن الملك محمد دلني الى شعر في مدحه بارع
فسار مسير الشمس في كل بلد وهب كريح يجلب الغيث النافع
ففاق ملوك الأرض طرا كأنهم نجوم وهو بينها البدر طالع³

من هنا يتجلى لنا بأن الشعر السياسي بإيالة الجزائر ارتبط بعدة مناسبات كفتح وهران وذكر

أهم الثورات التي شهدتها الإيالة كثورة درقاوة، ومدح الدايات والبايات أو ذمهم مثلها قال به الشاعر

سعيد المنداسي، وهو من شعراء القرن الحادي عشر، ومن قوله:

فما دب فوق الأرض كالترك مجرم ولا ولدت حواء كالترك إنساناً

¹ احمد بن هطال التلمساني، المصدر السابق، ص ص 13-14.

² المصدر نفسه، ص ص 76-77.

³ محمد بن يوسف الزياتي، المصدر السابق، ص ص 262-263.

بالإضافة إلى وجود نوع آخر من الشعر والذي اشتهر خلال العهد العثماني، ألا وهو الشعر الاجتماعي... يقصد به شعر الاخوانيات الذي يشاطر فيه العلماء بعضهم البعض في مناسبات معينة، ويضم الرثاء والتقريض والمدح لغير الأمراء ورجال الدين، وشعر المجون، ونحو ذلك، وقد اشتهر العديد من الشعراء الجزائريين أواخر العهد العثماني في هذا المجال على غرار أحمد بن سحنون الراشدي، وابو راس الناصر، وابن عمار وغيرهم.¹

3- التواصل الثقافي بين إيالة الجزائر والأقطار العربية أواخر العهد العثماني

ساهمت العديد من العوامل في مد أواصر الترابط الثقافي بين إيالة الجزائر والأقطار العربية أواخر العهد العثماني، ومن بينها وجود مركز الخلافة والمقدسات الإسلامية، وجل الحواضر العلمية الكبرى كجامع الزيتونة بتونس، والجامع الأزهر بمصر، والحرمين الشريفين بمكة والمدينة المنورة، والجامع الأموي وبيت المقدس ببلاد الشام على انتقال وارتحال علماء وطلبة الجزائر بهدف أداء مناسك الحج والاعتماد أو لطلب العلم، فأفادوا واستفادوا وأجازوا واستجازوا، وتتجلى مظاهر ذلك التواصل الثقافي فيما يلي:

3-1- تبادل الإجازات

تعد الإجازة من أهم الفنون الأدبية النثرية الشائعة خلال العهد العثماني وهذا باعتبارها إبداع عربي إسلامي قائم على إذن يقدمه الشيخ أو العالم لطالب العلم بأن يسمح له بالتدريس أو الرواية عن الشيخ²، وهي من أهم مظاهر الصلات الفكرية والثقافية بين العلماء الجزائريين وأقرانهم من الأقطار العربية أواخر العهد العثماني، ومن تلك الإجازات المتبادلة خلال القرنين 18م، وبداية القرن 19م نذكر:

¹ - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي ...، المرجع السابق، ج 2، ص 266.

² - المرجع نفسه، ج 1، ص 49.

-الإجازات المتبادلة بين علماء المغرب والعالم عبد الرزاق ابن حمادوش الجزائري

ذكر ابن حمادوش في رحلته إلى المغرب الأقصى والمسماة بـ " لسان المقال..." بحصوله على العديد من الإجازات العلمية من طرف علماء المغرب، ومن بينها إجازة الشيخ "أحمد الورززي" له بعد أن سمع منه مرويّاته السبعة والمتمثلة في قراءته أجزاء من موطأ مالك، وشمائل الترمذي وبعض العلوم...، وجاء فيها: "فأسعفته في رغبته بعض موطأ مالك أنس رضي الله عنه، من رواية يحيى بن يحيى الليثي وأجزته سائره..."، وكما أجازته الشيخ "محمد بن عبد السلام البناني" سنة 1156هـ، بعد أن أذن له أن يحدث عنه كل ما سمعه عنه أو بلغ عنه من مؤلفات كشرح كتاب "الاكتفا" للإمام الكلاعي.¹

بالإضافة إلى إجازة العديد من العلماء المغاربة له أمثال: الشيخ "أحمد بن محمد بن ناصر الدرعي"، والشيخ "أحمد بن يعقوب"، والفقير "محمد بن عبد الرحمن التازي"، والعلامة "محمد الطيب بن محمد الفاسي"، والأديب "محمد بن قاسم بن زاكور"، أما علماء المشرق الذين أجازوه فنجد الشيخ "عبد الباقي الزرقاني المصري"، والشيخ "أبو الأسرار حسين بن علي بن يحيى العجمي اليمني".²

• إجازات بعض علماء المشرق للشيخ الحسين الورثيلاني: تلقى الورثيلاني في جل إجازاته أثناء رحلته الحجية الأخيرة (1179-1181هـ / 1765-1767م)³ ومن بين العلماء المشاركة الذين أجازوا الشيخ "علي الصعيدي" الذي أجازته وفي التأليف، وإجازة "أبو الحسن علي الفيومي المالكي" في علم التصوف وكما أجازته الشيخ "عبد الوهاب بن عبد السلام بن أحمد بن حجازي بن القادر العفيفي" إجازة مطلقة في سائر العلوم العقلية والنقلية.⁴

¹ عبد الرزاق ابن حمادوش، المصدر السابق، ص 37، و62.

² المصدر نفسه، ص ص 57-60.

³ ناصر الدين سعيدوني، من التراث التاريخي...، المرجع السابق، ص 418.

⁴ الحسين بن محمد الورثيلاني، المصدر السابق، 287-288.

• **الإجازات المتبادلة بين أحمد بن عمار وعلماء المشرق الإسلامي:** أجاز الشيخ أحمد بن عمار العديد من الطلبة المشاركة ومن بينهم: الشيخ "عبد الوهاب المكي الهندي"، وهي إجازة ذات صبغة أدبية¹ وكذلك إجازته للشيخ "محمد الخليل المرادي" أواخر ذي الحجة من سنة 1205هـ / 1790م التي حررها في كتابه "سلك الدرر".²

كما تحصل على العديد من الإجازات، ومن بينهم: إجازة الشيخ "محمد مرتضى الزبيدي" له في النصف الثاني من القرن الثاني عشر.³

- **الإجازات المتبادلة بين العلامة محمد أبوراس الناصر، وعلماء العالم الإسلامي:** يعد الشيخ محمد أبوراس الناصر من أهم المؤرخين الجزائريين في الفترة العثمانية الذين اشتهروا باطلاعهم الواسع في العلوم النقلية واللغوية، وذاكرته القوية التي مكنته من استقطاب العلوم والفنون حتى أصبح يعرف بـ "الحافظ" و "شيخ الإسلام".

من أهم العلماء المشاركة الذين أجازوه، وذكرهم في رحلته نجد علماء مصر منهم: الشيخ "محمد مرتضى الزبيدي"، وجاء نص بعضها: "إني أجزت الفقيه العالم المتقن الحافظ محمد أبوراس" والعلامة "الشرقاوي" الذي لقبه بـ "شيخ الإسلام"، و "الشيخ" الخراشي.⁴

بالإضافة إلى ذكره إجازة علماء المدينة المنورة ومكة المكرمة له، ومن بينهم: الشيخ "عمارة العلاف النوي" أجازته بعد أن روى عنه بعض "صحيح البخاري"، والشيخ "عبد المالك الحنفي" بعد أن قرأ عليه نبذة من الحديث، ونبذة من "الكنز".

¹ أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي...، المرجع السابق، ج2، ص185.

² أبو القاسم سعد الله، تجارب في الأدب والرحلة....، المرجع السابق، ص 67.

³ أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي...، المرجع السابق، ج2، ص51.

⁴ محمد أبوراس الناصر، فتح الإله ومنتها...، المصدر السابق، ص116-117.

كما أخذ العديد من الإجازات على يد مجموعة من العلماء المغاربة والجزائريين أمثال: "أحمد بن عمار"، والشيخ "إبراهيم الرياحي"، والشيخ "عبد الرحمن التادلي المغربي" وغيرهم من العلماء والمشايخ.¹

3-2- التدريس

تطرقت العديد من المصادر المحلية إلى ذكر العلماء الجزائريين الذين مارسوا مهام التدريس في الحواضر الإسلامية الكبرى مغرباً ومشرقاً أواخر العهد العثماني، خاصة ما بين القرنين 18م وبداية 19عام، والذين أثبتوا كفاءتهم العلمية ونبوغهم الفكري وفرضوا أنفسهم، فجعلوا منه أداة لنشر معارفهم وعلومهم المختلفة، فتوافد عليهم طلبة العلم، وحضر مجالسهم أشهر العلماء، فكانت حلقاتهم العلمية متنوعة، ومجالسهم ثابتة؛ خاصة بالجامع الأزهر وأروقته بمصر، والجامع الأموي بدمشق، وبالحرمين الشريفين، وجامع الزيتونة بتونس، وجامع القرويين بالمغرب، ومن هؤلاء نذكر: -عبد الرزاق ابن حمادوش: قدم إلى تطوان سنة 1156هـ / 1743م بهدف طلب العلم، وحضور دروس الشيخين "أحمد الورزري" و"أحمد البنانى"، والحصول على الإجازة وقد أذن له الشيخين بتدريس كتاب المقنع بجامع زاوية سيدي أحمد بن ناصر.²

-أبو الحسن بن عمر بن علي القلعي الجزائري (ت: 1786م): يعد من أكابر فقهاء المالكية في وقته، رحل إلى مصر سنة 1154هـ وأخذ العلم عن البليدي والملوي وغيرهما، تولى مشيخة رواق المغاربة مرتين أو ثلاث، درس العديد من العلوم كالمنطق والجدل والمعاني والبيان، وغيرها من العلوم.³

-الشيخ أبو العباس أحمد بن عثمان بن علي بن محمد ابن علي بن أحمد العربي الأندلسي التلمساني (ت 1151هـ / 1739م): ويعد من كبار المدرسين بالجامع الأزهر حيث تخرج على يده

¹ محمد أبوراس الناصر، المصدر نفسه، ص117-118.

² عبد الرزاق ابن حمادوش، المصدر السابق، ص34-35.

³ عادل نويهض: المرجع السابق، ص416.

— الفصل الرابع: أهمية المصادر المحلية في كتابة تاريخ الجزائر خلال العهد العثماني —

العديد من الطلبة أمثال: الشيخ "أبو سالم الحنفي"، الشيخ "علي بن موسى المقدسي الحسني" وغيرهما من علماء الحرمين.¹

-الشيخ محمد حسن الجزائري (ت:1187هـ/1773م): يعتبر من أشهر العلماء الذين درسوا بمصر، وخاصة في مجال الحديث بالمدرسة "الصرغتمشية" التي أسسها سيف الدين صرغتمش الناصر سنة 1256هـ.²

-العلامة محمد أبوراس الناصر المعسكري الجزائري (ت: 1238هـ/1823م): عرف بعدة ألقاب منها: "الحافظ"، "شيخ الإسلام"، اجتمع مع علماء الأقطار العربية والإسلامية أثناء رحلته الحجية، فتذاكر وتناظر، وترافع معهم، فأفاد واستفاد، وكما كانت لديه العديد من الدروس التي حضرها المئات من الطلبة خاصة بالقيطنة، وفي كتابه "فتح الإله ومنته... ذكر في الباب الرابع أهم الأسئلة التي طرحت عليه من طرف علماء تونس، ومصر، وبلاد الحجاز، وبلاد الشام، والأجوبة الوافية عليها، وقد سماه — "الأسئلة وما يتعلق بها". وقد اشتهر بمناظراته مع علماء العالم الاسلامي مشرقاً ومغرباً.³

3-3- تبادل المصنفات والمؤلفات الدينية والعلمية

عمل علماء الجزائر أواخر العهد العثماني (القرن 18م وبداية القرن 19م) على نقل الكتب أو نسخها خلال رحلاتهم من الجزائر الى نظرائهم بالعالم العربي مشرقاً ومغرباً، وذلك للرجوع إليها أو لمطالعتها، أو لإهدائها للمشايخ أو لتوقيفها في الخزانات العامة أو المكتبات بالحوضر العلمية الكبرى مثل مكتبة جامع الزيتونة بتونس، ومكتبة الجامع الأزهر بمصر، ومكتبتي المسجد الحرام والمسجد النبوي ببلاد الحجاز، ومكتبات بلاد الشام، ومن أهم تلك المصنفات والمؤلفات نذكر:

¹ عبد الرحمن بن حسن الجبرتي، المصدر السابق، ج1، ص273.

² عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم، المغاربة في مصر في العصر العثماني 1517-1798م، منشورات المجلة التاريخية المغربية، تونس، 1982، ص104.

³ محمد أبوراس الناصر، فتح الإله ومنته...، المصدر السابق، ص131.

كتب الإمام محمد بن يوسف السنوسي في العقائد، وكتب عبد الرحمن الأخضري في المنطق والبلاغة والحساب والفلك، التي ذكرها الحسين الورثيلاني في رحلته "نزهة الأنظار..."، وقد احتلت مكانة كبيرة بين مواد التدريس في الجامع الأزهر، والحواضر الكبرى بالبلدان العربية¹، بالإضافة إلى كثرة الشروح والحواشي للكتاب الواحد فمثلاً: "مختصر خليل" كان له أكثر من 150 شرحاً وحاشية.²

كما نجد كتب الشيخ والعالم الجزائري أبو الخيرات مصطفى بن عبد الله بن موسى الرماصي (ت: 1136هـ/1724م)، من بينها: "حاشية على شرح الشمس الثنائي" على مختصر خليل.³ كذلك نجد كتب الشيخ أبو الحسن بن عمر بن علي القلعي (ت: 1199هـ-1785م) ومنها: "حاشية على السلم للأخضري"، و"حاشية على رسالة محمد أفندي الكرمانلي" في علم الكلام، و"شرح على ديباجة أم البراهين"، وكتاب "خواطر سورة يس"⁴، بالإضافة إلى كتاب الشيخ أحمد بن عمار "لواء النصر في علماء مصر".⁵

من بين المؤلفات التي أعجب بها علماء الجزائر بالمشرق عامة والجامع الأزهر خاصة كتاب الوزير القاضي جمال الدين والمسمى بـ "بدائع البداية" حيث وصفه أحد المقرري بأنه لم ير في كتب الأدب في فنته من هو أحسن منه⁶، وكتاب "الجوهرة" للشيخ عبد السلام إبراهيم الفيومي وشرحها الكبير والصغير، وكتاب "موطأ الإمام مالك ابن أنس" من رواية يحيى بن يحيى الأندلسي الليثي⁷، وغيرها في المؤلفات والتي شملت جميع العلوم النقلية والعقلية واللسانية.

¹ الحسين بن محمد الورثيلاني، المصدر السابق، ص 294.

² خليفة حاجي، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1999، ج 2، ص 233.

³ محمد أبوراس الناصر، المصدر نفسه، ص 82.

⁴ محمد بن محمد بن عمر بن قاسم بن مخلوف، المصدر السابق، ج 1، ص 343.

⁵ أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي...، المرجع السابق، ج 2، ص 231.

⁶ أحمد بن محمد المقرري، رسائل المقرري، تح: أسماء القاسمي الحسني، دار الخليل القاسمي، الجزائر، 2008، ص 134.

⁷ عبد الرزاق ابن حمادوش، المصدر السابق، ص 276-278.

— الفصل الرابع: أهمية المصادر المحلية في كتابة تاريخ الجزائر خلال العهد العثماني —

بذلك شكل لنا تبادل الكتب والمصنفات بين علماء الجزائر ونظرائهم من البلدان العربية سمات وحلقات التواصل الثقافي أواخر العهد العثماني مثل كتب " مختصر ابن الحاجب في فروع الفقه " المالكي " لأبي عمر وعثمان بن الحاجب، والذي يُعد أول من جمع فقه المالكية في مصر وبلاد المغرب، وكذا " مختصر خليل " للشيخ خليل إسحاق ابن موسى ابن شعيب المالكي بالإضافة إلى كتبه في علم الأصول وكتاب " البردة " لشرف الدين البوصيري.¹

مما سبق ذكره نجد بأن المصادر المحلية من كتب ورحلات، قد ساهمت في ذكر أهم العلوم والمعارف المنتشرة في البلدان العربية بصفة عامة والجزائر بصفة خاصة أواخر العهد العثماني (القرن 18م وبداية القرن 19م) إلى جانب ذكر أهم العلماء والأدباء الذين ذاع صيتهم في تلك المرحلة، وساعدتنا على معرفة أهم العوامل المساهمة في بعث وتنشيط عملية التواصل الثقافي بين الشعوب والأقطار العربية، خاصة في مجال تبادل الإجازات، التدريس، وتبادل الكتب والمصنفات بهدف إثراء المكتبات العامة والخاصة.

ثالثاً: الجانب الاقتصادي

اهتمت المصادر المحلية الجزائرية باختلاف أنواعها من سجلات المحاكم الشرعية، وثائق بيت المال والبايلك، وثائق البايك والمؤلفات المطبوعة وغير المطبوعة بالجانب الاقتصادي لإيالة الجزائر أواخر العهد العثماني (القرن 18م وبداية القرن 19م) باعتباره أحد المرتكزات الأساسية لفهم طبيعة التحولات التي شهدتها الإيالة وانعكاساتها على الحياة السياسية والاجتماعية بها، والتي تركز على جملة من العناصر الأساسية كالزراعة، الصناعة، التجارة بنوعها الداخلية والخارجية والموارد المالية ومؤسساتها، والتي ساهمت في توجيه علاقاتها الخارجية مع دول العالم من خلال نشاط الجهاد البحري ونظام الإتاوات، والهدايا الإلزامية، وكذا التحكم في الوضع الداخلي للإيالة.

¹ ربيعة قريزة، المرجع السابق، ص ص 216-217.

1- الأنشطة الاقتصادية بإيالة الجزائر أواخر العهد العثماني

تعددت الأنشطة الاقتصادية بإيالة الجزائر أواخر العهد العثماني، والتي يمكن إيجازها

فيمايلي:

1-1- الزراعة

تمثل المورد الأساسي الذي يؤمن معيشة غالبية السكان، وهذا باعتبار أن الأغلبية الساحقة في مجتمع الجزائر من السكان كانوا يقطنون في الأرياف بنسبة تتراوح ما بين 90 و 95 % حسب تقديرات بعض المؤرخين¹ وقد ساعدتهم على ذلك عدة عوامل منها: اتساع رقعة الأراضي الزراعية، وخصوبة التربة واعتدال المناخ، بالإضافة إلى تنوع التضاريس الذي أدى إلى تنوع الإنتاج الفلاحي ما بين المناطق الشمالية والداخلية والجنوبية.²

بالإضافة تحكمت طبيعة ملكية الأراضي الزراعية وطرق استغلالها في تحديد العلاقات العامة السائدة بين الإدارة والمجتمع من جهة وبين أفراد المجتمع فيما بينهم من جهة أخرى، والتي عرفت عدة أصناف هي:

● **الملكية الخاصة:** كان يستغلها أصحابها مباشرة، ويؤخذ العشر أو الجزء العاشر من الإنتاج على هذه الأراضي³، وهذا النوع من الأراضي أو الملكية كان منتشرا في المناطق الجبلية البعيدة عن مركز السلطة مثل منطقة الأوراس ومنطقة القبائل أما الأراضي القريبة من عواصم البايلاكات ودار السلطان فكانت بحوزة الأتراك والكراغلة والحضر.⁴

● **أراضي الوقف:** وهي الأراضي الموقوفة أو المحبسة على الأعمال الخيرية بمختلف أنواعها⁵، والتي تشرف عليها المؤسسات الدينية كالمساجد والزوايا، والمؤسسات الوقفية مثل:

¹ محمد العربي الزبيري، التجارة الخارجية للشرق الجزائري، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1972، ص 59.

² أرزقي شويتام، المجتمع الجزائري وفعالياته...، المرجع السابق، ص 305.

³ حمدان في عثمان خوجة، المرأة...، المصدر السابق، ص 113.

⁴ نصر الدين سعيدوني، دراسات في ملكية الوقف والحماية في الفترة الحديثة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 2001، ط 1 ص 32.

⁵ حمدي باشا عمر، نقل الملكية العقارية، دار هومة، الجزائر، 2002، ص 61.

مؤسسة سبل الخير ومؤسسة الحرمين الشريفين وغيرها، وكان يتولى أمرها الوكيل تحت إشراف الناظر.¹

● **الأراضي البايك:** وهي الأراضي التابعة للدولة، وقد تحصّلت عليها بطرق مختلفة مثل المصادرة، أو امتلاك الأراضي التي ليس لها وريث²، ويفرض على هذا النوع من الأراضي رسوم الحكر فمثلاً قدر الحكر ببايك قسنطينة أواخر العهد العثماني بخمسة وثلاثين فرنك على المحراث الواحد بالنسبة للخواص، والنصف على أعوان الإدارة.³

● **الأراضي المشاعة (العرش):** وهي الأراضي التابعة للقبائل غير المتعاونة مع السلطة، وتقع في المناطق الجبلية أو الصحراوية، وكانت مخصصة للرعي والزراعة⁴، وهذه الملكيات الجماعية كانت تستغلها أفراد القبيلة جماعياً، ويعود التصرف فيها إلى شيخ القبيلة، وتعرف بأراضي العرش في الجهة الشرقية، وبأراضي السبقية في جهة الغرب.⁵

من أهم المحاصيل الزراعية التي اشتهرت بها إيالة الجزائر أواخر العهد العثماني الحبوب بنوعيهما القمح والشعير حيث أشار حمدان خوجة في كتابه " المرأة " أنه كان يزرع في سهل متيجة حوالي مائة وستين حملاً من أحمال الجمل من القمح ومائة وعشرين حملاً من الشعير،⁶ بالإضافة إلى زراعة الأرز التي كانت منتشرة في مليانة ومينة في الغرب الجزائري، وقد قدرت الكمية التي تنتجها البلاد أواخر القرن 12هـ/18م بخمسة أو ستة آلاف قنطار في السنة⁷ وكذلك نجد زراعة الحمص والعدس والذرة والفلول وغيرها في المزروعات.⁸

¹ أرزقي شويتام، المرجع السابق، ص 308.

² صالح عباد، المرجع السابق، ص 379.

³ أرزقي شويتام، المرجع السابق، ص 307.

⁴ حنيفي هلايلي، أوراق في تاريخ الجزائر ...، المرجع السابق، ص 154.

⁵ ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص 83-84.

⁶ حمدان بن عثمان خوجة، المصدر السابق، ص 65.

⁷ أرزقي شويتام، المرجع السابق، ص 310.

⁸ محمد بن عبد الكريم، حمدان بن عثمان خوجة ...، المرجع السابق، ص 84.

أما زراعة الأشجار المثمرة فقد انتشرت بالمناطق الجبلية مثل القبائل والأوراس والمدية ووهران والبليدة ومدينة الجزائر مثل أشجار البرتقال التين والزيتون والكرام والتفاح والإجاص والجوز والكرز¹ ، بالإضافة إلى زراعة أشجار القطن المثمرة والتي لم تكن معروفة في تلك الفترة حسب حمدان خوجة.²

كما اهتم المجتمع الجزائري بصفة عامة بتربية الحيوانات باعتبار أنّ النشاط الرعوي كان القوام الأساسي لمعظم السكان³ فكانت الأغنام والجمال منتشرة بمناطق الهضاب العليا ومشارف الصحراء، بينما كانت تربية الأبقار والماعز والبغال والنحل منتشرة في المناطق التلية⁴، وتُعد الخيول بأنواعها من أشهر الحيوانات التي اهتم الجزائريون بتربيتها، وهذا لتعدد استخداماتها النقل، الحروب...، وهذا ما جلب اهتمام المؤرخين في تلك الفترة بها أمثال ابن سحنون الراشدي الذي وصف أنواعها وأصنافها وأجناسها وألوانها.⁵

1-2- الصناعة

عرف المجتمع الجزائري في العهد العثماني صناعة تقليدية قوامها الإنتاج الزراعي والحيواني، وكانت أغلب نشاطاتها تتمثل في المهن والحرف التي كانت تلبي حاجيات السكان، غير أنها لم تكن متطورة مثل نظرائها بالدول الأوربية خاصة أواخر العهد العثماني، وقد كانت منظمة تنظيمياً دقيقاً من خلال انخراط الحرفيون في نقابات كل حسب تخصصه، وكل حرفة تخضع لسلطة رئيس

¹ أرزقي شويتم، المرجع السابق، ص 311.

² حمدان بن عثمان خوجة، المصدر نفسه، ص 65.

³ وليام شالر، المصدر السابق، ص 38.

⁴ أرزقي شويتم، المرجع السابق، ص 312.

⁵ أحمد بن محمد بن علي بن سحنون الراشدي، المصدر السابق، ص 330.

— الفصل الرابع: أهمية المصادر المحلية في كتابة تاريخ الجزائر خلال العهد العثماني —

يلقب بالأمين¹ ، بالإضافة الى احتلال كل حرفة شارعا معيناً في المدينة مثل زنقة الرصايفية، زنقة النحاس، زنقة الصياغيين، زنقة الدوابة، زنقة المقاييسية، زنقة الشماعين...² من أشهر الصناعات التي ذكرتها المصادر سواء المحلية أو الاجنبية، والتي عرفت رواجاً واسعاً بإيالة الجزائر نذكر:

● **الصناعة النسيجية:** عرفت الصناعة النسيجية اهتماماً و رواجاً واسعاً بإيالة الجزائر من طرف أفراد المجتمع و السلطة الحاكمة، وذلك لارتباطها بحياتهم اليومية وإقبالهم الشديد عليها خاصة الملابس، وهذا بسبب توفير المواد الخام مثل الصوف، والحرير، والكتان، ومن أهم تلك المنسوجات الأحزمة الصوفية والحريية، والمناديل والشالات ذات الألوان الجميلة³، وقد اشتهرت العديد من المدن الجزائرية بهذه الصناعة، فمثلاً معسكر اشتهرت بصناعة البرانس السوداء ذات اللون الطبيعي، والتي كانت تستعمل في كل أنحاء الإيالة وتصدر لمصر وتركيا.⁴ أما قسنطينة فقد عرفت أغلب المهن والحرف الخاصة بالصناعة النسيجية مثل نسج الحياك والزرايبي، والأغطية.⁵

كما كانت هذه المنسوجات تصدر إلى البلدان العربية، وتركيا، وهو ما ذكره ابن حمادوش في رحلته أنه: من ضمن سلعة التي أخذها معه إلى المغرب الأقصى نجد سبعة عشر جزام حرير وعشرين شاشية⁶ وهو ما ذهب إليه حمدان خوجة بقوله: "... أنهم يصنعون مختلف الأقمشة الحريية والمحازم ويصدرونها الى مملكة المغرب وتونس وطرابلس وكامل أنحاء آسيا".⁷

¹ عمار عمورة، المرجع السابق، ص 190.

² محفوظات مركز الأرشيف الوطني الجزائري: سلسلة بين البابليك العلبة 280 إلى 291، رقم السجل: 376، السنة: 1220-1223هـ/1805-1809م، والعلبة 184 إلى 187، رقم السجل: 187، السنة: 1228-1237هـ/1821-1821م.

³ وليام شالر، المصدر نفسه، ص 37.

⁴ حمدان بن عثمان خوجة، المصدر السابق، ص 77.

⁵ ناصر الدين سعيدي، ورقات جزائرية، المرجع السابق، ص 516.

⁶ عبد الرزاق ابن حمادوش، المصدر السابق، ص 32.

⁷ وليام شالر، المصدر السابق، ص 94.

● **الصناعة الجلدية:** نظرا لأهمية مادة الجلد كمادة أولية تتدرج في الكثير من الحرف الصناعية، سارعت السلطة الحاكمة بالجزائر خلال العهد العثماني إلى احتكارها، وتشجيعها وتنظيمها من خلال وضع العديد من القوانين التنظيمية، وبناء معامل ومدايح لمعالجتها، وهذا ما جعل وليام شالر يصنفها بقوله: " وصناعة إعداد الجلود المدبوغة والمصبوغة على الطريقة المغربية، تبدو في هذا البلد الجزائر قريبة من درجة الكمال"¹، وكذلك تطرق ابن حمادوش في رحلته إلى ذكر امتهان عائلته لصناعة الدباغة، وقد عرف والده باسم الحاج محمد الدباغ.²

كما تطرق أيضا حسن الوزان في كتابه " وصف إفريقيا" إلى ذكر أهم المدن الجزائرية التي اشتهرت في هذا المجال، ومن بينها مدينة القل بقوله: " فهي مدينة مليئة بالصناع، ويمتلك أهلها كمية عظيمة من الجلود يبادلون بها البضائع التي يحملها أهل جنوة إلى مينائهم"³، وكذلك مدينة عنابة، وتلمسان، ومازونة، ومتيجة ومدينة الجزائر التي تركز نشاط هذا الصنعة في دار الدباغة بحومة سيدي رمضان وسط المدينة حيث يوجد فندق الدباغة.⁴

وكان يصنع من مادة الجلد الأحذية بمختلف أنواعها وألوانها ولوازم الخيول كالسروج والألجمة والخيام الجلدية، وأعماد السيوف، وبعض حبال السفن، ونظرا لأهميتها فقد عهدت السلطة الحاكمة مسؤولية مراقبة تجارة الجلود إلى خوجة الجلد⁵، وكما عدت هذه الصناعة من أهم صادرات الدولة الجزائرية خلال الحقبة العثمانية.

● **صناعة السفن:** شهدت صناعة السفن في الجزائر أواخر العهد العثماني ازدهاراً واسعاً بسبب وفرة المادة الأولية المتمثلة في مادة الخشب، وقد أولت السلطة الحاكمة بالإيالة أهمية بالغة

¹ حمدان بن عثمان خوجة، المصدر السابق، ص 66-67.

² عبد الرزاق ابن حمادوش، المصدر نفسه، ص9.

³ الحسن محمد الوزان الفاسي، المصدر السابق، ج2، ص54.

⁴ عائشة غطاس، الحرف والحرفيون...، المرجع السابق، ص205.

⁵ زهية بن كردة، أسواق مدينة الجزائر من الفتح الإسلامي إلى العهد العثماني من خلال المصادر، دراسة تحليلية، ماجستير في الآثار الإسلامية، جامعة الجزائر2، الجزائر، 1999، ص55.

لهذه الصناعة وذلك لكونها بحاجة إلى تكوين أسطول قوي لمواجهة الأخطار الخارجية¹، لذلك احتلت صناعة السفن الحربية المراتب الأولى في قائمة الصناعات الجزائرية خلال الفترة العثمانية والتي كانت تشرف عليها طائفة الرياس هذه الطائفة التي كانت تمتع بالمحبة التامة والاحترام الكبير لدى أفراد المجتمع بسبب إشرافها على حماية البلاد من الحملات الأوروبية وما كانت تدره من أموال وغنائم للخزينة من جراء نشاطها الجهادي في عرض البحر.²

من أهم السفن الحربية المصنوعة بالجزائر نجد: البريكنتي أو بركندة"، " الغليوطة"، "البريك"، "الجفن"، "الحراقة"، "السكونة"، "الشباك"، "الغليون"، "الفرقاطة"، "الغراب"، بالإضافة إلى وحدات ثانوية مثل: "الزورق"، "السنبوق"، "الفلوكة"، "الصندل"، "القارب"، "السقف" وغيرها.³

● الصناعة الخشبية: احتلت الصناعة الخشبية بالجزائر خلال الحقبة العثمانية مكانة مرموقة

حيث مارسها أفراد المجتمع الجزائري فكانوا يصنعون الأواني المنزلية كالأقداح والملاعق والأدوات الفلاحية كالمقابض والمحارث وغيرها بالأرياف، والأثاث المنزلي والصناديق الملونة، والخزائن والنوافذ والأبواب في المدن من طرف التجارين والخراطين.⁴

كانت الصناعة الخشبية تعتمد على أنواع متعددة من الأخشاب على غرار خشب البلوط الذي يُعد من أفضل الأنواع الخشبية⁵ والصنوبر وخشب الأرز والعرعر والزيتون، والتي كانت منتشرة في المناطق التلية والهضاب العليا والمرتفعات الأطلسية مثل منطقة القبائل وجيجل وسكيكدة والأوراس لكنها تقلصت في أواخر العهد العثماني، وذلك مع ظهور نظام الكرا سة والذي أدى إلى اتلاف

¹ أرزقي شويتام، المرجع السابق، ص 329.

² محمد ابن ميمون، المصدر السابق، ص 37.

³ حلیم سرحان، صناعة السفن الحربية في الجزائر خلال العهد العثماني (دراسة مستمدة من النصوص التاريخية والوثائق)، المجلة التاريخية الجزائرية، جامعة المسيلة، الجزائر، ديسمبر 2017، ع 05، ص ص 82-89.

⁴ أرزقي شويتام، المرجع السابق، ص 328.

⁵ مانع خلود الزبيدي، موسوعة الديكور وفنون الخشب واستعمالاته، دار دجلة، الأردن، 2007، ط 1، ص 33.

— الفصل الرابع: أهمية المصادر المحلية في كتابة تاريخ الجزائر خلال العهد العثماني —

العديد في الغابات بسبب زيادة الحاجة إلى مادة الخشب من طرف السلطة الحاكمة لبناء السفن والتدفئة خلال فصل الشتاء.¹

● **الصناعة المعدنية:** عرفت الصناعة المعدنية أواخر العهد العثماني التنوع والانتشار الواسع بالإيالة، وهذا بسبب وفرة المواد الأولية كالحديد والنحاس والفضة والرصاص، لكنها لم تك متطورة مثل نظيرتها بالدول الأوروبية، وقد ارتبطت أساساً بصنع السيوف والمكاحل والمدافع التي اشتهرت بها قبائل بني عباس وبنويني، وفليسة²، وكما برعوا في التلحيم وصناعة الأدوات الحديدية كالأمواس والفؤوس والقذوم و القذور والأبارق والمناجل والمذرات والمسامير والأقفال والسلاسل بالإضافة إلى تدويب الرصاص...³، وكما اشتهرت الإيالة بوجود العديد من المسابك لصناعة المدافع والقذائف والأقفال، وكانت أهم مسبكة في مدينة الجزائر تقع ضواحي باب الواد المعروفة بدار النحاس،⁴ إضافة إلى اختصاص العديد من المدن الجزائرية على غرار مدينة الجزائر وقسنطينة، وتلمسان بصناعة الحلي الذهبية، وكان معظم صناعاتها من طائفة اليهود، أما قرى جرجرة وبوسعادة وبعض المناطق الصحراوية بإقليم توات فاخصوا بصناعة الحلي الفضية.⁵ كما عرفت الجزائر أواخر العهد العثماني انتشار العديد من الصناعة مثل الصناعة الفخارية والتي مارسها المجتمع الجزائري منذ أقدم العصور، إضافة إلى صناعة الأسلحة واستخراج الملح من سباح وهران، ومعالجة الجير المستخرج من المحاجر الموجودة قرب المدن وغيرها من الصناعات والحرف...⁶

¹ خيرة بن بلة، المنشآت الدينية بالجزائر خلال العهد العثماني، أطروحة دكتوراه في الآثار الإسلامية، معهد الآثار، جامعة الجزائر الجزائر، 2007/2008، ص 352.

² أبو القاسم سعد الله، محاضرات في تاريخ...، المرجع السابق، ص 153.

³ يحي بوعزيز، قضايا وموضوعات...، المرجع السابق، ص 523.

⁴ أرزقي شويتم، المرجع السابق، ص 325.

⁵ مؤلف مجهول، سيرة زواوة، مخطوط رقم: 3012، المكتبة الوطنية الجزائرية، الحامة، الجزائر، ورقة رقم: 16.

⁶ ناصر الدين سعيدوني النظام المالي...، المرجع السابق، ص 35.

كانت الصناعات والحرف منظمة تنظيماً محكماً، إذ كان على رأس كل حرفة أو صناعة أمين والذي يتم اختياره عادة من طرف رفقائه، ويشترط فيه الأمانة والأخلاق، ومعرفة أصول الحرفة، وتساعد هذه هيئة تعرف بـ "الرفقاء"، وقد تعدد أمناء الحرف مثل أمين الخياطين، أمين الدباغين، أمين النجارين، أمين البنائين، أمين النحاسين¹... إلخ.

1-3- التجارة

مارس المجتمع الجزائري نشاطاً تجارياً واسعاً حتى أصبح من الدعائم الأساسية للاقتصاد الجزائري، وتجلّى ذلك في العدد الكبير من المحلات التجارية والأسواق المنتشرة بمدن وأرياف الإيالة، وتنقسم إلى نوعين هما: التجارة الداخلية والتجارة الخارجية.

● **التجارة الداخلية:** مثل النشاط التجاري الداخلي بالجزائر أواخر العهد العثماني أحد الجوانب الأساسية للحياة الاقتصادية حيث اعتمد على تبادل السلع والمنتجات بين السكان على داخل الإيالة من خلال إقامة الأسواق الأسبوعية السنوية بين المدن والمناطق الريفية، وقد ساهم ذلك في تلبية حاجيات السكان وكذا تسهيل عملية التواصل بين مختلف مناطق الإيالة.

عزز التبادل التجاري الداخلي عاملان هما: تشجيع السلطة الحاكمة للأسواق التجارية سعياً منها لفرض نفوذها على السكان، وكذا مرور القوافل التجارية عبر أراضي الإيالة نحو المشرق العربي وبلاد السودان.²

كما أشارت العديد من المصادر المحلية إلى وجود الأسواق الريفية، والتي كانت يقصدها مختلف القبائل لبيع سلعها و مواشيها، وهذه الأسواق عبارة عن دكاكين بسيطة وغالباً ما تعرض بها السلع في العراء، وينتقل إليها الناس من الأرياف، وحتى المدن³ ومن أشهر أسواق بايلك الغرب نجد سوق " بني راشد" الذي يقام يوم السبت وتباع به الحبوب، والفواكه والمواشي والصوف

¹ عائلة غطاس، الحرف والحرفيون...، المرجع السابق، ص 142 - 143.

² ناصر الدين سعيدوني، النظام المالي...، المرجع السابق، ص 38.

³ حمدان بن عثمان خوجة، المصدر السابق، ص 71.

والكسوة، والزرابي والكتان و العطور، والقهوة والسكر والصابون والزيت، وهذا حسب قول القلعي في مخطوطة "قلعة بني راشد"¹، وكما تطرق ابن سحنون في كتابه "الشجر الجماني" إلى ذكره بقوله: "وسوق بني راشد كانت تعرض به السلع كل يوم السبت، وبلغ السعر مبلغا لم يسمع به أحد من الناس..."²، كما أشار عبد الله بن الحاج يوسف الشويحات إلى وجود تسعة قطاعات رئيسية بمدينة الجزائر هي: السوق الكبير وسوق السمن وسوقة عمور وسوقة باب غرون ودار الانكشارية وباب الجزيرة وسوق باب الواد والرحبة القديمة وكتشاوة³، أما في بايلك الشرق فنجد سوق أولاد عبد النور والحراكتة والسقينة وتلاغمة وسوق وادي العثمانية السنوي القريب من مدينة قسنطينة⁴، وقد أشار محمد صالح العنتري بأن هذه الأسواق المحلية كانت تجتمع فيها قبائل بايلك الشرق، ويشرف عليها شيخ العرب، كما كان يقام بها معرض سنوي لجميع المنتجات الجزائرية والأجنبية.⁵

من هنا تتجلى لنا بأن الأسواق الداخلية بإيالة الجزائر أواخر العهد العثماني قد لعبت دورا هاما في إحداث نوع من التقارب بين فئات المجتمع الجزائري، وهذا ما أدى إلى ازدهار الأرياف والمدن في جوانبها الاقتصادية والاجتماعية والعمرانية، وهذا ما انعكس إيجابا على مستوى المعيشة لسكان الإيالة.

● **التجارة الخارجية:** تُعد المصادر المحلية الجزائرية رغم قلتها إذا ما قورنت مع المصادر الأجنبية سواء العربية أو الأوربية عنصرا أساسيا لفهم طبيعة التجارة الخارجية بالجزائر أواخر العهد العثماني، وهذا باعتبارها أحد أبرز أوجه الأنشطة الاقتصادية التي لعبت دورا محوريا في ربط

¹ أبي عمر بن عثمان القلعي، قلعة بني راشد، مخطوط من نسخ البشير المحمودي، خزانة البشير المحمودي، البرج، معسكر، ورقة رقم: 06.

² أحمد بن محمد بن علي بن سحنون الراشدي، المصدر السابق، ص 135.

³ عبد الله محمد بن الحاج يوسف الشويحات، كتاب قانون الأسواق بالجزائر وتغيرهم، مخطوط رقم: 1378/670، المكتبة الوطنية الجزائر، رقم الورقة: 111.

⁴ أرزقي شويتام، المرجع السابق، ص 341.

⁵ محمد صالح العنتري، المصدر السابق، ص 81.

— الفصل الرابع: أهمية المصادر المحلية في كتابة تاريخ الجزائر خلال العهد العثماني —

الإيالة بالعالم الخارجي خاصة مع الأقطار العربية والدول الأوربية وبلاد السودان الكبير، وذلك بسبب موقعها الإستراتيجي الممتاز الذي يساعدها على الانخراط ضمن شبكات التبادل التجاري بين دول العالم برا وبحرا في تلك المرحلة.

كما عرفت الجزائر تنوعاً كبيراً في صادراتها و وارداتها، وهو ما ساعدها على إقامة علاقات تجارية واسعة النطاق، وهذا بسبب وفرة المواد الأولية القابلة للتصدير خاصة المنتجات الزراعية وكذا التنافس الحاد بين الشركات الأجنبية في جلب وتصدير المنتجات الاستهلاكية بهدف سد حاجيات السكان الزراعية والصناعية سواء بالإيالة أو بنقلها إلى بلدانهم الأصلية.

من أهم المصادر المحلية الجزائرية التي تناولت العلاقات التجارية الجزائرية المغربية أواخر العهد العثماني نجد الرحالة عبد الرزاق ابن حمادوش الذي ذكر في رحلته المسماة بـ"لسان المقال" أهم المبادلات التجارية بين البلدين، ومن أهم السلع المصدرة من الجزائر إلى المغرب بعض الأقمشة الصوفية والشاشيات والأحزمة الحريرية وقصاب الزبد وغيرها من المنتجات الزراعية والجلدية، أما السلع المستوردة من المغرب الأقصى، فقد ذكر ذلك بقوله: "إن جملة ما عندي مائة ذراع مغربية، وخمسة مائة ذراع مغربية وخمسة أذرع ملف شكرناط، وربع قنطار قشينية"¹، وغيرها من السلع.

كما أشار حمدان بن عثمان خوجة إلى طبيعة المبادلات التي كانت تتم ما بين إيالة الجزائر والدول الأوربية أواخر العهد العثماني خاصة إنكلترا وفرنسا، حيث كانت الجزائر تستورد من إنكلترا بعض السلع منها: أزوت البوتاس و الأسلحة وهذا لمساعدة اليهود، أما من فرنسا فكانت تستور أنواع مختلفة من الأقمشة القطنية والبزاة و بعض الآلات والأدوات الضرورية للصناعة والفلاحة، في حين كانت الجزائر تصدر لهما الحبوب والصوف والجلود والشموع

¹ عبد الرزاق ابن حمادوش، المصدر السابق، ص 32، وص 112.

— الفصل الرابع: أهمية المصادر المحلية في كتابة تاريخ الجزائر خلال العهد العثماني —

والمرجان¹، وهو ما يدل على أن المنتجات الجزائرية الموجهة للتصدير جلها كانت مواد زراعية في حين أن المواد المستوردة فتتوعد ما بين المواد الصناعية والحربية والفلاحية.

بالإضافة إلى ذكره في موضعاً آخر بكتابه " المرأة " على وجود علاقات تجارية بين إيالة الجزائر والأقطار العربية، والإيالات العثمانية بقوله: "... فهم يصنعون أنواعاً مختلفة من قماش الحرير وكذا المحارم التي تصدر إلى مملكة المغرب وتونس وطرابلس وإلى آسيا"²، وهو ما يدل على أن المبادلات التجارية الجزائرية العربية والإسلامية بصفة عامة كانت تعتمد على المنتجات والسلع الكمالية والترفيهية مقارنة مع المبادلات الجزائرية الأوروبية التي كانت تعتمد على المنتجات الاستهلاكية الزراعية والصناعية والحربية.

أما الطرق التجارية التي كانت تتم عبرها المبادلات الجزائرية سواء على المستوى الداخلي أو الخارجي مع الأقطار العربية وبلاد السودان الكبرى فهي صنفين: طرق سلطانية وطرق جهوية وهذا ما أشارت إليه المصادر المحلية مثل تقارير الرحالة والمراسلات الإدارية، وسجلات المحاكم الشرعية، والمصادر الجغرافية، وذلك لأهميتها كعصب للحياة الاقتصادية وهي:

● **الطرق السلطانية:** وهي الطرق الرئيسية الكبرى التي تربط الإيالة بالأقطار العربية وبلاد

السودان الكبرى، وعددها تسعة طرق:

- الطريق العرضي الشمالي، ويصل تونس بمدينة فاسي بالمغرب الأقصى، والذي يمر عبر قسنطينة، الجزائر، وهران، تلمسان، وجدة.

- الطريق العرضي الأوسط: ويصل مدينة قفصة بتونس بمدينة فكيك، ويمر عبر بسكرة والأغواط والابيض سيدي الشيخ.

- الطريق العرضي الجنوبي: ويربط بين نقطة التونسية بمنطقة تافيلالت جنوب المغرب الأقصى، ويمر عبر أهم الواحات بجنوب الإيالة.

¹ حمدان بن عثمان خوجة، المصدر السابق، ص19.

² المصدر نفسه، ص80.

— الفصل الرابع: أهمية المصادر المحلية في كتابة تاريخ الجزائر خلال العهد العثماني —

-الطريق القطري الغربي: ويربط بين منطقة وادي سوف وعاصمة الإيالة ماراً عبر بسكرة وبوسعادة.

-الطريقة القطري الشرقي: ويربط بين وادي ميزاب وتونس ويمر عبر الأغواط، بوسعادة، قسنطينة، الكاف.¹

-الطريق الصحراوي: الذي يصل بين وادي سوف ومنطقة غدامس و مدينة تونس.

-الطريق الصحراوي الذي يصل بين ورقلة و غدامس.²

-الطريق الرابط بين إقليم توات بمدينة الجزائر: والذي يمر عبر تميمون، غرداية، متليلي المدينة، البليدة والعاصمة.³

-الطريق الرابط بين مدينة الجزائر والدول الإفريقية جنوب الصحراء (النيجر، مالي، نيجيريا) والتي تعرف بالسودان الغربي.⁴

الطرق الجهوية: وهي الطرق الثانوية التي تتصل فيها مدينة الجزائر مع مدن دار السلطان مثل الفحوص وسهل متيجة وشرشال، والبليدة وغيرها من المناطق.⁵

بالإضافة إلى الطرق البحرية المتمثلة في الموانئ والتي شهدت حركة تجارية نشيطة وواسعة بين الإيالة ودول العالم، ومن أهم تلك الموانئ نجد: ميناء مدينة الجزائر وميناء عنابة ببايلك الشرق وميناء وهران ببايلك الغرب.⁶

من خلال ما سبق يتجلى لنا بأن الطرق التجارية بصنفها البرية والبحرية قد ساهمت في تنشيط المبادلات التجارية بين الإيالة ودول العالم أواخر العهد العثماني، بالإضافة إلى تحقيق

¹ محمد العربي الزبيري، التجارة الخارجية ...، المرجع السابق، ص من 67-68.

² أرزقي شويتم، المرجع السابق، ص349.

³ عبد الرحمن بن إدريس التينلاني، المصدر السابق، ص268.

⁴ أرزقي شويتم، المرجع السابق، ص347.

⁵ - المرجع نفسه، ص 335.

⁶ محمد العربي الزبيري، المرجع السابق، ص68.

التواصل بين مختلف مناطق الإيالة، وهذا ما ساهم في ربط الريف بالمدينة، والذي انعكس إيجاباً على مختلف نواحي الحياة بالإيالة الجزائرية في تلك الحقبة.

2- السياسة الضريبية بالجزائر أواخر العهد العثماني

عرفت الجزائر أواخر العهد العثماني تراجعاً في مداخيلها المالية، وهذا بسبب تراجع نشاط الجهاد البحري، وهوما أدى إلى حدوث اضطرابات داخلية ساهمت في ضعف الإيالة وعدم استقرارها، لذلك عملت السلطة الحاكمة على سد هذا النقص المالي من خلال فرض النظام الضريبي الذي أصبح منذ أواسط القرن 18 م يمثل المصدر الرئيسي لدخل الإيالة، ومن أهم مصادرها المالية التي تستغلها في تغطية أوجه الإنفاق وسد حاجياتها، ولم يك هذا النظام عشوائياً وإنما كان يخضع لعدة قوانين ومعايير، وهو مصنف إلى نوعين: ضرائب تفرض وفق الشريعة الإسلامية، والنوع الثاني يشمل نوعين من الضرائب العقارية، والرسوم على الممتلكات.¹

من أهم الضرائب التي أشارت إليها المصادر المحلية الجزائرية أواخر العهد العثماني نذكر:

- **الزكاة والعشور:** وهي الضريبة الشرعية المفروضة على رأس المال؛ أي الأموال المنقولة

وعلى المواشي والمنتوج الزراعي وفقاً لما تنص عليه الشريعة الإسلامية، وقد أشار أحمد الشريف الزهار في مذكراته إلى قيمة الزكاة والعشور التي كان يدفعها بايات البايك بالإيالة، والتي تختلف من باييك لآخر، مثلاً: زكاة باي الشريف تزيد عن زكاة عشور باي الغرب بنحو ألفي رأس من البقر بالإضافة إلى عشرة آلاف صاع قمحا ومثلها شعير، وستة آلاف رأس من الغنم، و التمر والزيتون والسمن خلال فصول السنة²، كما ذكر حمدان بن عثمان خوجة في مذكراته بأن المكلف عن السلطة يأخذ الزكاة والعشور عن المنتجات الزراعية خاصة الحبوب وفق القوانين المعمول بها بالإيالة.³ ومن هنا نلاحظ أن الزكاة كانت تؤخذ عيناً، وليس نقداً وفق الشريعة الإسلامية، هذا ما أثبتته إحدى وثائق سلسلة بيت البايك، بأن دواوير مليانة في عام 1187هـ/1773م، حددت

¹ أرزقي شويتم، المرجع السابق، ص215.

² أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص47.

³ حمدان بن عثمان خوجة، المصدر السابق، ص73.

ضريبة العشور بخمسة أكيال من الشعير، وثلاثة أكيال من القمح على الزويجة الواحدة¹، ونفس الأمر قال به حمدان بن عثمان خوجة في مذكراته بأنه فرض على كل محراث يعبره ثوران حمولة بعير من القمح وأخرى من الشعير.²

-**اللزمة والمعونة:** وهي ضريبة عينية ونقدية كانت تفرض على قبائل الرعية الخاضعة للسلطة وهي بمثابة الخراج³ وهي من بين الضرائب التي أشارت لها المصادر المحلية على غرار احمد الشريف الزهار في مذكراته، أين تطرق إلى ذكر القيمة المدفوعة للسلطة الحاكمة فمثلا: باي الغرب يقدم ثمانين ألف ريال صغيرة، ومثله باي الشرق، أما باي التيطري فهو يدفع 14 ألف ريال صغير، وتقدم هذه الضريبة كل ستة أشهر من السنة⁴، وما يلاحظ عليها بأنها كانت تدفع نقداً عكس الزكاة والعشور.

-**الغرامة:** وهي غرامة مستحدثة نقدية وعينية وتفرض على القبائل المعادية للسلطة المركزية الحاكمة⁵، وهذه الضريبة تفرض على أراضي العرش "المشاعة" كأراضي القبائل الكبرى والشمال القسنطيني وتسدد إما نقداً، وفي أغلبها تكون في شكل مواشي ومواد زراعية كالحبوب والمواد الغذائية.⁶

-**ضرائب أراضي البايك:** ذهبت العديد من المصادر المحلية إلى ذكر الضرائب المفروضة على أراضي البايك، ومن بينها ما ذكره حمدان بن عثمان خوجة في مذكراته بأن السلطة الحاكمة قد اعتمدت على العديد من الطرق في استغلال أراضي البايك، ومنها نظام الخماسة القائم على

¹ محفوظات المركز الوطني للأرشيف الجزائري، سلسلة بيت البايك، علبة 10، السجل 40-50، وثائق رقم: 40-42-43.

² حمدان بن عثمان خوجة، المصدر السابق، ص 144.

³ ناصر الدين سعيدوني، النظام المالي، المرجع السابق، ص 96.

⁴ أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص 46.

⁵ سعاد عقاد، الفلاحون الجزائريون والسلطة العثمانية في الجزائر 1519-1830، دار السلطان أنموذجا، رسالة ماجستير في

التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة وهران، وهران، 2013-2014، ص 110.

⁶ ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص 95.

خدمة الفلاح للأرض مقابل حصوله على خمس الإنتاج، حيث يقول: "يعطي المالك أو صاحب الضيعة للعامل خمس الغلة مقابل أتعابه والمجهودات المادية التي يقوم بها...".¹ وكما اعتمدت أيضا على كراء الأراضي الزراعية، تعرف بالحكور في أغلب جهات الإيالة، اما بايلك الشرق "قسنطينة" فتعرف بـ " عزل جبري " ، حيث تأخذ الدولة 12 صاعاً من الشعير على الجابدة الواحدة، أي بنسبة 50% مما يزرعه الفلاح² وتفرض هذه الضرائب على القبائل الراضية لسلطة الحاكم³ ، بالإضافة إلى نظام التوزيع الذي وضعته حكومة الإيالة القائم على تسخير أفراد قبائل الرعية في مواسم الحرث والبذر والحصاد خاصة القبائل الواقعة تحت إشراف خوجة الخيل أو الباي.⁴

-**الدنوش والعوائد:** تطرق أحمد الشريف الزهار في مذكراته إلى كيفية ترتيب الدنوش باعتبارها ضرائب يتم جبايتها من المدن أو البايلاكات الثلاث (باي وهران، باي قسنطينة، وباي المدينة)،⁵ وأطان السلطان بالعاصمة، وقائد سبا و بمنطقة القبائل ، والدنوش صنفين: دنوش كبرى و تجبى كل ثلاث سنوات في شكل أموال وثروات عينية⁶ لحاكم الإيالة فمثلا نجد: الباي محمد باي الغرب قدم دنوشا للداي عثمان بعد توقيع له لمعاهدة الصلح مع إسبانيا بعد فتح وهران سنة 1792م شملت " التحف وأموال، وهدايا من الخيل والعبيد والمصوغ، والأثاث الفاخر"،⁷ وهناك الدنوش الصغرى أو العوائد، والتي يتم استخلاصها أواخر فصل الربيع، وفصل الخريف، وتعتبر زكاة أو عشور يدفعها البايات والقياد من رعاياهم كل ستة أشهر للداي⁸ ومن بينها عوائد الباش

¹ حمدان بن عثمان خوجة، المصدر السابق، ص 73.

² - ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص 93.

³ - حمدان بن عثمان خوجة، المصدر السابق، ص 143.

⁴ المهدي البوعبدلي، ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص 32.

⁵ أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص 35.

⁶ ناصر الدين سعيدوني، النظام المالي...، المرجع السابق، ص 100.

⁷ أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص 36.

⁸ ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص 100.

— الفصل الرابع: أهمية المصادر المحلية في كتابة تاريخ الجزائر خلال العهد العثماني —

كاتب والكتاب، وعوائد الشواشي، والمتمثلة في ألفي دورو، وعبيد وحيالك، وشمع، وعسل، وغيرها من المنتجات¹، ومن هنا نلاحظ بأن قيمة الدنوش والعوائد الفصلية تكثر وتقل تبعا للأوضاع الاقتصادية السائدة في كل منطقة من مناطق الإيالة.

- عائدات بيت المال: تحتل مكانة مرموقة في التنظيم المالي للإيالة، وقد تم تخصيص لها صندوق يحتوي على ثلاث سجلات يحتفظ بها الساجي والعاذل والخوجة، وتتمثل أهم مصادرها في الأملاك العقارية والتركات والودائع التي ترجع إلى بيت المال، وهو ما ذكره حمدان بن عثمان خوجة في مذكراته: "أن أموال بيت المال تنتقل إلى الخزينة كلما بلغت الخمسين ألف فرنك"².

- الضرائب على أصحاب المهن والدكاكين: يلتزم أمناء الحرف بتزويد الخزينة بأقساط مالية وكذا نسبة معينة من إنتاجهم الصناعي والحربي، وهذا ما توضحه إحدى الوثائق التي جاء فيها أن صناع المدينة دفعوا واحد وأربعون حائكا، وأهل الذمة دفعوا واحد وعشرين حائكا وأحمد التركي دفع تسعة حياك³.

كما كانت تفرض على الدكاكين مجموعة من الضرائب، وهو ما ذكره حمدان بن عثمان خوجة في مذكراته بأن السلطة الحاكمة أواخر العهد العثماني كانت تفرض على الحوانيت ضريبة شهرية تقدر بحوالي ست سورد من سوارد فرنسا (الفرنك الفرنسي)، وهذا بالإضافة إلى فرض غرامة على أهل الذمة من يهود ونصارى، وحسب ثرواتهم ومكانتهم في المجتمع الجزائري⁴.

من هنا يتجلى لنا بأن السياسية الضريبية المنتهجة من طرف السلطة الحاكمة أواخر العهد العثماني بإيالة الجزائر كانت من أهم العوامل المؤثرة في النظام المالي بالإيالة، وهذا ما له من تأثير على العلاقة بين السكان والسلطة الحاكمة، ونوعية التعامل والتفاعل بين الأهالي ورجال

¹ أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص 43 - 45.

² حمدان بن عثمان خوجة، المصدر السابق، ص 112.

³ محفوظات المركز الوطني للأرشيف الجزائري، سلسلة بيت البابيك، علبة 10، السجل: 40 إلى 50، السنة: 1227-1228هـ/1812-1813.

⁴ حمدان بن عثمان خوجة، المصدر السابق، ص 109.

البابليك، وخاصة التنظيمات والإجراءات المتصلة بعملية جمع وتحصيل الضرائب، والذي أدى إلى ثراء بعض القبائل على حساب بعضها البعض وهو ما شكل وسيلة للتمييز بين القبائل وبين سكان المدن والأرياف، والذي انعكس سلباً على الحياة بالإيالة في مختلف المجالات وأدى إلى ضعفها وتراجع مكانتها بالبحر الأبيض المتوسط وكان سبباً في سقوطها في يد الاحتلال الغاشم.

3- أهم العملات الجزائرية أواخر العهد العثماني

عرفت الجزائر أواخر العهد العثماني نظاماً ثنائياً في تداول العملة أو النقود منها العملة المحلية، وهي رمز من رموز السيادة الوطنية، والعملية المستوردة أو الأجنبية التي دلت على انفتاح الجزائر على الدول الأخرى، والقائمة على أساس المبادلات التجارية.¹

تعتبر العملة بشكل عام أحد رموز السيادة الوطنية وتضرب في دار السكة أو بما يعرف بـ "دار الضرب" و "دار الضربخانة" وهي من أهم المؤسسات الاقتصادية التي لها علاقة مباشرة بالتنظيم المالي بالإيالة تقع بالقرب من قصر الداوي غير بعيدة من جامع كتشاوة قبل أن يختار الداوي علي خوجة سنة 1817م مقراً جديداً لها بالقصبة كملحق للخزينة العامة²، وكانت مجهزة بكل ما تحتاجه من المعدات من قوالب وسكاك و أفران خاصة بصهر المعادن، وتبييض النقود بالنار، وكان يعمل بها أربعة وعشرون عاملاً تحت إشراف أمين السكة ويساعده في مهامه ثلاثة موظفين مسلمين.³

ومن أهم العملات المتداولة في الجزائر أواخر العهد العثماني حسب المصادر المحلية

نذكر:

¹ نور الدين عبد القادر، المرجع السابق، ص 277.

*الضربخانة: وهي مكان لسك النقود أو لضربها، وهي لفظ فارسي دخل على العربية في العهد المملوكي، أنظر: مصطفى عبد الكريم الخطيب، معجم المصطلحات والألقاب التاريخية، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، 1996، ص 300، وأنظر أيضاً: سهيل صابان، المرجع السابق، ص 146.

² ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص 189.

³ أمين محرز، الجزائر في عهد الأغاوات (1959 - 1671م)، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث، جامعة الجزائر الجزائر، 2007-2008، ص 84.

3-1- العملة المحلية الجزائرية

ضربت بالجزائر أواخر العهد العثماني أنواعاً مختلفة من النقود سواء الذهبية، أو الفضية أو النحاسية، وكانت النقود الجزائرية تُسك وفقاً للمحتوى المعدني في القيمة، والوزن الموضوعين حسب المعيار الرسمي بدار الخلافة بإستانبول¹، ومنها:

* **النقود الذهبية:** أشارت المصادر المحلية الجزائرية إلى وجود نوعين من النقود الذهبية المتعامل بها في الإطار التجاري الداخلي والخارجي وهي:

- **السلطاني:** وهو الدينار الذهبي الجزائري، وسمي ذلك نسبة إلى السلطان العثماني، وهو ما ذكره عبد الرزاق ابن حمادوش في رحلته: "... في هذه السفرة المباركة ثمانون ومائتا سلطاني ذهباً..."²، ومن أجزائه "نصف سلطاني" و "نصف سكوين" و "ربع سلطاني" و "ربع سكوين"³ وهو ما يدل على أن التعاملات التجارية الجزائرية الخارجية كانت تتم في أغلبها بهذا النوع من النقود خاصة مع الأقطار العربية⁴.

- **المحبوب:** وهي نقود مصنوعة من الذهب ذو العيار 12 قيراط⁵، وقد تطرق محمد أبوراس الناصر في رحلته "فتح الإله..." "بأن الباي محمد بن عثمان قد منحه مائة محبوب بهدف تجديد وتبييض زاويته، وهذا ما يدل على أن هذه النقود كانت ضمن العملات المحلية المتداولة أواخر العهد العثماني، ومن أجزائها "نصف محبوب" و "ربع محبوب"، أو "زر سكوين محبوب"⁶.

¹ عبد العزيز لعرج، السكة الجزائرية في مرحلة الانتقال والعهد العثماني، مجلة البحوث التاريخية، جامعة الجزائر، الجزائر، جويلية 2011، ع2، ص ص 48-49.

² عبد الرزاق ابن حمادوش، المصدر السابق، ص 32.

³ عبد العزيز لعرج، المرجع السابق، ص 47-49.

⁴ Shaw (Thomas), travels or observation relating to several parts of barbary and the levant, oxford, 1738, 2eme edirion, 1743, traduits francais par J.Mac Carthy, Paris, 1830, P208-209.

⁵ علي خلاصي، الجيش الجزائري الحديث، دار الحضارة، الجزائر، 2007، ط1، ص204، وأنظر أيضاً: موسى الحسني السيد المازندارلي، تاريخ النقود الإسلامية، دار العلوم للنشر والتوزيع، القاهرة، 1988، ص171.

⁶ محمد أبوراس الناصر، المصدر السابق، ص 76.

* **النقود الفضية:** تُعد من أهم النقود التي اعتمدت عليها الايالة في تعاملاتها التجارية سواء الداخلية؛ أي بين السكان المحليين بالريف والمدينة، أو الخارجية من الأقطار العربية والدول الأوروبية، وقد أشار أحمد الشريف الزهار في مذكراته بأن الداوي عثمان بعد تقديم البايات الثلاث له الدنوش يقوم بتوزيع الصدقات على الأهالي، ومن بينها نوع من أنواع النقود الفضية والمتمثلة في " الريال درهم " ¹، وكما أشار الشيخ عبد الرحمن بن إدريس التتيلاني في رحلته إلى نوع آخر من النقود الفضية المتعامل بها في مدينة الجزائر والمتمثلة في "الموزونة" وهذا من خلال ذكره لعمليات الإصلاح والترميم التي بادر بها الداوي عمر لمدينة الجزائر بعد الحملة الهولندية الإنجليزية المعروفة بـ " حملة إكسموث " 1816م ، بأن لكل خادم سبعة موزونات، وللمعلم اثنا عشر موزونات...²، بالإضافة إلى وجود نوع آخر والمتمثلة في " الريال بوجو أو بوقو" وهي العملة التي يسميها الأوروبيون بالقطعة النقدية الجزائرية، أما العرب فيطلقون عليها اسم " الدورو الجزائري"، وذلك للتفريق بينها وبين "الدورو الإسباني"³.

وكما توجد عملات فضية أخرى منها: "الصائمة " و "ربع بوجو" و "ثمن بوجو" و"زوج موزونة" و"الأسبر الفضي"⁴.

***النقود النحاسية:** عرفت الجزائر أواخر العهد العثماني العديد من أنواع النقود النحاسية وكانت على صنفين "مستديرة " و"مربعة"⁵ ، ومن أهم الأنواع المتداولة بها نجد "الخروبة" أو "تصف خروبة"، و"غرامس دراهم صغار"، و "زوج غرامس صغار"، و"زوج غرامس صغار" و"أسبر شيك أو دراهم صغار " ⁶.

¹ - أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص ص 36-37.

² - عبد الرحمن إدريس التتيلاني، المصدر السابق، ص 361.

³ وليام سينسر، المصدر السابق، ص 146.

⁴ ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص 208.

⁵ يمينة درياس، السكة الجزائرية في العهد العثماني، دار الحضارة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2009، ط1، ص 205.

⁶ ناصر الدين سعيدوني، المرجع نفسه، ص 210.

وهذا الجدول يبين أنواع النقود الجزائرية وأوزانها خلال الفترة العثمانية

النقود الذهبية		النقود الفضية		النقود النحاسية	
أنواعها	أوزانها	أنواعها	أوزانها	أنواعها	أوزانها
الزباني الذهبي	4.20/4.70 غ	ضعف بوجو	20/19 غ	الخروبة	نصف موزونة
السلطاني	3.40/3.55 غ	ريال بوجو	10 غ	زوج دراهم صغار	2.9/2 موزونة
نصف سلطاني	1.75/1.93 غ	ريال دراهم	3.1/3.3 غ	دراهم صغار	3.12 غ
ربع سلطاني	0.80/0.87 غ	ربع بوجو	2.4 غ	خمس دراهم صغار	5 أسبر شيك
المحبوب	2.60 غ	نصف ريال دراهم	1.4/1.7 غ		
نصف محبوب	1.30 غ	الصايمة	1 غ		
ربع محبوب	0.65	الموزونة	24/1 غ		

ما يجدر بنا قوله بأن النقود الجزائرية خلال الفترة العثمانية عرفت العديد من التغيرات سواء في الوزن أو الشكل أو التسمية، وكما أنها لم تحمل اسم حكام الجزائر، وهو ما يدل على أن الحكم بالجزائر مهما كان مستقلا عن الباب العالي فهو لا يعدو أن يكون تابعا للسلطين العثمانيين ومنظويا تحت لوائهم.¹

3-2- العملات الأجنبية

رغم حيوية العملة الجزائرية المحلية وتداولها الواسع وشهرتها وتنوعها من نقود ذهبية وفضية ونحاسية إلا أن حكام الإيالة سمحوا بالتعامل بالعملات الأجنبية خاصة الأوروبية، وذلك بسبب التعاملات الجزائرية مع الشركات الأجنبية، وحصولها على الإتاوات والهدايا الدولية، وكذا بسبب إجراءات عتق الأسرى المسيحيين وافتدائهم، والتي تدر على الخزينة العامة أموالاً طائلة من العملات الأجنبية.²

ومن أهم العملات الأجنبية المتداولة بالجزائر أواخر العهد العثماني نذكر:

3-2-1- العملة الإسبانية

تعد من أهم العملات الأجنبية الأكثر تداولاً في الأسواق الجزائرية النقود الإسبانية، ولم يك هذا الانتشار مقتصرًا على إيالة الجزائر فقط، وإنما تشمل بلدان المغرب العربي ودول عالمية أخرى، وهذا بسبب استفادة شبه الجزيرة الإيبيرية من معادن قارة أمريكا الثمينة، والتي تدفقت خلال

¹ عبد العزيز لعرج، المرجع السابق، ص ص 85-89.

² ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص 194.

القرنين ونصف أي مع مطلع القرن 16م، فمثلاً: بلغت واردات إسبانيا من مستعمراتها بأمريكا من الذهب والفضة بنحو 95,62% ، وهذا ما أدى الى سك النقود من المعدنين النفيسيين، وكان الإقبال عليها شديداً من طرف المتعاملين التجاريين خاصة الجزائريين،¹ ومن أهم العملات الإنسانية المتداولة في الجزائر نذكر:

• الدبلون "EL DABLAM" : ويُعرف عند سكان الجزائر "الضبلون" و"الدبنوني"، وهو

عبارة عن دينار مصنوع من الذهب.²

• الدوكا "DUCAT" وتعادل قيمتها الدينار الذهبي.

• الكرونة "CORANA" وهي مصنوعة من الفضة.

• الدورو الإسباني "DOURO": وهي مصنوعة من الفضة قيمتها أقل من المحبوب

الذهبي.³

• الدرهم أو الريال الإسباني: وقد أشار إليه أحمد بن محمد بن علي بن سحنون الراشدي في

كتابه "الشجر الجمانى..." بأن من غنائم الفتح الوهراني الأول من طرف الداوي محمد بكداش حصول الجزائر على مائتي وستون ألف وأربعة ثلاثين ريال إسباني من إسبانيا كدليل على عقد الصلح بين الدولتين، وكما يدل أيضا على أن جل التعاملات التجارية الجزائرية الإسبانية كانت تتم بواسطتها، وكذلك اشتهر اليهود بنقلها وبيعها في المدن الجنوبية للبحر الأبيض المتوسط كبجاية ووهران وتونس.

• القرش المكسيكي: ويُعرف عند سكان الجزائر بقرش بومدفع.

• الدولار: ويعد من أكثر العملات أولاً في الجزائر.

بالإضافة إلى عملات أخرى مثل الأسبر Aspre والبستول والكارتيل.⁴

¹ عبد القادر فكاير، العملات الإسبانية المتداولة في الجزائر خلال الفترة العثمانية، مجلة عصور جديدة، جامعة وهران، الجزائر ربيع 2012، ع5، ص171.

² عبد القادر نور الدين، المرجع السابق، ص234.

³ ناصر الدين سعيدي، المرجع السابق، ص197.

⁴ عبد القادر فكاير، المرجع السابق، ص172.

3-2-2- النقود التونسية

انتشرت النقود التونسية في الجزائر خاصة ببابيك الشرق قسنطينة، وهذا يحكم الجوار وتشابه نظام الحكم بالبلدين من خلال التبعية للخلافة العثمانية، وكذا إلى أهمية التعاملات التجارية بين البلدين، ومن أهم العملات التونسية المتداولة بالجزائر نذكر:

• النقود الفضية ومنها الريال التونسي: وهو من العملات التونسية الرائجة بالجزائر، ومن أجزائه ربع ريال، وثمان ريال، بالإضافة لعملات الفضية القديمة كالخروبة، والناصري، ونصري حيدري.

• النقود النحاسية: ومنها فلس، والقفصي، والفلس الرقيق.¹

3-2-3- النقود المغربية

تطرق ابن حمادوش في رحلته إلى ذكر أهم العملات المتداولة في مملكة المغرب منها: "الموزونة" بقوله: " اشتريتها بستة موزونات..."²، وكذا "المثقال" و"السلطانية"، وهو ما ذكره بقوله: "... فهذا جميع ما قطعت سلعتي، وخمسة عشر مثقالاً مغربية، وعشر سلطانية صفر ..."³. ومن هنا يتجلى لنا بأن العملات المغربية المتداولة خاصة في الغرب الجزائري تتمثل في: الموزونة والمثقال، والسلطانية، ونصف البندقي أو نصف العشراوي، والفلس والريال، والدرهم.

3-2-4- النقود الفرنسية

ذكر حمدان خوجة في مذكراته أهم العملات الفرنسية المتداولة في الجزائر ومنها "السوردو" أو الفرنك الفرنسي، ويتجلى ذلك من خلال قوله: "... وكان باي قسنطينة، الحاج أحمد باي

¹ ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص ص 198 - 199.

² عبد الرزاق ابن حمادوش، المصدر السابق، ص 84.

³ المصدر نفسه، ص 98.

يتساهل مع الرعية، فيقبض منهم مبلغ خمسة عشر فرنك...¹، بالإضافة إلى الجنيه الفرنسي والريال الفرنسي، ولوزير فرنسا.²

ختاما لما سبق ذكره فإننا نجد بأن النظام النقدي بالجزائر أواخر العهد العثماني لم يكن يخضع لقوانين تنظيمية وتوجيهية لخدمة الاقتصاد الوطني المحلي، وقد انعكس ذلك على الوضعية الاقتصادية والقيمية لأسعار العملات المتداولة بالإيالة، بحيث نلاحظ تراجع قيمة النقود الفضية مقارنة مع النقود المعدنية أو النحاسية في جل التعاملات التجارية خاصة في نطاق التجارة الخارجية لبعض التجار الجزائريين من حضر ويهود، وفي تصفية الحسابات المتبقية في ذمة بعض القناصل والشركات الأجنبية الخاصة بتسديد الديون.

4- الأبعاد الاقتصادية في المدونات التاريخية الجزائرية أواخر العهد العثماني

يمكن استخلاص جملة من الأفكار التي تبلور لنا الأبعاد الاقتصادية للمدونات التاريخية المحلية الجزائرية، وذلك بالاعتماد على ما ورد في المصادر المحلية أواخر العهد العثماني، والتي يمكن حصرها في عدة محاور رئيسية هي:

4-1- تأثير العوامل الطبيعية في خصوبة الأرض وتنوع الإنتاج

أشارت بعض الرحلات والمؤلفات التاريخية المحلية الجزائرية إلى أهمية العوامل الطبيعية في تشكيل النشاط الاقتصادي بالجزائر أواخر العهد العثماني القرن 18م، وبداية القرن 19م، ومن بينها رحلة الحسين الورثياني المسماة بـ "نزهة الأنظار..." التي تطرق فيها إلى ذكر مواقع البلدان والتضاريس المختلفة التي رآها أو حط بها، وبالرغم من المعلومات الغزيرة حول الجوانب الاقتصادية إلا أنه لم يعتمد على التحليل الاقتصادي من حيث إبراز طبيعة الأرض والقوانين التنظيمية لها، أو التعاملات الاقتصادية وعلاقتها بالأوضاع الاجتماعية، وإنما كانت جل معلوماته لا تتعد الجغرافيا الطبيعية و الملاحظات البسيطة، وهذا ما يظهر في قوله: "فإني لما تعلق بتلك

¹ حمدان بن عثمان خوجة، المصدر السابق، ص115.

² ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص202.

— الفصل الرابع: أهمية المصادر المحلية في كتابة تاريخ الجزائر خلال العهد العثماني —

الرسوم والآثار و الأرباع والقفار والديار والمطاحن والمياه والبساتين والأرياف والقرى والمزارع والأمصار... أنشأت رحلة عظيمة...¹، وقد ساعدنا هذا الوصف الجانب الجغرافي على معرفة أهم العوامل المساعدة في ازدهار الزراعة وتعدد محاصيلها، وتنوع ثرواتها الغابية والمائية والرعية من خلال خصوبة التربة وتنوع في التضاريس والمناخ. وهذا ما أدى إلى وجود قاعدة طبيعية ملائمة لزراعة الحبوب والأشجار المثمرة، وتربية المواشي، واستغلال للموارد المعدنية والغابية بتلك الأقطار والأمصار.

كما أشار محمد أبوراس الناصر في رحلته إلى أهمية الموقع الجغرافي الجزائري المطل على البحر الأبيض المتوسط في تنشيط العملية الاقتصادية سواء الزراعية أو التجارية بإيالة الجزائر وهو ما جعلها محطة اقتصادية وتجارية ذات أهمية اقليمية ودولية، وهذا بفضل الدور الفعال الذي لعبته الموانئ الجزائرية كميناء مدينة الجزائر، وميناء وهران ومرسى أرزيو خاصة بعد الفتح الوهراني سنة 1792م، والذي أصبح متنفسا تجاريا وممولا رسميا للخزينة العامة لإيالة الجزائر أواخر العهد العثماني.²

تحدث ابن زرفة عن الثروة الغابية للمنطقة الغربية مثل أشجار الصفصاف التي كانت مصدراً أساسيا في الصناعة الحربية أثناء تحرير وهران الثاني سنة 1208هـ/1792م كصناعة المدافع، وهذا ما يتجلى بقوله: "... وشاهدنا العجب العجاب فيما يدخل الآلات والمدافع من خشب الصفصاف، وكأنها تحرق أو تذاب..."³

أما ابن هطال فقد أشار في رحلته إلى أهم أنواع الأراضي الجزائرية التي تختلف قيمتها الزراعية بين الأراضي الخصبة الصالحة للزراعة والأراضي محدودة القيمة خاصة الأراضي الصحراوية والمناطق القاحلة كالأغواط وعين ماضي، ويتجلى ذلك في قوله: "... وأجابهم لما

¹ الحسين بن محمد الورثيلاني، المصدر السابق، ص 3.

² محمد أبوراس الناصر، عجائب الأسفار ولطائف الأخبار...، المصدر السابق، الفصل 2، ورقة رقم: 140 ظهر.

³ مصطفى ابن زرفة الدحاوي، الرحلة القمرية في السيرة المحمدية، مخطوط رقم: 2597، المكتبة الوطنية، الجزائر، ورقة رقم:

طلبوه لشؤم بلادهم وقبح أراضيهم، فمأوها حميم وغبارها عميم، فلا توافق كل ذي طبع سليم... لا نبات فيها تعيش به الدواب، ولا شجر بساحتها يكون منه الاحتطاب..."¹ ، وقد ساهم هذا التباين في التأثير على حجم الإنتاج الزراعي بالإيالة وتوزيعه.

كما دّون كل من مسلم بن عبد القادر المشرفي، ومحمد الصالح بن العنتري أهم العوامل التي أدت إلى تدهور حالة الأراضي، وتناقض في الإنتاج الزراعي في القرن التاسع عشر الميلادي، ومن بينها الفيضانات حيث ذكر ابن العنتري بأن "كثرة الأمطار وتساقط الثلوج أدى إلى انقطاع الطرق، وفيضان الأودية، وتفجرت المطامير، فعمّ الشر، وهلك المواشي، مما أدى إلى ارتفاع أسعار المنتجات، وعلى رأسها سعر القمح، حيث أصبح الصاع يباع بـ: 90 فرنك، وقد ساهمت هذه الفيضانات في انتشار المجاعة التي انعكست سلباً على الحياة الاجتماعية للسكان، وهو ما أدى بهم إلى رهن أو كراء، أو بيع أملاكهم، والتي استولى على غالبيتها اليهود،² في حين أن مسلم بن عبد القادر المشرفي قد أشار إلى ظاهرة انتشار الجراد في عهد الباي قارة بعلي "1228هـ/1813م"، والذي ساهم في انتشار المجاعة بالإيالة شرقاً وغرباً.³

4-2- أنواع الأراضي وصلتها بالظرف الاقتصادي النظام الجبائي الضريبي

أشارت العديد من المصادر المحلية إلى إبراز التباين الكبير في طبيعة الأراضي الجزائرية خلال القرن 18 وبداية القرن 19م، الأراضي الخصبة الصالحة للزراعة، والأراضي محدودة القيمة خاصة في الصحراء والمناطق القاحلة، وعلاقتها بجباية الضرائب.

ذكر حمدان بن عثمان خوجة في مذكراته في فصلها الحادي عشر و المعنون بـ"تحديد قوانين الأراضي و كيفية قبض الضرائب " إلى أن الأراضي ترتب - حسب شريعتنا - على الشكل التالي: إذا فتح المسلمون بلاد عنوة وبقي أهلها بها، فإن أرضهم يطلق عليها اسم " أرض خراج "

¹ أحمد ابن هطال التلمساني، المصدر السابق، ص 66-67.

² محمد الصالح بن العنتري، المصدر السابق، ص 48 - 49.

³ مسلم بن عبد القادر، المصدر السابق، ص 107.

بعد اتفاق يجرونه مع الفاتحين، أما إذا اسلم أهلها فإن أرضهم تصبح عشيرة،¹ وقد اتفق معه ابن العنترى من خلال ما أورده في كتابه: "ما نأخذوا من وطنها إلا الشيء الحلال الذي هو مثل الزكاة الواجب إخراجها من الأموال والنعم والمزروعات على نمط الشريعة والطريقة المستقيمة والقيمة"².

يتجلى لنا من خلال ما سبق بأن وضعية الأراضي وعلاقتها بجباية الضرائب ترتبط أساسا بطبيعة تلك الأراضي، فالأراضي الخصبة هي ملك خاص بموظفي السلطة الحاكمة والأغنياء والأعيان، وهي منتشرة بالمناطق السهلية الساحلية المجاورة للمدن (الفحوص) أو المناطق الجبلية، أما أراضي الدولة فهي أراضي المخزن، ويطبق عليها قانون الأراضي التي فتحت عنوة، أما النوع الأخير الذي أشارت إليه المصادر المحلية فتسمى بأراضي الوقف، وفي الأراضي التابعة للمؤسسات الدينية والخيرية الوقفية بالإيالة والخاضعة لقوانين الشريعة الإسلامية السحاء.

كما تشير جل الوثائق المحلية في سجلات المحاكم الشرعية، وسجلات بيت المال والبايلك وسجلات البايلك إلى الكثير من أنواع الضرائب المفروضة على الأراضي الزراعية، والتي تحدد حسب طبيعة الإنتاج والنوع والكمية، فمثلا: سكان مدينة المدية كانوا يدفعون ضريبة على الأراضي الزراعية الخاصة بالقمح والشعير، وهو ما تم الإشارة إليه في إحدى الوثائق الخاصة بسجلات بيت البايلك والمتضمنة ما يلي: "... هذا التقييد المبارك وكذا ما يدخل المخزن الموفور بالله تعالى من البر والشعير من الأزواج المخزنية والرعية من تراب المدية والخلاص على الله وذلك على يدي بيت المالجي وكاتب الحروف سي خوجة وفق الله..."³ وهنا نجد بأن الضرائب كانت تفرض على جميع المنتجات الزراعية والأراضي الخاصة بها.

من خلال استقراء المدونات التاريخية المحلية الجزائرية أواخر العهد العثماني يتضح لنا تعدد أنواع الأراضي بإيالة الجزائر والتي ارتبطت ارتباطا وثيقا بالنظام الضريبي، والذي يعكس طبيعة العلاقة بين السلطة الحاكمة ورعاياها في المجال الاقتصادي، فمثلاً الأراضي المخزنية و

¹ حمدان بن عثمان خوجة، المصدر السابق، ص 113.

² محمد الصالح بن العنترى، المصدر السابق، ص 45.

³ محفوظات المركز الوطني للأرشيف الجزائري، سلسلة البايلك، علة رقم: 09 سجل رقم: 39.

— الفصل الرابع: أهمية المصادر المحلية في كتابة تاريخ الجزائر خلال العهد العثماني —

أراضي قبائل الرعية كانت بمثابة القاعدة الأساسية للجباية وهذا عبر ما فرض عليها من أعشار ومكوس متنوعة، بينما سمحت طبيعة الأراضي الموقوفة المحبسة، وأراضي الملك بتركيز الثروة في أيدي فئات محدودة، وهو ما ساهم في تدهور أوضاع الإيالة سواء الداخلية أو الخارجية والتي أدت إلى تفاقم الأزمات الاقتصادية والاجتماعية في إيالة الجزائر العثمانية خاصة أواخر القرن 18م وبداية القرن 19م.

مجمل ما نختم به هذا الفصل مساهمة المصادر المحلية الجزائرية أواخر العهد العثماني في الكشف عن ملامح الحياة الاجتماعية والثقافية والاقتصادية بالإيالة باعتبارها ركيزة أساسية في فهم البنية التاريخية للمجتمع الجزائري في تلك المرحلة، ويتضح ذلك من خلال إبراز تفاعلات المجتمع المحلي مع السلطة المركزية برؤية مغايرة لما ورد في الكتابات الأجنبية، وهذا ما يجعلها أداة منهجية ضرورية لإعادة بناء تاريخ الجزائر خلال العهد العثماني بطريقة موضوعية وشاملة.

خاتمة

خاتمة:

وفي ختام هذه الدراسة توصلنا إلى مجموعة من النتائج والاستنتاجات، والتي يمكن حصرها فيما يلي:

- تعددت أنواع المصادر المحلية الجزائرية خلال العهد العثماني من كتب الرحالة والمخطوطات، والوثائق الأرشيفية من سجلات المحاكم الشرعية، وسجلات بيت المال، والسجلات البايك، والمراسلات الرسمية، والكتابات والمذكرات الشخصية، والتي تعد من الركائز الأساسية في دراسة وإعادة كتابة تاريخ الجزائر خلال العهد العثماني.
- مساهمة المصادر المحلية الجزائرية في تقديم صورة دقيقة وواقعية عن الحياة السياسية والاجتماعية، والاقتصادية، والثقافية في المجتمع الجزائري خلال الحقبة العثمانية، خاصة في القرنين الثامن عشر، وبداية القرن التاسع عشر ميلادي، وهذا ما ساعدنا على فهم تفاعل المجتمع الجزائري مع السلطة الحاكمة وممارستها.
- من أبرز المصادر المحلية التي وثقت تاريخ الجزائر أواخر العهد العثماني كتب الرحالة والتي تعد سجل حقيقي لمختلف مظاهر الحياة، فهي بمثابة مصدر إلهام للباحثين والمؤرخين في كتابة تاريخ الجزائر، وهذا بفضل ما تحتويه من معارف ومعلومات، والتي شملت مختلف الجوانب الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والسياسية، وهذا ما ساعدنا على رسم صورة حول حياة المجتمعات المعاصرة في تلك الفترة من خلال وصف البلدان والمواقع الجغرافية التي ارتحلوا إليها أو زاروها.
- ساهمت رحلة علماء الجزائر إلى الأقطار العربية ببلدان المغرب والمشرق في مد أواصر الترابط والتواصل الثقافي بين المجتمعات العربية خلال الحقبة العثمانية، وذلك من خلال تبادل المعارف والكتب، والمصنفات الدينية، والعلمية، وأخذ الإجازات، وإقامة حلقات الدروس والمناظرات بكبريات الحواضر العلمية مثل جامع القرويين بالمغرب الأقصى، والجامع الأعظم بمدينة الجزائر، وجامع الزيتونة بتونس، والجامع الأزهر بمصر، والحرمين الشريفين بمكة والمدينة المنورة، وجامع الأمويين وبيت المقدس ببلاد الشام.

• من أهم الرحلات الجزائرية خلال القرن 18م رحلتي عبد الرزاق إبن حمادوش، ورحلة الحسين بن محمد الورثياني، أما في بداية القرن 19م فقد اشتهر محمد أبوراس الناصر برحلته ضمن كتاب " فتح الإله..."، ورحلة عبد الرحمن بن إدريس التتيلاني إلى مدينة الجزائر، وكما توجد العديد من الرحلات الجزائرية أواخر العهد العثماني مثل رحلة أحمد بن القاسم البوني، ورحلة أحمد بن عمار ورحلة ابن زرفة... وغيرها من الرحلات، وقد قدمت هذه الرحلات وصفا دقيقا للحياة الاجتماعية من عادات وتقاليد، وكما رصدت لنا الأوضاع والأنشطة الثقافية والاقتصادية، وهذا ما مكن الباحثين والمؤرخين من فهم البنية الاقتصادية والثقافية للإيالة الجزائرية والأقطار العربية خلال الحقبة العثمانية.

• عملت الرحلات الجزائرية على إبراز التواصل الحضاري والفكري أواخر العهد العثماني وهذا من خلال تنشيط الحركة العلمية والثقافية عن طريق تنقل العلماء والطلبة للمغرب والمشرق، وهذا ما يدل على انفتاح الجزائر على العالم الإسلامي في تلك الفترة، وإلى جانب ذلك فقد ساهمت في إبراز الهوية الوطنية بفضل ما دونه الرحالة من مشاهدات، ومواقف وأحداث ووقائع، والذي يعكس انتمائهم الوطني، وإدراكهم للخصوصية الثقافية والاجتماعية للمجتمع الجزائري ضمن النطاق العثماني، وهذا ما جعلها ذات أهمية في دراسة تطور الكتابة النثرية في الجزائر خلال العهد العثماني.

• تعد المذكرات الشخصية من أهم المصادر المحلية الجزائرية خلال الحقبة العثمانية خاصة في النصف الأول من القرن 19م، وتتجلى أهميتها في كونها تمثل مصادر ذات طابع ذاتي ومباشر للأحداث في تلك المرحلة، ومن أشهر المذكرات الشخصية الجزائرية نجد " مذكرات أحمد الشريف الزهار"، و"مذكرات حمدان بن عثمان خوجة"... وغيرها، وقد ساهمت في إبراز الجوانب السياسية والاجتماعية والاقتصادية بالإيالة، وهذا باعتبارها شهادات حية، ومصدر أولي للباحثين والمؤرخين في فهم تفاصيل الحياة اليومية للمجتمع الجزائري، وبالتالي فهي تعد مرآة صادقة وعاكسة للتحويلات الاجتماعية والفكرية والسياسية والاقتصادية للجزائر أواخر العهد العثماني.

• مساهمة المذكرات الشخصية الجزائرية في إثراء الكتابة التاريخية الوطنية، فهي تمثل جسرا بين التجارب الفردية والذاكرة الجماعية، والتي تساعدنا على كتابة تاريخ الجزائر من منظور داخلي ومحلي يعكس لنا الوعي الوطني في مراحل الأولى، وبالتالي فهي ركيزة أساسية في إعادة كتاب وبناء تاريخ الجزائر خلال العهد العثماني برؤية محلية أصيلة.

• تميز المجتمع الجزائري أواخر العهد العثماني بالتنوع في تركيبته السكانية، فانقسم إلى قسمين: سكان المدن، وأساسها العناصر المحلية من طبقة الحضر، وفئة الوافدين كجماعة البساكرة وجماعة بني ميزاب، وجماعة الأغواطيين...، والفئات الأخرى المرتبطة بالحضور العثماني مثل الأتراك، الكراغلة، جماعة الأندلسيين، بعض الأقليات الأوروبية واليهودية، أما سكان الريفة يمثلون الأغلبية الساحقة المشكلة للمجتمع الجزائري، والمتمثلة في قبائل المخزن، وقبائل الرعية، والقبائل المستقلة.

• تعددت مظاهر الترابط والتضامن بين فئات المجتمع الجزائري خاصة في مواجهة الكوارث الطبيعية، والأمراض والأوبئة، وكذا في التصدي للعدوان الأجنبي على سواحل الإيالة "الحملات الأوروبية والأمريكية".

• تمسك فئات المجتمع الجزائري أبا عن جد بعباداته وتقاليده، خاصة المتعلقة بالمناسبات الدينية كالاحتفال بقدوم شهر رمضان، والاحتفال بعيدي الفطر والأضحى، والتي عكست لنا وضعية المجتمع ومقوماته من الناحية الدينية، وكذا تميزه بالحرية والتسامح الديني لجميع الفئات المشكلة له من أوروبيين ويهود في ممارسة شعائهم، وطقوسهم الدينية بدون استثناء.

• عرفت الإيالة الجزائرية خلال العهد العثماني انتشارا واسعا للمؤسسات التعليمية منها الكتاتيب، المساجد والزوايا، الرباطات، المدارس بحواضرها الكبرى كمدينة الجزائر وتلمسان، وهران وقسنطينة، رغم أنه لم يكن نظاميا معتمدا من طرف الدولة، إلا أنه غلب عليه الطابع الذاتي الحر القائم على جهود الأفراد والعائلات، والمؤسسات الوقفية الخيرية، وبعض رجال السلطة أمثال الباي محمد الكبير باي وهران، والباي صالح باي قسنطينة، وقد كان أساسه القرآن والعلوم الدينية والعقلية.

• من أهم المؤسسات الوقفية بإيالة الجزائر أواخر العهد العثماني نجد مؤسسة سبل الخيرات ومؤسسة أوقاف الحرمين الشريفين وأوقاف الأولياء والأشراف وأوقاف الجامع الأعظم وأوقاف أهل الأندلس، ولعبت هذه المؤسسات دورا بارزا في انتشار المدارس واستمرار وجودها في نشر التعليم وتدعيمه عبر مراحلها الثلاث الإبتدائي والثانوي والعالي.

• تنوعت دراسة العلوم بإيالة الجزائر أواخر العهد العثماني، والتي عرفت حركة نشطة رغم التحديات السياسية والاجتماعية والاقتصادية بالمنطقة، ومن بينها العلوم الدينية، والتي لاقت اهتماما كبيرا من طرف علماء الجزائر الفقه والتفسير والحديث، وعلم القراءات وكذا اللغة العربية، وذلك لارتباطها بالمؤسسات الدينية من مساجد وزوايا، ومدارس قرآنية التي كانت تؤدي دورا محوريا في تكوين العلماء، وتحافظ على الهوية الثقافية للمجتمع الجزائري، بالإضافة إلى العلوم العقلية كالمنطق والطب، الفلك، الحساب، والتي تم تداولها في بعض الحواضر الكبرى من خلال إقامة حلقات التدريس والتعليم، ونسخ الكتب العلمية المتداولة في المشرق والمغرب الإسلامي.

• شهدت حركة التأليف في الجزائر خلال العهد العثماني حركة نشيطة، فلا نكاد نجد عالما إلا وله العديد من المؤلفات المتنوعة، والتي شملت مختلف العلوم المتداولة في تلك المرحلة، خاصة العلوم الشرعية، وتمثل ذلك في كثرة الشروح والحواشي، والتقاييد والرسائل وغيرها مثل مؤلفات أحمد بن قاسم البوني، ومحمد ابن ميمون، وعبد الرزاق ابن حمادوش، وابن عمار، وابن سحنون، ومحمد أبوراس ناصر المعسكري، وغيرهم من العلماء الذين لمعت أسمائهم، وكثر إنتاجهم في المجال الأدبي والفقهية والعلمي، وبذلك ساهموا مساهمة فعالة في إثراء الحياة الثقافية والفكرية في الجزائر والبلدان العربية، وبذلك استطاعوا بمجهوداتهم الخاصة أن يحتلوا مكانة مرموقة بين مشاهير وعلماء عصرهم.

• مساهمة المدونات التاريخية كمصادر محلية جزائرية أواخر العهد العثماني في ذكر أهم العلوم والمعارف المنتشرة في الأقطار العربية والإسلامية، إلى جانب ذكر أهم العلماء والأدباء الذين ذاع صيتهم في القرن 18م، وبداية القرن ال 19م، وكذلك أهم العوامل المساهمة في بعث وتنشيط عملية التواصل الثقافي من خلال تبادل الإجازات، والتدريس، وتبادل الكتب والمصنفات.

• قدمت المصادر المحلية الجزائرية من سجلات المحاكم الشرعية، ووثائق بيت المال، والبيالك صورة واضحة حول طبيعة التحولات الاقتصادية التي شهدتها إيالة الجزائر أواخر العهد العثماني، وانعكاساتها على حياة الأفراد بالمجتمع الجزائري، من خلال التعرف على أهم الأنشطة الاقتصادية التي عرفت انتشارا ورواجا واسعا، كالأنشطة الزراعية، والصناعية، والمعاملات التجارية سواء الداخلية أو الخارجية.

• عرف المجتمع الجزائري العديد من النقود والعملات، منها الذهبية كالسلطاني (القديم، الجديد، النصف، الربع)، والفضية كالريال والبوجو، والنحاسية كالموزونة والخروبة...، والتي صك معظمها بدار السكة بمدينة الجزائر، بالإضافة إلى تداول العديد من العملات الأجنبية كالعملات الإسبانية "الدورو"، والعملات الفرنسية "الفرنك الفرنسي..."، وغيرها من العملات التي ساهمت في عمليات التبادل التجاري بين الإيالة ودول العالم خاصة الدول الأوروبية، والإفريقية، والعربية، والإسلامية.

• تأثير السياسة الضريبية بالجزائر أواخر العهد العثماني على أوضاع المجتمع الجزائري والتي ارتبطت ارتباطا وثيقا بنظام الملكيات والأراضي، كالأراضي المخزنية، وأراضي قبائل الرعية التي كانت بمثابة القاعدة الأساسية للجباية، وهذا في ظل تراجع غنائم الجهاد البحري خاصة بداية القرن 19م، وقد انعكس ذلك سلبا على طبيعة العلاقة بين أفراد المجتمع الجزائري والسلطة الحاكمة، وهو ما أدى إلى تفاقم الأزمات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية داخل الإيالة، وبذلك انعدم الأمن والاستقرار، وانتشرت الثورات، وهذا ما ساهم في ضعف الإيالة وسقوطها في يد المحتل الفرنسي.

وعلى ضوء ما تقدم ذكره، يمكن القول بأن المصادر المحلية الجزائرية التي ألفت خلال القرن الـ 18م وبداية القرن 19م، تمثل دعامة أساسية في إعادة كتابة تاريخ الجزائر خلال العهد العثماني من منظور محلي في مختلف المجالات، وذلك لما احتوته من شهادات مباشرة، ورؤى نابعا من الواقع الجزائري، وقد ساعدتنا على تصحيح الكثير من التصورات التي روجتها الكتابات الاستعمارية، والروايات الأجنبية التي تناولت تاريخ الإيالة الجزائرية بزاوية خارجية أو منحازة، وبذلك فهي تشكل مرجعا لا غنى عنه في مشروع إعادة كتابة التاريخ الوطني على أسس علمية أكاديمية، تبرز

استمرارية الدولة والمجتمع الجزائري، وتعيد الاعتبار للذاكرة التاريخية الوطنية التي ظلت أسيرة للرؤى والدراسات الأجنبية.

ويبقى موضوع المصادر المحلية الجزائرية خلال العهد العثماني قابل للإثراء والدراسة في جوانب متعددة من طرف الباحثين، نظرا لما يحتويه من الموضوعات، والإشكاليات المطروحة والمصادر الجديدة التي لم نتطرق لها في هذه الدراسة.

الملاحق

الملحق رقم 1:

الصفحتان الأولى والأخيرة من مخطوط عجائب الأسفار ولطائف الأخبار

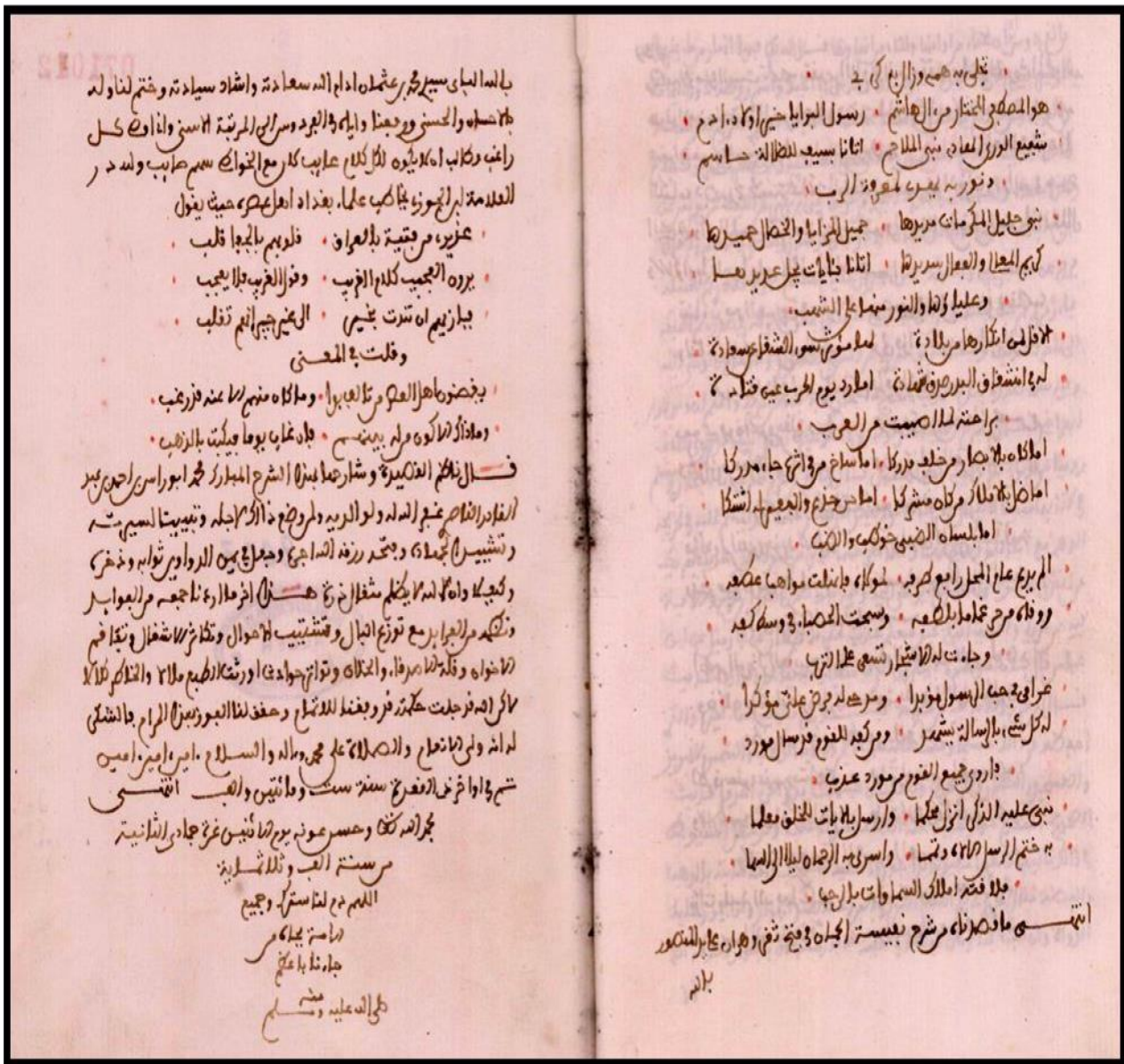
لمحمد بن أبي راس الناصر

بسم الله الرحمن الرحيم وصلوات على سيدنا ومولانا والشيخ

قال الشيخ العالم الفقيه الحبر
الذليل النبيه فمحمدا بن ابراهيم
ابن احمد بن عبد الفادر رحمه
الله تعالى

الحسين الذي راض لنا البيان والادب حتى انقاد في السفننا وساد مواء
اجتمعتنا، وذلك لما من البطاحة بملتنا، وادفع لنا من مشكلاته ما تستعجب
وسلكتنا، وصار لنا اللع عبرة نجيب من نادينا، وسما يصيب العرق
اذا رميناه، والصلاة والسلم على سيدنا الذي اذبح الله على سائر
الخلق واعيناه، وعلى الدواعي صولة الله من خليقة اهل عنايته
ورحاه **باب** في بيان التفتن على التاريخ ثم تقدم شارة الادب
اذا دخل من اوطا بصيرة، وفرا اعتبر اهل كل صفة، وجداية كل طلبة من طلبة
السلب، ومزاج الخلق في كل عصر عصابة هم اهل الصابنة، فالبعوا
واجادوا وصنعوا واجادوا وبلغوا من الفاضل ما يستعجب، ولما كان الحماصة
تأصيلنا جزاهم الله رضوانه واحلم من رايه العبد وسخطته **وكان**
اعلم الناس في الاسلام بعزينا عليه الصلاة والسلام ابو بكر الصديق
وابن عباس وجعفر الطوسي وعفيل بن ابي طالب رضي الله عنهم ومن التابعين
ابن سيرين والزهري ومثلهم وفيهم عروم الصوفي وابو عبيدة والي فاشتهر
والشيباني وامثالهم واشتهر بزيوتهم من العلماء الجاهليين والاولياء
الكلية كل طلبة اذ دفع صاحب خليفة الاولياء، وهو اخبر عن الله بسطق
الهمم

[illegible]

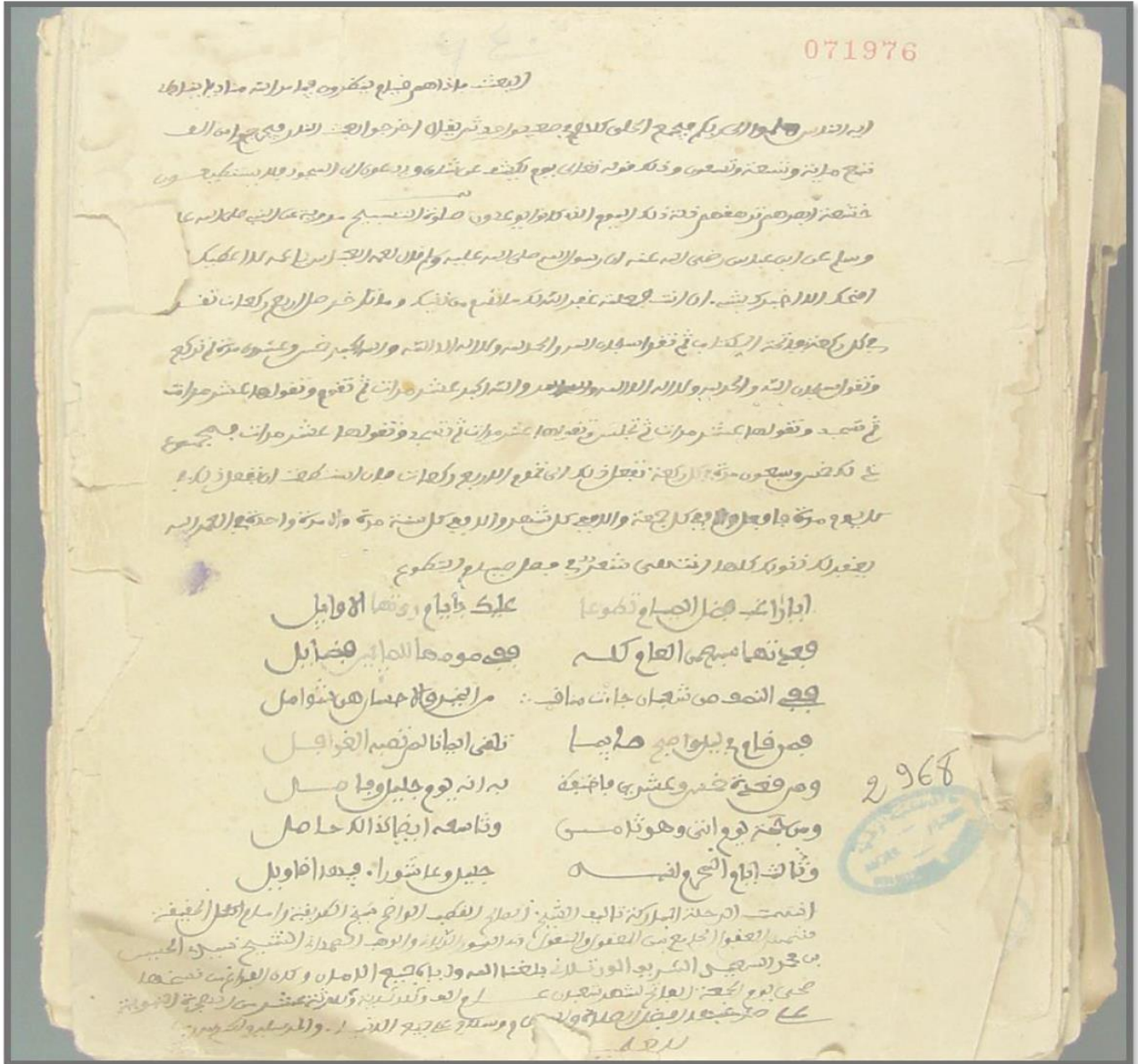


المصدر: محمد بن أبي راس الناصر، عجائب الأسفار ولطائف الأخبار، مخطوط رقم:

2003، قسم المخطوطات، المكتبة الوطنية الجزائرية، الجزائر.

الملحق رقم 2:

الصفحة الأولى من مخطوط نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار المشهورة بالرحلة
الورثيلانية للحسين بن محمد الورثيلاني

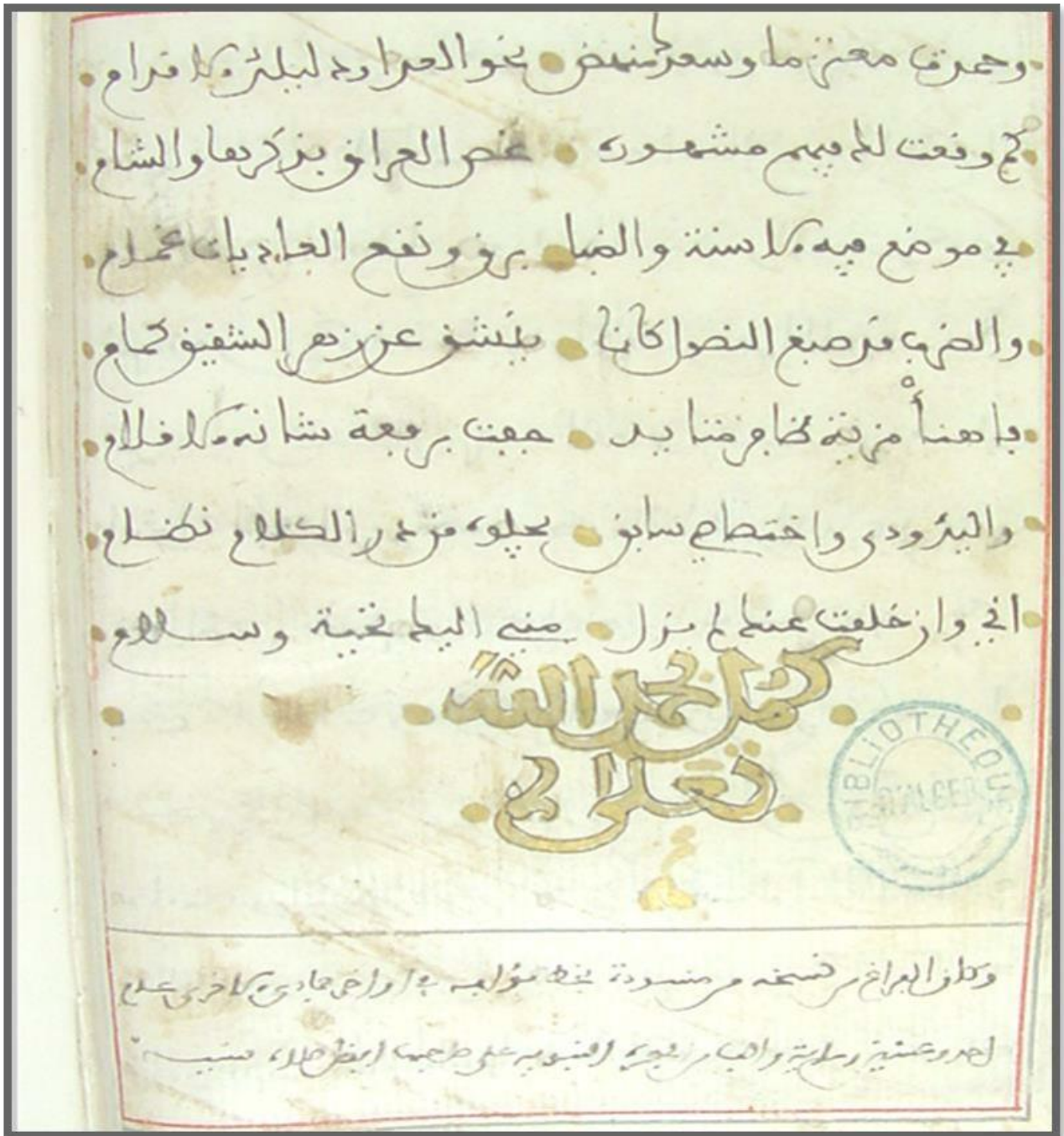


المصدر: حسين بن محمد الورثيلاني، نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار
المشهورة بالرحلة الورثيلانية، مخطوط رقم: 2968، قسم المخطوطات، المكتبة الوطنية
الجزائرية، الجزائر.

الملحق رقم 3:

الصفحتان الأولى والأخيرة من مخطوط التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد
الجزائر المحمية لمحمد بن ميمون



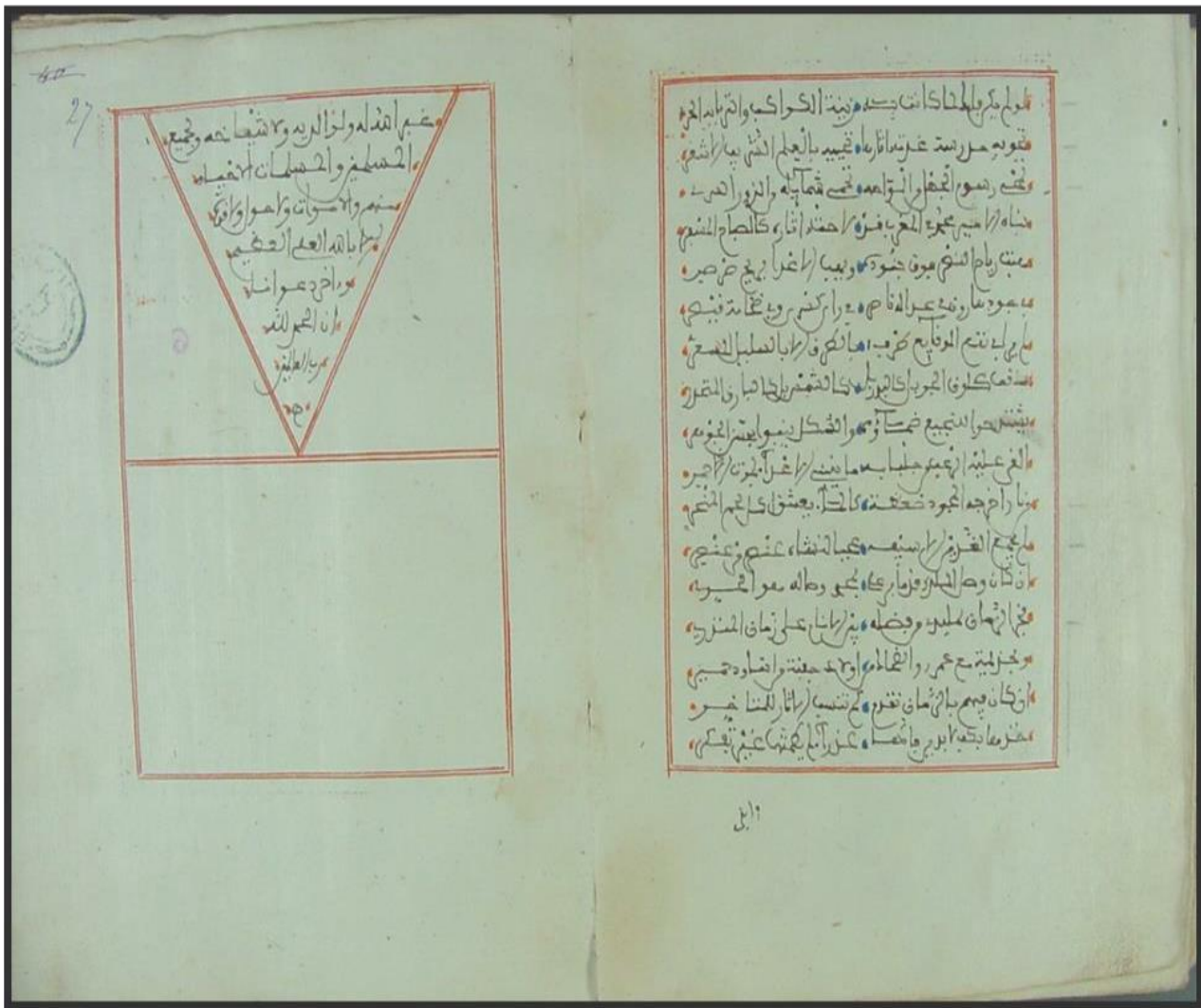


المصدر: محمد بن ميمون، التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر
 المحمية، مخطوط رقم: 1625، قسم المخطوطات، المكتبة الوطنية الجزائرية، الجزائر.

الملحق رقم 4:

الصفحتان الأولى والأخيرة من مخطوط رحلة محمد الكبير باي الغرب الجزائري إلى الجنوب
الصحراوي الجزائري لأحمد بن هطال

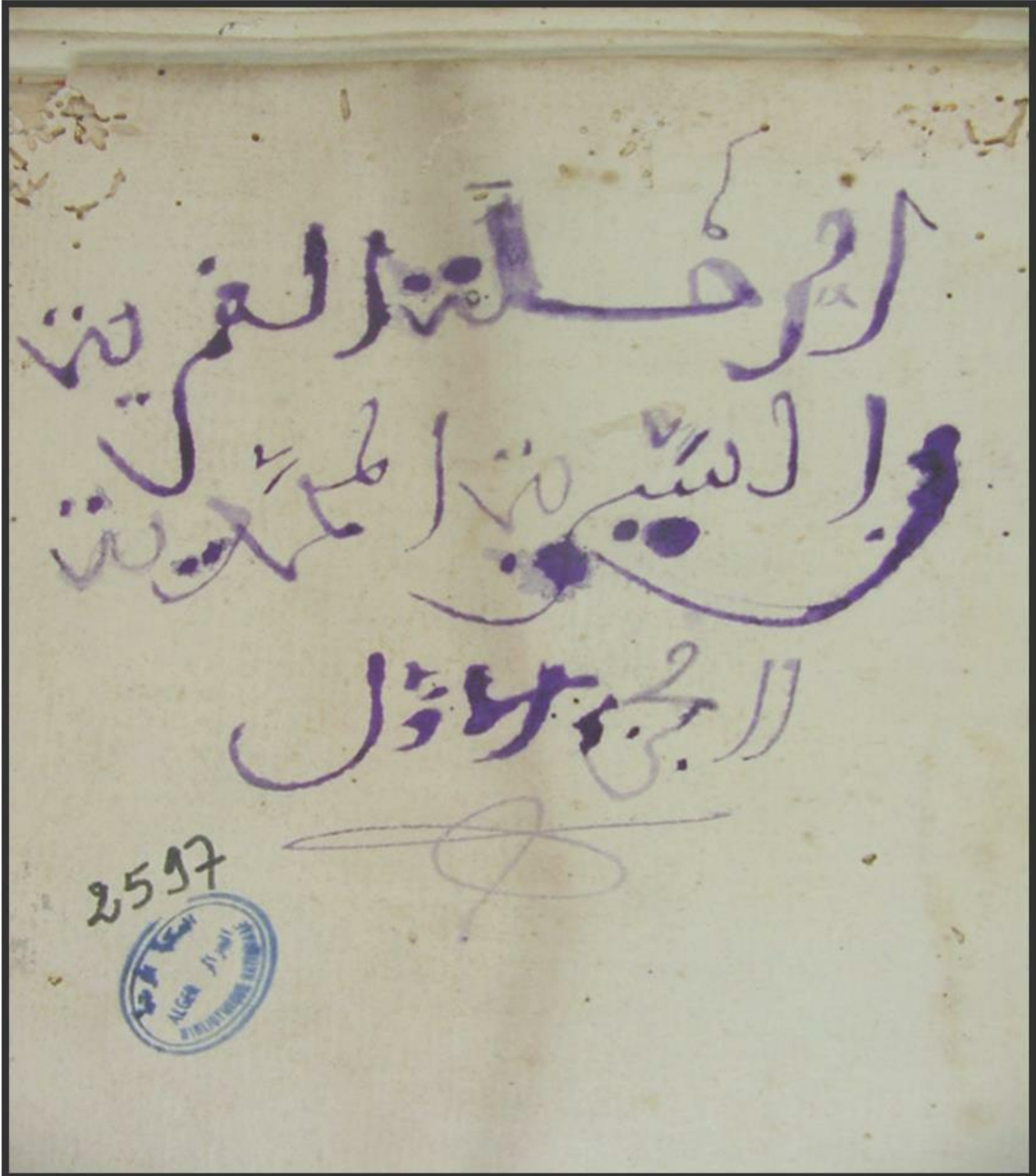




المصدر: أحمد بن هطال، رحلة محمد الكبير باي الغرب الجزائري إلى الجنوب الصحراوي
الجزائري، مخطوط رقم: 1643، قسم المخطوطات، المكتبة الوطنية الجزائرية، الجزائر.

الملحق رقم 5:

الصفحتان الأولى والأخيرة من مخطوط الرحلة القمرية لمحمد المصطفى بن زرفة الدحاوي



425

الملحق رقم 6:

وثيقة أرشيفية عبارة عن سجل قبض عشور القمح والشعير لتراب مليانة ونواحيها



المصدر: المركز الوطني للأرشفة الجزائري، سجلات البايك، DZ/AN/1B3/B03/D122

الملحق رقم 7:

وثيقة أرشيفية عبارة عن بيان شراء بإشراف من القاضي



المصدر: المركز الوطني للأرشفة الجزائرية، سجلات المحاكم الشرعية،

DZ/AN/1B4/B01/D25

الملحق رقم 8:

وثيقة أرشيفية عبارة عن توزيع نفقة



المصدر: المركز الوطني للأرشفة الجزائرية، سجلات المحاكم الشرعية،

DZ/AN/1B4/B01/D17

الملحق رقم 9:

وثيقة عبارة عن فريضة ووقف لمجموعة أملاك



المصدر: المركز الوطني للأرشفة الجزائري، سجلات المحاكم الشرعية،

DZ/AN/1B4/B01/D40

قائمة المصادر

والمراجع

- القرآن الكريم (رواية حفص عن عاصم).
- أحاديث من السنة النبوية الشريفة.

أولاً: المصادر والمراجع العربية

المصادر

1. ابن أبي دينار، المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، مطبعة الدولة التونسية، تونس، 1286هـ.
2. ابن الأكفاني محمد بن إبراهيم بن ساعد الأنصاري، إرشاد القاصد إلى أسمى المقاصد في أنواع العلوم، تح وت: عبد المنعم محمد عمر، ومراجعة: أحمد حلمي عبد الرحمان، دار الفكر العربي، القاهرة، 1987م.
3. ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، تح: أنطوان صالجانيسيسوعي، دار الشرق، ط3، بيروت، لبنان، 1992.
4. ابن القاضي المكناسي، درة الحجال في غرة أسماء الرجال، تح وت: مصطفى عبد القادر عطا، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2002.
5. ابن خلدون أبي زكرياء يحيى ابن أبي بكر محمد، بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، مطبعة ببيرونطانا الشرقية، الجزائر، 1903.
6. ابن سحنون أحمد بن محمد بن علي الراشدي، الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، تح: المهدي البوعبدلي، دار المعرفة، الجزائر، 2013.
7. ابن عذارى المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج1، ط3، تح: ج س كولان، إ. ليفي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت، لبنان، 1983.
8. ابن غليون أبي عبد الله محمد بن خليل الطرابلسي، تاريخ طرابلس الغرب المسمى التذكار فيمن ملك طرابلس وما كان بها من الأخبار، تص وت: الطاهر أحمد الزاوي، ط1، المدار الإسلامي، بيروت، لبنان، 2004.
9. أبو العباس أحمد بن خالد الناصري، الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى، الدولة العلوية، ج7، تح وت: جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1997.
10. أحمد الجزائري، كيف دخل الفرنسيون الجزائر (وصف شاهد عيان)، نشره وقدمه: صلاح الدين المنجد، دار الكتاب الجديد، القاهرة، مصر، 1962.
11. أحمد الشريف الزهار، مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار نقيب أشرف الجزائر، تح: أحمد توفيق المدني، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1980.
12. أحمد باي، مذكرات أحمد باي وحمدان خوجة وبوضربة، تق: محمد العري الزبيري، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981.

13. أحمد بن أبي الضياف، إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان، مج7، تح: نخبة من وزارة الشؤون الثقافية، الدار العربي للكتاب، تونس، 1999.
14. أحمد بن عبد الرحمان الشقراني الراشدي، القول الأوسط في أخبار عض من حل بالمغرب الأوسط، ط2، تح وتوق: ناصر الدين سعيدوني، البصائر الجديد للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013.
15. أحمد بن قاسم البوني، الدرة المصونة في علماء وصلحاء بونة، ط1، تح: سعد بوفلاحة، منشورات بونة، عنابة، الجزائر، 2007.
16. أحمد بن مبارك السلجماسي، رسالة في تعلقات صفات الله عز وجل، تح: نزار حمادي، دار الإمام ابن عرفة، تونس، (د س ن).
17. أحمد بن محمد المقرئ، رسائل المقرئ، تح: أسماء القاسمي الحسني، دار الخليل القاسمي، الجزائر، 2008.
18. أحمد بن محمد المقرئ، نفح طيب من غصن الأندلس الرطيب، مج1، ط1، تح: إحسان عباس، اختار للأبحاث للترجمة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2008.
19. أحمد بن هطال التلمساني، رحلة محمد الكبير باي الغرب الجزائري إلى الجنوب الصحراوي الجزائري 1985، نق: محمد بن عبد الكريم، دار السويدي للنشر والتوزيع، الإمارات العربية المتحدة، 2004.
20. أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري (ت 279هـ/892م)، فتوح البلدان، دار ومكتبة الهلال، بيروت، 1988.
21. بدر الدين أبو عبد الله الزركشي، اللآلئ المنثورة في الأحاديث المشهورة المعروف بـ"التذكرة في الأحاديث المشتهرة"، ط1، تح: مصطفى عبد القادر عطاء، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1986.
22. بدر الدين الزركشي، البحر المحيط في أصول الفقه، ط2، ج1، تحرير: عبد القادر عبد الله الغاني، مراجعة: عمر سليمان الأشقر، دار الصفوة للطباعة والنشر والتوزيع، الغردقة، مصر، 1992.
23. بن عودة المزاري، طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر، واسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر، تح ودر: يحي بوعزيز، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1990، ط1، ج1.
24. تقي الدين أحمد بن علي المقرئ، المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار المعروف بـ"الخطط المقرئية"، قابله بأصوله: أيمن فؤاد السيد، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، ج4، لندن، 2013.
25. الجرجاني أبو الحسن علي بن محمد بن علي، التعريفات، الدار التونسية للنشر، تونس، 1971.
26. جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، شرح السيوطي لسنن النسائي وحاشية الإمام السندي، حقق هو رقمه ووضع فهرسه: مكتب تحقيق التراث الإسلامي، دار المعرفة، بيروت، 1990، ج2.
27. جون بول وولف، الجزائر وأوروبا 1500-1800م، تر وتغ: أبو القاسم سعد الله، عالم المعرفة، الجزائر، 2007.

28. جيمس لندركاكتارت، مذكرات أسير الداي كاكثارت قنصل أمريكا في المغرب، تع وتق: إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982.
29. جيمس ويلسون ستيفن، الأسرى الأمريكيان في الجزائر 1795-1796، تر: علي تابلت، منشورات تالة، الأبيار، الجزائر، 2007.
30. الحسن بن محمد الوزان الفاسي (ليون الإفريقي)، وصف إفريقيا، تر: محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ج2، ط2، 1983.
31. الحسين ابن محمد الورثياني، نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار المشهورة بالرحلة الورثيانية، اعتنى بها: محمد خليل إبراهيم، تصحيح: محمد بن أبي شنب، مطبعة بيبير فونتانا الشرقية، الجزائر، 1908.
32. حسين بن رجب شاوش ابن المفتي، تقييدات ابن المفتي في تاريخ باشاوات الجزائر وعلمائها، تح: فارس كعوان، بيت الحكمة، الجزائر، 2009، ط1.
33. حمدان بن عثمان خوجة، اتحاف المنصفين والأدباء في الاحتراس من الوباء، تق وتتح: محمد بن عبد الكريم، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1968.
34. حمدان بن عثمان خوجة، المرأة (لمحة تاريخية وإحصائية على إيالة الجزائر)، عربيه وقدمه وعلق عليه وفهرسه: محمد بن عبد الكريم، دار الوعي، الجزائر، 2017، ط1.
35. الحيرتي عبد الرحمان، تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار، تح: عبد الرحيم عبد الرحمان عبد الرحيم، تق: عبد العظيم رمضان، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، مصر، 1997، ج1.
36. خليفة حاجي، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1999، ج2.
37. خير الدين بربروس، مذكرات خير الدين بربروس، تر وتتح: الدكتور محمد دراج، الأصالة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013، ط2.
38. الزباني أبو القاسم بن أحمد بن علي، الترجمانة الكبرى في أخبار العصور برا وبحرا، تح وتتح: عبد الكريم الفيلاي، دار النشر والمعرفة للنشر والتوزيع، الرباط، المغرب، 1991، ط1.
39. الزباني أبو القاسم، تحفة الحادي المطرب في رفع نسب الشرفاء بالمغرب، تح وتر: رشيد الزاوية، منشورات وزارة الأوقاف ووزارة الشؤون الإسلامية بالمملكة المغربية، مطبعة الأمانة، الرباط، 2008.
40. سحنون بن عثمان الوشريسي، تحرير المقال في الحمد لله والصلاة والسلام على سيد الارسال، تق وتتح: أبي عاصم بشير بن أبي بكر، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، 2009، ط1.
41. سيمون بفايفر، مذكرات جزائرية عشية الاحتلال، تر وتتح: أبو العيد دودو، دار هومه، الجزائر، 1998، ص 66.

42. الشفشاوني أبي الربيع سليمان الحوات، ثمرته أنسي في التعريف بنفسي (1160هـ-1231هـ/1747-1816م)، تح وتغ: عبد الحق الحمير، قرأه وأسهم في ضبطه: محمد مفتاح، مطبوعة الحداد يوسف إخوان (الهداية)، المملكة المغربية، 1996.
43. صالح العنثري، فريدة مؤنسة في حال دون الأتراك بلد قسنطينة، واستيلائهم على أوطانها المعروف بـ" تاريخ قسنطينة"، مر وتغ: يحيى بوعزيز، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1991.
44. ضياء الدين عبد العزيز الثميني، النيل وشفاء العليل، صححه وعلق عليه: عبد الرحمن بن عمر، دار النشر، الجزائر، 2003، ط1.
45. الطالب أحمد المصطفى بن طوير الجنة، رحلة المنى والمنة، تح: الدكتور حماد الله ولد السالم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2013، ط1.
46. عبد الرحمان بن زيان، الدرر الفاخرة بمآثر الملوك العلويين بفاس الزهراء، المطبعة الاقتصادية، الرباط، 1937.
47. عبد الرحمن الثعالبي، حياته وأعماله، تح: محمد فؤاد الخليل القاسمي الحسني، عالم المعرفة، الجزائر، 2011.
48. عبد الرحمن بن إدريس التنيلاني، رحلة الشيخ عبد الرحمن بن إدريس بن عمر بن عبد القادر التنيلاني إلى ثغر الجزائر عام 1231هـ/1816م، دراسة وتحقيق: خير الدين شترة، دار كردادة للنشر والتوزيع، بوسعادة، الجزائر، 2015، ط.خ.
49. عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة، تح: عبد السلام الشدادى، خزانة ابن خلدون ببيت الفنون والعلوم والآداب، الدار البيضاء، المغرب، 2005، ج3، ط1.
50. عبد الرحمن بن زيدان، إتحاف أعلام الناس بجمال حاضرة مكناس، تح: علي عامر، مكتبة الثقافة الدينية، شارع بورسعيد، القاهرة، ج2، ط1، 2008.
51. عبد الرحمن بن محمد المجاجي، رحلة المجاجي، تح: سعاد آل سيدي الشيخ، مركز جمعية المجاهد للثقافة والتراث، دبي، 2017، ط1.
52. عبد الرزاق ابن حمادوش، لسان المقال في النبأ عن النسب والحسب والحال المعروفة برحلة ابن حمادوش، تق وتغ: أبو القاسم سعد الله، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 1983، ج2.
53. عبد الرزاق البيطار، حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر، تح وتغ: محمد بهجت البيطار، دار صادر، بيروت، لبنان، 1993، ط2، ج2.
54. عبد القادر مسلم، أنيس الغريب والمسافر، تح وتغ: رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974.

55. عبد الكريم الفكون، منشور الهداية في كشف من ادعى العلم والولاية، تق وتح وتغ: أبو القاسم سعد الله، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1987، ط1.
56. علي بن محمد التمكروتي، النفحة المسكية في السفارة التركية 1589، تح وتغ: محمد الصالحي، ارتياد الآفاق، المغرب، 2007، ط1.
57. عمار حمداني، حقيقة غزو الجزائر، تر: لحسن زغدار، منشورات ثالة، الأبيار، الجزائر، 2008، ط2.
58. العياشي أبو سالم عبد الله بن محمد، الرحلة العياشية 1661-1663، " ماء الموائد"، تح وتغ: سعيد الفاضلي، وسليمان القرشي، دار السويدي للنشر والتوزيع، 2006، ج2، ط1.
59. فونتير دوباردي، الجزائر خلال القرن 18، تر: بوطبة لخضر، دار كوكب العلوم للنشر والطباعة والتوزيع، الجزائر، 2023.
60. القلصادي أبي الحسن علي، رحلة القلصادي، دراسة وتحقيق: محمد أبو الاجفان، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، 1978.
61. القلعي أبي عمر بن عثمان، قلعة بني راشد، مخطوط من نسخ البشير المحمودي، خزانة البشير المحمودي، البرج، معسكر، ورقة رقم: 06.
62. الكاساني أبو بكر مسعود، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، تح وتغ: الشيخ محمد علي معوض، والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2003، ج1، ط1.
63. محفوظات المركز الوطني للأرشيف الجزائري، بيت المال، دفتر التركات، رقم: 54، ورقم: 58.
64. محفوظات المركز الوطني للأرشيف الجزائري، بيت المال، دفتر المخلفات، رقم: 8، ورقم: 9.
65. محفوظات المركز الوطني للأرشيف الجزائري، بيت المال، دفتر المخلفات، رقم: 35، ورقم: 80.
66. محفوظات المركز الوطني للأرشيف الجزائري، سلسلة بيت البايك، علبة 10، السجل: 40 إلى 50، السنة: 1227-1228هـ/1812-1813.
67. محفوظات المركز الوطني للأرشيف الجزائري، سلسلة بيت البايك، علبة 10، السجل 40-50، وثائق رقم: 40-42-43.
68. محمد أبوراس الناصر المعسكري، الدرة الأنيفة في شرح العقيدة، تح وتغ: أحمد أمين دلاي، مركز البحث في الأنتربولون الاجتماعية والثقافية، الجزائر، 2007.
69. محمد أبوراس الناصر، الحلل السندسية في شأن وهران والجزيرة الأندلسية، تح: سليمة بنعمر، دار حنين للطباعة والنشر، ليبيا، 2002.
70. محمد أبوراس الناصر، الخبر المعرب عن الأمر المغرب المال والأندلس وثغور المغرب مخطوط بخزانة البشير محمودي بالبرج، معسكر، الجزائر.

71. محمد أبوراس الناصر، الشقائق النعمانية في شرح الروضة السلوانية في علم الصيد، دراسة وتحقيق: حمدان بن عمر، دار الكتب العلمية، بيروت، 1971.
72. محمد أبوراس الناصر، عجائب الأسفار ولطائف الأخبار، تق وتحر: محمد غانم، المركز الوطني للبحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية، وهران، الجزائر، 2005.
73. محمد أبوراس الناصر، فتح الإله ومنته التحدث بفضل ربي ونعمته، حققه وضبطه وعلق عليه: محمد بن عبد الكريم، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1982.
74. محمد أبوراس الناصر، نبأ الأيوان بجمع الديوان في ذكر صلحاء مدينة القيروان، تق وتحر: محمد الحبيب العلاني، سهيل الحبيب، منشورات مركز الدراسات الإسلامية، القيروان، تونس، 2012.
75. محمد الباجي بن أبي بكر المسعودي، الخلاصة النقية في أمراء إفريقية، تحر: محمد زينهم، محمد عزب، دار الآفاق العربية، ط1، القاهرة، 2012.
76. محمد البشير ظافر الأزهري، التواقيت الثمينة في أعيان مذهب المدينة، مطبعة الملاجئ العباسية، بغداد، 1324هـ.
77. محمد الضعيف الرباطي، تاريخ الضعيف، تاريخ الدولة السعيدة، تحر: أحمد العماري، دار المآثورات، الرباط، 1986.
78. محمد الكتاني، سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس، تحر: عبد الله الكتاني وآخرون، دار الثقافة، المغرب الأقصى، 1425هـ/2004م، ط1.
79. محمد أمين بن فضل الله بن محمد الحموي المحبي، خلاصة الأثر في القرن الحادي عشر، تحر: مصطفى وهبي، المطبعة الوهبية، مصر، 1284هـ، ج1.
80. محمد بن أبي بكر عبد القادر الرازي، مختار الصحاح، مكتبة لبنان، بيروت، 1989.
81. محمد بن أحمد الحضبكي، طبقات الحضبكي، تحر: أحمد بومزقو، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب الأقصى، 2006.
82. محمد بن الحاج محمد، الزاهر الباسم في ترجمة الإمام محمد بن أبي القاسم، المطبعة التونسية، تونس، 1308هـ.
83. محمد بن الطيب الحسني القادري، التقاط الدرر ومستفاد المواعظ والعبر من أخبار وأعيان المائة الحادية والثانية عشر، تحر: هاشم العلوي القاسمي، دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1983.
84. محمد بن الطيب الحسني القادري، نشر المثنائي لأهل القرن الحادي عشر والثاني عشر، تحر: محمد حجي وأحمد توفيق، دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، ج3، الرباط، 1978.

85. محمد بن رشيد السبتي، ملء العيبة بما جمع بطول الغيبة في الوجهة الوجهية إلى الحرمين مكة وطيبة، تقييد: أبي عبد الله محمد بن عمر بن رشيد الفهري السبتي، تق وتحت: محمد الحبيب بن الخوجة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1988، ج5.
86. محمد بن عبد الرحمن السخاوي، فتح المغيبيات بشرح ألفية الحديث، تح: علي حسين علي، مكتبة السنة، القاهرة، 1415هـ، ج3، ط1.
87. محمد بن عبد القادر الجزائري، تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر وأخبار الجزائر، المطبعة التجارية غرزوزي وجاويش، الإسكندرية، مصر، 1903، ج1.
88. محمد بن عبد الكريم الفقون، نوازل قسنطينة، تق وتحت: هوارى تواتي، وعائشة بلعابيد، دار الزيتون للنشر والتوزيع، الجزائر، 2018.
89. محمد بن عثمان السنوسي، مسامرة الظريف بحسن التعريف، تح: محمد الشاذلي النيفر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1994، ج1.
90. محمد بن عثمان المكناسي، الإكسير في فكاك الأسير، تح وتحت: محمد الفاسي، منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي، جامعة محمد الخامس، طبعة أكادال، الرباط، 1965.
91. محمد بن علي الشافعي الشنواني، حاشية علي مختصر ابن أبي جمرة للبخاري، مصطفى ألباني الحلبي وأولاده، مصر، 1935.
92. محمد بن غازي المكناسي، الروض الهتون في أخبار مكناسة الزيتون، تح: عبد الوهاب بن منصور، المطبعة الملكية، الرباط، المغرب، 1988، ط2.
93. محمد بن محمد بن عبد الرحمن الجيلاني بن رقية التلمساني، الزهرة النائرة فيما جرى في الجزائر حين أثار عليها ضوء الكفرة، ضبط وتعليق: خير الدين سعدي، أوراق ثقافية للنشر والتوزيع، جيجل، الجزائر، 2017، ط1.
94. محمد بن محمد بن عمر العدواني الجزائري، تاريخ العدواني، محرر: أبو القاسم سعد الله، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2015.
95. محمد بن محمد بن عمر بن قاسم مخلوف، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، علق عليه: عبد المجيد خيالي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2003، ج1.
96. محمد بن ميمون الجزائري، التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية، تح وتحت: محمد بن عبد الكريم، دار الوعي، الجزائر، 2018.
97. محمد بن يوسف الزياني، دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران، تح وتحت: الشيخ المهدي البوعبدلي، واعتنى به: عبد الرحمان دويب، دار المعرفة الدولية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013.
98. محمد حسين الذهبي، علم التفسير، دار المعارف، القاهرة، 1977.

99. محمد عبد العظيم الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، تح: فوزي أحمد زملي، دار الكتاب العربي، بيروت، 1995، ط1، ج1.
100. محي الدين النووي، منهاج الطالبين وعمدة المفتين، اعتنى به: محمد محمد طاهر شعبان، دار المنهاج للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1426هـ/2005م، ط1.
101. مرتضى الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، تح: عبد الستار أحمد فراج، دار الهداية للطباعة والنشر والتوزيع، الكويت، 1965.
102. مرعي بن يوسف الحنبلي، القول البديع في علم البديع، تح: محمد بن علي الصامل، كنوز اشبيليا، الرياض، 2004.
103. مسلم بن عبد القادر المشرفي، تاريخ بايات وهران المتأخرة أو خاتمة أنيس الغريب والمسافر، تح وتق: راجح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974.
104. المشرفي أبو حامد العربي، ياقوتة النسب الوهاجة وفي ضمنها التعريف بسيدي محمد بن علي مولى مجاجة، دراسة وتحقيق: بن عمر حمدادو، والعربي بوعمامة، دار قرطبة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011.
105. مؤلف مجهول، تاريخ مجيء الاسبانين في المرة الثانية والثالثة الى الجزائر، المكتبة الوطنية الجزائرية، مصلحة حفظ المخطوطات، رقم المخطوط 2285.
106. مؤلف مجهول، كتاب غزوات عروج وخير الدين، المحرر: نور الدين عبد القادر، مطبعة رودسي، الجزائر، 1934.
107. هانبسترايت، رحلة العالم الألماني ج أوهانبسترايت إلى الجزائر وتونس وطرابلس (1135هـ/1732م)، تر: ناصر الدين سعيدوني، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1982.
108. الهمذاني أبو الفضل بديع الزمان، مقامات، شرح وتعليق: محمد محيي الدين، المكتبة الأزهرية، مصر، 1923.
109. هنري دوغرامون، تاريخ الجزائر تحت الحكم التركي، تر: بوطبة لخضر، دار كوكب العلوم للنشر والطباعة والتوزيع، الجزائر، 2024.
110. الونشريسسي أبي العباس أحمد بن يحيى، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي أهل إفريقية والأندلس والمغرب، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية للمملكة المغربية، المغرب، 1981.
111. ويليام سبنسر، الجزائر في عهد رياس البحر، تح وتق: عبد القادر زبادية، دار القصة للنشر، الجزائر، 2007.
112. ويليام شالر، مذكرات قنصل أمريكا في الجزائر (1816-1824)، تق وتع: اسماعيل العربي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982.

المراجع

1. إبراهيم حركات، المغرب عبر التاريخ، دار الرشاد الحديثة، ج3، ط2، المغرب 1994.
1. إبراهيم عامر قنديلجي، ربحي مصطفى عليان، إيمان فاضل السامرائي، مصادر المعلومات من عصر المخطوطات إلى عصر الإنترنت، دار الفكر، عمان، 2000.
2. إبراهيم مياشي، مقاربات في تاريخ الجزائر (1830-1962)، دار هومه للنشر والطباعة والتوزيع، الجزائر، 2007.
3. ابن داهية، معسكر عبر التاريخ، دار الخلدونية، الجزائر، 2005.
4. أبو العيد دودو، الجزائر في مؤلفات الرحالين الألمان (1830-1855)، وزارة الثقافة، الجزائر، 1989.
5. أبو القاسم الحفناوي، تعريف الخلف برجال السلف، مطبعة بيبير فونتانا الشرقية، الجزائر، 1906، ج2.
6. أبو القاسم المصري عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم (ت 257هـ/ثمان و170م)، فتوح مصر والمغرب، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، 1415هـ.
7. أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، دار البصائر، الجزائر، 2007، ج1.
8. أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، عالم المعرفة، الجزائر، 2009، ج5.
9. أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية (1830-1900)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1992، ج1.
10. أبو القاسم سعد الله، الطبيب الرحالة (ابن حمادوش الجزائري)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982.
11. أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي (1500-1830)، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2007، ج2.
12. أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي 1830-1954، دار البصائر، الجزائر، 2007، ط.خ، ج4.
13. أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي من القرن 10 إلى القرن 14 (16-20م)، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 1985، ج1.
14. أبو القاسم سعد الله، تجارب في الأدب والرحلة، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983.
15. أبو القاسم سعد الله، على خطى المسلمين "حراك في التناقض"، عالم للمعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009.
16. أبو القاسم سعد الله، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث (بداية الاحتلال)، المركز الوطني للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982، ط2.
17. أبو عمران الشيخ، قضايا في الثقافة والتاريخ، منشورات ثالة، الأبيار، الجزائر، 2007، ط3.

18. أبو مصطفى كمال السيد، جوانب من الحياة الاجتماعية والاقتصادية والدينية والتعليمية في المغرب الإسلامي من خلال نوازل وفتاوي المعيار المعرب للونشريسي، مركز الإسكندرية للكتاب، الإسكندرية، 1996.
19. أحمد إسماعيل ياغي، الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث، مكتبة العبيكان، الرياض، السعودية، 1996، ط1.
20. أحمد إسماعيل ياغي، مصادر التاريخ الحديث ومناهج البحث فيه، مكتبة العبيكان، (كتاب إلكتروني)، الرياض، السعودية، 1999، ص38.
21. أحمد الشريف الأطرش، تاريخ الجزائر في خمسة قرون، البصائر الجديدة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013، ط1.
22. أحمد الشريف بوساحة، تصنيف العلوم عند مفكري المغرب الإسلامي، دار الأيام للنشر، عمان، 2016، ط1.
23. أحمد بحري، الجزائر في عهد الدايات "دراسة للحياة الاجتماعية إبان الحقبة العثمانية"، دار الكفاية، باب الزوار، الجزائر، 2002.
24. أحمد بن المبارك بن العطار، تاريخ بلد قسنطينة، تح وتو: عبد الله حمادي، دار الفائز للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2011.
25. أحمد توفيق المدني، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا، المؤسسة الوطنية للطباعة والنشر، الجزائر، 1984.
26. أحمد توفيق المدني، حياة كفاح، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1977، ج2.
27. أحمد توفيق المدني، محمد عثمان باشا داي الجزائر (1766-1791م)، دار البصائر، الجزائر، 2009.
28. أحمد شحلان، المخطوط العبري صورة من صور المعارف اليهودية الوسيطية في المخطوط العربي وعلم المخطوطات، جامعة محمد الخامس، الرباط، 1994.
29. أحمد عمر همشري، عليان ربحي مصطفى، المرجع في علم المكتبات والمعلومات، دار الشروق، عمان، 1997.
30. أحمد محمد المومني، أحكام التركات والمواريث، دار الميسرة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2009.
31. أحمد مريوش، الحياة الثقافية في الجزائر خلال العهد العثماني، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر، 2007.
32. أحميده عميراي، دراسات في تاريخ الجزائر الحديث، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2004.
33. أحميده عميراي، دور حمدان خوجة في تطوير القضية الجزائرية (1827-1840م)، مطابع دار البعث، قسنطينة، الجزائر، 1987، ط1.

34. ادريس بوهليلة، الجزائريون في تيطوان خلال القرن 13هـ/19م، مساهمة في التاريخ الاجتماعي المغربي، مطبعة الهداية، المغرب، 2012، ط1.
35. أديب حرب، التاريخ العسكري والإداري للأمير عبد القادر، دار الرائد، الجزائر، 2005، ج1، ط3.
36. أرجمنت كوران، السياسة العثمانية اتجاه الاحتلال الفرنسي للجزائر، تر: عبد الجليل التميم، منشورات الجامعة، التونسية، تونس، 1970.
37. إسماعيل العربي الصحراء الكبرى وشواطئها المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر 1983.
38. إسماعيل العربي، العلاقات الدبلوماسية بين دول المغرب والولايات المتحدة الأمريكية (1776-1816م)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1978.
39. إسماعيل باشا البغدادي، هدية العارفين - أسماء المؤلفين وآثار المصنفين مستكشف الظنون-، دار الفكر، بيروت، لبنان، 1982، مج 6.
40. أشرف عبد المحسن الشريف، الإدارة الحديثة للوثائق التاريخية: المعايير والإجراءات، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، مصر، 2011.
41. أشرف محمد الشريف، الأرشيف الوسيط ودوره في تقييم واختيار الأرشيف، مطبوعات مكتبة فهد الوطنية، الرياض، السعودية، 2008.
42. إلترا عزيز سامح، الأتراك العثمانيون في شمال إفريقيا، تر: محمود علي عامر، دار النهضة العربية للنشر، لبنان، 1989.
43. الأمير بوغدادة، المؤسسات في الجزائر أواخر العهد العثماني (القضاء أنموذجا) "1185هـ-1235هـ/1771-1837م"، مطبوعات الكتاب والحكمة، الجزائر، 2009.
44. أنور غني الموسوي، تلخيص موجز البلاغة، دار أقواس للنشر، العراق، 2020.
45. إياد خالد الطباع، الوجيز في أصول البحث والتأليف، منشورات وزارة الثقافة، سوريا، 2006.
46. أيمن فؤاد سيد، الكتاب العربي المخطوط وعلم المخطوطات، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، 1997، ج1.
47. باسمه كيال، تطور المرأة عبر التاريخ، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1981.
48. بسام العسلي، الجزائر والحملات الصليبية 1541-1791م، دار النفائس، بيروت، 1986، ط3، ج2.
49. بلهاشمي بن بكار، كتاب مجموع الحسب والنسب والفضائل والتاريخ والأدب، مطبعة ابن خلدون، تلمسان، الجزائر، 1961.
50. بوعزة بوضارسية وآخرون، الجرائم الفرنسية والابادة الجماعية في الجزائر خلال القرن 19م، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة نوفمبر 1954، الجزائر، 2007.
51. بوعزة بوضارسية، الحاج أحمد باي الشرق الجزائري رجل دولة ومقاومة (1830-1848)، دار الحكمة، الجزائر، 2010.

52. التهامي غيتاوي مولاي، سلسلة النواة، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2005، ج2.
53. جان عبد الله توما، تحقيق المخطوطات العربية، المؤسسة الحديثة للكتاب، لبنان، 2010، ط1.
54. جلال يحي، تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، مصر، 1999.
55. جمال الخولي، الوثائق الإدارية بين النظرية والتطبيق، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، 1993.
56. جمال قتان، معاهدات الجزائر مع فرنسا 1619-1830، وزارة المجاهدين، ط خاصة، المؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2007.
57. حاج أحمد الصديق، التاريخ الثقافي لإقليم توات بأدرار، مديرية الثقافة لولاية أدرار، أدرار، الجزائر، 2006.
58. حسام محمد عبد المعطي، المغاربة في مصر خلال القرن الثامن عشر، تق: إسماعيل سراج الدين، مكتبة الإسكندرية، مصر، 2015.
59. الحسن الشاهدي، أدب الرحلة بالمغرب في العصر المريني، منشورات عكاظ للنشر والتوزيع، الرباط، 1990، ج1.
60. حقي العظيم، تاريخ حرب الدولة العثمانية مع اليونان، مطبعة الشرقي، القاهرة، 1902، ط1.
61. حمدي باشا عمر، نقل الملكية العقارية، دار هومة، الجزائر، 2002.
62. حمودة بن محمد بن عبد العزيز، التاريخ الباشي، تح: محمد ماضور، الدار التونسية للنشر، تونس، 1970، ج1.
63. حنفي هلايلي، أوراق في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، دار الهدى، ط1، عين مليلة، الجزائر، 2008.
64. خالد بن عبد الله العتيبي، الجوهر المنشور، مكتبة الملك فهد الوطنية للنشر، الرياض، 2012، ط1.
65. خليفة حماش، العلاقات بين إيالة الجزائر والباب العالي (1798-1830م)، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الإسكندرية، مصر، 1988.
66. خليفة حماش، أهمية المصطلحات التركية في دراسة التاريخ والحضارة الإسلامية، منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، تونس، 1997، ج1.
67. خير الدين بال محمود بين محمد بن علي بن فارس الزركلي الدمشقي، الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، 2002، ج1، ط15.
68. خير الدين شترة، الطلبة الجزائريون بجامع الزيتونة 1900-1956، دار كردادة، الجزائر، 2013، ط3، ج1.
69. دكددة الأرقش، عبد الحميد الأرقش، جمال بن طاهر، المغرب العربي الحديث من خلال المصادر، مركز النشر الجامعي ميديا كوم، تونس، 2003.
70. ربحي مصطفى عليان، مصادر المعلومات من عصر المخطوطات إلى عصر الإنترنت، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، عمان، 2000.

71. رشاد الإمام، سياسة حمودة باشا في تونس 1782-1814م، منشورات الجامعة التونسية، تونس، 1980.
72. رقية شارف، الكتابات التاريخية الجزائرية الحديثة خلال القرن 18 وبداية القرن 19م (دراسة تحليلية نقدية)، دار الملكية، الجزائر، 2007.
73. رقية شارف، المصادر الجزائرية المعاصرة لفتح وهران الأول 1118هـ/1708م، والثاني 1206هـ/1792م، دار كواكب العلوم للنشر والطباعة والتوزيع، الجزائر، 2023.
74. رولد ولفو ميكاي، طرابلس الغرب تحت حكم الأسرة القرمانيّة، تر: طه فوزي، دار الفرجاني طرابلس، ليبيا (د.س.ن).
75. زوليخة سماعيل، المولودة علوش، تاريخ الجزائر من فترة ما قبل التاريخ الى الاستقلال، دار أرزيو أنفو، الجزائر، 2013، ط1.
76. زين العابدين شمس الدين نجم، تاريخ الدولة العثمانية، دار الميسرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان، 2010، ط1، ص 109.
77. سالم عبود الألوسي، محمد محبوب مالك، الأرشيف (تاريخه، أصنافه، إدارته)، مطبوعات الفرع الإقليمي العربي للوثائق، بغداد، 1979.
78. سلمى نوار، فن صناعة المخطوط الفارسي، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، مصر، 2001.
79. سلوى سعد الغالي، العلاقات العثمانية الأمريكية (1830-1918)، مكتبة مديولي، القاهرة، مصر، 2002.
80. سلوى علي ميلاد، وثائق أهل الذمة في العصر العثماني وأهميتها التاريخية، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 1983.
81. سمير محمود سرتقيدة، المدخل إلى دراسة علوم الأرشيف والأرشيف، دار الثقافة العلمية، لبنان، 2015.
82. سهيل صابان، فرمانات العثمانية، دار الملك عبد العزيز، أنقرة، 2003.
83. السيد عبد الرزاق كمونة الحسني، موارد الاتحاد في نقباء الأشراف، مطبعة الأدب في النجف، العراق، 1968، ج1.
84. شارل هنري تشرشل، حياة الأمير عبد القادر، تر: أبو القاسم سعد الله، الدار التونسية للنشر، تونس، 1975.
85. شاوش محمد بن رمضان، الغوثي بن حمدان، إرشاء الحائر إلى آثار أدباء الجزائر أو الأدب العربي الجزائري عبر النصوص المرتبة ترتيبا تاريخيا من الفتح العربي إلى عصرنا، دار البصائر، الجزائر، 2011، ج1.
86. الشريف كمال دحومان الحسني، أشراف الجزائر ودورهم الحضاري في المجمع الجزائري، دار الخلدونية، الجزائر، 2009، ط1.

87. شوفالييه كورين، الثلاثون سنة الأولى لقيام دولة مدينة الجزائر 1510-1540، تر: جمال حمادنة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007.
88. شوقي عطا الله الجمل، المغرب العربي الكبير في العصر الحديث، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1988.
89. شوقي مصطفى علي الموسوي، القيم الجمالية للأشكال الهندسية في المخطوطات القرآنية، منشورات جامعة بابل، العراق، 2013.
90. الصادق بن عبد الرحمن الغرياني، تحقيق نصوص التراث في القديم والحديث، دار ابن حزم، لبنان، 2006.
91. صالح عباد، الجزائر خلال الحكم التركي 1514-1830، دار هوم، الجزائر، 2012.
92. صالح فركوس، المختصر في تاريخ الجزائر 814 ق.م إلى 1962م، دار العلوم للنشر والتوزيع، الجزائر، (د.ت.ن).
93. الصديق حاج أحمد، التاريخ الثقافي لإقليم توات، منشورات مديرية الثقافة، أدرار، 2005.
94. صلاح الدين الشامي، الرحلة عين الجغرافيا المبصرة، منشأة المعارف للنشر والتوزيع، الإسكندرية، 1999، ط2.
95. صلاح الدين المنجد، قواعد تحقيق المخطوطات، دار الكتب الجديدة، بيروت، لبنان، 1970.
96. ضيف شوقي، تاريخ الأدب العربي، دار المعارف، القاهرة، 1995، ج10.
97. الطاهر جنان، مازونة عاصمة الظهرة وثغر حربي ومركز إشعاع حضاري، دار الرشاد، سيدي بلعباس، الجزائر، 2005.
98. عابد سليمان المشوخي، المخطوطات العربية، مكتبة المنار، الأردن، 1989.
99. عابدين ابن حنفية، أبوراس الناصر المعسكري حياته تصوفه من كتابه الحاوي، مكتبة الرشاد للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2005.
100. عاطف جودة نصر، شعر عمر بن الفارض دراسة في فن الشعر الصوفي، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1986، ط1.
101. عباس كحول، زوايا الزيبان والعزوية مرجعية علم وجهاد، دار علي بن زايد للطباعة والنشر، بسكرة، الجزائر، 2013، ط1.
102. عباس هاني الجراح، المقامات العربية وآثارها في الآداب العالمية، الرضوان للنشر والتوزيع، مؤسسة دار الصادق الثقافية طبع-نشر-توزيع، 2014.
103. عبد الثواب رمضان، المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، مكتبة الخانجي للنشر، القاهرة، د.ت.

104. عبد الجليل التميمي، بحوث ووثائق في تاريخ المغرب-تونس-الجزائر-ليبيا من 1818-1871م، ط1، الدار التونسية للنشر، تونس، 1972.
105. عبد الجليل التميمي، سجل صالح باي للأوقاف (1185-1207هـ/1771-1792م)، تح: فاطمة الزهراء قشي، ط2، دار مداد، الجزائر، 2013.
106. عبد الحق معروز، لخصر درياس، جامع الكتابات الأثرية العربية بالجزائر كتابات المشرق الجزائري، منشورات المتحف الوطني للآثار القديمة، مطبعة سومر، بئر خادم، الجزائر، 2000، ج 1.
107. عبد الحميد بكري، النبذة في تاريخ توات وأعلامها، مطبعة الطباعة العصرية، الجزائر، 2010.
108. عبد الحميد هنية، تونس العثمانية بناء الدولة والمجال من القرن السادس عشر إلى منتصف القرن التاسع عشر، منشورات تبر الزمان، تونس، 2012.
109. عبد الخالق عبد الرحمان، الزواج في ظل الإسلام، الدار السلفية، الكويت، 1988.
110. عبد الرحمان بن أحمد التيجاني، الكتابات القرآنية بندرومة من 1900 إلى 1977، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983.
111. عبد الرحمن الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، دار الثقافة، بيروت، لبنان، 1983، ج3.
112. عبد الرحمن الجيلالي، تاريخ المدن الثلاث الجزائر، المدينة، مليانة، وزارة الثقافة، الجزائر، 2005.
113. عبد السلام ابن سودة، دليل مؤرخ المغرب الأقصى، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1418هـ/1997م، ط1.
114. عبد العزيز بن محمد مسفر، المخطوط العربي وشيء من قضاياه، دار المريخ للنشر، القاهرة، مصر، 1999، ط1، ص69.
115. عبد العظيم رمضان، مذكرات الزعماء السياسيين في مصر (1891-1981)، مكتبة مدبولي، القاهرة، مصر، 1989، ط2.
116. عبد الفتاح القاضي، البذور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة عن طريقي الشاطبية والدرة، دار الكتاب العربي، بيروت، 1981، ط1.
117. عبد القادر حليمي، مدينة الجزائر، نشأتها وتطورها قبل 1830، دار الفكر الاسلامي، الجزائر، 1972، ط1.
118. عبد القادر فكاير، الغزو الاسباني للسواحل الجزائرية وآثاره (1505-1792)، دار هومه لطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2012.
119. عبد القادر فكاير، علاقات الجزائر مع البرتغال خلال الفترة العثمانية، المركز الجامعي بخميس مليانة، الجزائر (د.س.ن).

120. عبد القادر نور الدين، صفحات في تاريخ الجزائر (مدينة الجزائر من أقدم عصورها إلى انتهاء العهد التركي)، مطبعة البعث، قسنطينة، 1965، ط2.
121. عبد الكريم عوفي، قراءة في فهرس إدمون فانيان لمخطوطات المكتبة الوطنية وأثره في صناعة الفهرسة في الجزائر، جامعة باتنة، الجزائر، 2004.
122. عبد الله بن مسلم بن قتيبة، المعارف دار الكتب العلمية، بيروت، 1407هـ، ط1.
123. عبد الله حشلاف بن علي، سلسلة الأصول في شجرة أبناء الرسول، المطبعة التونسية، تونس، 1929.
124. عبد الله فياض، الإجازات العلمية عند المسلمين، مطبعة الإرشاد، بغداد، العراق، 1967، ط1.
125. عبد المالك بن السبتي، زهير حافظي، تطبيقات تكنولوجيا المعلومات في مراكز الأرشفة، دار بهاء الدين للنشر والتوزيع، قسنطينة، 2011.
126. عبد الملك مرتاض، أدب المقاومة الوطنية في الجزائر 1830-1962، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر، (د.ت.ن)، ج2.
127. عبد المنعم القاسمي الحسني، زاوية الهامل مسيرة قرن من العطاء والجهاد (1862-1962)، دار الخليل، بوسعادة، 2013، ط2.
128. عبد الهادي التازي، ابن بطوطة أمير الرحالة، الدار العربية للنشر، الكويت، 2002، ط1.
129. عبد الهادي التازي، رحلة الرحلات مكة في مائة رحلة مغربية ورحلة، مراجعة: عباس صالح طاشكندي، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، مكة، 2005، ج1.
130. عثمان الكعاك، موجز التاريخ العام للجزائر من العصر الحجري إلى الاحتلال الفرنسي، تق و مر: أبو القاسم سعد الله، ناصر الدين سعيدوني، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2003.
131. عز تلو يوسف بك آصاف، تاريخ سلاطين بني عثمان من أول نشأتهم حتى الآن، تق: محمد زينهم ومحمد عزت، مكتبة مدبولي، مصر، 1995، ط1.
132. عزيز سامح إلترا، الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية، تر: محمود علي عامر، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، 1989، ط1.
133. علال الفاسي، مقاصد الشريعة الإسلامية ومكارمها، منشورات مؤسسة علال الفاسي، الرباط، 2008، ط5.
134. علي بن محمد الجرجاني، التعريفات، دار القلم، بيروت، لبنان، 1984.
135. علي تابليت، الرايس حميدو أميرال البحرية الجزائرية 1770-1815، منشورات ثالة، الأبيار، الجزائر، 2006.
136. علي تابليت، العلاقات الجزائرية الأمريكية 1776-1830، منشورات ثالة، الأبيار، الجزائر، 2013، ج1.

137. علي خلاصي، الجيش الجزائري الحديث، دار الحضارة، الجزائر، 2007، ط1.
138. علي محمد الصلابي، كفاح الشعب الجزائري منذ الاحتلال الفرنسي، دار المعرفة، لبنان، 2015.
139. عمار بن خروف، العلاقات السياسية بين الجزائر والمغرب في القرن العاشر الهجري والسادس عشر ميلادي، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2006.
140. عمار بوحوش، التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1997.
141. عمار عمورة، الجزائر بوابة التاريخ من قبل التاريخ إلى غاية 1969، دار المعرفة، الجزائر، 2009.
142. عمار هلال، العلماء الجزائريون في البلدان العربية الإسلامية في ما بين القرنين التاسع عشر والعشرين الميلاديين (14/3هـ)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995.
143. عمر إسماعيل، ضياء الدين الشيخ عبد العزيز الثميني اليسجيني، جمعية أبي إسحاق اطفيش لخدمة التراث، غرادية، 1999.
144. عمر بن قينة، اتجاهات الرحالة الجزائريين في الرحلة العربية الحديثة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1996.
145. عمر عبد العزيز عمر، دراسات في التاريخ الأوربي والأمريكي الحديث، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، 1992.
146. العمري بلادة، الرحلات الجزائرية الحجازية "الرحلة الورثانية أنموذجا" دفاتر مخبر الشعرية الجزائرية، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، الجزائر، 2016، مج1، ع2.
147. عواطف محمد يوسف نواب، كتب الرحلات المغربية والأندلسية (دراسة تحليلية مقارنة)، مكتبة الملك فهد، الرياض، 1996.
148. الغالي غربي وآخرون، العدوان الفرنسي على الجزائر الخلفيات والابعاد، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة نوفمبر 1954، دار هوم، الجزائر، د.ت.
149. فاضل صالح السامرائي، معاني النحو، دار الفكر، القاهرة، مصر، 2000، ج1.
150. فاطمة بوعمامة، اليهود في المغرب الإسلامي خلال القرنين 14-15 م، مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011.
151. فر أنزوز نتال، علم التاريخ عند المسلمين، تر: صالح أحمد العلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1983، ط2.
152. فرج محمود فرج، إقليم توات خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1984.

153. فضيل جميل كليب، محمد خليل عبيد، المخطوطات العربية فهرستها علميا وعمليا، دار جرير، عمان، 2006، ط1.
154. فضيلة تكور، رصيد الفترة العثمانية ومن وثائق الأوقاف بالأرشيف الوطني الجزائري، دراسات إنسانية، جامعة الجزائر، الجزائر، 2001 - 2002، عدد خاص بأعمال ندوة حول الوقف في الجزائر أثناء القرنين الثامن عشر والتاسع عشر.
155. فلنزي لوسات، المغرب العربي قبل احتلال الجزائر (1790-1830)، تر: جمادي الساحلي، سراس للنشر والتوزيع، تونس، 1994.
156. فؤاد قنديل، أدب الرحلة في التراث العربي، مكتبة الإسكندرية، القاهرة، مصر، 2002، ط2.
157. فوزي سعد الله، يهود الجزائر هؤلاء المجهولون، دار الأمة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2004.
158. قويدر قيداري، أولاد نهار الولي الصالح والشيخ الناصر سيدي يحيى بن صفية، دار الآفاق للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2019.
159. كارل بركلمان، تاريخ الأدب العربي، نقله إلى العربية: يعقوب بكر، ورمضان عبد التواب، دار المعارف، مصر، 1975.
160. كرم حلمي محمد فرحات، علم المخطوط العربي، مكتبة العربي للمعارف، القاهرة، مصر، 2019.
161. لخضر حشلاف، الرحلة المغربية قضايا وظواهر، دار الضحى للنشر والإشهار، الجزائر، 2017، ط1.
162. مبارك بن الصافي جعفري، العلاقات الثقافية بين التوات والسودان الغربي خلال القرن 12هـ، دار السبيل للطباعة، الجزائر، 2009.
163. مبارك بن محمد الملي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، المؤسسة الوطنية للكتابة الجزائر، 2009.
164. مبارك بن محمد الملي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، مكتبة النهضة الجزائرية، الجزائر، 1964، ج3.
165. محمد إبراهيم السيد، مقدمة في تاريخ الأرشيف ووحداته، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، 1987.
166. محمد أسامة زيد، منهل الظمان لانصاف دولة آل عثمان، دار ابن رجب، القاهرة، 2012، ج1.
167. محمد البشير الإبراهيمي، عيون البصائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، (د.ت. ن).
168. محمد السرياقوسي، التعريف بالمنطق الصوري، دار الكتب الجامعية، الإسكندرية، مصر، 1975.
169. محمد الصالح الصديق، أعلام المغرب العربي، موفم للنشر، الجزائر، 2008، ج1.
170. محمد الطيب عقاب، حمدان خوجة رائد التجديد الإسلامي، صدر عن وزارة الثقافة، الجزائر، 2007.
171. محمد العربي الزبيري، التجارة الخارجية للشرق الجزائري، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1972.

172. محمد العربي الزبيري، مدخل إلى تاريخ المغرب العربي الحديث، المؤسسة الجزائرية للطباعة والنشر، الجزائر، 1975.
173. محمد المنوني، ورقات عن حضارة المرينيين، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 2000، ط3.
174. محمد المهدي بن علي شغيث، أم الحواضر في الماضي والحاضر (تاريخ مدينة قسنطينة)، مطبعة البعث، قسنطينة، الجزائر، 1980.
175. محمد باي بلعالم، الرحلة العلية إلى منطقة توات لذكر بعض الأعلام والآثار والمخطوطات والعادات وما يربط توات من الجهات، مطبعة دار هومة، الجزائر، 2005.
176. محمد باي بلعالم، الغصن الداني في ترجمة حياة الشيخ عبد الرحمن بن عمر التينلاني، مطبعة دار هومة، الجزائر، (د.ت.ن).
177. محمد بسكر، أعلام الفكر الجزائري من خلال آثارهم المخطوطة، دار كردادة، بوسعادة، 2013، ج1.
178. محمد بن حسين بن عقيل موسى الشريف، المختار من الرحلات الحجازية إلى مكة والمدينة المنورة، دار الأندلس الخضراء، جدة، المملكة العربية السعودية، 2000، مج1، ط1.
179. محمد بن رزق بن طرهوني، التفسير والمفسرون في غرب إفريقيا، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، السعودية، 1426هـ، ط1، ج1.
180. محمد بن رمضان شاوش والغوثي محمد، إرشاد الحائر إلى آثار أدباء الجزائر، المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر، الجزائر، 2002، ج3.
181. محمد بن شريفة، حول ترميم المخطوطات في المغرب، صيانة وحفظ المخطوطات الإسلامية، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، لندن، 1995.
182. محمد خير فارس، تاريخ الجزائر الحديث من الفتح العثماني إلى الاحتلال الفرنسي، مكتبة الشروق، سوريا، 1979، ط2.
183. محمد داود، مختصر تاريخ تطوان، المطبعة المهدية، المغرب، 1955.
184. محمد زروال، العلاقات الجزائرية الفرنسية (1791-1830م)، المؤسسة الوطنية المطبعية، الجزائر، 2009.
185. محمد سعيدي، الأدب الشعبي بين النظرية والتطبيق، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1998.
186. محمد سي يوسف، نظام التعليم في بلاد الزواوة بإيالة الجزائر خلال العهد العثماني، جمع وتقديم: عبد الجليل التميمي، منشورات الدراسات والبحوث المورسكية والتوثيق والمعلومات، تونس، 1990، ط1.
187. محمد شحيش، تاريخ الجزائر من خلال المسكوكات (العملة-الأسعار-المداخل)، دار القصب للنشر، تلمسان، الجزائر، 2009، ج1.

188. محمد عبد الجواد شريف، وسائل الإيضاح بالمكتبات ومراكز مصادر المعلومات، دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع، كفر الشيخ، مصر، 2008.
189. محمد عبد السلام هارون، تحقيق النصوص ونشرها، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، 1998، ط7.
190. محمد عزام، المصطلح النقدي في التراث الأدبي العربي، دار المشرق العربي، حلب، سوريا، (د.ت.ن).
191. محمد علي الصابوني، المواريث في الشريعة الإسلامية في ضوء الكتاب والسنة، دار الصابوني للنشر والتوزيع، القاهرة، 2002.
192. محمد عيساوي ونبيل شرخي، الجرائم الفرنسية في الجزائر أثناء الحكم العسكري (1830-1871)، مؤسسة شطبي للنشر والتوزيع، بوزريعة، الجزائر، 2015.
193. محمد فريد بك، تاريخ الدولة العلية العثمانية، تح: احسان حقي، دار النفائس، بيروت، 1981، ط1.
194. محمد قاسم، محي الدين ديب، علوم البلاغة، المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس، ليبيا، 2003..
195. محمد محفوظ، تراجم المؤلفين التونسيين، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1982، ط1، ج2.
196. محمود براهيم، العلامة محمد بن علي السنوسي الجزائري مجتهدا ومجاهدا (1788-1859)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2009.
197. مراد أبو الخير، المختصر من كتاب نشر النور والزهر في تراجم أفاضل مكة من القرن العاشر إلى القرن الرابع عشر، تح: محمد سعيد العامودي، وأحمد علي، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، جدة، 1406هـ/1986م.
198. مسعود كواتي ومحمد الشريف سيدي موسى، أعلام مدينة الجزائر ومنتجة، منشورات الحضارة، الجزائر، 2010.
199. مسلم بن عبد القادر الوهراني، تاريخ بايات وهران المتأخر أو خاتمة أنيس الغريب والمسافر، ت: رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974.
200. مصطفى أحمد بن حموش، المدينة والسلطة في الإسلام نموذج الجزائر في العهد العثماني، دار البشائر، دمشق، سوريا، 1999.
201. مصطفى الغاشي، الرحلة المغربية والشرق العثماني، دار الانتشار العربي، لبنان، 2015، ط1.
202. مصطفى خياطي، الطب والأطباء في الجزائر العثمانية، وحدة ENAL الروبية للطباعة، الجزائر، 2003.
203. مصمودي فوزي، العلامة الموسوعي عبد الرحمن الأخضرى شخصيته ومواقفه، دار مقوم للنشر، الجزائر، 2005.
204. المنور مروش، دراسات عن الجزائر في العهد العثماني (العملة، الأسعار، المداخل)، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2009، ج1.

205. المهدي البوعبدلي، الحياة الثقافية بالجزائر، دار المعرفة، الجزائر، 2013.
206. موسى الحسني السيد المازندارلي، تاريخ النقود الإسلامية، دار العلوم للنشر والتوزيع، القاهرة، 1988.
207. مولاي التهامي غيتاوي، سلسلة النواة في أبرز الشخصيات من علماء وصالحى إقليم توات، منشورات الشركة الوطنية للنشر والإشهار، الجزائر، 2005، ج2.
208. مولاي بلحميسي، الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981، ط2.
209. مولاي بلحميسي، مازونة مقصد الدارسين وقلعة الخليليين، منشورات المجلس العلمي، الجزائر، 2005.
210. مولاي بلحميسي، مدينة المدية عبر العصور في تاريخ المدن الثلاث، الجزائر، المدية، مليانة، إعداد وتعليق: عبد الرحمن الجبالي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، (د.ت.ن).
211. مولود قاسم نايت بلقاسم، شخصية الجزائر الدولية وهيبته العالمية قبل سنة 1830، دار الأمة، الجزائر، 2007، ط1، ج1.
212. مؤيد صلاح العقبي، الطرق الصوفية والزوايا بالجزائر تاريخها ونشاطها، دار البراق، بيروت، 2015.
213. ناصر الدين سعيدوني، أساسيات منهجية التاريخ، دار القصة (ن ط ت)، الجزائر، 2000.
214. ناصر الدين سعيدوني، الحياة الريفية بإقليم مدينة الجزائر (دار السلطان) أواخر العهد العثماني (1791-1830م)، البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013.
215. ناصر الدين سعيدوني، المهدي البوعبدلي، الجزائر في التاريخ "العهد العثماني"، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ج4، ص 32.
216. ناصر الدين سعيدوني، النظام المالي للجزائر في الفترة العثمانية (1800-1830)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1979.
217. ناصر الدين سعيدوني، دراسات في ملكية الوقف والجباية في الفترة الحديثة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 2001، ط1.32.
218. ناصر الدين سعيدوني، من التراث التاريخي والجغرافي للغرب الإسلامي "تراجم مؤرخين ورحالة جغرافيين"، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1999، ط1.
219. ناصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، دار البصائر، الجزائر، 2008.
220. نصر الدين براهيم، تلمسان الذاكرة، نص سيدي محمد نقادي، منشورات ثالة، الجزائر، 2007.
221. نصرالدين براهيم، تاريخ مدينة الجزائر في العهد العثماني، نص وتعليق: علي تابليت، منشورات ثالة، الجزائر، 2010.

222. نواف عبد العزيز الحجمة، رحالة الغرب الإسلامي وصورة المشرق العربي (6هـ-8هـ/12م/14م)، دار
السويدي للنشر والتوزيع، الإمارات، 2008، ط1.
223. نوال عبد الرحمن الشوابكة، أدب الرحلات الأندلسية والمغربية حتى نهاية القرن التاسع الهجري، دار
المأمون للنشر والتوزيع، عمان، 2008، ط1.
224. نور الدين عبد القادر، صفحات من تاريخ مدينة الجزائر من أقدم عصورها إلى انتهاء العهد التركي، دار
الحضارة، الجزائر، 2006.
225. نيقولا زيادة، الجغرافيا والرحلات عند العرب، الشركة العالمية للكتاب، بيروت، 1987، (د.ط.).
226. هلايلي حنفي، أوراق في تاريخ الجزائر خلال العهد العثماني، دار الهدى، الجزائر، 2009.
227. هنري علاق، مذكرات جزائرية (ذكريات الكفاح والأمل)، دار القصة للنشر، الجزائر، 2017، ط1.
228. يحي بوعزيز، أعلام الفكر والثقافة، في الجزائر المحروسة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1995، ج1،
ط1.
229. يحي بوعزيز، المراسلات الجزائرية الإسبانية في أرشيف التاريخ الوطني لمدريد (1780-1798م)، دار
البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009.
230. يحي بوعزيز، الموجز في تاريخ الجزائر (الجزائر الحديثة)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،
2009، ط2، ج2.
231. يحي بوعزيز، مدن تاريخية "وهران"، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الرغاية، الجزائر، 1985م.
232. يحي بوعزيز، موضوعات وقضايا عن تاريخ الجزائر والعرب، دار الهدى، الجزائر، 2013.
233. يحيى بوعزيز، المساجد العتيقة في الغرب الجزائري، منشورات الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر،
2002، ط1.
234. يلماز أوزوتونا، المدخل إلى التاريخ التركي، تر: أرشد هرمزي، الدار العربية للموسوعات، بيروت،
2005.
235. يمينه درياس، السكة الجزائرية في العهد العثماني، دار الحضارة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر،
2009، ط1.
236. يوسف أرشيد، الكتاب الإسلامي المخطوط تدوينا وتحقيقا، مطابع المؤسسة الصحفية الأردنية، عمان
(د.ت.ن.).
237. يوسف الكتاني، مدرسة الإمام البخاري في المغرب، دار لسان العرب، بيروت، (د.ت.ن.)، ج4.
238. يوسف نور عوض، فن المقامات بين المشرق والمغرب، دار القلم، بيروت، 1979، ط1.

ثانياً: المعاجم والفهارس والموسوعات

1. إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، مصر، 2015.
2. ابن ثغري بردي، المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي، تح: محمد أمين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1986، مج1.
3. أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، مقاييس اللغة، تح: عبد السلام هارون، اتحاد الكتاب العرب، سوريا، 2002، ج1، ط2.
4. أبو الفضل جمال الدين ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، 1994، مج11.
5. أبو عمران الشيخ، ناصر الدين سعيدي، معجم مشاهير المغاربة، المؤسسة الجزائرية للطباعة، الجزائر، 1995.
6. أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تح: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 1407هـ/1987م، ج3، ط4.
7. أحمد توفيق المدني، الفهرس التحليلي للوثائق التاريخية الجزائرية للرصيد العثماني (1058 - 1279) (1648 - 1862)، المديرية المركزية للأرشيف الوطني الجزائري، الجزائر، 1980.
8. أحمد شوقي بنين، مصطفى طوبي، معجم مصطلحات المخطوط العربي "قاموس كودي كولوجي"، المطبعة والوراقة الوطنية، ط1، مراكش، المغرب، 2003.
9. أحمد مختار وآخرون، معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، القاهرة، 2008، مج1، ط1.
10. بشير ضيف بن أبي بكر الجزائري، فهرست معلمة التراث الجزائري بين القديم والحديث نماذج متنوعة للمعلوم والمجهول.
11. بطرس البستاني، دائرة المعارف "قاموس عام لكل فن ومطلب"، مطبعة المعارف، بيروت، 1884، مج8، (د.ط).
12. بطرس البستاني، محيط المحيط، مكتبة لبنان، بيروت، 1977.
13. خليفة محمد التليسي، النفيس من كنوز القواميس (صفوة المتن اللغوي من تاج العروس ومراجعته الكبرى)، الدار العربية للكتاب، طرابلس الغرب، ليبيا، 2000، مج2.
14. الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، تح: مهدي المخزومي، وإبراهيم السامرائي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، 1995، ج4.
15. خير الدين الزركلي، الاعلام، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 1986، ج1، ط7.

16. سهيل صابان، المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية، مر: عبد الرزاق محمد حسن بركات، السلسلة الثالثة، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، المملكة العربية السعودية، 2000.
17. السيد الشريف الجرجاني، معجم التعريفات، تحقيق ودراسة محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة للنشر والتوزيع والتصدير، القاهرة، 2004.
18. سيد حسب الله، أحمد محمد الشامي، الموسوعة العربية لمصطلحات علوم المكتبات والمعلومات والحاسبات، المكتبة الأكاديمية، القاهرة، 2001، مج1.
19. شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت الحموي، معجم البلدان، دار صادر، مج5، بيروت، 1977.
20. الشيخ أبو عمران، معجم مشاهير المغاربة، المؤسسة الجزائرية للطباعة والنشر، الجزائر، 1995.
21. الصادق الزملي، أعلام تونس، تق وتغ: حمادي الساطي، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1986، ط1، ج2.
22. عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، دار الوعي للنشر والتوزيع، الجزائر، 2015، ط1.
23. عبد الحي الكتاني، فهرس الفهارس والإثبات ومعجم المعاجم والمشيكات والمسلسلات، اعتناء: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2013، ج1.
24. عبد العزيز بن عبد الله، الموسوعة المغربية للأعلام البشرية والحضارية، مطبوعات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب الأقصى، 2013.
25. عبد العزيز بن محمد السويلم، وآخرون، معجم مصطلحات العلوم الشرعية، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، السعودية، 2017، ج1، ط2.
26. عبد الغفور عبد الفتاح قاري، معجم مصطلحات المكتبات والمعلومات (إنجليزي - عربي)، مكتبة الملك فهد، الرياض، 2000.
27. عبد المجيد بن نعيمة، محمد بن معمر، وآخرون، موسوعة أعلام الجزائر (1830-1954م)، منشورات م.و.د.ب في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر، 2007، ط خ.
28. عمر كحاله، معجم المؤلفين، مكتبة المثنى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت.ن، مج10.
29. فاطمة صاري وآخرون، الفهرس العددي للرصيد العثماني، سلسلة بيت المال والبايلك، الأرشيف الوطني، الجزائر، 1991، ج2.
30. كامل المهندس ومجدي وهبة، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب العربي، مكتبة لبنان، بيروت، لبنان، 1984، ط2.
31. لويس معلوف، المنجد في اللغة والأعلام، قسم الاعلام، دار المشرق، بيروت، لبنان، 1986، ط2.
32. ليلي ديب، فهرس خاص بالرصيد العثماني "دفتر مهمة"، مؤسسة الأرشيف الوطني، الجزائر، 2004، ج1.

33. مانع خلود الزبيدي، موسوعة الديكور وفنون الخشب واستعمالاته، دار دجلة، الأردن، 2007، ط1.
 34. مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، القاموس المحيط، تح: أنس محمد الشامي وزكريا جابر أحمد، دار الحديث، القاهرة، مصر، 2008، (د.ط.).
 35. محمد الأحمد، الموسوعة العربية، دار الفكر للطباعة والتوزيع، سوريا، (د.ت.ن)، مج 17.
 36. محمد التوخي، المعجم المفصل للأدب، دار الكتب المصرية، بيروت، لبنان، 1993، ج2.
 37. محمد القادري وآخرون، فهرس المخطوطات العربية والأمازيغية، مؤسسة الملك عبد العزيز آل سعود للدراسات الإسلامية والعلوم الإنسانية، الدار البيضاء، 1985.
 38. محمد بن الحسن الحجوي، فهرس المخطوطات العربية، المكتبة الوطنية، الدار البيضاء، 2009، مج8، ط1.
 39. محمد بن سعود بن عبد الله الحمد، موسوعة الرحلات، دار الكتب والوثائق القومية أثناء النشر، القاهرة، 2007، ط1.
 40. محمد فؤاد الخليل القاسمي الحسني، فهرس مخطوطات المكتبة القاسمية زاوية الهامل بوسعادة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 2006.
 41. مصطفى عبد الكريم الخطيب، معجم المصطلحات والألقاب التاريخية، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، 1996.
 42. مفيد الزبيدي، موسوعة التاريخ الإسلامي (العصر العثماني)، دار أسامة للنشر والتوزيع، الأردن، 2009.
 43. المهدي الدليرو، ومحمد بوخبرة، فهرس مخطوطات مكتبة تطوان، مطابع الشويخ، تطوان، 1981.
 44. ناصر الدين سعيدي، الفهرس التحليلي للوثائق التاريخية الجزائرية، منشورات مديرية الوثائق الوطنية، الجزائر، 1988.
 45. ياقوت الحموي: معجم البلدان، دار صادر، بيروت، لبنان، 1977، مج5.
 46. يلماز أوزتونا، موسوعة تاريخ الإمبراطورية العثمانية (السياسي والعسكري والحضاري)، تر: عدنان سلمان، الدار العربية للموسوعات، بيروت، 2010، ج3، ط1.
- ثالثا: المؤتمرات والملتقيات**
1. امحمد مولاي، من المخطوطات الورقية بالخرانات الشعبية (الزوايا) إلى المكتبة الرقمية للمخطوطات بالمركز الوطني للمخطوطات، المؤتمر الدولي الثامن عشر للاتحاد العربي للمكتبات والمعلومات "مهنة المكتبات وتحديات الواقع والمستقبل ودورها في الوصول الحر للمعلومات العلمية والتقنية"، جدة، السعودية، 17-20 نوفمبر 2007م.

2. فريدة شرفة، العوامل المؤثرة في استمرارية العلاقات بين الادارة العثمانية وسكان الأرياف في الجزائر أواخر الحكم العثماني، الملتقى الدولي الثاني: " العلاقات الجزائرية التركية"، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، منشورات مطبعة جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر، 2014.
3. مبارك جعفري، المكتبات والخزائن الخاصة ودورها في المحافظة على المخطوطات (منطقة تويت بالجنوب الغربي الجزائري انموذجا)، المؤتمر الدولي للمخطوطات والوثائق التاريخية، جامعة العلوم الإسلامية، ماليزيا، 27 إلى 28 أبريل 2016.
4. محمد لمين بوروبة، واقع المخطوطات وتحقيقها بجامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية بقسنطينة، الملتقى الدولي الموسوم: المخطوط العربي الواقع والآفاق، جامعة المسيلة، الجزائر، 20 - 21 نوفمبر 2017.
5. ملاخ عبد الجليل، الحملة الإنجليزية على مدينة الجزائر من خلال رحلة الشيخ عبد الرحمن بن إدريس التتيلاني، الملتقى الوطني الرابع، إسهامات علماء التوات في الحركة الفكرية والثقافية إبان العصر الحديث (1500-2000)، جامعة أدرار 20/19 أبريل 2010.
6. نعيمة سعدية، تحليل الخطاب والإجراء العربي-قراءة في القراءة، الملتقى الدولي الثالث في تحليل الخطاب، جامعة بسكرة، الجزائر، 2007.
7. يوسف بكوش، الواقع والمتخيل في رحلة ابن حمادوش الجزائري "لسان المقال في النبأ عن النسب والحسب وال حال"، الملتقى الوطني حول الرحلة في الأدب الجزائري، صورة الواقع وجمالية النص، جامعة الشهيد حمة لخضر، وادي سوف، نوفمبر 2017.

رابعا: المخطوطات

1. ضيف الله ابن أب محمد المزمري، الرحلة لزيارة قبر الوالد، مخطوط بالخرانة البكرية، تمنطيط، الورقة رقم: 67.
2. عبد الرحمان الجامعي، شرح أرجوزة الحلفاوي، مخطوط بالمكتبة الوطنية الجزائرية، تحت رقم 2521، ورقة رقم: 16.
3. عبد الرحمان بن عمر التتيلاني، مختصر السمين في إعراب الكتاب المكنون، مخطوط بخرانة الشاري الطيب، كوسام، أدرار، الورقة رقم: 01.
4. عبد الرزاق ابن حمادوش، كشف الرموز في بيان الأعشاب، مخطوط بخرانة البشير محمودي، البرج، معسكر، ورقة رقم: 02.
5. عبد القادر بن عمر المهداوي، الدرة الفاخرة في ذكر المشايخ التواتية، مخطوط بخرانة عبد الله، أدرار.

6. عبد الله بن عزوز المراكشي التلمساني، ذهاب الكسوف ونفي الظلمة في علم الطب والطبائع والحكمة، الناسخ: محمد بن محمد بن الطاهر الخليلي الجزائري، مخطوط بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، مؤسسة الملك عبد العزيز آل سعود، الدار البيضاء، المغرب، رقم الورقة: 172.
7. عبد الله محمد بن الحاج يوسف الشويخات، كتاب قانون الأسواق بالجزائر وتغيرهم، مخطوط رقم: 1378/670، المكتبة الوطنية، الجزائر، رقم الورقة: 111.
8. محمد أبوراس الناصر، عجائب الأسفار ولطائف الأخبار، مخطوط رقم: 2003، المكتبة الوطنية، الفصل 2، ورقة رقم: 140 ظهر.
9. محمد الطاهر ابن حوا، تفسير القرآن العظيم، مخطوط بخرانة الشيخ جلول جيلالي، معسكر، رقم: 02.
10. مصطفى ابن زرفة الدحاوي، الرحلة القمرية في السيرة المحمدية، مخطوط رقم: 2597، المكتبة الوطنية، الجزائر، ورقة رقم: 95.
11. مصطفى الرماصي، حاشية على أم البراهين المسماة بـ "صغرى السنوسي"، مخطوط بخرانة البشير محمودي، البرج، معسكر، ورقة رقم: 02.
12. مؤلف مجهول، سيرة زواوة، مخطوط رقم: 3012، المكتبة الوطنية الجزائرية، الحامة، الجزائر، ورقة رقم: 16.

خامسا: الرسائل الجامعية

1. أحمد بحري، حاضرة مازونة دراسة تاريخية وحضارية في العصر الحديث (1500-1900م)، أطروحة الدكتوراه في التاريخ والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، الجزائر، 2012-2013.
2. أسماء القاي، الرحلات الجزائرية خلال العهد العثماني (الحج أنموذجا)، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة سيدي بلعباس، 2008/2009.
3. أحمد قروود، الدور الثقافي لعلماء الجزائر بالمشرق العربي في القرن 11هـ/17م من خلال ثلاث نماذج: أحمد المقرئ، عيسى الثعالبي، يحيى الشاوي، رسالة لنيل شهادة الماجستير، جامعة الجزائر 2، الجزائر، 2009/2010.
4. أحمد مولاي، المخطوط والبحث العلمي، رسالة ماجستير، قسم علم المكتبات، جامعة وهران، وهران، 2008/2009.
5. أمين محرز، الجزائر في عهد الأغوات 1959 - 1671م، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث، جامعة الجزائر، الجزائر، 2007-2008.
6. بلبروات بن عتو، المدينة والريف في الجزائر أواخر العهد العثماني، رسالة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة وهران، الجزائر، 2008.

7. بلبروات بن عتو، محمد الكبير ومشروعه الحضاري (1779-1797م)، رسالة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة وهران، الجزائر، 2001-2002.
8. بن عمر حمادو، أبو راس الناصر المعسكري وكتابات التاريخ (1155-1238هـ / 1737-1823م)، رسالة ماجستير في التاريخ والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، 2002-2003.
9. ثائرة رشيد حسني بلبيلة، قراءة معمارية في السجلات العثمانية للمحكمة الشرعية في نابلس في الفترة (1655 - 1807)، رسالة ماجستير في الهندسة المعمارية، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، 2010.
10. جميلة روباش، أدب الرحلة في المغرب العربي، وطروحات مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في الأدب الجزائري القديم، جامعة محمد خيضر، بسكرة، 2014/2015.
11. حصام صورية، العلاقات بين إيالت تونس والجزائر خلال القرن الثامن عشر، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة وهران، 2012-2013.
12. خير الدين سعيدي، المجاعات والأوبئة في الجزائر خلال العهد العثماني 1700-1830م، أطروحة دكتوراه علوم في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة 8 ماي 1945، قالمة، الجزائر، 2018 / 2019.
13. خيرة بن بلة، المنشآت الدينية بالجزائر خلال العهد العثماني، أطروحة دكتوراه في الآثار الإسلامية، معهد الآثار جامعة الجزائر، الجزائر، 2007/2008.
14. ذهبية بوشيسة، الحياة الثقافية في الجزائر خلال العهد العثماني أبي راس أنموذجا، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجيلالي، سيدي بلعباس، 2008-2009.
15. رشيد مزلاج، الأنظمة الآلية ودورها في تنظيم مخطوطات جامعة الأمير عبد القادر "واقع وآفاق"، رسالة ماجستير في علم المكتبات، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، الجزائر، 2006.
16. رشيدة شكري معمر، العلماء والسلطة العثمانية في الجزائر فترة الدايات (1671-1830م)، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر 2، 2005-2006.
17. رقية قندوز، مراسم الدنوش ورمزيته في إيالة الجزائر خلال العهد العثماني، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، الجزائر، 2005/2006.
18. زروق جيجيك، الرحلات وأثرها في انتشار التصوف في الجزائر العثمانية رحلة الورثياني أنموذجا، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة جيلالي اليابس، سيدي بلعباس، الجزائر، 2019-2020.
19. زهية بن كردة، أسواق مدينة الجزائر من الفتح الإسلامي إلى العهد العثماني من خلال المصادر، دراسة تحليلية، ماجستير في الآثار الإسلامية، جامعة الجزائر 2، الجزائر، 1999.
20. زينب رزيوي، العلم والمعارف الثقافية بالمغرب الأوسط ما بين القرنين 7هـ-9هـ / 13م-15م، أطروحة دكتوراه، جامعة سيدي بلعباس، الجزائر، 2015/2016.

21. سالم بوتدارة، الحركة العلمية بالجنوب الجزائري خلال العهد العثماني، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه علوم في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة جيلالي اليابس، سيدي بلعباس، الجزائر، 2016/2015.
22. سعاد آل سيد الشيخ، رحلة المجابي دراسة وتحقيق (1063هـ/1652م)، رسالة ماجستير في التاريخ والحضارة الإسلامية، قسم الحضارة الإسلامية، جامعة وهران، 2008-2007.
23. سعاد عقاد، الفلاحون الجزائريون والسلطة العثمانية في الجزائر 1519-1830، دار السلطان أنموذجا، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة وهران، وهران، 2014-2013.
24. سفيان صغير، العلاقات الجزائرية العثمانية خلال عهد الدايات في الجزائر (1671-1830م)، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة باتنة، الجزائر، 2012.
25. شاهيناز قاسمي المشهدية وتمظهراتها في رحلة ابن حمدوش الجزائري أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه المركز الجامعي عبد الحافظ بوصوف ميلتو، الجزائر، 2023.
26. الطاهر بودويرة، تثمين رأس المال البشري في ميدان الأرشفة بين التكوين وممارسة المهنة: دراسة ميدانية بمراكز الأرشفة الولائية بالشرق الجزائري، مذكرة ماجستير: علم المكتبات، جامعة منتوري، قسنطينة، 2009.
27. الطاهر حسني، الرحلة الجزائرية في العهد العثماني بناؤها الفني بأنواعها وخصائصها، أطروحة دكتوراه في العلوم والأدب العربي، كلية الآداب واللغات، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، 2014-2013.
28. عائشة جميل، الجزائر والباب العالي من خلال الأرشفة العثمانية (1520-1830)، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ، جامعة جيلالي ليابس، سيدي بلعباس، 2018-2017.
29. عائشة غطاس، الحرف والحرفيون بمدينة الجزائر (1700 - 1830) مقارنة اجتماعية اقتصادية، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه دولة في التاريخ الحديث، جامعة الجزائر، الجزائر، 2001 / 2000.
30. عبد الحليم طاهري، مدرسة صالح باي ومقبرته العالية في حي سوق العصر بمدينة قسنطينة، رسالة ماجستير في الآثار الإسلامية، معهد الآثار، جامعة الجزائر، 2008.
31. عبد القادر بكاري، منهج الكتابة التاريخية عند المؤرخين الجزائريين في العهد العثماني (1519-1830م)، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث، جامعة وهران، الجزائر، 2016/2015.
32. عبد القادر بلغيث، الحياة السياسية والاجتماعية بمدينة وهران خلال العهد العثماني، مذكرة ماجستير تاريخ وحضارة إسلامية، جامعة وهران، الجزائر، 2014 - 2013.
33. عبد القادر حلوش، السياسة التعليمية الفرنسية في الجزائر 1873 - 1914، رسالة ماجستير، جامعة دمشق، سوريا، 1985.

34. عبد القادر فلوح، العلاقات الجزائرية العثمانية في الفترة (1830-1818) على إثر وضوء وثائق المكتبة الوطنية الجزائرية، رسالة ماجستير في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر 2، الجزائر، 2010-2009.
35. عزالدين بن سيفي، العلاقات الجزائرية المغربية (1246-1330هـ/1830-1912م)، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه في تاريخ المغرب العربي الحديث والمعاصر، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2018-2017.
36. عيساوي فتيحة، برداع زوبيدة، أدب الرحلة في الجزائر، رحلة ابن حمادوش أنموذجا، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في الأدب الجزائري، جامعة الجبالي بونعامة، خميس مليانة، 2016/2015.
37. عيسى بخيتي، أدب الرحلة الجزائري الحديث (سياق النص وخطاب الأنساق)، أطروحة الدكتوراه، جامعة أبو بكر بلقايد، تلمسان، الجزائر، 2015.
38. فارس كعوان، المؤرخون الجزائريون ونمو الوعي التاريخي (1830-1962)، مساهمة في التاريخ الثقافي والفكري، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة قسنطينة، الجزائر، 2012-2011.
39. فاطمة مقدم، الخصائص السردية في رحلة ابن حمادوش الجزائري، رسالة ماجستير في اللغة العربية وآدابها، جامعة وهران، 2011/2010.
40. فتيحة واليش، الحياة الحضارية في بايلك الغرب الجزائري خلال القرن 18م، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث، جامعة الجزائر، 1993 - 1994.
41. فتيحة صحراوي، الجزائر في عهد الداوي حسين (1818-1830م)، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر، 2011.
42. فلة القشاعي موساوي، الصحة والسكان في الجزائر أثناء العهد العثماني، وأوائل الاحتلال الفرنسي (1518-1830)، أطروحة دكتوراه دولة في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر، الجزائر، 2003-2004.
43. فوزية فاطمة ختير، الأرشيف ومهنة الأرشيف في الجزائر (دراسة ميدانية بالغرب الجزائري)، رسالة دكتوراه علوم في علم المكتبات والعلوم الوثائقية، جامعة أحمد بن بلة 1، وهران، الجزائر، 2015 / 2014.
44. فوزية لزغم، البيوتات والاسر العلمية بالجزائر خلال العهد العثماني ودورها الثقافي والسياسي (925-1246هـ/1520-1830م)، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، الجزائر، 2014/2013.
45. كاميلية دغموش، قبائل الغرب الجزائري بين الاحتلال الاسباني والسلطة العثمانية 1509-1792، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث، جامعة وهران، الجزائر، 2014/2013.
46. كمال بن صحراوي، الدور السياسي ليعود الجزائر في أواخر عهد الدايات، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث، جامعة مصطفى اسطنبولي، معسكر، الجزائر، 2007.

47. مبارك بوعصب، مساهمة في دراسة قصور تافيلالت من سقوط سلجاسة إلى نهاية القرن الـ 20 "التاريخ والمعمار والإنقاذ"، أطروحة دكتوراه، جامعة محمد بن عبد الله، فاس، المغرب الأقصى، 2010/2011.
 48. محمد ارزقي فراد، المجتمع الزواوي في ظل العرف والثقافة الإسلامية (1779-1949)، أطروحة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر، 2011.
 49. محمد دادة، اليهود في الجزائر خلال العهد العثماني منذ مطلع القرن 18 م حتى 1830، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة دمشق، سوريا، 1985.
 50. محمد مقصود، الكراغلة والسلطة في الجزائر خلال العهد العثماني 1519-1830، رسالة ماجستير، جامعة وهران، 2014.
 51. نورة بنت عبد الله هلال البقي، الديوان الهمايوني في الدولة العثمانية (824-1340هـ/1421-1922م)، دراسة تاريخية حضارية، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في التاريخ الحديث، جامعة أم القرى، السعودية، 2015.
 52. هند تمار، تداخل الأجناس الأدبية في أدب الرحلة مدونة ابن حمادوش الجزائري انموذجا، رسالة ماجستير تخصص الأدب العربي قديما وحديثا، جامعة غرداية، 2014/2015.
 53. ياسين بودريعة، الثروة والفقر بمدينة الجزائر أواخر العهد العثماني (1786-1800)، دراسة اقتصادية ومقاربة اجتماعية من خلال دفاتر التركات، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في التاريخ الحديث، جامعة الجزائر 2، الجزائر، 2016/2017.
- سادسا: المجلات والدوريات**
1. إبراهيم الجيلالي، قسنطينة ومساجدها، مجلة الرسالة، ع6، الجزائر، 1987.
 2. أحمد الحمدي، مخطوطة بستان الأزهار في مناقب زمزم الأبرار ومعدن الأنوار -مقاربة منهجية وتاريخية-، المجلة الجزائرية للمخطوطات، جامعة وهران، الجزائر، 2009، ع10.
 3. أحمد شوقي بنين، المؤسسات الثقافية بالمغرب (خزائن الكتب العلمية)، مجلة التاريخ المغربي، المغرب الأقصى، 2005، ع35.
 4. الأحمر قادة وعطلاوي عبد الرزاق، الرحلة العلمية الجزائرية قراءة في المفهوم والدوافع، مجلة روافد للبحوث والدراسات، جامعة غرداية، الجزائر، ديسمبر 2018، ع5.
 5. أسماء بوبكري، قراءة وصفية في خزانة المخطوطات بالمطارفة، مجلة الذاكرة، جامعة ورقلة، 2015، ع15.
 6. أمال معوشي، ملامح من الحياة الاجتماعية والثقافية ليهود الجزائر خلال العهد العثماني، مجلة حوليات جامعة الجزائر، الجزائر، 2020، مج 34، ع01.

7. احمد مولاي، الوثائق الأرشيفية والمخطوطات، مجلة علم المكتبات، جامعة الجزائر2، الجزائر، ديسمبر 2015، مج7، ع1.
8. باديس عتروس، حفظ ومعالجة المخطوطات في المؤسسات غير الرسمية في الجزائر خزانة الزاوية الحسينية بولاية ميله أنموذجا، مجلة رفوف، جامعة أدرار، مارس 2015، ع6.
9. تقي الدين بوكعبر، جوانب من التراث العلمي المخطوط لأسرة المشارف بمعسكر، مجلة متون العلوم الاجتماعية، الجزائر، ع3، 2016.
10. الحسين بن محمد شواط، علم الحديث رواية، وعلم الحديث دراية سيرة المصطلح وحده ومفهومه، الألوكة للنشر الالكتروني، السعودية، 2015.
11. حسين عبد الهادي، الحصار البحري الفرنسي وسقوط الجزائر (1827-1830)، دورية كان التاريخية الالكترونية، 1 مارس 2017، ج10، ع35.
12. حليم سرحان، صناعة السفن الحربية في الجزائر خلال العهد العثماني، دراسة مستمدة من النصوص التاريخية والوثائق، المجلة التاريخية الجزائرية، جامعة المسيلة، الجزائر، ديسمبر 2017، ع05.
13. حمزة مريقي، الرحلات العلمية في الأندلس خلال القرنين الثالث والرابع الهجري، دورية كان التاريخية: المستقبل الرقمي للدراسات التاريخية، جوان 2016، مج9، ع32.
14. حنان محمد العلي، القومية العربية: تطورها، تأثيراتها وتحدياتها في عالم متغير، مجلة أوراق ثقافية، بيروت، لبنان، جويلية 2024، ع32.
15. حنفي هلايلي، الجزائريون والرحلة إلى الحجاز على ضوء رحلتي الورثياني وأبي راس الناصري، مجلة الشهاب الجديدة، جامعة سيدي بلعباس، الجزائر، 2008، مج7، ع7، السنة7.
16. حنفي هلايلي، عملاء وجواسيس الاسبان في بايلك الغرب على ضوء كتاب بهجة الناظر، مجلة الحوار الفكري، جامعة منتوري، قسنطينة، ديسمبر 2005، ع7.
17. خديجة الغازي، عبد المجيد بوجلة، رحلة الحسين الورثياني في الجزائر والحجاز من خلال كتابه الرحلة الورثيانية، مجلة دراسات تاريخية، جامعة أوبكر بلقايد، تلمسان، الجزائر، 2022، مج10، ع1.
18. خليفة إبراهيم حماش، الجزائر والحرب اليونانية العثمانية (1821-1827م)، المجلة المغربية، 1992، العدد 65-66.
19. دليلة عماري، المذكرات والكتابات الشخصية عند الأوروبيين والمسلمين خلال الفترة الوسيطة والحديثة، مجلة البحوث والدراسات الإنسانية، جامعة 20 أوت 1955، سكيكدة، الجزائر، 2022، مج16، ع1.
20. ذهبية بوشيبية، العلم والعلماء في الجزائر خلال العهد العثماني، مجلة الحوار المتوسطي، جامعة جيلالي اليابس، سيدي بلعباس، الجزائر، 2012، ع3-4.
21. رابح بونار، الذكرى الألفية لتأسيس مدينة الجزائر، مجلة الأصالة، الجزائر، 1972، ع08.

22. رابح كنتور، التأثيرات الاجتماعية والاقتصادية بين العثمانيين والجزائريين من 1519 إلى 1830، المجلة المغربية للمخطوطات، جامعة الجزائر 2، الجزائر، 2019، مج 15، ع 01.
23. رابح كنتور، الوقف وآثاره، دراسة تاريخية في مدينة البليدة، مجلة المؤرخ، اتحاد المؤرخين الجزائريين، الجزائر، 2005، ع 03.
24. رابح كنتور، أهمية الرصيد العثماني في كتابة تاريخ الجزائر الحديث (المحاكم الشرعية أنموذجا)، المجلة التاريخية الجزائرية، جامعة لمسيلة، سبتمبر 2018، مج 2، ع 3.
25. رحيمة قليل، العلوم الدينية في الجزائر أواخر العهد العثماني (علوم القرآن نموذجا)، مجلة الحوار المتوسطي، جامعة جيلالي اليابس، سيدي بلعباس، الجزائر، 2021، مج 12، ع 1.
26. سامي سوالي، الحياة الثقافية في الجزائر في عهد الداوي محمد بن عثمان (1766-1791م)، مجلة الباحث، جامعة الجزائر 2، الجزائر، 2023، مج 15، ع 2.
27. سامي صالح محمد وعبد الجبار حاسم، الحرب الروسية العثمانية 1828-1829، (الموقف البريطاني والروسي منها)، مجلة آداب، جمعة تكريت، 2014.
28. سعاد بولجويجة، عقود الزواج والطلاق وثائق لحفظ الهوية والتراث وإسقاط للواقع الاجتماعي المعيشي في قسنطينة (1827-1845)، مجلة البحوث التاريخية، جامعة قالمة، الجزائر، ديسمبر، 2024، مج 8، ع 2.
29. سعدون بخاخ، أهمية سجلات بيت المال في دراسة واقع الجماعات الوافدة على مدينة الجزائر أواخر العهد العثماني جماعة البسكرة أنموذجا، المجلة المغربية للدراسات التاريخية والاجتماعية، جامعة سيدي بلعباس، الجزائر، جويلية، 2022، مج 14، ع 1.
30. سعيد دربال، يامنة بحيري، فتح وهران الأول في الشعر الشعبي - قراءة تاريخية في قصيدة من الشعر الملحون -، مج 6، ع 2، مجلة هيرودوث للعلوم الإنسانية والاجتماعية، الجزائر، 2022.
31. سليم بوتدارة، التواصل الثقافي بين الإيالات المغربية العثمانية، مجلة العلوم الإنسانية، الجزائر، 2018، ع 9.
32. سليمان دهان، تنظيم ركب الحج الجزائري خلال العهد العثماني بين تلبية المقدس والتواصل الحضاري، مجلة أفكار وآفاق، جامعة الجزائر 2، الجزائر، 2017.
33. سميرة انساع، الأغراض الشعرية في مدينة الجزائر أثناء العهد العثماني، مجلة جيل الدراسات الأدبية والفكرية، الجزائر، 2017، ع 35..
34. سميرة أنساع، صورة المشرق العربي خلال رحلات الجزائريين في العهد العثماني، مجلة التراث العربي، دمشق، سوريا، 2005، ع 97.
35. شكيب حفري، العلاقات الجزائرية الإسبانية في القرن الثامن عشر ميلادي من خلال مخطوط عثمانية، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، (د.ت.ن)، ع 1.

36. شوقي براركة، ملامح من التوثيق في وثائق الرحلات " مخطوط رحلة الشيخ التتيلاني أنموذجاً"، المجلة الجزائرية للدراسات التاريخية والقانونية، المركز الجامعي بتندوف، تندوف، الجزائر، جوان 2016، ع1 و2.
37. صالح بوزيد، أهمية وثائق الأوقاف بسجلات المحاكم الشرعية في كتابة تاريخ الجزائر العثماني، مجلة الدراسات التاريخية، جامعة الجزائر، الجزائر، جانفي 2015، مج16، ع2.
38. صالح بوسليم، أضواء على مراكز المخطوطات في الجنوب الجزائري، مجلة حوليات للتراث، جامعة مستغانم، الجزائر، 2015، ع15.
39. صالح صالح، مؤسسة الأوقاف في التجربة الجزائرية، محلية الصراط، ع10، جامعة الجزائر 1، ديسمبر 2004.
40. صليحة بردي، الممارسة التعليمية في الجزائر أثناء الحكم العثماني، دراسة في الواقع والمعطيات، مجلة الذاكرة، جامعة ورقلة، الجزائر، جوان 2018، ع11.
41. صليحة بن سباع، التفاعل الحضاري والتواصل القيمي في رحلة الورثيلاني الموسومة بـ "نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار"، مجلة مقامات، جامعة سطيف2، الجزائر، جويلية 2020، مج6، ع1.
42. الطاهر قاسمي، كتابات المؤرخين المغاربة خلال العهد العثماني، مجلة الإنسان والمجال، المركز الجزائري نور البشير بالبيض، الجزائر، أفريل 2017.
43. عابد سليمان المشوخي، نسخ المخطوطات، مجلة عالم الكتب، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، السعودية، يونيو 1994، مج15، ع3.
44. عائشة دباح، الرحلة العلمية وتأثيرها على الوضع الثقافي في الجزائر في عهد الدايات "رحلة الحسين الورثيلاني أنموذجاً"، مجلة قضايا تاريخية، الجزائر، 2017، ع8.
45. عائشة غطاس، الصداق في مجتمع مدينة الجزائر، مجلة إنسانيات، مركز البحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية، الجزائر، 1998، ع04.
46. عائشة غطاس، سجلات المحاكم الشرعية وأهميتها في دراسة التاريخ الاقتصادي والاجتماعي بمدينة الجزائر (العهد العثماني)، مجلة إنسانيات، جامعة وهران، شتاء 1997، ع3.
47. عبد الإله نيهان، الإمام جلال الدين السيوطي "سيرة مختصرة"، مجلة مجمع اللغة العربية، وشبكة الألوكة، دمشق، سوريا، (د.ت.ن).
48. عبد الجليل شقرون، الرحالة عبد الرحمن بن إدريس (1233هـ/1818م)، مجلة الحكمة للدراسات الإسلامية، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، الجزائر، 2017، مج4، ع1.
49. عبد الحفيظ موسم، منهج الكتابة التاريخية عند حمدان بن عثمان خوجة من خلال كتابه "المرآة"، مجلة عصور جامعة الدكتور مولاي الطاهر، سعيدة، الجزائر، جوان 2023، مج: 22، ع01.

50. عبد الحق شرف، صورة الأسرة المشرفية بمنطقة معسكر في كتابات يحي بوعزيز، مجلة الناصرية للدراسات الاجتماعية والتاريخية، معسكر، ع1، الجزائر، 2011.
51. عبد الحق معزوز، خطوط الكتابات العربية في الجزائر، المجلة المغاربية للمخطوطات، جامعة الجزائر2، الجزائر، 2013، ع3.
52. عبد الحميد زوزو، حمدان خوجة ومنهجه في كتابة التاريخ، مجلة الأصالة، الجزائر، أكتوبر 1971، ع4.
53. عبد الرحمن بن عمر التتيلاني، فهرست عبد الرحمن بن عمر التتيلاني (ت 1189هـ/1775م)، دراسة وتحقيق: عبد الرحمن بن محمد بعثمان، مذكرة التخرج لنيل شهادة الماجستير، بشار، 2000.
54. عبد الرحمن بوزيان، محطات من التاريخ السياسي والحضاري لمدينة فاس منذ النشأة إلى بداية عهد الحماية، مجلة قرطاس للدراسات الفكرية والحضارية، المغرب، مج8، ع1.
55. عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم، المغاربة في مصر في العصر العثماني 1517-1798م، منشورات المجلة التاريخية المغربية، تونس، 1982.
56. عبد العزيز لعرج، السكة الجزائرية في مرحلة الانتقال والعهد العثماني، مجلة البحوث التاريخية، جامعة الجزائر، الجزائر، جويلية، 2011، ع2.
57. عبد القادر فكاير، العملات الإسبانية المتداولة في الجزائر خلال الفترة العثمانية، مجلة عصور جديدة، جامعة وهران، الجزائر، ربيع 2012، ع5.
58. عبد القادر بكاري، الإسهامات الثقافية والكتابة التاريخية لعلماء الجزائر العثمانية "أبوراس الناصر أنموذجاً"، المجلة الخلدونية للعلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة ابن خلدون، تيارت، 2013، ع6.
59. عبد القادر بكاري، حسين الورثاني والكتابة التاريخية من خلال رحلته الموسومة بـ "نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار"، مجلة الناصرية للدراسات الاجتماعية والتاريخية، جامعة ابن خلدون، تيارت، جوان 2017، مج8، ع1.
60. عبد القادر بكاري، عبد الرزاق بن حمادوش والكتابة التاريخية من خلال رحلته الموسومة بـ "لسان المقال في النبأ عن النسب والحسب والحال"، مجلة عصور الجديدة، جامعة أحمد بن بلة، وهران، الجزائر، أبريل 2017، مج7، ع26.
61. عبد القادر بلعربي، الباي محمد الكبير ومنجزاته التعليمية والدينية في بايلك الغرب، مجلة هيروودوت للعلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة سكيكدة، الجزائر، 2023، مج7، ع25.
62. عبد القادر بلعربي، الرحلة الورثانية محطاتها ومصادرها المعرفية (1115هـ-1193هـ/1713م-1779م)، مجلة آفاق فكرية، جامعة سيدي بلعباس، الجزائر، 2017، ع6.
63. عبد القادر خليفي، الرحلات بين المغرب والمشرق وقيمتها التاريخية، مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ، معسكر، الجزائر، ديسمبر 2009، ع4.

64. عبد القادر صحراوي، الرحلات الجزائرية إلى بلاد الحرمين من خلال رحلتي البجائي والورثيلاني، مجلة الحوار المتوسطي، بجاية، الجزائر، مارس 2018، مج9، ع7.
65. عبد القادر صحراوي، الورثيلاني (مقدمة عن رحلته وملاحظات عن فضل علم التاريخ والأخبار)، مجلة الحوار المتوسطي، جامعة الجيلالي الياصب، سيدي بلعباس، 2009، ع9 و10.
66. عبد القادر فكاير، العلاقات الجزائرية البرتغالية خلال الفترة العثمانية، دورية كان التاريخية الإلكترونية، ع18، ديسمبر 2018.
67. عبد القادر مرجاني، المؤرخون الجزائريون خلال العهد العثماني (أبوراس الناصر المعسكري أنموذجا)، دورية كان التاريخية الإلكترونية، 2019، ع43.
68. عبد الكريم عوفي، التراث الجزائري المخطوط بين الأمس واليوم، مجلة آفاق الثقافة والتراث، مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، الإمارات العربية، أبريل 1998، ع20-21.
69. عبد الكريم عوفي، التعريف بمراكز المخطوطات في الجزائر، مجلة معهد اللغة العربية وآدابها، جامعة قسنطينة، الجزائر، (د.ت.ن).
70. عبد الكريم عوفي، جهود الجزائر في فهرسة المخطوطات العربية منذ منتصف القرن التاسع عشر حتى نهاية القرن العشرين، مجلة عالم المخطوطات والنوادر، السعودية، ماي - أكتوبر 1999، مج4، ع1.
71. عبد الله بابا، وثائق بيع كتب خزائن المخطوطات وأهميتها التاريخية والاجتماعية والاقتصادية دراسة لوثيقة بيع مخطوط الخزانة البكرية بتوات 1003هـ/1883م، مجلة المعارف للدراسات والبحوث التاريخية، جامعة حمة لخضر، الوادي، سبتمبر 2018، ع18.
72. عبد النبي مرزاق، محمد حجازي، نشأة وتطور فن المقامة في الأدب الجزائري من القرن 12م إلى 19م، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، مج 15، ع 02، جامعة باتنة، 2022.
73. عدلان رويدي، بلاغة وصف الفضاء الجغرافي في رحلة الورثيلاني الموسومة بـ "نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار"، مجلة الخطاب والتواصل، جامعة جيجل، جويلية 2018.
74. عقيل نمير، أوقات مدينة الجزائر القرن الثامن عشر أوقاف مؤسسة سُبُل الخيرات من خلال المساجد الحنفية، مجلة دراسات في العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة قسنطينة2، الجزائر، 2001، ع01.
75. علي بن عبد الله الدفاع، رواد علم الجغرافية في الحضارة العربية الإسلامية، مكتبة التوبة، المغرب الأقصى، 1993. وأنظر كذلك: عبد القادر العافية: كتاب وصف إفريقيا، مجلة دعوة الحق، المغرب، 1979، ع5.
76. فاتح رجب قدارة، التأريخ للأحداث المعاصرة من خلال المذكرات والشهادات الشخصية (الأهمية والمحاذير البحثية) (الحالة الليبية أنموذجا)، مجلة أسطورة، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ليبيا، جويلية 2017.

77. فارس كعوان، المصطلحات الإدارية العثمانية في الجزائر (مصطلحات: الباشا-الدنوش-البايك أنموذجا)، دورية مدارات تاريخية، دورية دولية، أبريل 2019، مج 1، ع خ.
78. فاطمة الزهراء سيدهم، موارد إيالة الجزائر المالية في مطلع القرن التاسع عشر، مجلة كان التاريخية الالكترونية، الكويت، 2011، ع13.
79. فاطمة بلهوارى، وصف الجنوب الجزائري في ظل الحكم العثماني من خلال مخطوط رحلة أبي العباس الهلالي السلجماسي، المجلة الجزائرية للمخطوطات، الجزائر، جوان 2010، مج6، ع7.
80. فاطمة درعي، أهمية المذكرات الشخصية في كتابة تاريخ الثورة التحريرية، مذكرات معسكر-الجزائر (علي كافي أنموذجا)، مجلة الثقافي، جامعة مصطفى إسطنبولي، معسكر، الجزائر، 2022، مج 11، ع1.
81. فاطمة مقدم، قراءة في مضامين الخطاب الشعري المغربي القديم، عبد الرزاق بن حمادوش الجزائري أنموذجا، مجلة الكلم، جامعة وهران، الجزائر، 2020، مج5، ع1.
82. فريدة مقلاتي، صورة الآخر المغربي في رحلة ابن حمادوش المسماة "لسان المقال في النبأ عن النسب والحسب والحال"، مجلة إشكالات في اللغة والأدب، المركز الجامعي بتمنراست، الجزائر، 2019، مج8، ع4.
83. فكري طونة، نظرة خاطفة حول الوثائق العثمانية الموجودة بالمركز الوطني للدراسات التاريخية، مجلة التاريخ، مركز الدراسات التاريخية، الجزائر، 1995.
84. فهمية عمريوي، الداى علي خوجة (1817-1818م) وآثاره السياسية على الحكم العثماني في الجزائر، مجلة الباحث، المدرسة العليا الإسلامية، بوزريعة، الجزائر، 2002، مج 14، ع خاص.
85. فؤاد بن أحمد عطاء الله، استيعاب نظم جواهر الأكليل للشيخ خليفة بن حسن السوفي 1211هـ لمسائل مختصر الإمام خليل 776هـ - دراسة مقارنة - مجلة آفات فكرية جامعة جيلالي اليابس، سيدي بلعباس، الجزائر، ماي 2019، مج05، ع10.
86. فوزية لزغم، البيوتات العلمية بقسنطينة وبجاية في ظل الحفصيين، مجلة عصور الجديدة، الجزائر، 2014، ع13-14.
87. فوزية لزغم، بايات الأسرة الحسينية بتونس تكوينهم العلمي وأثرهم في الحركة العلمية (1117-1129هـ/1705-1814م)، مجلة العبر للدراسات التاريخية والأثرية في شمال إفريقيا، جامعة ابن خلدون، تيارت، سبتمبر 2020، مج3، ع2.
88. فيصل نايم، دراسة أثرية فنية لمخطوط التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية لمؤلفه أبي عبد الله محمد بن ميمون الزواوي الجزائري، مجلة العبر للدراسات التاريخية والأثرية، مج 3، ع 1، معهد الآثار، جامعة الجزائر 2، يناير 2020.

89. كريم منقوش، منهج الكتابة عند الحسين الورثيلاني من خلال رحلاته، رحلة " نزعتي الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار " أنموذجا، مجلة رؤى تاريخية للأبحاث والدراسات المتوسطية، جامعة فارس يحيى، المدينة، أكتوبر 2020، مج1، ع2.
90. كمال بن صحراوي، الدور الدبلوماسي ليهود الجزائر في أواخر العهد الدايات، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، قسم التاريخ، جامعة معسكر، الجزائر، 2007-2008.
91. لخضر بن بوزيد، زاوية الهامل ودورها في حفظ التراث الجزائري، مجلة الإنسان والمجال، المركز الجامعي البيض، الجزائر، أبريل، 2017.
92. ليلي الصباغ، الوجود المغربي في المشرق المتوسط في العصر الحديث، المجلة التاريخية المغربية، المغرب، 1977، ع 7 و 8.
93. ليلي تيتة، تطور البنية الاجتماعية للمجتمع الجزائري خلال القرن 19م، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، ج4، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2014.
94. مازن الوعر، اللسانيات والعلم والتكنولوجيا، مجلة اللسان العربي، الرباط، المغرب الأقصى، 1983، ع22.
95. محمد الأمين بوحلوفة، مخطوطات مدرسة مازونة قراءة في التاريخ وجرّد لبعض مخطوطاتها، مجلة دراسات إنسانية واجتماعية، جامعة وهران، الجزائر، جانفي 2017، ع7.
96. محمد الأمين شرويك، جهود محمد الكبير وصالح باي في تشجيع حركة الثقافة والتعليم في الجزائر العثمانية -على ضوء المصادر المحلية والأجنبية-، مجلة العلوم الإنسانية والحضارة، الجزائر، 2018، ع8.
97. محمد الزين، نظرة على الأحوال الصحية بالجزائر العثمانية أواخر عهد الدايات، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، جامعة غرداية، الجزائر، 2012، ع17.
98. محمد السعيد قاصري، المدرسة الكتانية بقسنطينة صرح ثقافي يصارع النسيان، مجلة عصور الجديدة، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، الجزائر، أوت 2015، ع 18 عدد خاص بقسنطينة.
99. محمد الصافي، واقع المخطوط العربي بين الفهرسة والتحقيق والرقمنة (الغاية والمنهج)، دورية كان التاريخية الالكترونية، مارس 2019، السنة 12، ع43.
100. محمد الفاطمي، البيوتات العلمية بقورارة إبان القرن الحادي عشر الهجري، تدقيق الروايات الشفهية بحقائق المصادر المدونة، مجلة رفوف، جامعة أدرار، الجزائر، سبتمبر 2018، مج6، ع1.
101. محمد بشير بوحيرة، التسامي والعبقريّة عند أبي راس الناصر قراءة في فتح الإله وفق المنهج النفسي، مجلة قراءات، منشورات المركز الجامعي، معسكر، 2008، ع1.
102. محمد بن سعيّدان، التحرير الأول لوهران والمرسى الكبير عام 1708، مج6، ع2، مجلة العلوم الإنسانية والحضارة، جامعة الأغواط، 2021.

103. محمد بوسلامة، هجرة الجزائريين إلى بلاد المشرق الإسلامي في العهد العثماني (1518-1830)، مجلة العبر للدراسات التاريخية والأثرية، جامعة ابن خلدون، تيارت، يناير 2019، مج2، ع1.
104. محمد بوشنافي، الاسرة المشرفية من خلال الكتابات التاريخية الجزائرية، المجلة الجزائرية للبحوث والدراسات المتوسطة، جامعة الجيلالي الياصب، بلعباس، الجزائر، ع3، جوان 2016.
105. محمد بوشنافي، الداى حسين سقوط الايالة الجزائرية 1818-1830، مجلة العصور، الجزائر، ع7، 2005.
106. محمد بوشنافي، الداى مصطفى باشا وعصره (1798-1805)، مجلة عصور الجديدة، الجزائر، 2013، ع7 و8.
107. محمد بوشنافي، النظام الغذائي في الجزائر خلال العهد العثماني 1520 - 1830م، المجلة الجزائرية للبحوث والدراسات التاريخية، الجزائر، 2020، ع11.
108. محمد بوشنافي، علماء المذهب الحنفي في الجزائر خلال العهد العثماني، مجلة العصور الجديدة، جامعة وهران، الجزائر، شتاء - ربيع 2014 - 2015، ع16-17.
109. محمد بوشنافي، هجرة العلماء الجزائريين إلى المغرب الأقصى وبلدان المشرق العربي خلال العثماني (1520-1830)، مجلة المواقف للدراسات والبحوث في المجتمع والتاريخ، جامعة معسكر، ديسمبر 2009، ع4.
110. محمد حاتمي، خطاب رحلة المغرب ومكوناته البنيوية، مجلة علامات في النقد الأدبي، منشورات النادي الأدبي، المملكة العربية السعودية، 1993، مج3، ع9.
111. محمد شارف، الإجازة في رحلة ابن حمادوش، مجلة مقاليد، جامعة أدرار، جانفي 2021، مج7، ع2.
112. محمد صاحبي، تاريخ الجزائر الثقافي من خلال المخطوطات (زاوية الهامل أنموذجا)، مجلة عصور، جامعة وهران، جوان 2002، مج1، ع1.
113. محمد طالبي، الهجرة الأندلسية إلى إفريقيا أيام الحفصيين، مجلة الأصالة، منشورات التعليم الأصلي والشؤون الدينية، الجزائر، 1975.
114. محمد كمال عرفات نبهان، عبقرية التأليف العربي، علاقة النصوص والاتصال العلمي، مجلة الوعي الإسلامي، الكويت، 1436هـ/2015م.
115. محمد ميلودي، جميلة معاشي، موظفو الجوامع في مدينة الجزائر أواخر الفترة العثمانية من خلال سجلات البايلك، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة المسيلة، 2019، ع51.
116. مختار بونقاب، من علماء الجزائر الشيخ أبوراس الناصر المعسكري 1737/1823، مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ، جامعة مصطفى إسطنبولي، معسكر، جوان 2023، مج19، ع1.

117. مداني واضح، أهمية المصادر التاريخية عند المؤرخ، مجلة القرطاس، جامعة الجزائر 2، الجزائر، نوفمبر 2018، ع 10.
118. مراد قبال، المقاومة المسلحة في إقليم متيجة (مدينة البليدة أنموذجا) 1830-1842، مجلة متيجة للدراسات الإنسانية، الجزائر، ديسمبر 2016، ع 06.
119. مزهورة صالح، المجتمع الزواوي في العهد العثماني 1720-1830م، مجلة مجتمع تربية عمل، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، 2002، مج 07، ع 02.
120. مسعود بن ساري، صورة السلطان العثماني في الأدب الجزائري القديم، مجلة الأثر، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، ع 22، جوان 2015.
121. مصطفى بن عمار، حياة دايات الجزائر العثمانية (1671-1830) دراسة وصفية، مجلة أنسنة للبحوث والدراسات، ع 13، جامعة زيان عاشور، الجلفة، 2015.
122. مفتاح بلعيد غويطة، العلاقات الطرابلسية الجزائرية 1711-1830 حسب وصف بعض معاصريها، مجلة كلية الآداب لجامعة بنغازي، ليبيا، 2012، ع 36.
123. مليكة حميدي، المسار التاريخي للعلوم العقلية الإسلامية وأثره على الفكر الأوروبي، مجلة قيس للدراسات الإنسانية والاجتماعية، جامعة الشهيد حمة لخضر، الوادي، الجزائر، ديسمبر 2017، مج 01، ع 02.
124. المهدي بوعبدلي، مراكز الثقافة وخزائن الكتب، مجلة الأصالة، الجزائر، 1973، ع 11.
125. مولاي بلحميسي، تحرير مدينة وهران 1708م، مجلة تاريخ وحضارة العرب، ع 07، الجزائر، جويلية 1970.
126. مولاي بلحميسي، صفحات من تاريخ العلاقات الجزائرية الإسبانية معاهدة 1786 بين الجزائر وإسبانيا، مجلة تاريخ وحضارة المغرب، الرباط، 1996، ع 11.
127. مؤيد محمود حمد المشهداني، أوضاع الجزائر خلال الحكم العثماني 1518-1830، مجلة الدراسات التاريخية والحضارية، جامعة تكريت، العراق، 2013، مج 5، ج 16.
128. ناصر الدين سعيدوني، مخطوط " قانون أسواق مدينة الجزائر " لعبد الله محمد بن الحاج التشريعات، مجلة حوليات، جامعة الجزائر، الجزائر، 1990، مج 5، ع 1.
129. ناصر الدين سعيدوني، معركة نافارين 1827، مجلة الدراسات التاريخية، جامعة الجزائر 2، 1992، مج 4، ع 1.
130. ناصر الدين سعيدوني، مكانة مصادر الأرشيف الجزائري في إعادة كتابة تاريخ الجزائر في العهد العثماني، مجلة الدراسات التاريخية، جامعة الجزائر، الجزائر، جانفي 1988.
131. ناصر الدين سعيدوني، موظفو الايالة الجزائرية في أوائل القرن 19 صلاحياتهم الإدارية، مهامهم الاقتصادية والاجتماعية، مجلة المؤرخ العربي، بغداد، 1987، ع 31.

132. ناصر الدين سعيدوني، موظفو مؤسسات الأوقاف بالجزائر في أواخر العهد العثماني من خلال وثائق الأرشيف الجزائري، المجلة التاريخية المغربية، تونس، 1990.
133. ناصر الدين سعيدوني، نظرة حول الوثائق العثمانية بالجزائر ومكانتها في تاريخ الجزائر الحديث، مجلة التاريخ، المركز الوطني للدراسات التاريخية، الجزائر، 1977.
134. نبيل حوبلي، نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار للشيخ الحسين الورثياني بين السرد العجائبي وخطى التاريخ والذاكرة، مجلة الحكمة للدراسات الأدبية واللغوية، جامعة الجزائر 2، الجزائر، 2023، مج 11، ع 4.
135. نصيرة بحري، استقراء التاريخ من خلال رحلة ابن حمادوش الجزائري، مجلة مدارات تاريخية، مركز المدار المعرفي للأبحاث والدراسات، الجزائر، سبتمبر 2019، مج 1، ع 3.
136. نعيمة بوكرديمي، البيوتات العلمية بمدينة قسنطينة خلال العهد الحفصي وإسهامها الثقافي، مجلة عصور الجديدة، الجزائر، 2015، ع 18.
137. نور الدين شريط، المكتبة الوطنية الجزائرية ومجتمع المعلومات الواقع والآفاق في ظل تحديات تكنولوجيا المعلومات، مجلة قيس للدراسات الإنسانية والاجتماعية، جامعة الشهيد حمه لخضر، وادي سوف، الجزائر، جوان 2020، مج 4، ع 1.
138. نور الدين غرداوي، أعرش وقبائل متيجة ودورها في المقاومة الوطنية بداية الاحتلال الفرنسي، مجلة متيجة للدراسات الإنسانية، الجزائر، ديسمبر 2015، ع 4.
139. هاشمي بن براهيم، دان بوغفالة، القبائل المتعاونة مع الاحتلال الاسباني لوهـران (1505م-1792م)، مجلة الناصرية للدراسات الاجتماعية والتاريخية، جامعة معسكر، جوان 2017، مج 8، ع 1.
140. هشام بوبكر، عياشي بلقاسم، جوانب من الحياة الديموغرافية والاجتماعية للمجتمع الجزائري أواخر الفترة العثمانية، مجلة الآفاق للعلوم، المملكة العربية السعودية، 1992.
141. وافية نفطي، أماني سعدالي، مسألة التدوين التاريخي في الجزائر خلال العهد العثماني، مجلة هيرودوث للعلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر، 2023، مج 7، ع 2، (ع خ).
142. وليد خالد يوسف، حكم الأسرة القرمانلية في ولاية طرابلس الغرب 1711-1835، مجلة جامعة تكريت للعلوم، العراق، جويلية 2012، مج 19، ع 6.
143. ياسين بودريعة، شخصية الداوي حسين بين كتاب المرأة ومذكرات الشريف الزهار (1818-1830)، مجلة تاريخ العلوم العربية، حلب، سوريا، جوان 2020، مج 5، ع 13.
144. يحي بوعزيز، أوضاع المؤسسة الدينية بالجزائر خلال القرنين التاسع عشر والعشرين، مجلة اللغة العربية، الجزائر، 2006، ع 16.

سابعاً: المصادر والمراجع الأجنبية

1. Berque jaque: L'intérieur de Maghreb XV siècle, Paris, 1976, pp 75-103 .
2. Haedo fray (Diego), topographie et histoire générale d'Alger (la vie à Alger au seizième siècle), traduction de l'espagnol et notes de A. Berbrugger et Dr. Momerrau, présentation de Abderrahmane Rebahi, 3rd Grand -Alger-livre, Alger, 2007.
3. Mahfoud Kaddache, L'Algerie des Algeriens. De la préhistoire à 1954, paris, 2003.
4. Mohammed hadj Sadok, Atravers la berbèrie oriental du 18 siecle avec la voyageur ALwarthilani in R.A, vol95, Alger, 1951.
5. Shaw (Thomas), travels or observation relating to several parts of barbary and the levant, oxford, 1738, 2eme edirion, 1743, traduits francais par J.Mac Carthy, Paris, 1830.
6. Venture de paradis (J.M), Alger au VIII siècle (1788-1790), mémoires, notes et observation d'un diplomate espion, présentation et notes par Abderrahmane Rebahi, Grand -Alger-livre, Alger, 1983.
7. Venture de paradis (J.M), Tunis et Alger au XIII siècle, bib arab, sindhad, Paris, 1983.

فهرس الأعلام

- اللورد إكسموث: 14، 179، 180،
182، 265، 266، 269، 288، 290،
324.
- الهاشمي المغربي: 129، 140.
- إبراهيم الرياحي: 148، 160، 252،
378.
- أبو الأسرار حسين العجمي: 102،
376.
- أبو العباس الحسيني العبيدي المقريري:
143.
- أبو القاسم سعد الله: 10، 106، 107،
131، 151، 159، 338.
- أبو القاسم محمد الحفناوي: 127، 128،
130، 248.
- أبو حامد العربي المشرفي: 149، 206.
- أبو حسن علي الفيومي: 127، 128،
376.
- أبو مهدي عيسى الثعالبي: 102، 142.
- أبو يعقوب يوسف بن محمد: 347.
- أبوزيد المنجرة التلمساني: 353.
- أبوسالم عبد الله بن محمد العياشي: 123.
- أبي إسحاق برهان: 143.
- أبي عبد الله محمد بن عبد الله السلجماسي:
171.
- أبي عبد الله محمد بن محمد الثغيري:
188، 197، 373.
- أحمد الاشبيلي: 128، 139.
- - أ -
- ابن الأجدابي: 123.
- ابن التكوك: 150.
- ابن الشباط التوزري: 143.
- ابن الكردبوس: 113.
- ابن خلدون: 143، 160، 216، 295.
- ابن رشيد السبتي: 167.
- ابن سودة: 99، 106.
- ابن عبد الله سقاط: 150.
- ابن عياد: 164.
- ابن مرزوق: 167.
- ابن هطال التلمساني: 31، 82،
317، 405.
- الإمام العمروسي: 140.
- الحاج إبراهيم بن حمان: 178.
- الحسن ابن مصطفى: 179.
- الخبيصي: 121.
- الرحموني محمد بن صالح بن سليمان:
360.
- الزياتي الشافعي: 140.
- السرياقوسي: 355.
- السعدي السدراتي: 128، 342.
- السيد الحسين المغربي: 149، 164.
- الشيخ حمدون: 159.
- الطيب بن كيران: 159.
- العربي بن السنوسي: 150.
- العفيفي: 128، 141.

- أحمد الزين: 126، 128، 342.
- أحمد السرائري: 101، 120.
- أحمد السقاط: 171.
- أحمد الشريف الزهار: 10، 12، 14، 242، 247، 248، 249، 250، 251، 252، 253، 256، 257، 258، 263، 265، 268، 276، 277، 292، 294، 295، 296، 298، 299، 303، 312، 316، 319، 326، 328، 331، 332، 333، 337، 394، 395، 396، 400، 411.
- أحمد بن العربي بن الحاج: 101، 121.
- أحمد بن المبارك: 101، 116، 120، 121، 329.
- أحمد بن أحمد الناصر: 147، 157.
- أحمد بن عبد الفتاح الملوي: 140.
- أحمد بن عمر التدلسي: 128.
- أحمد بن قاسم البوني: 81، 87، 88، 368، 411، 413.
- أحمد بن محمد بن علي بن سحنون الراشدي: 83، 358، 363، 366، 373، 402.
- أحمد بن محمد بن ناصر الدرعي: 102، 123، 142، 167، 376.
- أحمد بن يوسف الملياني: 89، 130.
- أحمد الشارف المازوني: 340.
- ب -
- بدر الدين بن عبد الكريم الفقون: 128، 305.
- ج -
- جلال الدين السيوطي: 143، 151.
- ح -
- حسين بن عبد الشكور البكري: 171.
- حمدان بن عثمان خوجة: 10، 12، 15، 92، 217، 218، 220، 222، 225، 228، 229، 234، 247، 299، 391، 394، 406، 411.
- خ -
- خليفة القماري: 354.
- س -
- سالم النفزاوي: 140.
- سحنون بن عثمان الونشريسي: 359، 419.
- سعيد المنداسي: 374.
- ش -
- شهاب الدين الخفاجي: 142.
- ص -
- صالح الكواش: 148، 151.
- ع -
- عبد الرحمان الأخضري: 48، 55، 129، 134، 141، 356، 380.

- عبد الرحمان التلمساني: 148.
- عبد الرحمان الجامعي: 188، 189.
- عبد الرحمان الخضيرى الأسيوطي: 143.
- عبد الرحمان المنجرة: 171، 353.
- عبد الرحمان بن ادريس التتيلاني: 12، 14، 168، 174، 175، 176، 177، 178، 179، 182، 324، 345، 400، 411.
- عبد الرحمان بن محمد العليمى الحنبلي: 123.
- عبد السلام الهروشي: 171.
- عبد العزيز الثميني: 350، 353، 356.
- عبد القادر الراشدي: 128، 342.
- عبد القادر المشرفي: 12، 15، 147، 149، 203، 204، 205، 207، 208، 209، 215، 216، 299، 312، 345، 406.
- عبد القادر بن النقي التتيلاني: 172.
- عبد القادر بن أحمد: 140، 168، 170، 173.
- عبد القادر بن شقرون: 159، 170.
- عبد القادر بن محمد الراشدي: 351.
- عبد القادر بن محيي الدين الجزائري: 150.
- عبد الله التومي: 126، 342.
- عبد الله الشرقاوي: 149، 151، 162، 368.
- عبد الله بن أحمد الحبيب البلبالي: 54.
- عبد الله بن عبد الرحمان التتيلاني: 172.
- عبد الله بن عزوز المراكشي: 358.
- عبد المالك المفتي الحنفي الشامي القلعي: 149، 163، 377.
- عبد الوهاب العفيفي: 128، 141، 376.
- عصمان الشامي: 149.
- علي الصعيدي: 129، 140، 376.
- علي بن أحمد بن عبد الله: 128.
- علي بن حسن الجزائري: 359.
- عمارة العلاف: 164، 377.
- عمر الطحاوي: 139.
- م -
- محمد الأمير: 149، 151، 162، 368.
- محمد البليدي: 307.
- محمد الزرقاني: 102.
- محمد السعيد: 127، 206.
- محمد السنوسي: 123، 150، 344.
- محمد الشافعي: 102.
- محمد الصادق ابن فغول: 340.
- محمد الصادق أفغول: 148.
- محمد الطاهر ابن حوا: 347.
- محمد العننري: 128.

- محمد المحجوي: 160.
- محمد المصطفى بن زرفة الدحاوي: 170.
- محمد بن عبد الله التنسي: 88.
- محمد بن علي الحاج الشاطبي: 143.
- محمد بن علي السنوسي: 80، 135، 150، 355.
- محمد بن قاسم المحجوب: 148.
- محمد بن قاسم بن زكور: 102.
- محمد بن مالك: 158، 207.
- محمد بن مولاي: 158.
- محمد بن ميمون: 12، 48، 99، 100، 186، 188، 191، 193، 194، 365.
- محمد بيرم: 148.
- محمد زيتونة: 102.
- مرتضى الزبيدي: 149، 151، 162، 171، 377.
- مصطفى الرماحي: 340.
- مصطفى الرماصي أبو الخيرات: 351، 380.
- محمد بكداش: 14، 186، 187.
- 188، 189، 191، 192، 193، 194، 195، 196، 197، 198، 199، 200، 201، 202، 215، 365، 372، 373، 402.
- محمد بن الحفاف: 158.
- محمد بن الخضير: 150.
- محمد بن أب أحمد المزمرى: 362.
- محمد بن أحمد الزجلاني: 170، 178، 362.
- محمد بن أحمد الزجلاني: 170، 178، 362.
- محمد بن أحمد الشريف الحسني: 89، 358.
- محمد بن أحمد القسطنطيني (الكماذ): 101.
- محمد بن جدعون: 158.
- محمد بن عبد الرحمان التازي: 376.
- ي -
- يحي العيلاني: 126، 128، 342.
- يحي بوعزيز: 16، 204.
- يوسف بن بشران: 128.
- يوسف بن عدوي الإباضي: 348.

فهرس المحتويات

الإهداء	
شكر وتقدير	ب
مقدمة	18-6

الفصل الأول: طبيعة المصادر المحلية الجزائرية خلال العهد العثماني 19

أولاً: الرحلة الجزائرية	21
1- ماهية الرحلة	21
1-1- لغة	21
2-1- اصطلاحا	23
2- الرحلة خلال العهد العثماني دوافعها وأسبابها	25
1-2- الدافع الديني	25
2-2- الدافع العلمي	27
3-2- الدوافع السياسية	29
4-2- الدافع الاقتصادي	32
3- أنواعها	33
1-3- الرحلة الدينية "الحج والعمرة"	33
2-3- الرحلة العلمية	34
3-3- الرحلة التجارية	36
4-3- الرحلة الاستطلاعية	37
5-3- الرحلة السياسية	38

ثانياً: المخطوطات 39

1- المدلول اللغوي والاصطلاحي	39
1-1- المدلول اللغوي	39
2-1- المدلول الاصطلاحي	41
2- أنواع المخطوطات	43
1-2- حسب اللغة	43

43.....	2-2- حسب التاريخ
44.....	2-3- حسب الحامل
44.....	2-4- حسب النسخ
46.....	3- مراكز تواجد المخطوطات بالجزائر
47.....	3-1- المكتبات الرسمية
49.....	3-2- المكتبات الخاصة
53.....	4-1- خزائن منطقة قورارة ومن أهم خزائنها
54.....	4-2- خزائن منطقة توات الوسطى
54.....	4-3- خزانة كوسام
55.....	ثالثا: وثائق الأرشيف الوطني الجزائري
55.....	1- المدلول اللغوي والاصطلاحي للأرشيف
55.....	1-1- الأرشيف لغة
57.....	1-2- الأرشيف اصطلاحا
59.....	2- أنواع الأرشيف وتصنيفاته
59.....	2-1- الأرشيف العام
60.....	2-2- الأرشيف الخاص
60.....	2-3- حسب شكل الوعاء
61.....	2-4- حسب طبيعة النشاط
62.....	2-5- حسب العمر
63.....	3- الوثائق الأرشيفية بالمركز الوطني للأرشيف الجزائري "الفترة العثمانية أنموذجا"
63.....	3-1- وثائق سجلات المحاكم الشرعية
69.....	3-2- سجلات البايك
70.....	3-3- سجلات مؤسسة بيت المال
73.....	3-4- سجلات بيت المال والبايك

74.....	3-5- وثائق مهمة دفتر أو دفاتر مهمة ووثائق خط همايون
76	رابعاً: الكتابات والمذكرات الشخصية
76.....	1- الكتابات (المؤلفات) الجزائرية خلال العهد العثماني
76.....	1-1- المدلول اللغوي والاصطلاحي للتأليف
78.....	1-2- دوافع انتشار الكتابات والمؤلفات الجزائرية خلال الفترة الحديثة
87.....	1-3- مجالات الكتابات التاريخية في الجزائر خلال العهد العثماني
90.....	2- المذكرات الشخصية
90.....	2-1- المدلول اللغوي والاصطلاحي
92.....	2-2- أهمية المذكرات الشخصية في كتابة التاريخ
95	الفصل الثاني: الرحلات الجزائرية أواخر العهد العثماني (القرنين 18م وبداية القرن 19م)
97	أولاً: رحلة ابن حمادوش خلال القرن 18م
97.....	1- التعريف بصاحب الرحلة
97.....	1-1- أصله وميلاده
98.....	1-2- نشأته وتعلمه
100.....	1-3- شيوخه
103.....	1-4- آثاره
106.....	1-5- وفاته
106.....	2- التعريف بكتاب رحلة ابن حمادوش
108.....	3- المواضيع التي تناولها ابن حمادوش في رحلته
108.....	3-1- الجانب الجغرافي
110.....	3-2- الجانب السياسي
114.....	3-3- الجانب الاجتماعي
118.....	3-4- الجانب الاقتصادي
119.....	3-5- الجانب العلمي
123.....	4- مصادر رحلة ابن حمادوش

ثانيا: رحلة الحسين بن محمد الوريثلاني خلال القرن 18م.....	124
1- التعريف بالرحالة	124
1-1- نسبه ومولده	124
1-2- نشأته وطلبه العلم	125
1-3- شيوخه	127
1-4- مؤلفاته	129
1-5- وفاته	130
2- التعريف بكتاب الرحلة الوريثلانية	131
3- المحتوى العام للرحلة الوريثلانية	132
3-1- مسار الرحلة	132
3-2- الوصف الجغرافي	133
3-3- الوصف العمراني	134
3-4- الجانب الاقتصادي	136
3-5- الجانب الاجتماعي	136
3-5- الجانب السياسي	138
3-6- الجانب العلمي	139
3-7- التصوف	141
4- مصادر الرحلة	142
ثالثا: رحلة الشيخ أبي راس الناصر المعسكري مطلع القرن 19م.....	143
1- التعريف بالرحالة	144
1-1- نسبه ومولده	144
1-2- نشأته	145
1-3- طلبه العلم	146
1-4- شيوخه	147

149	1-5- تلاميذه
150	1-6- آثاره العلمية
155	1-7- وفاته
155	2- التعريف بكتاب رحلة أبي راس الناصر
156	3- المحتوى العام لرحلة أبي راس الناصر
166	4- مصادر رحلة أبي راس الناصر
168	رابعاً: رحلة عبد الرحمن بن إدريس التنيلاني بداية القرن 19م
168	1- التعريف بصاحب الرحلة
168	1-1- اسمه ونسبه
168	1-2- مولده
169	1-3- نشأته وتعلمه
170	1-4- شيوخه
171	1-5- تلاميذه
172	1-6- ألقابه
173	1-7- مؤلفاته
174	1-8- وفاته
174	2- التعريف بكتاب رحلة عبد الرحمن بن إدريس التنيلاني
176	3- المحتوى العام للرحلة ومضمونها
176	3-1- تاريخ الرحلة
176	3-2- مسار الرحلة
176	3-3- الوصف الجغرافي
177	3-4- الحياة الاقتصادية
177	3-5- الحياة الاجتماعية
178	3-6- الحياة العلمية

- 179 7-3 - وصف حملة اللورد إكسموث على مدينة الجزائر
- 181 8-3 - خاتمة المؤلف وذكر النساخ
- 182 4- مصادر الرحلة

الفصل الثالث: الكتابات والمذكرات الشخصية الجزائرية خلال القرن 18م وبداية القرن 19م..... 184

- أولاً: كتاب " التحفة المرضية في الدولة البكداشية " لمحمد بن ميمون الجزائري 186
- 1- ترجمة المؤلف 186
- 1-1- اسمه ونسبه 186
- 1-2- مولده ووفاته 186
- 1-3- نشأته 187
- 1-4- شيوخه وتلامذته 188
- 1-5- آثاره 189
- 2- التعريف بكتاب "التحفة المرضية في الدولة البكداشية ... " 189
- 3- المحتوى العام لكتاب "التحفة المرضية في الدولة البكداشية..." ومضمونه 191
- 4- المصادر والأسلوب المعتمد من طرف محمد ابن ميمون في كتابة مؤلفه 200
- 4-1- المصادر المعتمد عليها في كتابة مؤلفه 200
- 4-2- الأسلوب المعتمد في كتابة مؤلفه 201
- ثانياً: كتاب "بهجة الناظر ... " لعبد القادر المشرفي الجزائري 203
- 1- ترجمة المؤلف 203
- 1-1- اسمه ونسبه 203
- 1-2- المولد والنشأة 204
- 1-3- شيوخه وتلامذته 205
- 1-4- آثاره العلمية 207
- 1-5- وفاته 207
- 2- التعريف بكتاب "بهجة الناظر" لعبد القادر المشرفي 208
- 3- المحتوى العام لكتاب "بهجة الناظر ... " ومضمونه 209

209	3-1- العنصر الأول:
210	3-2- العنصر الثاني:
214	3-3- العنصر الثالث:
215	4- المصادر والأسلوب المعتمد من طرف عبد القادر المشرفي في كتابة مؤلفه
217	ثالثا: مذكرات حمدان بن عثمان خوجة
217	1- التعريف بحمدان خوجة
217	1-1- المولد والنشأة
219	1-2- حياته السياسية
221	1-3- ممارسة الفلاحة والتجارة
222	1-4- أهم الوظائف التي مارسها
223	1-5- حياته العلمية
225	1-6- شيوخه
225	1-7- آثاره العلمية
228	2- التعريف بكتاب "المرآة" لحمدان بن عثمان خوجة
229	3- المحتوى العام لكتاب "المرآة"
229	3-1- مقدمة:
230	3-2- القسم الأول:
233	3-3- القسم الثاني:
238	3-4- القسم الثالث:
242	4- المصادر والأسلوب المعتمد من طرف حمدان خوجة في كتابه مذكراته
243	4-1- المصادر المعتمد عليها في تأليفه
244	4-2- الأسلوب المعتمد في كتابة مؤلفه
247	رابعا: مذكرات أحمد الشريف الزهار
248	1- التعريف بالحاج أحمد الشريف الزهار

1-1- اسمه ونسبه	248
2-1- مولده ونشأته	248
3-1- الحاج أحمد الشريف الزهار والاحتلال الفرنسي	250
4-1- حياته العلمية وآثاره	251
5-1- وفاته	252
2- التعريف بكتاب المذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار	252
3- المحتوى العام لكتاب "مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار"	253
3-1- الجانب السياسي	254
3-2- الجانب الاقتصادي	290
4- الكوارث الطبيعية والأزمات الصحية	292
4-1- الكوارث الطبيعية	292
4-2- الأزمات الصحية	293
5- المصادر والأسلوب المعتمد من طرف الحاج أحمد الشريف الزهار في كتابة مؤلفه	294
5-1- المصادر المعتمد عليها في تأليفه	294
5-2- الأسلوب المعتمد في كتابة مذكراته	296
الفصل الرابع: أهمية المصادر المحلية في كتابة تاريخ الجزائر خلال العهد العثماني. 300	
أولاً: الجانب الاجتماعي	301
1- تركيبة المجتمع الجزائري خلال العهد العثماني	301
1-1- سكان المدن	302
1-2- سكان الأرياف	313
ثانياً: مظاهر الترابط بين فئات المجتمع الجزائري خلال العهد العثماني على ضوء المصادر المحلية 318	
1- التضامن الاجتماعي	318
1-1- مواجهة آفة المجاعة	319
1-2- ظاهرة الأوقاف	320
1-3- مواجهة الخطر الأجنبي	323

325	2- الاحتفال بالمناسبات الدينية
326	2-1- الاحتفال بقدوم شهر رمضان وصيامه
327	2-2- الاحتفال بعيدي الفطر والأضحى
329	2-3- في الاحتفال بالمولد النبوي الشريف
330	3- الزواج والمصاهرات بين فئات المجتمع الجزائري
332	4- ختان الأطفال
333	ثانياً: الجانب الثقافي
334	1- التعليم ومؤسساته
335	1-1- الكتاتيب
336	1-2- المساجد
339	1-3- المدارس
343	1-4- الزوايا
346	2- نماذج من أهم العلوم السائدة والإنتاج الفكري بالجزائر أواخر العهد العثماني
346	2-1- العلوم النقلية
355	2-2- العلوم العقلية
360	2-3- العلوم اللسانية
364	2-4- علوم الأدب
375	3- التواصل الثقافي بين إيالة الجزائر والأقطار العربية أواخر العهد العثماني
375	3-1- تبادل الإجازات
378	3-2- التدريس
379	3-3- تبادل المصنفات والمؤلفات الدينية والعلمية
381	ثالثاً: الجانب الاقتصادي
382	1- الأنشطة الاقتصادية بإيالة الجزائر أواخر العهد العثماني
382	1-1- الزراعة

384	1-2- الصناعة
389	1-3- التجارة
394	2- السياسة الضريبية بالجزائر أواخر العهد العثماني
398	3- أهم العملات الجزائرية أواخر العهد العثماني
399	3-1- العملة المحلية الجزائرية
401	3-2- العملات الأجنبية
404	4- الأبعاد الاقتصادية في المدونات التاريخية الجزائرية أواخر العهد العثماني
404	4-1- تأثير العوامل الطبيعية في خصوبة الأرض وتنوع الإنتاج
406	4-2- أنواع الأراضي وصلتها بالظرف الاقتصادي النظام الجبائي الضريبي
409	خاتمة
416	الملاحق
430	قائمة المصادر والمراجع
473	فهرس الأعلام

تَنَاقَلَتْ هَذِهِ الدِّرَاسَةُ الْمَصَادِرَ الْمَحَلِّيَّةَ فِي كِتَابَةِ تَارِيخِ الْجَزَائِرِ خِلَالَ الْعَهْدِ الْعُثْمَانِيِّ الْقَرْنَيْنِ 18م وَبِدَايَةِ الْقَرْنِ 19م.

هَدَفَتْ هَذِهِ الدِّرَاسَةُ إِلَى إِثْرَازِ أَهْمِيَّةِ الْمَصَادِرِ الْمَحَلِّيَّةِ كَنُموذَجٍ فِي إِعَادَةِ بِنَاءِ وَكِتَابَةِ تَارِيخِ الْجَزَائِرِ خِلَالَ الْعَهْدِ الْعُثْمَانِيِّ، مِنْ خِلَالِ تَبْيَانِ الْأَبْعَادِ الْأَجْتِمَاعِيَّةِ وَالْثَّقَافِيَّةِ وَالْاِقْتِصَادِيَّةِ الْخَاصَّةِ بِالْمُجْتَمَعِ الْجَزَائِرِيِّ أَوَاخِرَ الْعَهْدِ الْعُثْمَانِيِّ (الْقَرْنِ 18م وَبِدَايَةِ الْقَرْنِ 19م)، بَعِيدًا عَنِ الْمَصَادِرِ الْأَجْنِبِيَّةِ الَّتِي لَطَالَمَا اعْتَمَدَ عَلَيْهَا الْبَاحِثُونَ فِي كِتَابَاتِهِمْ وَدِرَاسَاتِهِمْ لِتَارِيخِ الْجَزَائِرِ خِلَالَ تِلْكَ الْحِقْبَةِ. وَخُلِصَتْ هَذِهِ الْأَطْرُوحَةُ إِلَى أَنَّ هَذِهِ الْمُدَوَّنَاتِ التَّارِيخِيَّةَ بِأَنْوَاعِهَا "كُتُبُ الرِّحَالَةِ، الْمَذَكِّرَاتِ الشَّخْصِيَّةِ،..."، وَغَيْرَهَا مِنَ الْمَوْلَفَاتِ مَادَّةٌ أَسَاسِيَّةٌ مَحَلِّيَّةٌ فِي نَقْلِ الْأَحْدَاثِ وَالْوَقَائِعِ التَّارِيخِيَّةِ الَّتِي تُسَدُّ بِهَا الثَّغَرَاتُ، وَالنَّقْصُ الْمَوْجُودُ فِي حَلَقَاتِ تَارِيخِنَا الْحَدِيثِ. وَيَبْقَى مَوْضُوعُ الْمَصَادِرِ الْمَحَلِّيَّةِ فِي كِتَابَةِ تَارِيخِ الْجَزَائِرِ خِلَالَ الْعَهْدِ الْعُثْمَانِيِّ قَابِلًا لِلِإِثْرَاءِ وَالدِّرَاسَةِ فِي جَوَانِبٍ أُخْرَى مُتَعَدِّدَةٍ، وَالَّتِي لَمْ نَتَطَرَّقْ لَهَا فِي هَذَا الْبَحْثِ. الْكَلِمَاتُ الْمِفْتَاحِيَّةُ: الْمَصَادِرُ الْمَحَلِّيَّةُ - الْجَزَائِرُ - الْعَهْدُ الْعُثْمَانِيُّ - الْمُجْتَمَعُ الْجَزَائِرِيُّ - الرِّحَالَاتُ - الْمَخْطُوطَاتُ - الْمَذَكِّرَاتُ الشَّخْصِيَّةُ - الْمُدَوَّنَاتُ التَّارِيخِيَّةُ.

This study examines local sources for writing the history of Algeria during the Ottoman era the 18th and early 19th centuries.

The study aimed to highlight the significance of local sources as a framework for reconstructing and documenting Algerian history during the Ottoman period. By doing so, it illuminates the social, cultural, and economic dimensions specific to Algerian society in the late Ottoman era (18th and early 19th centuries). This approach seeks to move away from exclusive reliance on foreign sources ,which have long dominated the scholarly landscape in the study of Algerian history during this epoch.

The thesis concluded that these various historical records—including travelogues, personal memoirs ,and other local works—constitute essential primary material. They provide vital indigenous perspectives for documenting historical events and facts, effectively filling the gaps and deficiencies found in the existing records of our modern history.

The subject of local sources in Algerian history during the Ottoman era remains open for further enrichment and investigation across multiple other facets not covered in this research.

Keywords :Local Sources, Algeria, Ottoman Era, Algerian Society, Travelogues, Manuscripts, Personal Memoirs, Historical Records.